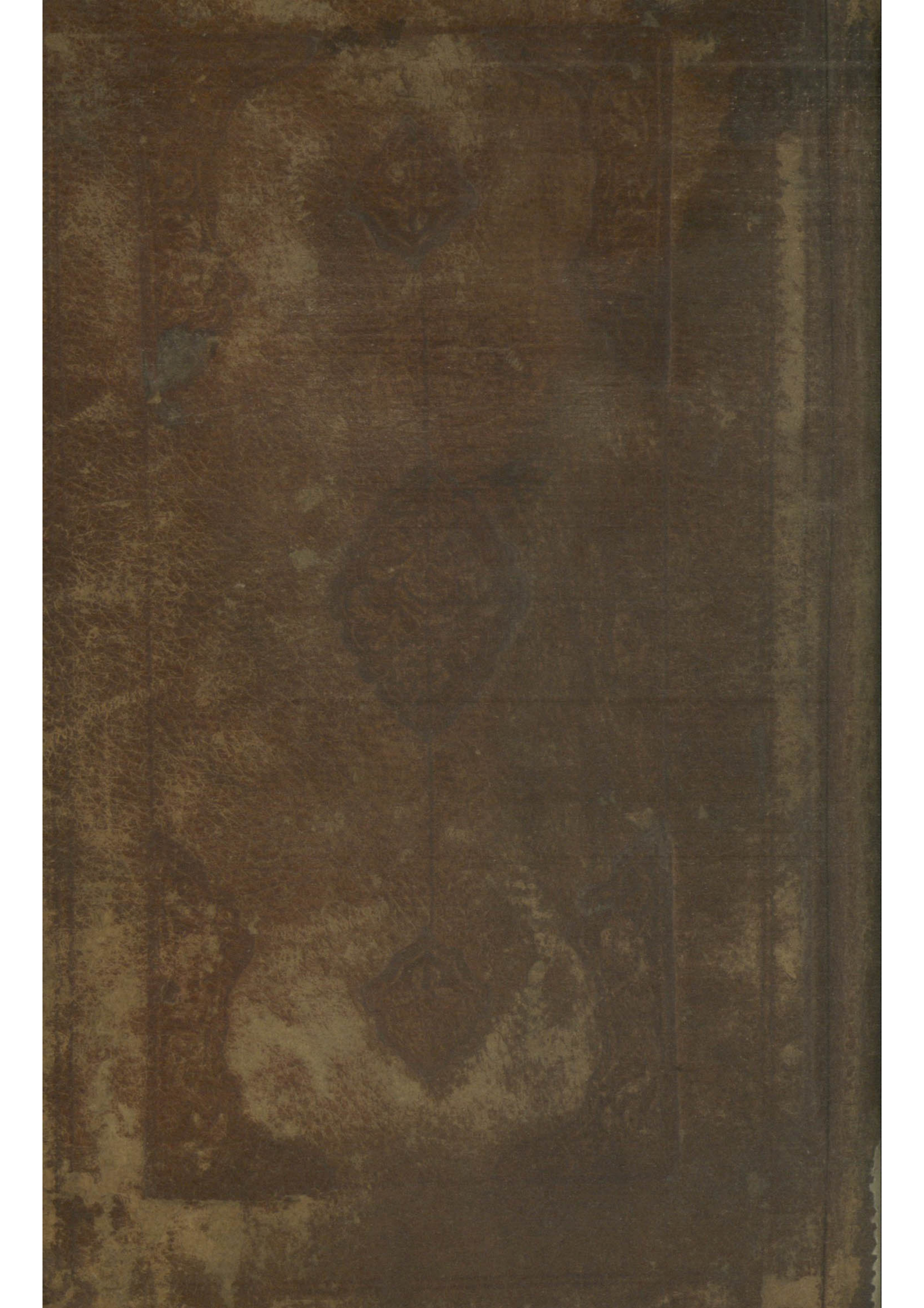
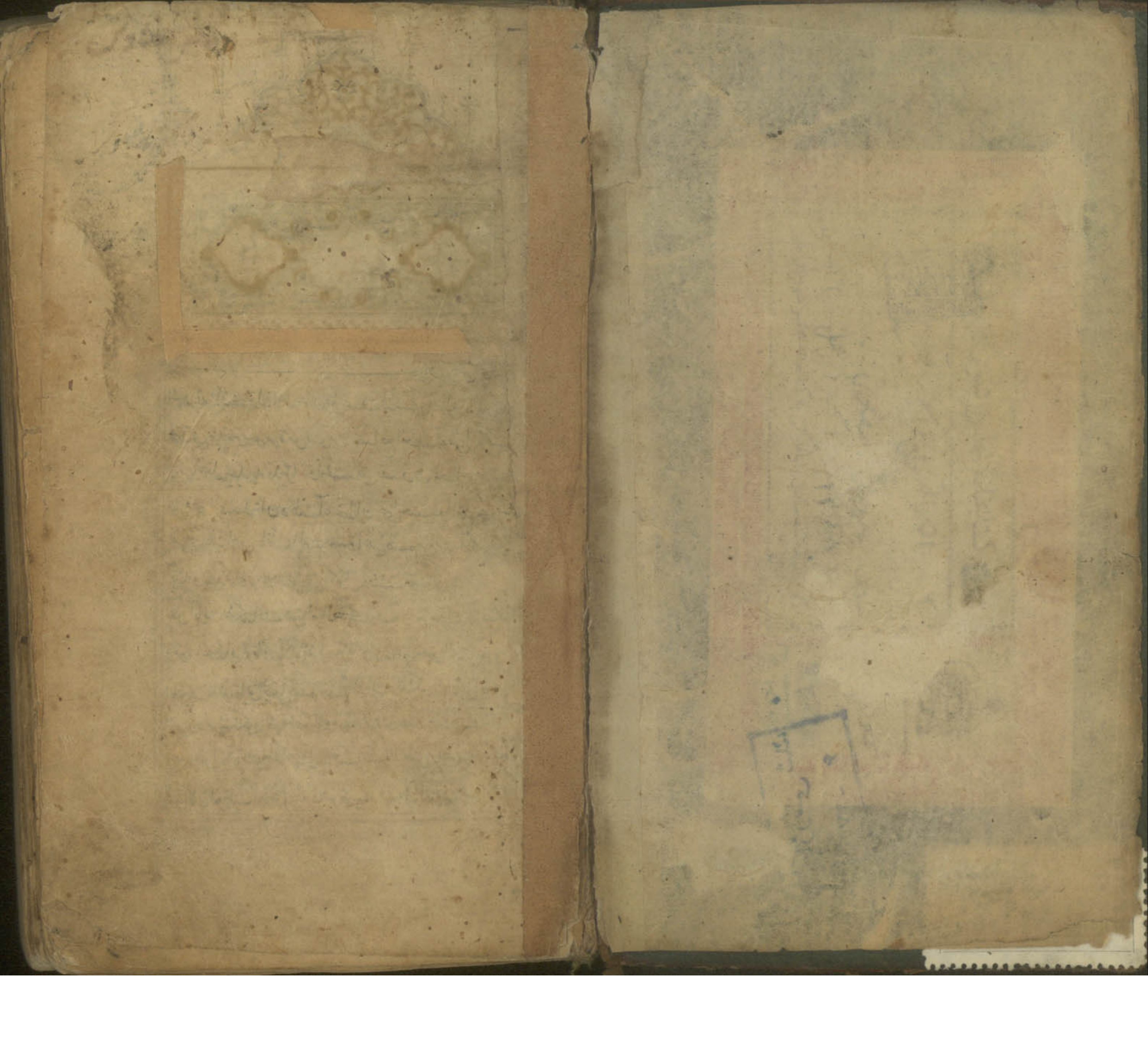




کتابخانهٔ مجلس شورای ملی
کتاب انوار التنزیل و اسرار التأویل
مؤلف ناصرالدین البیضاوی
جلد (۱۳۸۵) از کتب (خطی) اهدائی
آقای سید محمد صادق طباطبائی به کتابخانه مجلس شورای ملی
شماره ثبت کتاب ۲۲۰۸۱
خطی اهدائی
کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
۱۳۸۵
بازرسی شد
۳۷ - ۶
۱۳۸۵


کتابخانهٔ مجلس شورای ملی
کتاب انوار التنزیل و اسرار التأویل
مؤلف ناصرالدین البیضاوی
جلد (۱۳۸۵) از کتب (خطی) اهدائی
آقای سید محمد صادق طباطبائی به کتابخانه مجلس شورای ملی
شماره ثبت کتاب
۳۲۰۸۸
خطی اهدائی
کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
۱۳۸۵
بازرسی شد
۶ - ۳۷
۱۳۸۵


کتابخانهٔ مجلس شورای ملی
کتاب انوار التنزیل و اسرار التأویل
مؤلف ناصرالدین البیضاوی
جلد (۱۳۸۵) از کتب (خطی) اهدائی
آقای سید محمد صادق طباطبائی به کتابخانه مجلس شورای ملی
شماره ثبت کتاب
۲۲۰۸۸
خطی اهدائی
کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
۱۳۸۵
بازرسی
۳۷ - ۶





١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا
فتحدى باقصر سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب
العرباء فلم يجد به قديرا وافحم من تصدى لمعارضته
من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا انهم سحروا تسحيرا
ثم بين للناس ما نزل اليهم حسبما عن لهم من مصالحهم ليدبروا
آياته وليتذكر اولوا الالباب تذكيرا فكشف قناع الانغلاق
عن آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات هن
رموز الخطاب تاويلا وتفسيرا وابرز غوامض الحقايق و
لطايف الدقايق ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس
الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد لهم قواعد الاحكام واوضاعها من
نصوص الآيات والماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا
فمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد فهو فى الدارين حميد وسعيد

ومن

٢

ومن لم يرفع اليه راسه واطفى نبراسه يعيش ذميما ويصلى سعيرا
فيا واجب الوجود ويا فايض الجود ويا غاية كل مقصود صل عليه صلوة
توازى غناءه وتجازى عناءه وعلى من اعانه وقرر تبيانه تقريرا وافض
علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم علينا وعليهم
تسليما كثيرا وبعد فان اعظم العلوم مقدارا وارفعها شرفا ومنارا
علم التفسير الذى هو رئيس العلوم الدينية وراسها ومبنى
قواعد الشرع واساسها لا يليق لتعاطيه والتصدى للتكلم فيه
الا من برع فى العلوم الدينية كلها اصولها وفروعها وفاق فى
الصناعات العربية والفنون الادبية بانواعها ولطالما احدث نفسى
بان اصنف فى هذا الفن كتابا يحتوى على صفوة ما بلغنى من عظماء
الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف الصالحين وينطوى
على نكت بارعة ولطايف رايعة استنبطتها انا ومن قبلى من افاضل
المتاخرين واماثل المحققين ويعرب عن وجوه القراءات المشهورة
المعزية الى الائمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القراء
المعتبرين الا ان قصور بضاعتى يثبطنى عن الاقدام ويمنعنى عن
الانتصاب فى هذا المقام حتى سنح لى بعد الاستخارة ما صمم به
عزمى على الشروع فيما اردته والاتيان بما قصدته ناويا ان اسميه
بعد ان اتممه بانوار التنزيل واسرار التاويل فها انا الان اشرع
وبحسن توفيقه اقول وهو الموفق لكل خير ومعطى كل مسؤول

سورة فاتحة الكتاب وتسمى ام القرآن لانها مفتتحه ومبدؤه فكانها اصله ومنشأه
ولذلك تسمى اساسا او لانها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله تعالى والتعبد
بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام
العملية التي هي سلوك طريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل
الاشقياء وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر
والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها والصلوة لوجوب قراءتها
او استحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله عليه السلام هي شفاء
كل داء والسبع المثاني لانها سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عد التسمية
آية دون انعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى في الصلوة او الانزال
ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة حين حولت القبلة
وقد صح انها مكية لقوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص
بسم الله الرحمن الرحيم من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما
وابن المبارك والشافعي وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام و
فقهاؤها ومالك والاوزاعي ولم ينص فيه ابو حنيفة بشئ فظن انها ليست من
السورة عنده وسئل محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله
لنا احاديث كثيرة منها ما روى ابو هريرة رضي الله عنه انه عليه السلام قال
فاتحة الكتاب سبع آيات اولهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام سلمة
قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين آية ومن اجلهما اختلف في انها آية برأسها او

بما بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله تعالى والوفاق على
اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن حتى لم يكتب آمين والباء
متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ لان الذي يتلوه مقروء وكذلك
يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له وذلك اولى من ان يضمر ابدأ
لعدم ما يطابقه وما يدل عليه او ابتدائي لزيادة اضمار فيه وتقديم
المعمول ههنا اوقع كما في قوله بسم الله مجريها وقوله اياك نعبد لانه اهم و
ادل على الاختصاص وادخل في التعظيم واوفق للوجود فان اسمه تعالى
مقدم على القراءة كيف وقد جعل آلة لها من حيث ان الفعل لا يتم
ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه لقوله عليه السلام كل امر ذي بال
لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم
الله اقرأ وهذا وما بعده مقول على السنة العباد ليعلموا كيف يتبرك
باسمه ويحمد على نعمه ويسئل من فضله وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة
ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة
داخلة على المظهر للفصل بينها وبين لام الابتداء والاسم عند اصحابنا
البصريين من الاسماء التي حذفت اعجازها لكثرة الاستعمال وبنيت
اوائلها على السكون وادخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لان
من دأبهم ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفه
على اسماء واسامي وسمي وسميت ومجيء سمي كهدى لغة فيه قال والله اسماك
سما مباركا آثرك الله به ايثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه

داخلة على ما حذف صدره فى كلامهم ومن لغاته سِم وسُم قال بسم الذى فى كل سورة
سِمُه والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمّى لانه يتالف من اصوات مقطعة غير قارة
ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمّى لا
يكون كذلك وان اريد به ذات الشئ فهو المسمّى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى
وقوله تعا سبح اسم ربك المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن
النقايص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب او الاسم
فيه مقحم كما فى قول الشاعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما وان اريد به الصفة
هو راى الشيخ ابى الحسن الاشعرى انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس
المسمّى والى ما هو غيره والى ما هو ليس هو ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله
لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه او للفرق بين اليمين والتيمن ولم تكتب الالف
على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها
والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك
قيل يا الله بالقطع الا انه مختص بالمعبود بالحق والاله فى الاصل يقع على كل
معبود ثم غلب على المعبود بحق واشتقاقه من اله الاهة والوهة والوهية
بمعنى عبد ومنه تاله واستاله وقيل من اله اذا تحير لان العقول تتحير فى
معرفته او من الهت الى فلان اى سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره و
الارواح تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع من امر نزل عليه وآلهه غيره اجاره
اذ العايذ يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه او من اله الفصيل اذا ولع
بامه اذ العباد مولعون بالتضرع اليه فى الشدايد او من وله اذا تحير وتخبط عقله

وكان

وكان اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال
الضم فى وجوه فقيل الاه كاعاء واشاح ويرده الجمع على آلهة دون اولهة
وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب او ارتفع لانه
تعالى محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع على كل شئ وعما لا
يليق به ويشهد له قول الشاعر كحلفة من ابى رباح يسمعها لاهه
الكبار وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لا بد
له من اسم تجرى عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولانه
لو كان وصفا لم يكن قوله لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن
فانه لا يمنع الشركة والحق انه وصف فى اصله لكنه لما غلب عليه
بحيث لا يستعمل فى غيره وصار كالعلم مثل الثريا والصعق اجرى
مجراه فى اجراء الاوصاف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال
الشركة اليه لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار امر آخر حقيقى او غيره
غير معقولة للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد
ذاته المخصوص لما افاد ظاهر قوله تعالى وهو الله فى السموات معنى
صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو كون احد اللفظين مشاركا للآخر فى المعنى
والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة وقيل اصله لاها
بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا
انفتح ما قبله او انضم سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلوة
ولا ينعقد صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر الا لا بارك الله فى

سهيل اذا ما بارك الله في الرجال الرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة
من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب
انعطاف تقتضي التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها
واسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي
التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة
المعنى كما في قطع وقطّع وكبار وكبّار وذلك انما يؤخذ تارة باعتبار الكمية
واخرى باعتبار الكيفية وعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن و
الكافر ورحيم الآخرة لانه يخص المؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا
والآخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية
فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضي الترقي من الادنى الى الاعلى
لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره لانه
معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لان
من عداه فهو مستعيض بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب او جميل ثناء
او مزيل رقة الجنسية او حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك
لان ذات النعم ووجودها والقدرة على ايصالها والداعية الباعثة عليه
والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك من
خلقه لا يقدر عليها احد غيره او لان الرحمن لما دل على جلائل النعم واصولها ذكر
الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف له او للمحافظة
على رؤس الآي والاظهر انه غير مصروف الحاقا له بما هو الغالب في بابه

وانما

وانما خص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان
به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولي النعم كلها
عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس و
يتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره
الحمد لله الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة او غيرها والمدح هو
الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول
حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر في مقابلة النعمة
قولا وعملا واعتقادا قال افادتكم النعماء مني ثلثة يدي ولساني والضمير
المحجبا فهو اعم منهما من وجه واخص من آخر ولما كان الحمد من شعب
الشكر اشيع للنعمة وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في اداب الجوارح
من الاحتمال جعل راس الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله واصله
النصب وقد قرئ به وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته
له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي تنصب بافعال مضمرة
لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل
ان الحمد ما هو وللاستغراق اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ ما من خير الا هو موليه
بوسط او بغير وسط كما قال وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه تعالى
حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه وقرئ الحمد لله
باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان
معا منزلة كلمة واحدة **رب العالمين** الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ

مصدر

الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل
هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما
يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله عليه السلام ارجع الى ربك والعالم
اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه من
الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل
على وجوده وانما جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب
العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كساير اوصافهم وقيل اسم وضع لذوي
العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع
وقيل عني به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على
نظاير ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه
في العالم ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال الله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون
وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح او النداء او بالفعل الذي دل عليه
الحمد وفيه دليل على ان الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها
مفتقرة الى المبقي حال بقائها **الرحمن الرحيم** كرره للتعليل على ما سنذكره
مالك يوم الدين قراه عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى
يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ والباقون مَلِكِ وهو المختار
لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ولما فيه من التعظيم والمالك
هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف شاء من المِلك والمَلِك هو المتصرف
بالامر والنهي في المامورين من المُلك وقرئ مَلْك بالتخفيف ومَلَكَ بلفظ

الفعل ومالكا بالنصب على المدح او الحال ومالك بالرفع منونا ومضافا على انه خبر
مبتداء محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما
تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا اضاف اسم
الفاعل الى الظرف اجراله مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق الليلة اهل
الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين على طريقة ونادى اصحاب الجنة او له الملك
في هذا اليوم على وجه الاستمرار ليكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة
للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم
بالاضافة اما لتعظيمه او لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف
على الله تعالى من كونه موجدا للعالمين ربا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها
وباطنها عاجلها وآجلها مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة
على انه الحقيق بالحمد لا احد احق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب
الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللاشعار من طريق المفهوم على ان من لم
يتصف بتلك الصفات لا يستاهل لان يحمد فضلا عن ان يعبد ليكون
دليلا على ما بعده فالوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد
والتربية والثاني والثالث للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر
منه لايجاب بالذات او وجوب عليه قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق به
الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما لا يقبل الشركة فيه وتضمين الوعد
للحامدين والوعيد للمعرضين **اياك نعبد واياك نستعين** ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد
ووصف بصفات عظام تميز بها عن ساير الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين

فخوطب بذلك اى يا من هذا شانه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون
ادل على الاختصاص والترقى من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود
وكان المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا بنى اول الكلام
على ما هو مبادى حال العارف من الذكر والفكر والتأمل فى اسمائه والاستدلال
بصنائعه على عظيم شانه وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى امره وهو ان يخوض لجة
الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من
الواصلين الى العين دون السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن فى الكلام و
العدول من اسلوب الى آخر تطرية له وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى
الغيبة ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس كقوله تعالى حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَ
جَرَيْنَ بِهِمْ وقوله وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ وقول امرء القيس
تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلى ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذى العاير
الارمد وذلك من نبإ جاءنى وخبرته عن ابى الاسود وايا ضمير منصوب منفصل
وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب و
الغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء فى انت والكاف فى ارايتك وقال
الخليل ايا مضافا اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين
فاياه وايا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هى الضماير وايا عمدة فانها
لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم اليها ايا ليستقل به
وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء
والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اى مذلل

وثوب ذو عبدة اذا كان فى غاية الصفاقة ولذلك لا يستعمل الا فى الخضوع
لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهى اما ضرورية او غيرها والضرورية
ما لا يتاتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة
يفعل بها فيها وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح
ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل
كالراحلة فى السفر للقادر على المشى او يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه
عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة فى
المهمات كلها او فى اداء العبادات والضمير المستكن فى الفعلين للقارى
ومن معه من الحفظة وحاضرى صلوة الجماعة او له ولساير الموحدين
ادرج عبادته فى تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل
ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة وقدم المفعول للتعظيم
والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس معناه نعبدك ولا
نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم فى الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغى ان
يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة
صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق
فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق فى ملاحظة جناب القدس و
غاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث
انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكى الله عن حبيبه حين قال
لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا على ما حكاه عن كليمه حيث قال إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ و

كرر الضمير للتنصيص على انه المستعان به لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة
ليوافق رؤوس الآي ويعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة
واقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر
عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا
يستتب له الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين
بك وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة
سوى الياء اذا لم ينضم ما بعدها **اهدنا الصراط المستقيم** بيان للمعونة المطلوبة
فكانه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا او افراد لما هو المقصود الاعظم والهداية
دلالة بلطف ولذلك يستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم على
التهكم ومنه الهدية وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى واصله ان يعدى
باللام او الى فعومل معه معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وهداية
الله تعالى تتنوع انواعا لا يحصيها عد لكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة
القوى التي بها يتمكن المؤمن من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة
والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح
والفساد واليه اشار حيث قال وهديناه النجدين وقال وهديناهم فاستحبوا
العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها
عنى بقوله وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القرآن يهدي للتي
هي اقوم والرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحي
او الالهام او المنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء والاولياء

التهكم

واياه

واياه عنى بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى والثبات
عليه او حصول المراتب المترتبة عليه فاذا قاله العارف الواصل عنى به ارشدنا
طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشي ابداننا لنستضيء بنور
قدسك فنراك بنورك والامر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء
والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعه فكانه يسرط السابلة و
لذلك سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء في الا
طباق وقد يشم الصاد صوت الزاء ليكون اقرب الى المبدل عنه وقرأ ابن كثير
برواية قنبل ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد
وهو لغة قريش والثابت في الامام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق في
التذكير والتانيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وقيل ملة الاسلام
صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل
من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين
هو المشهود عليه بالاستقامة على آكد وجه وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان
له فكانه من البين الذي لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين
وقيل الذين انعمت عليهم الانبياء وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل
التحريف والنسخ وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في
الاصل الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذه من النعمة وهي اللين و
نعم الله وان كانت لا تحصى كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين

دنيوي واخروي والاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني كنفخ
الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق
وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وكمال
الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق والملكات الفاضلة
وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال
والثاني ان يعفو ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه في اعلى عليين مع الملائكة المقربين
ابد الآبدين والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم الآخر فان
ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ
بدل من الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال او صفة له
مبينة او مقيدة على معنى ان المنعم عليهم هم الذين جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان
وبين السلامة من الغضب والضلال وذلك انما يصح باحد التأويلين اجراء الموصول
مجرى النكرة اذا لم يقصد به كالمحلى باللام في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني وقولهم
لامر الرجل مثلك فيكرمني او جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ما له ضد واحد
وهو المنعم عليه فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال
عن ضمير المجرور والعامل انعمت او باضمار اعني او بالاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلين
والغضب ثوران النفس ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله تعالى اريد به المنتهى والغاية على ما مر
وعليهم في محل الرفع لانه نائب مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتاكيد ما في غير
من معنى النفي فكانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب
كما جاز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين

فالضلال

فاتحه

فالضلال العدول عن الطريق السوي عمدا او خطأ وله عرض عريض والتفاوت
ما بين ادناه واقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى فيهم مَن لعنه
الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل
واضلوا كثيرا وقد روي مرفوعا ويتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة
والضالين الجاهلون بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق
لذاته والخير للعمل به فكان المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة
والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل
عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله فماذا بعد
الحق الا الضلال وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب من
التقاء الساكنين آمين اسم الفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال افعل بني على الفتح كاين لالتقاء
الساكنين وجاء مد الفه وقصرها وقال ويرحم الله عبدا قال امينا وقال آمينا
وقال آمين فزاد الله ما بيننا بعدا وليس من القرآن وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقول النبي
صلى الله عليه وسلم علمني جبرئيل آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على
الكتاب وفي معناه قول علي رضي الله عنه آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده
ويقوله الامام ويجهر به في الجهرية لما روي عن وائل بن حجر انه عليه السلام كان اذا قرأ
ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن ابي حنيفة انه لا يقوله والمشهور عنه
انه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وانس والمأموم يؤمن معه لقوله عليه
السلام اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين

وان الامام يقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم
من ذنبه وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأُبيّ الا اخبرك
بسورة لم تنزل في التورية والانجيل والقرآن مثلها قال بلى يا رسول الله
قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن ابن
عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين
اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن
تقرأ حرفا منهما الا اعطيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ
صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه تعالى فيرفع
عنه بذلك العذاب اربعين سنة **سورة البقرة مدنية** وآيها مائتان
وسبع وثمانون **بسم الله الرحمن الرحيم** **الم** وسائر الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها
الحروف التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يختص به من
التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وابو
علي وما روى ابن مسعود انه عليه السلام قال من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة
والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف
فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه فان تخصيصه به عرف مجدد بل المعنى
اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا
وهي مركبة صدرت بها لتكون تأديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت
الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها العوامل موقوفة

أساي م

خالية

السوره

خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه معرضة
له اذ لم تناسب مبني الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما بين الساكنين ولم
يعامل معاملة اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي
تركب منها افتتحت السور بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها على
ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله
لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون
اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف
مختص بمن خط ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد
مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز
عنه الاديب الاريب الفائق في فنه وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر
اسما هي نصف اسامي حروف المعجم ان لم يعد الالف فيها حرفا برأسها في تسع و
عشرين سورة بعددها اذا عد فيها الالف مشتملة على انصاف انواعها فذكر
من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفه
نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة
نصفها يجمعها لن يقطع امر ومن الشديدة الثمانية المجموعة في أجدت طبقك
اربعة يجمعها اقطك ومن الرخوة عشرة يجمعها حمس على نصره نصفها ومن
المطبقة التي هي الصاد والطاء والضاد والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها
ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها قد طبج نصفها
الاقل لقلتها ومن اللينتين الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي يتصعد

والطاء م
يجمعها

الصوت بها في الحنك الاعلى وهي سبعة القاف والصاد والطاء والخاء
والغين والضاد والظاء نصفها الاكثر ومن البواقي المنخفضة بنصفها ومن حروف
البدل وهي احد عشر على ما ذكره سيبويه واختاره ابن جني وجمعها اجد
طويت منها الستة الشايعة المشهورة التي يجمعها الاهطمين وقد
زاد بعضهم سبعة اخرى وهي اللام في اصيلال والصاد والزاء في صراط
وزراط والفاء في جدف والعين في اعن والثاء في ثروغ الدلو والباء في
باسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة
واللام والصاد والعين ومما يدغم في مثله ولا يدغم في المقارب وهي خمسة عشر
الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين والضاد
والطاء والشين والراء والواو نصفها الاقل ومما يدغم فيهما وهي الثلثة عشر
الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والنون
لما في الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التي لا يدغم فيما قاربها
ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والراء والسين والفاء نصفها ولما كانت الحروف
الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة يجمعها رب منفل والحلقية
التي هي الحاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيهما
ولما كانت ابنية المزيدة لا يتجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد العشرة التي
يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها
وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة
وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التي

اصولها

اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلاث مفردات في ثلث
سور لانها توجد في الاقسام الثلثة الاسم والفعل والحرف واربع ثنائيات لانها تكون
في الحرف بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بغير حذف كمن وبه كدم في تسع سور
لوقوعه في كل واحد من الاقسام الثلثة على ثلثة اوجه ففي الاسماء من واذ وذو وفي
الافعال قل وبع وخف وفي الحروف ان ومن ومذ على لغة من جر بها وثلاث ثلاثيات
لمجيئها في الاقسام الثلثة في ثلث عشر سورة تنبيها على ان اصول الابنية
المستعملة ثلثة عشر عشرة منها للاسماء وثلثة للافعال ورباعيتين و
خماسيتين تنبيها على ان لكل منهما اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد و
جحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعد باجمعها في اول القرآن لهذه الفائدة
مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى ان هذا المتحدى
به مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف منها كذا وقيل هي اسماء السور و
عليه اطباق الاكثر سميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب
فلو لم يكن وحيا من الله لم يتساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه
بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم
بالزنجي مع العربي ولم يكن القرآن باسره بيانا وهدى ولما امكن التحدي به
وان كانت مفهمة فاما ان يراد بها السور التي مستهلها على انها
القابها او غير ذلك والثاني باطل لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له
في لغة العرب وظاهر انه ليس كذلك او غيره وهو باطل لان القرآن
نزل على لغتهم لقوله تعالى بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ فلا يحمل على ما ليس في

لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان يكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع
كلام واستيناف آخر كما قاله قطرب او اشارة الى كلمات هي منها اقتصرت
عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت لي قاف كما روي عن ابن
عباس انه قال الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم
ون مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك في ساير الفواتح
وعنه ان الالف من الله واللام من جبرئيل والميم من محمد اي القرآن
منزل من الله بلسان جبرئيل على محمد عليهما السلام او الى مدد اقوام آجال
بحساب الجمل كما قاله ابو العالية متمسكا بما روي انه عليه السلام لما اتاه
اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل في دين مدته احدى
وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا فهل غيره
فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري بايها نأخذ فان تلاوته
اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك وهذه
الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها
بالمعربات كالمشكوة والسجيل والقسطاس او دالة على الحروف المبسوطة
مقسما بها لشرفها من حيث انها بسايط اسماء الله ومادة خطابه هذا وان
القول بانها اسماء السور يخرجها الى ما ليس في لغة العرب لان التسمية
بثلثة اسماء فصاعدا مستنكرة عندهم ويؤدي الى اتحاد الاسم والمسمى
فيستدعي تأخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم متأخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول
هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستيناف

الدعوه

يلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور ولا يقتضي ذلك ان لا يكون لها
معنى في حيزها ولم يستعمل للاختصار من كلمات معينة في لغتهم اما الشعر
فشاذ واما قول ابن عباس فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء
ومبادي الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة الا ترى انه عد كل حرف من
كلمات متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه المعاني دون غيرها اذ لا مخصص لفظا
ومعنى ولا بحساب الجمل فتلحق بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز انه
تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج
الى اضمار اشياء لا دليل عليها والتسمية بثلثة اسماء انما تمتنع اذا ركبت
وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك فاما اذا نثرت نثر اسماء العدد
فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر و
طايفة من اسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا
اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور و
الوجه الاول اقرب الى التحقيق واوفق للطايف التنزيل واسلم من لزوم النقل
ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد فانه يعود بالنقض على ما هو
مقصود العلمية وقيل انها اسماء القرآن ولذلك اخبر عنها بالكتاب و
القرآن وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا رضي الله عنه
كان يقول يا كهيعص يا حمعسق ولعله اراد يا منزلهما وقيل الالف من اقصى
الحلق وهو مبداء المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من
الشفه وهي آخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغي ان يكون اول كلامه

او وسطه وآخره ذكر الله تعالى وقيل انه سر استأثره الله بعلمه وقد روي عن
الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار
بين الله تعالى ورسوله ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا
يفيد فان جعلتها اسماء الله تعالى او القرآن او السور كان لها حظ من الاعراب
اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن
بالنصب او غيره كاذكر او الجر على اضمار حرف القسم ويتأتى الاعراب
لفظا والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد كحم فانها كهابيل والحكاية
ليس الا فيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى وان
ابقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز
الرفع بالابتداء او الخبر على ما مر وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة
منها منصوبا او مجرورا على اللغتين في الله لافعلن ويكون جملة قسمية بالفعل
المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزلة منزلة حروف
التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتدأة والمفردات المعدودة
ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لا يحتاج الى ما بعدها وليس شيء
منها آية عند غير الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص
وطه وطسم ويس وحم آية وحمعسق آيتان والبواقي ليست بآيات وهذا
توقيف لا مجال للقياس فيه ذلك الكتاب ذلك اشارة الى الم ان اول بالمؤلف
من هذه الحروف او فسر بالسورة او القرآن فانه لما تكلم به وتقضى او وصل من المرسل
الى المرسل اليه صار متباعدا وتذكيره متى اريد بالم السورة لتذكير

الكتاب فانه خبره او صفته الذي هو هو او الى الكتاب فيكون صفته
والمراد به الكتاب الموعود انزاله بنحو قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا
ثقيلا او في الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة
وقيل فعال بني للمفعول كاللباس ثم عبر عن المنظوم عبارة قبل ان تكتب
لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة لا ريب فيه معناه انه لوضوحه
وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا
حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه الا ترى الى قوله تعالى وان كنتم في ريب مما
نزلنا على عبدنا الآية فانه ما ابعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق المزيح له
وهو ان يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم
حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال الشبهة ولا مدخل للريبة
وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل
فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل مصدر رابني الشيء اذا
حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق
النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان
الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه ريب الزمان لنوائبه هدى
للمتقين يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالسرى والتقى
ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه مقابل الضلالة
في قوله تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن
اهتدى الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون والمنتفعون

بنصبه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار قال
هدى للناس ولانه لا ينتفع بالتامل فيه الا من صقل العقل واستعمله في
تدبر الدلايل والنظر في المعجزات وتعرف النبوات لانه كالغذاء الصالح لحفظ
الصحة فانه لا يجلب نفعا ما لم يكن الصحة حاصلة وعلى هذا قوله تعالى
ننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا
ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان تعين
المراد منه والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة
وهو في عرف الشرع لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة وله ثلث مراتب الاولى التوقي
عن العذاب المخلد بالتبرء عن الشرك وعليه قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى والثانية
التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغاير عند قوم وهو المتعارف باسم
التقوى في الشرع والمعني بقوله ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان
يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب
بقوله واتقوا الله حق تقاته وقد فسر قوله هدى للمتقين على الاوجه الثلثة
والآية تحتمل اوجها من الاعراب ان يكون الم مبتدا على انه اسم القرآن
او السورة او مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان اخص من المؤلف
مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل في
تاليفه البالغ اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك
وان يكون الم خبر مبتدا محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته و
لا ريب في القراءة المشهورة مبني لتضمنه معنى من منصوب المحل بلا النافية للجنس

الآيات

العاملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع
بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله تعالى لا فيها غول لانه لم يقصد
تخصيص نفي الريب به من بين ساير الكتب كما قصد ثمة او صفته وللمتقين خبره و
هدى نصب على الحال او الخبر محذوف كما في لا ضير ولذلك وقف على لا ريب
على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لا ريب فيه فيه
هدى وان يكون ذلك مبتدا والكتاب خبره على معنى انه الكتاب الكامل
الذي يستاهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده خبره والجملة خبر الم و
الاولى ان يقال انها اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة فالم
جملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك
الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال ثم سجل
على كماله بنفي الريب فيه لانه لا كمال اعلى مما للحق واليقين ثم اكد كونه حقا لا يحوم
الشك حوله بانه هدى للمتقين او يستتبع كل واحدة منها ما يليها استتباع
الدليل للمدلول وبيانه انه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس
كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال
واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك
والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحدة منها
نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل
وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تاخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل
وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم

ولذلك لم يدخل العاطف بينها

وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا
ايجازا وتفخيما لشانه **الذين يؤمنون بالغيب** صفة اما موصول بالمتقين على انه
مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية
على التخلية والتصوير على التصقيل او موضحة ان فسر بما يعم فعل الحسنات
وترك السيئات لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان
والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية
والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا ترى
الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه الصلوة والسلام الصلوة
عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مادحة بما تضمنه وتخصيص الايمان بالغيب
واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا لفضلها على سائر ما يدخل
تحت اسم التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني او هم
الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى
فيكون الوقف على المتقين تاما والايمان في اللغة التصديق مأخوذ من الامن
كان المصدق امن التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف
وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما امنت
ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق
بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة
والبعث والجزاء ومجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل
بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد

المصدق من
صح

فهو منافق ومن اخل بالاقرار فكافر ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا و
كافر عند الخوارج خارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي
يدل على انه التصديق وحده انه سبحانه اضاف الايمان الى القلب فقال كتب في
قلوبهم الايمان وقلبه مطمئن بالايمان ولم تؤمن قلوبهم وعطف عليه العمل
الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الذين آمنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير لانه اقرب الى الاصل وهو متعين الارادة
في الآية اذ المعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق
بالقلب هل هو كاف لانه المقصود ام لا بد من اقتران الاقرار به للمتمكن منه ولعل
الحق هو الثاني لانه تعالى ذم المعاند اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان
يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار والغيب مصدر وصف به للمبالغة
كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من
الارض والخمصة التي تلي الكلية غيبا او فيعل خففت كقيل والمراد به الخفي
الذي لا يدركه الحس ولا يقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو
المعني بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل
كالصانع وصفاته واليوم الآخر واحواله وهو المراد به في الآية هذا اذا جعلته صلة
للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا على تقدير المتلبسين بالغيب
كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين
اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم او عن المؤمن به

لما يدخل الايمان
في قلوبكم
صح

لما روى ان ابن مسعود قال والذى لا اله غيره ما آمن به احد افضل من الايمان
بغيب ثم قرأ هذه الاية وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون
بقلوبهم لا كمن يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم فالباء على الاول للتعدية
وعلى الثانى للمصاحبة وعلى الثالث للآلة ويقيمون الصلوة اى يعدلون
اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ فى افعالها من اقام العود اذا قومه او
يواظبون عليها من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال
اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا فانه اذا حوفظ عليها كانت
كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام
بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد او يؤدونها
عبر عن الاداء بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت
والركوع والسجود والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب
وافيد لتضمنه على التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة
من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من الخشوع والاقبال بقلبه
على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلوتهم ساهون ولذلك
ذكر فى سياق المدح والمقيمين الصلوة وفى معرض الذم فويل للمصلين
الذين والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على
لفظ المفخم وانما سمى الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل
الاصل صلى حرك الصلوين لان المصلى يفعله فى ركوعه وسجوده واشتهار
هذه اللفظ فى المعنى الثانى مع عدم اشتهاره فى الاول لا يقدح فى نقله عنه

وانما سمى الداعى مصليا تشبيها له فى تخشعه بالراكع والساجد ومما رزقناهم
ينفقون الرزق فى اللغة الحظ قال الله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون
والعرف خصصه بتخصيص الشئ بالحيوان من الانتفاع به وتمكينه منه والمعتزلة
لما استحالوا من الله ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا
الحرام ليس برزق الا ترى انه اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال
الطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم
الله بقوله قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا
واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم
واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول
الرزق له بقوله عليه السلام فى حديث عمرو بن قرة لقد رزقك
الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل
الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذى به طول
عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على
الله رزقها وانفق الشئ وانفده اخوان ولو استقريت الالفاظ لوجدت
كل ما فاؤه نون وعينه فاء دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر من الانفاق
صرف المال فى سبيل الخير من الفرض والنفل ومن فسره بالزكوة ذكر افضل
انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقتها وتقديم المفعول
للاهتمام به والمحافظة على رؤس الآى وادخال من التبعيضية عليه
للكف عن الاسراف المنهى عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع

بالراكع

ما يوافقه فى الفاء والعين

المعارف التي آتاهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه
السلام ان علماً لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال
ومما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا
أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله
بن سلام واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون
معهم في جملة المتقين دخول اخصين تحت اعم اذ المراد باولئك الذين
آمنوا عن الشرك والانكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الآيتان
تفصيلاً للمتقين وهو قول ابن عباس او على المتقين وكانه قال
هُدًى للمتقين عن الشرك والذين آمنوا من اهل الملل ويحتمل ان
يراد بهم الاولون باعيانهم ووسّط العاطف كما وسّط في قوله الى الملك
القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث
الصابح فالغانم فالآيب على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه
العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين
الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول تنبيهاً على تباين السبيلين
او طائفة منهم وهو مؤمنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة
كذكر جبرئيل وميكائيل بعد الملائكة تعظيما لشانهم وترغيبا
لامثالهم والانزال نقل الشيء من الاعلى الى الاسفل وهو انما يلحق المعاني
بتوسط لحوقه الذات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على
الرسل بان تلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح

اخص م

وتغاير القبيلين م

وذلك لا يتحقق في الكلام رو

المحفوظ

المحفوظ فينزل به فيلقيه على الرسول والمراد بما انزل اليك القرآن باسره
والشريعة عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان بعضه مترقبا
تغليبا للموجود على ما لم يوجد وتنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله
تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب
كله منزلا حينئذ وبما انزل من قبلك الكتب السابقة والايمان بهما جملة
فرض عين وبالاول دون الثاني تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله
فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه على كل احد يوجب الحرج وفساد المعاش
وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ اي يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا عليه من ان
الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما
معدودة واختلافهم في نعيم الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا او غيره وفي
دوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض بمن
عداهم من اهل الكتاب وبان اعتقادهم في امر الآخرة غير مطابق ولا
صادر عن ايقان واليقين اتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه
بالاستدلال ولذلك لا يوصف به علم الباري تعالى ولا العلوم الضرورية
والآخرة تأنيث الآخر صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة
فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة بضم ما قبلها اجراء لها
مجرى المضمومة في وجوه ووقتت ونظيره لحب المؤقدان الى موسى وجعدة
اذا اضاءهما الوقود أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ الجملة في محل الرفع ان

سائر م

احد م

جعل احد الموصولين مفصولاً عن المتقين خبر له وكانه لما قيل هدى للمتقين
قيل ما بالهم خصّوا بذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون الى آخر الايات والا
فاستينافٌ لا محل لها وكانه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة او جواب
سايل قال للموصوفين بهذه الصفات اختصّوا بالهدى ونظيره احسنت
الى زيد صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة هٰهنا
كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة وهو ابلغ من ان يستأنف
باعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضى وتلخيصه فان ترتب الحكم
على الوصف ايذان بانه الموجب له ومعنى الاستعلاء في على هدى
تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه
وقد صرّحوا به في قولهم امتطى الجهل وغوى واقتعد غارب الهوى
وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج
والمواظبة على محاسبة النفس في العمل وتنكير هدى للتعظيم فكانه اريد به
ضرب لا يبالغ كنهه ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلي فلا وابي
الطير المربّة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم واكّد تعظيمه بان الله
مانحه والموفق له وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة و
اولٰئك هم المفلحون كرر فيه اسم الاشارة تنبيهاً على ان
اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كل واحدة من الاثرتين وان كلاً
منهما كاف في تميزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف
مفهوم الجملتين هٰهنا بخلاف قوله اولٰئك كالانعام بل هم اضل

اولٰئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهايم شيء واحد
فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلا تناسب العطف وهم فصل
يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ
والمفلحون خبره والجملة خبر اولٰئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب
كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء
والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحين للدلالة
على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الآخرة او الاشارة
الى ما يعرفه كل واحد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم تنبيه تأمل كيف
نبه سبحانه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد من وجوه شتى
بناء الكلام على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط
الفصل لاظهار قدرهم والترغيب في اقتفاء اثرهم وقد تشبثت به الوعيدية
في خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب ورُدّ بان المراد بالمفلحين الكاملون
في الفلاح ولزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح راساً ان الذين كفروا لما ذكر
خاصة عباده وخلاصة اوليائه بصفاتهم التي اهّلتهم للهدى والفلاح عقبهم
اضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يغني عنهم الايات و
النذر ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف في قوله ان الابرار
لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض فان الاولى سيقت لذكر
الكتاب وبيان شانه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال
وان من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح و

لزوم الاسماء واعطاء معانيها والمتعدى خاصة فى دخولها على اسمين لذلك
اعملت عمله الفرعى وهو نصب الجزء الاول ورفع الثانى ايذانا بانه فرع فى العمل
دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهى بعد باقية
مقتضية للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء
الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها فى خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال
الحرف وفايدتها تاكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر
بها الاجوبة وتذكر فى معرض الشك مثل وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ
قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ
إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ قال المبرد قولك عبد الله قايم اخبار عن
قيامه وان عبد الله قايم جواب سايل عن قيامه وان عبد الله لقايم جواب منكر
لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابى لهب
وابى جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود او للجنس متناولا من صمم على
الكفر وغيرهم فخص عنهم غير المصرين بما اسند اليه والكفر لغة ستر النعمة
واصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام الثمرة
كافور وفى الشرع انكار ما علم بالضرورة مجئ الرسول به وانما عد لبس الغيار
وشد الزنار ونحوهما كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق الرسول
عليه السلام لا يجترئ عليها ظاهرا لا لانها كفر فى انفسها واحتجت المعتزلة
بما جاء فى القرآن بلفظ المضى على حدوثه لاستدعائه سابقة مخبر عنه
واجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام

كافر

كما فى

كما فى العلم سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ خبر ان وسواء اسم بمعنى
الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال تعالى تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ رفع بانه خبر ان وما بعده مرتفع به على الفاعلية كانه قيل
ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه او بانه خبر لما بعده بمعنى
انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به
تمام ما وضع له اما لو اطلق واريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول
عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم فى الاضافة والاسناد اليه كقوله
تعالى وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا يَوْمُ لَا يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ وقولهم تسمع
بالمعيدى خير من ان تراه وانما عدل ههنا عن المصدر الى الفعل لما فيه
من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء
وتاكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت
حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص فى قولهم اللهم اغفر لنا ايتها
العصابة والانذار التخويف اريد به التخويف من عقاب الله وانما اقتصر
عليه دون البشارة لانه اوقع فى القلب واشد تاثيرا فى النفس من حيث
ان دفع الضر اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم
النفع اولى وقرئ أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين
بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحرك لا ينقلب ولانه يؤدى الى جمع
الساكنين على غير حده وبتوسيط الف بينهما محققتين وبتوسيطها
والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها

على الشاكين لا يؤمنون جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء
فلا محل لها او حال مؤكدة او بدل عنه او خبر ان والجملة قبلها اعتراض بما هو
علة الحكم والآية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه اخبر
عنهم بانهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته
وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا يستدعى غرضا سيما الامتثال
لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشئ او عدمه لا ينفى القدرة
عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وفايدة الانذار بعد
العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول فضل الابلاغ ولذلك
قال سواء عليهم ولم يقل كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم
ام انتم صامتون وفى الآية اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد
بالموصول اشخاص باعيانهم فهى من المعجزات خَتَمَ اللّٰهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ
وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ تعليل للحكم السابق وبيان
ما يقتضيه والختم الكتم سمى به الاستيثاق من الشئ بضرب الخاتم عليه لانه
كتم له والبلوغ آخره نظرا الى انه آخر فعل يفعل فى احرازه والغشاوة فعالة
من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشئ كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية
على الحقيقة وانما المراد بهما ان يحدث الله فى نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب
الكفر والمعاصى واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم
فى التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فيجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق
واسماعهم تعاف استماعه فتصير كانها مستوثق منها بالختم

قبلها م

سواء عليك

وابصارهم

وابصارهم لا تجتلى الآيات المنصوبة فى الانفس والآفاق كما تجتليها
اعين المستبصرين وتصير كانها غطى عليها وحيل بينها وبين الابصار
وسماه على الاستعارة ختما وتغشية او مثل قلوبهم و
مشاعرهم المؤفة بها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع
بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع فى قوله
تعالى اُولٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّٰهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وبالا
غفال فى قوله وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وبالاقساء فى قوله
وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً وهى من حيث ان الممكنات باسرها مستندة
الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه
بدليل قوله بَلْ طَبَعَ اللّٰهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ وقوله ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا
فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ وردت الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة
عاقبتهم واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التأويل الاول ان القوم
لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك فى قلوبهم حتى صارت كالطبيعة لهم
شبه بالوصف الخلقى المجبول عليه الثانى ان المراد به تمثيل حال قلوبهم
بقلوب البهائم التى خلقها الله خالية عن الفطن او قلوب مقدر ختم الله
عليها ونظيره سال به الوادى اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت
غيبته الثالث ان ذلك فى الحقيقة فعل الشيطان او الكافر لكن لما كان
صدوره عنه باقداره تعالى اياه اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب
الرابع ان اعراقهم لما رسخت فى الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل

وبالاكنان فى قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة

اضطربت

ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف عبر عن
تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على ترامى امرهم فى الغى وتناهى
انهماكهم فى الضلال والبغى الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة
يقولون مثل قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا
وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن الذين
كفروا الآية السادس ان ذلك فى الآخرة وانما اخبر عنه بالماضى لتحققه
وتيقن وقوعه ويشهد له قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم
عميا وبكما وصما السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها
الملائكة فيبغضونهم ويتنفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا
وكلامهم فيما يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف
على قلوبهم لقوله وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه ولانهما
لما اشتركا فى الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من فعلهما خاص
الختم الذى يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة
المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر
الجار ليكون ادل على شدة الختم فى الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم
ووحد السمع للامن عن اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر فى اصله والمصادر
لا تجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر
وهو ادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا
السمع ولعل المراد بهما فى الآية العضو لانه اشد مناسبة للختم والتغطية

بالختم

وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما فى قوله ان
فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب وانما جاز امالتها مع الصاد لان الراء المكسورة
تغلب المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه
وبالجار والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب
على تقدير وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم
بنفسها اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع و
بالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعا
ومنصوبا وعشاوة بالعين الغير المعجمة **وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** وعيد وبيان
لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناء ومعنى تقول اعذب عن الشئ
ونكل عنه اذا امسك ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش ويردعه
ولذلك سمى نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح وان لم
يكن نكالا اى عقابا يردع الجانى عن المعاودة فهو اعم منهما وقيل
اشتقاقه من التعذيب الذى هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض
والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير وكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق
الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه
ومعنى التنكير فى الآية ان على ابصارهم غشاوة ليس مما يتعارفه الناس
وهو التعامى عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه
الا الله **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ** لما افتتح سبحانه
حال الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله واطات

الصغير م
وحقرنا لاضافة
اليه م

بشرح م

فيه قلوبهم السنتهم وثنّى باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرًا و باطنا ولم
يلتفتوا لفتة رأسًا ثلّث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين
آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة
وابغضهم الى الله لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعًا واستهزاء وكذلك
طوّل في بيان خبثهم وجهلهم واستهزائهم وتهكمهم بافعالهم وسجّل
على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم ان المنافقين
في الدرك الاسفل من النار وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة المصرّين
والناس اصله اناس لقولهم انسان وانس واناسيّ فحذفت الهمزة
حذفها في لوقة وعوّض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما
وقوله ان المنايا يطّلعن على الاناس الآمنينا شاذ وهو اسم جمع كرجال اذ لم
يثبت فعال في ابنية الجمع مأخوذ من انس لانهم يستأنسون بامثالهم او
آنس لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك سمّوا بشرًا كما سمّي الجن جنًّا لا
جتنانه واللام فيه للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد فكانه قال ومن الناس
ناس يقولون او للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومَن موصولة مراد بها
ابن أُبيّ واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث انهم صمّموا على النفاق دخلوا في
عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر
لا يأبى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادات
يختلف فيها ابعاضها فعلى هذا يكون الآية تقسيما للقسم الثاني واختصّ
الايمان بالله وباليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان

غيّهم

لاحسّنهم قيل

وادعاء

وادّعاء بانهم احتازوا الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه وايذان
بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق
لان القوم كانوا يهودًا وكانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر ايمانا كلا ايمان
لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار
لن تمسّهم الا اياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين انهم آمنوا مثل ايمانهم و
بيان لتضاعف خبثهم وافراطهم في كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع
والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ايمانا كيف وقد قالوه تمويها على المسلمين
وتهكما بهم وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل واحد على الاصالة والاستحكام
والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصوّر في النفس
المعبّر عنه باللفظ وللرأي والمذهب مجازًا والمراد باليوم الآخر من وقت
الحشر الى ما لا ينتهي او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار
لانه آخر الاوقات المحدودة **وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ** انكار ما ادعوه ونفي ما
انتحلوا اثباته وكان اصله وما آمنوا ليطابق قولهم في التصريح بشأن الفعل
دون الفاعل لكنه عكس تأكيدًا ومبالغة في التكذيب لان اخراج ذواتهم من
عداد المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك اكد
النفي بالباء واطلق الايمان على معنى انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل
ان يقيد بما قيدوا به لانه جوابه والآية تدل على ان من ادعى الايمان و
قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين فارغ
القلب عما يوافقه او ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية

وخالف م

فی الشانی فلا تنتهض حجة علیهم یُخَادِعُونَ اللّٰهَ وَالَّذِینَ آمَنُوا الخدع ان
توهم غیرك ما تخفیه من المکروه لتنزله عما هو بصدده من قولهم
خدع الضب اذا توارى فی جحره وضب خادع وخدع اذا اوهم
الحارش اقباله علیه ثم خرج من باب آخر واصله الاخفاء ومنه
المخدع للخزانة والاخدعان لعرقین خفیین فی العنق والمخادعة تکون
تکون بین اثنین وخداعهم مع الله لیس علی ظاهره لانه لا یخفی علیه خافیة
ولانهم لم یقصد وخدیعته بل المراد اما مخادعة رسوله علی حذف او علی ان
معاملة الرسول معاملة الله من حیث انه خلیفته کما قال تعالی
وَمَنْ یُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ اَطَاعَ اللّٰهَ الَّذِینَ یبایعونك انما یبایعون الله
واما ان صورة صنعهم مع الله من اظهار الایمان واستبطان
الکفر وصنع الله معهم باجراء احکام المسلمین علیهم وهم عند الله
اخبث الکفار واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم
وامتثال الرسول والمؤمنین امر الله فی اخفاء حالهم واجراء
حکم الاسلام علیهم مجازاة لهم بمثل صنیعهم صورة صنع المخادعین
ویحتمل ان یراد یخادعون یخدعون لانه بیان لیقول او استیناف
بذکر ما هو الغرض منه الا انه اخرج فی زنة فاعلت للمبالغة فان الزنة
لما کانت للمبالغة والفعل متی غولب فیه کان ابلغ منه اذا جاء بلا
مقابلة معارض ومبار استصحبت ذلك ویعضده قراءة من قرأ
یخدعون وکان غرضهم فی ذلك ان یدفعوا عن انفسهم ما یطرق به من

خلاف

المضاف

صلی الله علیه وسلم

وقال انهم

للمغالبة

سوابهم

سوابهم من الکفرة وان یفعل بهم ما یفعل بالمؤمنین من الاکرام والاعطاء
وان یختلطوا بالمسلمین فیطلعوا علی اسرارهم ویذیعوها الی منابذیهم
الی غیر ذلك من الاغراض والمقاصد وما یخادعون الا انفسهم قراءة
نافع وابن کثیر وابو عمرو والمعنی ان دایرة الخداع راجعة الیهم
وضررها یحیق بهم او انهم فی ذلك خدعوا انفسهم لما غروها
بذلك وخدعتهم انفسهم حیث حدثتهم بالامانی الفارغة وحملتهم
علی مخادعة من لا یخفی علیه خافیة وقرأ الباقون وما یخدعون لان
المخادعة لا یتصور الا بین اثنین وقرئ ویخدعون من خدع ویخدعون
بمعنی یختدعون ویخدعون ویخادعون علی البناء للمفعول ونصب انفسهم
انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشیء وحقیقته ثم قیل للروح
لان نفس الحی به وللقلب لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان
قوامها به وللماء لفرط حاجتها الیه وللرای فی قولهم فلان یؤامر نفسه
لانه ینبعث عنها او یشبه ذاتا یأمره ویشیر علیه والمراد بالانفس ههنا
ذواتهم ویحتمل حملها علی ارواحهم وآرائهم وَمَا یَشْعُرُونَ لا یحسون ذلك لتمادی
غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره الیهم فی الظهور کالمحسوس الذی
لا یخفی الا علی مؤف الحواس والشعور الاحساس ومشاعر الانسان
حواسه واصله الشعر ومنه الشعار فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّٰهُ
مَرَضًا المرض حقیقة فیما یعرض البدن فیخرجه عن الاعتدال الخاص به
ویوجب الخلل فی افعاله ومجاز فی الاعراض النفسانیة التی تخل بکمالها

بهم

قایم

كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي لانها مانعة
عن نيل الفضايل او مؤدية الى زوال الحيوة الابدية والآية تحتملهما فان
قلوبهم كانت متألمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما
يرون من ثبات امر رسول الله واستعلاء شانه يوما فيوما فزاد الله غمهم بما زاد
في اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم كانت مؤفة بالكفر وسوء الاعتقاد و
معاداة النبي عليه السلام ونحوها فزاد الله ذلك بالطبع او بازدياد التكاليف
وتكرير الوحي وتضاعف النصر فكان اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث
انه مسبب من فعله واسنادها الى السورة في قوله فزادتهم رجسا لكونه
سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا
شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم
وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله نصرة على الاعداء وتبسطا في البلاد
ولهم عذاب اليم اي مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف به
العذاب للمبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة قولهم جد جده
بما كانوا يكذبون قرأها عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم او ببدله
جزاء لهم وهو قولهم آمنا وقرأ الباقون يكذبون من كذبه لانهم كانوا يكذبون الرسول
بقلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم او من كذب الذي هو للمبالغة او التكثير
مثل بين الشيء وموتت البهائم او من كذب الوحشي اذا جرى شوطا
ووقف لينظر ما وراءه فان المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر عن
الشيء على خلاف ما هو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب

الحقيقية صح

الله صح

حث

حيث رتب عليه وما روي ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات
فالمراد التعريض ولكن لما شابه الكذب في صورته سمي به **واذا قيل لهم
لا تفسدوا في الارض** عطف على يكذبون او يقول وما روي عن سلمان
ان اهل هذه الآية لم يأتوا بعد فلعله اراد به ان اهله ليس الذين كانوا فقط
بل وسيكون من حاله حالهم لان الآية متصلة بما قبلها بالضمير الذي
فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان
كل نافع وضار وكان من فسادهم في الارض هيج الحروب والفتن بمخادعة
المسلمين وممالاة الكفار عليهم وافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدي
الى فساد ما في الارض من الناس والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصي
والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرايع والاعراض مما يوجب الهرج والمرج
ويخل بنظام العالم والقايل هو الله تعالى او الرسول او بعض المؤمنين **قالوا
انما نحن مصلحون** جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه
لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شأننا ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة
عن شوائب الفساد لان انما يفيد قصر ما دخله على ما بعده مثل انما زيد
منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة
الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه
حسنا **الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون** رد لما ادعوه ابلغ رد للا
ستيناف به وتصديره بحرفي التاكيد الا المنبهة على تحقيق ما بعدها فان همزة
الاستفهام التي للانكار اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك

من بعد صح

عنهما صح

وقرأ الكسائي وهشام قيل باشمام الضم صح

بعاذير ولذلك لا يكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى بها القسم واختها
أما التي هي من طلايع القسم وانّ المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد
ما في قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع امرين الاعراض
عما لا ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا **كَمَا آمَنَ النَّاسُ** في حيز النصب على
المصدر وما مصدرية او كافة مثلها في ربما واللام في الناس للجنس والمراد
به الكاملون في الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما
يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة
به والمقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان
ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم عمي ونحوه وقد جمعهما الشاعر
في قوله اذ الناس ناس والزمان زمان او للعهد والمراد به الرسول
ومن معه او من آمن من اهل جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى آمنوا
ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوايب النفاق مماثلا لايمانهم واستدل
به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان ايمانا والا لم يفد التقييد
قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس
او الجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم
فساد رأيهم او لتحقير شانهم فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موالي كصهيب
وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن
سلام واشياعه والسفه خفة وسخافة راي يقتضيهما نقصان العقل والحلم تقابله

الا

أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِنْ لَا يَعْلَمُونَ رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل
فان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة
من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الآيات والنذر وانما
فصلت الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا لذكر السفه
ولان الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وتفكر
واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى تفطن وتامل فيما
يشاهد من اقوالهم وافعالهم **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا** بيان لمعاملتهم
مع المؤمنين والكفار وما صدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم و
تمهيد نفاقهم فليس بتكرير روي ان ابن ابيّ واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة
فقال لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر وقال
مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام ثاني رسول الله في الغار الباذل
نفسه وماله لرسول الله صم ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق
القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا
بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله فنزلت و
اللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته
اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث تلقى **وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ** من
خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اي عداك و
مضى عنك ومنه القرون الخالية او من خلوت به اذا سخرت منه
وعدي بالى لتضمين معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين

في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار
المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن
اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه
من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل قالوا انا معكم اي في الدين والاعتقاد خاطبوا
المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا
بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه
لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا
توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار
بخلاف ما قالوه مع الكفار انما نحن مستهزؤن تاكيد لما قبله لان المستهزئ
بالشيء المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد
عظم الكفر او استيناف وكان الشياطين قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان
صح ذلك فما لكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك
والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت بمعنى كاجبت
واستجبت واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان
اذا مات على مكانه وناقته تهزأ به اي تسرع وتخف الله يستهزئ بهم
يجازيهم على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة
سيئة اما للمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له في القدر او يرجع وبال
الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي
هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما في

بمعنى

الدنيا

الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة
على التمادي في الطغيان واما في الآخرة فبان يفتح لهم وهم في النار بابا الى الجنة
فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم
الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما استونف به ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى
تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين ان يعارضوهم وان الاستهزاء لا يؤبه به
في مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايماء بان
الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله
فيهم كما قال اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ويمدهم في طغيانهم
يعمهون من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج و
الارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد لا من المد في العمر فانه يعدى با
اللام كاملى لهم ويدل عليهم قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء
الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى الطافه التي يمنحها المؤمنين و
خذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طريق التوفيق على انفسهم فتزايدت
بسببه قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا
او مكن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك الى الله تعالى اسناد
الفعل الى المسبب واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه
على الحقيقة ومصداق ذلك انه لما اسند المد الى الشياطين اطلق وقال و
اخوانهم يمدونهم في الغي واصله يمد لهم بمعنى يملي لهم ويمد في
اعمالهم كي يتنبهوا ويطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعمها فحذف اللام

اعمارهم

وكل الفعل بنفسه كما في قوله [illegible]

سركين و خاكستر

الغي

كلُغيان ولِقيان تجاوز الحد في العصيان والغلو في الكفر واصله تجاوز الشيء عن
مكانه قال تعالى اِنّا لمّا طغى الماء حملناكم والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو
التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء لا منار بها قال اعمى الهدى
بالجاهلين العمه اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اختاروها
عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يُطلب من الاعيان
فان كان احد العوضين ناضًّا تعين من حيث انه لا يطلب لعينه ان يكون ثمنًا
وبذله اشتراء والا فاي العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشترٍ واخذه
بايع ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عمّا في يده محصلًا
به غيره سواء كان من المعاني او الاعيان ومنه اخذت بالجمة راسا ازعرا
وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا حيدرا كما اشترى
المسلم اذ تنصرا ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعا في غيره والمعنى انهم
اخلوا بالهدى الذي جعل الله لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها محصلين
الضلالة التي ذهبوا اليها او اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى
فما ربحت تجارتهم ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم اتبعه ما يشاكله
تمثيلا لخسارهم ونحوه ولما رايت النسر عزّ ابن داية وعشش في وكريه
جاش له صدري والتجارة طلب الربح بالبيع والشرى والربح الفضل
على راس المال ولذلك سمي شفًّا واسناده الى التجارة وهو لاربابها على
الاتساع لتلبسها بالفاعل او لمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح
والخسران وما كانوا مهتدين بطرق التجارة فان المقصود منها سلامة راس المال

والربح

الناض نقدا

قليل الشعر

الدردر بفتح الدالين منابت اسنان الصبي الساقطة

وهو نحو قد اضاعوا الطلبتين لان راس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل
الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل
عقلهم ولم يبق لهم راس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال
فبقوا خاسرين آيسين عن الربح فاقدين للاصل مثلهم كمثل الذي استوقد
نارًا لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير
فانه اوقع في القلب واقمع للخصم الالد لانه يريك المتخيل محققا والمعقول
محسوسا ولامرٍ ما اكثر الله في كتبه الامثال وفشت في كلام الانبياء و
الحكماء والمثل في الاصل بمعنى النظير يقال مِثْل ومَثَل ومثيل كشِبه وشَبه
وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة
ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال او قصة لها شان
وفيها غرابة مثل قوله مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله ولله المثل الاعلى
والمعنى حالهم العجيبة الشان كحال من استوقد نارا والذي بمعنى الذين كما
في قوله وخضتم كالذي خاضوا ان جعل مرجع الضمير في بنورهم وانما جاز ذلك
ولم يجز وضع القائم موضع القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة
التي هي صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء
منه فحقه ان لا يجمع كما لم يجمع اخواتها ويستوي فيه الواحد والجمع وليس
الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء
ابدا على اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته
استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام

او صفة م

بهام

في أسماء الفاعلين والمفعولين أو قصد به جنس المستوقدين أو الفوج
الذي استوقد. الاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو
سطوع النار وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نار ينور نوراً
إذا نفر لأن فيها حركة واضطراباً **فلما أضاءت ما حوله** أي النار حول المستوقد
إن جعلتها متعدية وإلا أمكن أن تكون مسندة إلى ما والتأنيث لأن ما حوله
أشياء وأماكن أو إلى ضمير النار وما موصولة في معنى الأمكنة نصب على
الظرف أو مزيدة وحوله ظرف وتأليف الحول للدوران وقيل للعام
حول لأنه يدور **ذهب الله بنورهم** جواب لما والضمير للذي وجمعه
للحمل على المعنى وعلى هذا إنما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لأنه المراد
من إيقادها أو استئناف أجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت
حالهم بحال مستوقد انطفت ناره أو بدل من جملة التمثيل على سبيل
البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في
قوله تعالى فلما ذهبوا به للإيجاز وأمن الإلباس وإسناد الإذهاب
إلى الله تعالى إما لأن الكل بفعله أو لأن الإطفاء حصل بسبب خفي أو أمر سماوي
كريح أو مطر أو للمبالغة ولذلك عدي الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها
من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله إذا أخذه
وما أخذه الله وأمسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى
اللفظ إلى النور فإنه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء من
الزيادة وبقاء ما يسمى نوراً والغرض إزالة النور عنهم رأساً ألا ترى كيف قرر

ذلك وأكده بقوله **وتركهم في ظلمات لا يبصرون** فذكر الظلمة التي هي عدم النور
وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بأنها ظلمة خالصة لا يتراءى
فيها شبحان وترك في الأصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن
معنى صير فجرى مجرى أفعال القلوب كقوله وتركهم في ظلمات وقول
الشاعر فتركته جزر السباع ينشنه والظلمة مأخوذة من قولهم ما ظلمك
أن تفعل كذا أي ما منعك لأنها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة
الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات
يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم أو ظلمة الضلال وظلمة سخط الله
وظلمة العقاب السرمد أو ظلمة شديدة كأنها ظلمات متراكمة ومفعول
لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك فكأن الفعل غير متعد والآية مثل
ضربه الله لمن آتاه ضرباً من الهدى فأضاعه ولم يتوصل به إلى نعيم الأبد فبقي
متحيراً متحسراً تقريراً وتوضيحاً لما تضمنته الآية الأولى ويدخل تحت عمومه
هؤلاء المنافقون فإنهم أضاعوا ما نطقت به ألسنتهم من الحق باستبطان
الكفر وإظهاره حين خلوا إلى شياطينهم ومن آثر الضلالة على الهدى
المجعول له بالفطرة أو ارتد عن دينه بعد ما آمن ومن صح له أحوال الإرادة
فادعى أحوال المحبة فأذهب الله عنه ما أشرق عليه من نور الإرادة أو
مثل لإيمانهم من حيث إنه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الأموال والأولاد
ومشاركة المسلمين في المغانم والأحكام بالنار الموقدة للاستضاءة
ولذهاب أثره وانطماس نوره بإهلاكهم وإفشاء حالهم بإطفاء الله تعالى

اياها واذهاب نورها صم بكم عمي لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق و
ابوا ان ينطقوا به السنتهم ويتبصروا الايات بابصارهم جعلوا كانما ايفت
مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت
بسوء عندهم اذنوا اصم عن الشيء الذي لا اريده واسمع خلق الله حين
اريد واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة اذ من شرطها ان
يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة
كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن
ثم ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال ابو تمام
الطائي ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء وههنا وان
طوي ذكره بحذف المبتدا لكنه في حكم المنطوق به ونظيره هو اسد علي
وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر هذا اذا جعلت الضمير
للمنافقين على ان الاية فذلكة التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقدين
فهي على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم
في ظلمات هائلة ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم
وثلثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصمم اصله صلابة
من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء وصمام القارورة
سمي به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا
لا تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس
والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة فهم

شعر

اصله

لا يرجعون لا يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه او عن الضلالة
التي اشتروها او فهم متحيرون لا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون والى
حيث ابتدؤا منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على ان اتصافهم
بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم او كصيب من السماء عطف
على الذي استوقد اي كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون اصابعهم واو في
الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلق للتساوي من غير شك
مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا
فانها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك
قوله او كصيب ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين
وانهما سواء في صحة التشبيه بهما وانت مخير في التمثيل بهما او بايهما شئت
والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللسحاب قال
الشماخ واسحم دان صادق الرعد صيب وفي الاية يحتملهما وتنكيره
لانه اريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام
مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فان كل افق منها يسمى سماء كما ان كل طبقة
منها سماء قال ومن بعد ارض بيننا وسماء امد به ما في صيب من المبالغة من
جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف
الماهية فيه ظلمات ورعد وبرق ان اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة
تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا
للرعد والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره ملتبسين به وان اريد به

السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف
وفاقا لانه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب و
المشهور ان سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها
الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا وكلاهما
مصدران في الاصل ولذلك لم يجمعا يجعلون اصابعهم في آذانهم الضمير لاصحاب
الصيب وهو وان حذف لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق
فيجوز ان يعول عليه كما عول حسان في قوله يسقون من ورد البريص
عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر الضمير لان المعنى ماء بردى
والجملة استئناف فكانه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول قيل فكيف
حالهم مع ذلك فاجيب بها وانما اطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة
من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة
والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشيء الا اتت عليه من الصعق
وهو شدة الصوت وقد يطلق على كل هائل مسموع او مشاهد يقال
صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت وقرئ من
الصواقع وهو ليس بقلب من الصواعق لاستواء كلا البنائين في
التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاقعة وهي
في الاصل اما صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية
او مصدر كالعافية والكاذبة حذر الموت نصب على العلة كقوله واغفر عوراء
الكريم ادخاره والموت زوال الحياة وقيل عرض يضادها لقوله خلق الموت

البريق

العيمة شدة شهوة اللبن

الصاعقة

البقرة

والجوع وبها ان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة والله محيط بالكافرين
لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة
اعتراضية لا محل لها يكاد البرق يخطف ابصارهم استئناف ثان كانه
جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق وكاد من افعال المقاربة
وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد
شرط او لعروض مانع وعسى موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك
جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه ان يكون فعلا
مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب من غير ان ليؤكد القرب بالدلالة
على الحال وقد يدخل عليه حملا لها على عسى كما يحمل عليها بالحذف
عن خبرها لمشاركتهما في اصل معنى المقاربة والخطف الاخذ بسرعة و
قرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف على انه يختطف فنقلت فتحة التاء
الى الخاء ثم ادغمت في الطاء ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع
الياء لها ويتخطف كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا استئناف
ثالث كانه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته فاجيب بذلك
واضاء اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى اخذوه
او لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك اظلم فانه جاء متعديا
منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة اظلم على البناء للمفعول وقول ابي
تمام هما اظلما حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب فانه وان
كان من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة

ما يرويه وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي
فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا
وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء جمد ولو شاء الله لذهب
بسمعهم وابصارهم اي لو شاء ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم
بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر
حذفه في شاء واراد حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء المستغرب كقوله فلو شئت
ان ابكي دما لبكيته ولو من حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول
لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه وقرئ لاذهب
باسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وفائدة هذه
الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه و
التنبيه على ان تاثير الاسباب في مسبباتها مشروط بمشيئة الله تعالى
وان وجودها مرتبط باسبابها واقع بقدرته وقوله ان الله على كل شيء
قدير كالتصريح به والتقرير له والشيء يختص بالموجود لانه في الاصل مصدر
شاء اطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول الباري تعالى كما قال قل اي شيء
اكبر شهادة قل الله وبمعنى مشيء اخرى اي مشيء وجوده وما شاء الله وجوده
فهو موجود في الجملة وعليه قوله ان الله على كل شيء قدير والله خالق كل
شيء فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح ان يوجد
وهو يعم الواجب والممكن او ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا
لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن

الأظلام

اذا م

المستغرب

من ايجاد الشيء وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن
من الفعل وقدرة الله عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان شاء
فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء ولذلك قلما يوصف
به غير الباري تعالى واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل
على مقدار قوته او على مقدار ما تقتضيه مشيئته وفيه دليل على ان الحادث
حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وان مقدور العبد مقدور الله
تعالى لانه شيء وكل شيء مقدور والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات
المؤلفة وهو ان تشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت
حتى صارت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية
ثم لم يحملوها الآية فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التورية
بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال
المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابد من انطفأت ناره بعد ايقاده في
ظلمة او بحال من اخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق
خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد وهو ان
تاخذ اشياء فرادى فتشبهها بامثالها كقوله وما يستوي الاعمى والبصير
ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول امرئ القيس
كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي
بان تشبه في الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان
باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد

ان م

علي ما يشاء

امور م

فتشبهها

وغير ذلك باضاءة النار ما حول المستوقدين وبه واذهاب ذلك عنهم على
القرب باهلاكهم وافشاء حالهم وابقائهم في الخسار الدايم و
العذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفي الثاني انفسهم
باصحاب الصيب وايمانهم المخالط للكفر والخداع بصيب فيه ظلمات
ورعد وبرق من حيث انه وان كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه
الصورة عاد نفعه ضرا ونفاقهم حذرا عن نكايات المومنين وما يطرقون
به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في الآذان من الصواعق حذر
الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله شيا ولا يخلص مما يريد بهم من
المضار وتحيرهم بشدة الامر وجهلهم بما ياتون ويذرون بانهم كلما
صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم
فخطوا خطى يسيرة ثم اذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك بهم
وقيل شبه الايمان والقرآن وساير ما اوتي الانسان من المعارف التي
هي سبب الحيوة الابدية بالصيب الذي به حيوة الارض وما ارتبكت بها
من شبه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة بالظلمات
وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الآيات الباهرة بالبرق و
تصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه
فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله والله محيط بالكا
واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد يطمح اليه ابصارهم
بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الامر

الارتباك
الاختلاط

حيرى متى عرض لهم شبهة او عنت لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه
بقوله تع ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم على انه تعالى جعل
لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها
الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوايد الآجلة ولو شاء الله لجعلهم
بالحالة التي يجعلونها فانه على ما يشاء قدير يا ايها الناس اعبدوا ربكم
لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم اقبل عليهم
بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر
العبادة وتفخيما لشانها وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف
وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا منزلة البعيد وقد
ينادى به القريب اما لعظمته كقول الداعي يا رب ويا الله وهو اقرب
اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو له و
زيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نايب مناب
فعل واي جعل وصلة الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر
لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فانهما كمثلين واعطي حكم المنادى واجري
عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود
واقحمت بينهما هاء التنبيه تاكيدا وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف
اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة في القرآن لاستقلاله باوجه من
التاكيد وكل ما نادى الله له عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان
يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق بان

ينادي له بالاكد الابلغ والجموع واسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا
عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله
تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة بعمومها شائعا
ذائعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما تواتر
من دينه عليه السلم ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلين ثابت الى
قيام الساعة الا ما خصه الدليل وما روى عن علقمة والحسن ان كل شيء
نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين آمنوا فمدني ان صح رفعه فلا
يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المامور به هو المشترك
بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار
هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يوجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع
فان من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع و
الصلوة فالكفر لا يوجب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه
ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب
للعبادة هي الربوبية **الذي خلقكم** صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل و
يحتمل التقييد ان خص الخطاب بالمشركين واريد بالرب اعم من الرب
الحقيقي والآلهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء
واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس **والذين
من قبلكم** متناول كل ما يتقدم الانسان بالذات او بالزمان منصوب معطوف
على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم

لا يمنع وجوب م

السوره

به كما قال ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر وقرئ من قبلكم
على اقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير
في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه
لعلكم تتقون حال من الضمير في اعبدوا كانه قال اعبدوا ربكم راجين
ان تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين
لجوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو
التبرؤ من كل شيء سوى الله الى الله وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته
ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تع يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون
رحمته ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى
انه خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع
اسبابه وكثرة الدواعي اليه وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ و
المعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق اي خلقكم لكي تتقوا كما
قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت في
اللغة مثله والآية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته
واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد
لا يستحق بعبادته عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كاجير
اخذ الاجر قبل العمل **الذي جعل لكم الارض فراشا** صفة ثانية او مدح منصوب
او مرفوع او مبتدا خبره فلا تجعلوا ويجعل من الافعال العامة يجيء على ثلثة

من م

عليه زايدا
فانها لما وجبت
م

اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله فقد جعلت قلوص بني
سهيل من الاكوار مرتعها قريب وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول
واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير فيتعدى
الى مفعولين كقوله تعالى جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة
وبالقول او العقد اخرى ومعنى جعلها فراشا ان جعل بعض جوانبها
بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين
الصلابة واللطافة حتى صارت مهياة لان يقعدوا وينامو عليها
كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لان كرية شكلها
مع عظم حجمها واتساع جرمها لا تابي الافتراش عليها **والسماء بناء** قبة
مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار
والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة
او خباء ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا
وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم عطف على جعل
وخروج الثمار بقدرة الله تعالى ومشيته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب
سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته بافاضة
صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما او ابدع في الماء قوة فاعلة وفي
الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد
الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له
في انشائها مدرجا من حال الى حال صنائع وحكما يجدد فيها لاولي الابصار عبرا

تدرجا

وسكونا الى عظيم قدرته ليس في ايجادها دفعة ومن الاولى للابتداء سواء
اريد بالسماء السحاب فان ما علاك سماء او الفلك فان المطر يبتدا من السماء
الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه الظواهر او من اسباب
سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى جو الهواء فتنعقد
سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى واخرجنا به ثمرات
واكتناف المنكرين له اعني ماء ورزقا كانه قال وانزلنا من السماء بعض
الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم
ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك
انفقت من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه اراد
به جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من الثمرة
على التوحيد او لان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من
جنات وقوله ثلاثة قروء او لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن
حد القلة ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعوله ان اريد به
المصدر كانه قال رزقا اياكم **فلا تجعلوا لله اندادا** متعلق باعبدوا على
انه نهي معطوف عليه او نفي منصوب باضمار ان جوابا له او بلعل على ان
نصب تجعلوا نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع
الحاقا لها بالاشياء الستة لاشتراكها في انها غير موجبة والمعنى ان تتقوا
لا تجعلوا له اندادا او بالذي جعل ان استانفت به على انه نهي وقع خبرا على تاويل
مقول فيه لا تجعلوا والفاء للسببية ادخلت عليه لتضمن المبتدا معنى

نهي

الشرط والمعنى ان من حفكم بهذه النعم الجسام والآيات العظام ينبغي ان لا يشرك
به والند المثل المساوي قال جرير اتيماً تجعلون الي نداً وما تيم لذي حسب
نديد من ند ندوداً اذا نفر وناددت الرجل خالفته خص بالمخالف
المماثل في الذات كما خص المساوي للمماثل في القدر وتسمية ما يعبده
المشركون من دون الله انداداً وما زعموا انها تساويه في ذاته وصفاته ولا انها
تخالفه في افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها آلهة شابهت
حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع
عنهم باس الله وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم
بان جعلوا انداداً لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن
عمرو بن نفيل اربا واحداً ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور تركت اللات
والعزى جميعاً كذلك يفعل الرجل البصير **وانتم تعلمون** حال من ضمير فلا تجعلوا
ومفعول تعلمون مطروح اي وحالكم انكم من اهل العلم والنظر واصابة الراي
فلو تاملتم ادنى تامل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات منفرد بوجوب
الذات متعالي عن مشابهة المخلوقات او منوي وهو انها لا تماثله ولا
تقدر على مثل ما يفعله كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وعلى
هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه
فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف واعلم ان مضمون
الآيتين هو الامر بعبادة الله والنهي عن الاشراك به والاشارة الى ما هو
العلة والمقتضي وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعاراً

انها

بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم وما
يحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان
الثمرة اعم من الماكول والمشروب ثم لما كانت هذه اموراً لا يقدر عليها
غيره شهدت شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشراك به
ولعله سبحانه اراد من الآية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه
الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعاني و
الصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء و
العقل بالماء وما افاض عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة
استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات
المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة
الفاعل المختار فان لكل آية ظهراً وبطناً ولكل حد مطلعاً **وان كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة** لما قرر وحدانيته وبين الطريق
الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد عليه السلام
وهو القرآن المعجز بفصاحته التي بذت فصاحة كل منطيق وافحامه من
طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم
في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة وعرف ما يتعرف
به اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله
نجماً فنجماً بحسب الوقائع على ما نرى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم
كما حكى الله عنهم فقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة

البقرة

من الطعوم والارزاق [illegible]

افحمت

على لفظ التنزيل دون الانزال م

وكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضاف
العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه وقرى
عبادنا يريد محمدا وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها
ثلث ايات وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة
لانها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على انواع
من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال
ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار لان السورة كالمنازل
والمراتب يترقى فيها القاري او لها مراتب في الطول والقصر والفضل
والشرف وثواب القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السورة التي هي
البقية والقطعة من الشي والحكمة في تقطيع القرآن سورا افراد الانواع
وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القاري وتسهيل
الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك منه كالمسافر اذا
علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد انه اخذ
من القرآن حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم
ذلك عنده وابتهج به الى غيرها من الفوايد **من مثله** صفة سورة اي بسورة
كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة عند
الاخفش اي بسورة مماثلة للقرآن في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا
ومن للابتداء اي بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرا الكتب
ولم يتعلم العلوم او صلة فاتوا والضمير للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه

صلى الله عليه وسلم

شعر

المطابق لقوله فاتوا بسورة مثله ولساير آيات التحدي ولان الكلام فيه
لا في المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان
مخاطبة الجم الغفير بان ياتوا بمثل ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم ابلغ في
التحدي من ان يقال لهم ليات بنحو ما اتى به هذا آخر مثله ولانه معجز
في نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على
ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم امكان
صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلايمه قوله **وادعوا شهداءكم من
دون الله** فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع
شهيد بمعنى الحاضر او القايم بالشهادة او الناصر او الامام وكانه سمي به
لانه يحضر النوادي ويبرم بمحضره الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات
او بالتصور ومنه قيل للمقتول في سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجو
او الملايكة تحضره ومعنى دون ادنى مكان من الشي ومنه تدوين الكتب
لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا اي خذه من ادنى مكان منك ثم
استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف ومنه الشي الدون ثم
اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي امر الى آخر قال تعالى
لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء من دون المومنين اي لا يتجاوزوا ولاية
المومنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق
اي اذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى
وادعوا الى المعارضة من حضركم او رجوتم معونته من انسكم وجنكم وآلهتكم

بعشر سور مثله
وفاتوا م

غير الله فإنه لا يقدر أن يأتي بمثله إلا الله أو ادعوا من دون الله شهداء يشهدون
لكم بأن ما أتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله فإنه من ديدن المبهوت
العاجز عن إقامة الحجة أو شهداءكم الذين اتخذتموهم من دونه أولياء
أو آلهة وزعمتم أنها تشهد لكم بين يدي الله على زعمكم من قول الأعشى
تريك القذى من دونها وهي دونه ليعينوكم وفي أمرهم أن يستظهروا بالجماد
في معارضة القرآن غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون الله أي من دون أولياء
يعني فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم أن ما أتيتم به مثله فإن
العاقل لا يرضى لنفسه أن يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله إن كنتم
صادقين أنه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق
الإخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر أنه كذلك عن دلالة أو أمارة لأنه
تعالى كذب المنافقين في قولهم إنك لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته
ورد بصرف التكذيب إلى قولهم نشهد لأن الشهادة إخبار عما علمه
وهم ما كانوا عالمين به فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها
الناس والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون به أمر الرسول وما جاء به وميز لهم
الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة له وهو أنكم إذا اجتهدتم في
معارضته وعجزتم جميعا عن الإتيان بما يساويه أو يدانيه ظهر أنه معجز و
التصديق به واجب فآمنوا به واتقوا العذاب المعد لمن كذب فعبر عن الإتيان
المكيف بالفعل الذي يعم الإتيان وغيره إيجازا ونزل لازم الجزاء منزلته
على سبيل الكناية تقريرا للمكني عنه وتهويلا لشأن العناد وتصريحا بالوعيد

على ٥

عليه الصلوة والسلام ٥

مع الإيجاز وصدر الشرطية بإن الذي للشك والحال يقتضي إذا الذي
للوجوب فإن القائل سبحانه لم يكن شاكا في عجزهم ولذلك نفى إتيانهم معترضا
بين الشرط والجزاء تهكما بهم أو خطابا معهم على حسب ظنهم فإن العجز
قبل التأمل لم يكن محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم لأنها واجبة الإعمال
مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولأنها لما صيرته ماضيا صارت
كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع فكأنه قال فإن تركتم الفعل
ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا في نفي المستقبل غير أنه أبلغ وهو حرف
مقتضب عند سيبويه والخليل في إحدى الروايتين عنه وفي الرواية الأخرى
أصله لا أن وعند الفراء لا فأبدلت ألفها نونا والوقود بالفتح ما يوقد
به النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه سمعنا من
يقول وقدت النار وقودا عاليا والاسم بالضم ولعله مصدر سمي به كما قيل
فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر أن المراد به الاسم وإن
أريد المصدر فعلى حذف مضاف أي وقودها احتراق الناس والحجارة وهي
جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الأصنام التي
نحتوها وقرنوا بها أنفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها
واستدفاع المضار لمكانتهم ويدل عليه قوله تعالى إنكم وما تعبدون من
دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكانزون
بما كنزوه أو بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم وقيل الذهب
والفضة التي كانوا يكنزونها ويغترون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص إعداد

معترضا

منه ٥

به ٥

هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص
بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شانها وتفاقم لهبها
بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها والكبريت تتقد به كل نار وان ضعفت
فان صح هذا عن ابن عباس فلعله عنى به ان الاحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت
لسائر النيران ولما كانت الآية مدنية نزلت بعد ما نزل بمكة قوله تعالى في سورة
التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح تعريف النار ووقوع
الجملة صلة فانها يجب ان تكون قصة معلومة اعدت للكافرين هيئت
لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة
استيناف او حال باضمار قد من النار لا الضمير الذي في وقودها وان
جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر وفي الآيتين ما يدل على النبوة من
وجوه الاول ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع في
المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما
يعارض اقصر سورة من سور القرآن ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم
بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا لمعارضته والتجأوا الى جلاء
الوطن وبذل المهج والثاني انهما يتضمنان الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم
لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين
عنه في كل عصر والثالث انه عليه السلم لو شك في امره لما دعاهم الى المعارضة
بهذه المبالغة مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله اعدت للكافرين
دل على ان النار مخلوقة معدة لهم الآن وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات

النار

البقره

ان لهم جنات عطف على الجملة السابقة والمقصود بعطفه حال من آمن
بالقرآن ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت
به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب
ما ينجي وتثبيطا عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب
ان يطلب له ما يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه او على فاتقوا لانهم
اذا لم يأتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن
كفر به استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك يستدعي ان
يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وانما امر الرسول عليه السلم او عالم كل عصر
او كل احد يقدر على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب
الكفرة تفخيما لشانهم وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا ويهنؤوا بما اعد
لهم وقرئ وبشر على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون استينافا
والبشارة الخبر السار فانه يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال
الفقهاء البشارة هو الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم
ولدي فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا
واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله تحية بينهم
ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى
الاسماء كالحسنة قال الحطيئة كيف الهجاء وما ينفك صالحة من آل لام بظهر
الغيب تاتيني وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتانيثها على تاويل
الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم

المقصود

لم يخاطبهم

التهكم

عليهما اشعارا بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع
بين الوصفين فان الايمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق أسّ
والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باسّ لا بناء عليه ولذلك قلما ذكرا
مفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل ان الشيء لا يعطف
على نفسه ولا ما هو داخل فيه ان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل
اليه او مجرور باضمارها مثل الله لافعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر
جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمي به الشجر المظلل لالتفاف اغصانه
للمبالغة كانه يستر ما تحته سترة واحدة قال كان عيني في غربي مقتلة
من النواضح تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار
المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر
في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم من قرة اعين وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس سبع
جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار
السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب
تفاوت الاعمال والعمال واللام تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب
عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته فانه لا يكافئ النعم السابقة فضلا
عن ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على
الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن
يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقوله تعالى

المظلل

وعده صح

لنبيه عليه السلم لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله سبحانه
لم يقيدها هاهنا استغناء بها **تجري من تحتها الانهار** اي من تحت اشجارها كما تراها
جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق انهار الجنة تجري في غير
اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري
او للعهد والمعهود هي الانهار المذكورة في قوله تعالى انهار من ماء غير آسن
الآية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل
والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او المجاز او المجاري
انفسها واسناد الجري اليها مجاز كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها **كلما
رزقوا منها من ثمرة قالوا هذا الذي رزقنا** صفة ثانية لجنات او خبر مبتداء
محذوف او جملة مستانفة كانه لما قيل ان لهم جنات وقع في خلد السامع اثمارها
مثل ثمار الدنيا او اجناس اخر فازيح بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا
مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال وتقدير الكلام
ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا مبتداء من الجنات مبتداء من ثمرة قيد الرزق
بكونه مبتداء من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الثانية
ضميره المستكن في الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رأيت
منك اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا
الماء لا ينقطع فانك لا تعني به العين المشاهد منه بل النوع المعلوم المستمر
بتعاقب جرياته وان كانت الاشارة الى عينه فالمعنى هذا مثل الذي ولكن لما
استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك ابو يوسف ابو حنيفة **من قبل** اي من قبل

عليها صح

رزقا صح

الحال الاولى رزقا وصاحب صح

ذاته صح

هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه اول ما رأت
فان الطباع مائلة الى المألوف متنفرة عن غيره وتتبين لها مزيته وكنه
النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعامها
متشابه الصورة كما حكي عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها
ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملك كل فاللون واحد
والطعم مختلف او كما روي انه عليه السلم قال والذي نفس محمد بيده ان
الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل
الله مكانها مثلها فلعلهم اذا رأوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول
اظهر لمحافظته على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة
رزقوا والداعي لهم الى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من
التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة **وأتوا به متشابها**
اعتراض يقرر ذلك والضمير على الاول راجع الى ما رزقوا في الدارين فانه مدلول
عليه بقوله هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او
فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق فان
قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة
كما قال ابن عباس ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء قلت التشابه
بينهما حاصل في الهيئة واللون دون المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق
التشابه هذا وان للآية محملا آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة
ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها

الصورة التي هي مناط الاسم

فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما
في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله ذوقوا
ما كنتم تعملون في الوعيد **ولهم فيها ازواج مطهرة** مما يستقذر من
النساء ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق
فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات
وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل
قال واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت
فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء و
كسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان
مطهرا طهرهن وليس هو الا الله عز وجل والزوج يقال للذكر والانثى
وهو في الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل فائدة المطعوم
هو التغذي ودفع ضرر الجوع وفائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع
وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر احوالها
انما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى
باسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها
حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها **وهم فيها خالدون** دائمون
والخلد والخلود في الاصل الثبات المديد دام ام لم يدم ولذلك قيل للاثافي
والاحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله ما دام حيا خلد ولو
كان وضعه للدوام كان التقييد بالتأبيد في قوله خالدين فيها ابدا لغوا واستعمال

حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا والاصل ينفيهما بخلاف
ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان
لكن المراد به الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنن فان
قيل الابدان مركبة من اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية
الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت انه تعالى
يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة بان يجعل اجزاءها مثلا متقاومة في الكيفية
متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على احالة الآخر متعانقة متلازمة
لا ينفك بعضها عن بعض كما تشاهد في بعض المعادن هذا وان قياس ذلك
العالم على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم انه لما كان
معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل
عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعمة جليلة
اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر
المؤمنين بها ومثل ما اعد لهم في الآخرة بابهى ما يستلذ به منها وازال
عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم والسرور ان
الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة لما كانت الآيات السابقة متضمنة
لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو
ان يكون على وفق الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر
والخسة والشرف دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له
ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم

مثل قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد

واحواله

العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من
الوهم لان من طبعه الميل الى الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الامثال في
الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير
كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل في الانجيل
غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء باثارة
الزنابير وجاء في كلام العرب اسمع من قراد واعز من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة
من الكفار لما مثل الله حال المنافقين بحال المستوقدين واصحاب الصيب
وعبادة الاصنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها اقل من الذباب
واخس قدرا منه الله اعلى واجل من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت
وايضا لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به وحي منزل ورتب عليه وعيد
من كفر به ووعد من آمن به بعد ظهور امره شرع في جواب ما طعنوا به فيه فقال
ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل
بها لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط
بين الوقاحة التي هي الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذي هو
انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحيوة فانه انكسار يعتري
القوة الحيوانية فيردها عن افعالها فقيل حيي الرجل كما قيل نسي وحشي اذا
اعتلت نساه وحشاه واذا وصف به الباري تعالى كما جاء في الحديث ان
الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع
العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم

واطيش من فراشة

القبيح

للانتقام من كان المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين
لمعنييهما ونظيره قوله يصف ابلا اذا ما استحثت الماء يعرض نفسه كرعن
بسبت في اناء من الورد وانما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة
ويحتمل الآية خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب
المثل اعتماله من ضرب الخاتم واصله وقع شيء على آخر وان بصلتها مخفوض
المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند
سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد
كقولك اعطني كتابا ما اي اي كتاب كان او مزيدة للتاكيد كالتي في قوله
تعالى فبما رحمة ولا نعني بالمزيد اللغو الضائع فان القرآن كله هدى وبيان بل
ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت لان يذكر مع غيره فيفيد له وثاقة وقوة
وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول
ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانه نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى
الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدأ وعلى هذا يحتمل ما وجوها اخر ان تكون
موصولة حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تماما على الذي احسن او موصوفة
بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية هي المبتدأ
كانه لما رد استبعادهم ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها
حتى لا يضرب به المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي
بما وهب ما دينار وديناران والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع
والعضب غلب على هذا النوع كالخموش فما فوقها عطف على بعوضة او ما ان

جعل اسما ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت كانه قصد به
رد ما استنكروه والمعنى انه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوضة فضلا عما هو
اكبر منه او في المعنى الذي جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها
فانه عليه السلام ضربه مثلا للدنيا ونظيره في الاحتمالين ما روي ان رجلا
خر على طنب فسطاط فقالت عائشة سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت
عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز الشوكة في الألم كالخرور او ما زاد عليها
في القلة كنخبة النملة **فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم** اما حرف
يفصل ما اجمل ويؤكد ما به صدر ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء
قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب اي هو ذاهب
لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانه الجزاء لكن كرهوا
ايلاءها حرف الشرط فادخلوا الخبر وعوضوا المبتدأ عن الشرط لفظا
وفي تصدير الجملتين به احماد لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين
على قولهم والضمير في انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ
انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من
قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج **واما الذين كفروا
فيقولون** كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل
قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل
الكناية ليكون كالبرهان عليه **ماذا اراد الله بهذا مثلا** يحتمل وجهين ان يكون

لقوله عم ما اصاب المؤمن مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة م
عضـ

ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع خبرها وان يكون
ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء منصوب المحل على المفعولية مثل ما اراد الله
والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السؤال
والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي
هي مبدا النزوع والاول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور
اتصاف الباري تعالى به ولذلك اختلف في معنى ارادته فقيل ارادته لافعاله
انه غير ساه ولا مكره ولافعال غيره امره بها فعلى هذا لم يكن المعاصي بارادته وقيل
علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى
تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الاخر وتخصيصه بوجه دون
وجه او معنى يوجب هذا الترجيح وهي اعم من الاختيار فانه ميل مع تفضيل
وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز او الحال كقوله هذه ناقة
الله لكم آية يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جواب ماذا اي اضلال كثير واهداء كثير
وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين
المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه
ايراده والانكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين
بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان المهديين قليل بالاضافة
الى اهل الضلال كما قال تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين
من حيث العدد وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال قليل اذا عدوا
كثير اذا اشتدوا وقال ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا وما

يضل به الا الفاسقين اي الخارجين عن حد الايمان لقوله تعالى ان المنافقين هم
الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج
عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشرع الخارج
عن امر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلاث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها
احيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير
مبال بها والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف هذا
المقام وتخطى خططه خلع ربقة الايمان من عنقه ولابس الكفر وما دام هو
في درجة التغابي والانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق
الذي هو مسمى الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة
لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق
وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد
منهما في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل
على انه الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال وذلك لان
كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت وجوه افكارهم
عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم
فانكروه واستهزءوا به وقرئ يضل على البناء للمفعول والفاسقون بالرفع
الذين ينقضون عهد الله صفة للفاسقين للذم وتقرير للفسق والنقض
فسخ التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال العهد من حيث
ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالآخر فان اطلق

مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من
روادفه وهو ان العهد حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك
شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس فان فيه تنبيها على انه اسد
في شجاعته بحر بالنظر الى افادته والعهد الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعى
ويتعهد كالوصية واليمين والنذر ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع
اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد الماخوذ بالعقل وهي الحجة
القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله
وعليه اوّل قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او الماخوذ بالرسل على الامم بانهم
اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا
حكمه واليه اشار بقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظائره
وقيل عهود الله ثلثة عهد اخذه على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وعهد
اخذ على النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء
بان يبينوا الحق ولا يكتموه من بعد ميثاقه الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع
به الوثاقة وهي الاحكام والمراد به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب
او ما وثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن
للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة
المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق و
ترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع

الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر
هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر
الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له
شان وهو الطلب والقصد يقال شانت شانه اذا قصدت قصده وان
يوصل يحتمل النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا
ومعنى ويفسدون في الارض بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع
الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه اولئك هم الخاسرون الذين خسروا باهمال
العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار و
الطعن في الآيات بالايمان بها والنظر في حقائقها والاقتباس من انوارها
واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب كيف تكفرون
بالله استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم بانكار الحال التي يقع عليها على الطريق
البرهاني لان صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد
عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من اتكفرون
واوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء
المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم
بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون وكنتم
امواتا اي اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة
وغير مخلقة فاحياكم بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل
بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي ثم يميتكم عند تقضي آجالكم

ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ الصور او للسؤال في القبور ثم اليه ترجعون بعد
الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب
كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم
يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب
لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما وفي الاية تنبيه على ما
يدل على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر ان احياهم اولا قدر ان يحييهم ثانيا فان
بدؤ الخلق ليس باهون عليه من اعادته او مع القبيلين فانه سبحانه لما بين دلائل
التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعد على الكفر اكد ذلك بان عدد
عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم
مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعمة يوجب عظم معصية المنعم فان
قيل كيف يعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة الى
الحيوة الثانية التي هي الحيوة الحقيقية كما قال تع وان الدار الاخرة لهي
الحيوان كانت من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع
من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فان
بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين
خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم
الكفر وكنتم امواتا اي جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم
الموت المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحيوة حقيقة في القوة الحساسة

الواقع

او ما يقتضيها

وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية لانها من طلائعها ومقدماتها
وفيما يخص الانسان من الفضائل كالعقل والعلم والايمان من حيث انها كمالها
وغايتها والموت بازائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال تع قل الله يحييكم ثم
يميتكم وقال اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال او من كان ميتا فاحييناه
وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها صحة
اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته يقتضي ذلك
على الاستعارة وقرا يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القران هو الذي
خلق لكم ما في الارض جميعا بيان نعمة اخرى مترتبة على الاولى فانها خلقهم احياء
قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما تتوقف عليه بقاؤهم وتم به معاشهم و
معنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط
او بغير وسط ودينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف لما يلائمها من لذات
الاخرة والامها لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض
من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع
اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان
كل واحد لكل واحد وما يعم كل ما في الارض لا الارض الا اذا اريد به جهة
السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال من الموصول الثاني ثم استوى
الى السماء قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده
قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه
على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص

الاجسام وقيل استوى استولى وملك قال قد استوى بشر على العراق من
غير سيف ودم مهراق والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية
المترتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او جهات العلو
وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض كقوله ثم
كان من الذين امنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى
والارض بعد ذلك دحيها فانه يدل على تاخر دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها
عن خلق السماء وتسويتها الا ان يستانف بدحيها مقدرا لنصب الارض فعلا
اخر دل عليه ءانتم اشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه
خلاف الظاهر فسويهن عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير
السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع او في معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده
كقولهم ربه رجلا سبع سموات بدل او تفسير فان قيل اليس ان اصحاب
الارصاد اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس
في الاية نفي الزائد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف وهو بكل
شيء عليم فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على
هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق
العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها
بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في
صدورهم من ان الابدان بعد ما تفتتت وتبددت اجزاؤها واتصلت بما
يشاكلها كيف يجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها

كلام

ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم
ان صحة الحشر مبنية على ثلث مقدمات وقد برهن عليها في هاتين الايتين
اما الاولى فهو ان مواد الابدان قابلة للجمع والحيوة واشار الى البرهان عليها
بقوله كنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت
والحيوة عليها يدل على انها قابلة لها بذاتها وما بالذات يابى ان يزول ويتغير
واما الثانية والثالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر على ابدائهم وابداء ما هو
اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم واحيائهم وانه خلق
ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم
وسد حاجاتهم وذلك دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت
حكمته وقد سكن نافع وابو عمرو والكسائي الهاء من نحو فهو وهو تشبيها له
بعضد واذ قال ربك للملئكة اني جاعل في الارض خليفة تعداد لنعمة ثالثة
تعم الناس كلهم فان خلق ادم واكرامه وتفضيله على ملئكته بان امرهم بالسجود
انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما
وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى ولذلك يجب اضافتهما
الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل
والمجازات ومحلهما النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة
لما ذكرناه واما قوله واذكر اخا عاد ونحوه فعلى تاويل اذكر الحادث اذ كان كذا
فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله في الاية قالوا او اذكر على
التاويل المذكور لانه جاء معمولا له صريحا في القران كثيرا او مضمر دل عليه مضمون

على جمعها واحيائها
واشار الى وجه اثباتها
بانه تعالى قادر صح

اذ انذر قومه بالاحقاف
صح

الاية المتقدمة مثل وبدا خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم
داخلة في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملايكة جمع ملاك على الاصل
كالشمايل والتاء لتانيث الجمع وهو مقلوب مالك من الالوكة وهي الرسالة
لانهم وسايط بين الله وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل اليهم واختلف
العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قايمة بانفسها
فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال
مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طايفة من
النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكماء
انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة الى قسمين
قسم شانهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما
وصفهم في محكم تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون
والملايكة المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق به
القضاء وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبته في كتاب
الطوالع والمقول لهم الملايكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملايكة
الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم في الارض
اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس في جند من الملايكة فدمرهم وفرقهم في
الجزاير والجبال وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة
عمل فيهما لانه بمعنى الاستقبال ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى

جمع شمال

خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء للمبالغة والمراد به ادم
عليه السلم لانه كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي استخلفهم في عمارة
الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة به تع
الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره بغير وسط
ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال تع ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الا
ترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملايكة ومن كان منهم اعلى رتبة كلمه
بلا واسطة كما كلم موسى في الميقات ومحمدا صلوات الله عليه ليلة المعراج
ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما
من التباعد جعل الباري تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما لياخذ من
هذا ويعطي ذلك او خليفة من سكن الارض قبله او هو وذريته لانهم يخلفون
من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره عن
ذكر بنيه كما استغني بذكر ابي القبيلة في قولهم مضر وهاشم او على تاويل
من يخلفكم او خلقا يخلفكم وفايدة قوله هذا للملايكة تعليم المشاورة
وتعظيم شان المجعول بان بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل
خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان
ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل
شر كثير الى غير ذلك **قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء** تعجب من
ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها او يستخلف مكان اهل

الطاعة اهل المعصية واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد
والغتها واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم عن معلمه عما
يختلج في صدره وليس باعتراض على الله تعالى ولا طعن في بني آدم على وجه
الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله او تلق من اللوح او
استنباط عما ركز في عقولهم ان العصمة من خواصهم او قياس لاحد الثقلين
على الآخر والسفك والسبك والسفح والشن انواع من الصب والسفك
يقال في الدم والدمع والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب من اعلى والشن
في الصب عن فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك على البناء
للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا او موصوفا محذوفا اي
يسفك الدماء فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك حال مقررة لجهة الاشكال
كقولك اتحسن الى اعدائك وانا الصديق المحتاج والمعنى اتستخلف عصاة
ونحن معصومون احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو
متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر
كانهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلث قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية
تؤديان به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة
ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين
لا يقتضي الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن
نقيم ما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل

واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة
والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر
عنه الآحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج
منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف واليه
اشار تعالى اجمالا بقوله قال اني اعلم ما لا تعلمون والتسبيح تبعيد الله عن
السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا
ذهب فيها وابعد ويقال قدس اذا طهر لان مطهر الشيء مبعد له عن
الاقذار وبحمدك في موضع الحال اي متلبسين بحمدك على ما الهمتنا معرفتك
ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم و
نقدس لك نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر
بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو اعظم الافعال
الذميمة بتطهير النفس عن الآثام وقيل نقدسك واللام مزيدة وعلم آدم
الاسماء كلها اما بخلق علم ضروري بها فيه او القاء في روعه ولا يفتقر الى
سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك
يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم اعجمي كآزر وشالخ واشتقاقه من الادمة
او الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما روي عنه عليه السلام
انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك
ياتي بنوه اخيافا او من الادم او الادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق
ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار

الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات
والافعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا او مفردا
مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في
نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلاثة والمراد في الآية اما الاول او الثاني
وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف على
العلم بالمعاني والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا
لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات و
الموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول العلوم
وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها ثم عرضهم على الملائكة الضمير فيه
للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير اسماء المسميات فحذف المضاف
اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله واشتعل الراس شيبا
لان العرض للسؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء
سيما ان اريد به الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء او مدلولات الالفاظ و
تذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على
معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها فقال انبئوني باسماء هؤلاء تبكيت لهم
وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة
قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال
وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام و
لذلك يجري مجرى كل واحد منهما ان كنتم صادقين في زعمكم انكم احقاء بالخلافة

لعصمتكم او ان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وان
لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه
قد يتطرق اليه بغرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري الانشاءات
قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم
كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل
الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم
ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه وسبحان مصدر كغفران
ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجري علما
للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر وتصدير
الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل
مفتاح التوبة فقال موسى صلوات الله عليه سبحانك تبت اليك وقال
يونس سبحانك اني كنت من الظالمين انك انت العليم الذي لا يخفى عليه
خافية الحكيم المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل
وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ
التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا
الرجل هذا وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر ان قال يا آدم انبئهم باسمائهم اي
اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما فلما انبأهم باسمائهم قال
الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون
استحضار لقوله اني اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليهم

فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض وما ظهر لهم من احوالهم
الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى
وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من
يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل
منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر منهم ابليس من المعصية والهمزة للانكار
دخلت على حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الآيات تدل
على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة
بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم
عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على
الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها
وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع ممن كان
قبل آدم فيكون من الله وان مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك انت العليم الحكيم
وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة
العليا منهم وحملوا عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم
افضل لقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وانه تعالى يعلم الاشياء
قبل حدوثها **وَاِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ** لما انباهم باسمائهم وعلمهم ما لم يعلموا
امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم
به قبل ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له
ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق

[الحكمة زائد على مفهوم]
[من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل]

ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها
على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الاصل تذلل مع
تطامن قال الشاعر ترى الاكم فيه سجدا للحوافر وقال وقلن له اسجد لليلى
فاسجدا يعني البعير اذا طاطا راسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة
والمامور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة
سجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه وكانه تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا
للمبدعات كلها بل الموجودات باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني
وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور
ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما راوا فيه من عظيم
قدرته وباهر آياته وشكرا لما انعم عليهم بوساطته فاللام فيه كاللام في قول
حسان اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقران والسنن او في
قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس واما التواضع لآدم تحية وتعظيما له كسجود
اخوة يوسف له والتذلل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم
به كمالهم والكلام في ان المامورين بالسجود الملائكة كلهم او طائفة منهم ما سبق
فَسَجَدُوٓا اِلَّآ اِبْلِيسَ اَبٰى وَاسْتَكْبَرَ امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه وصلة
في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره و
صلاحه والاباء امتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره و
الاستكبار طلب ذلك بالتشبع **وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ** اي في علم الله او صار
منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود لآدم اعتقادا بانه افضل منه والافضل

[المعنى اللغوي وهو]

لا يحسن ان يومر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه
جوابا لقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من
العالين لا بترك الواجب وحده والآية تدل على ان آدم افضل من الملائكة
المامورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله
امرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد ذلك قوله تع الا ابليس كان من
الجن لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس
روى ان من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم
انه لم يكن من الملائكة ان يقول انه كان جنيا نشا بين اظهر الملائكة
وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن ايضا كانوا مامورين مع
الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر
مامورين بالتذلل لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مامورون به
والضمير في فسجدوا راجع الى القبيلين فكانه قال فسجد المامورون
بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم
العصمة كما ان من الانس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من
الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض والصفات
كالبررة والفسقة من الانس والجن يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما
قاله ابن عباس فلذلك صح عليه التغير من حاله والهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله
عز وعلا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه لا يقال كيف يصح ذلك و
الملائكة خلقت من نور والجن من نار لما روت عايشة انه عليه السلم قال خلقت

علي ٣

الملائكة من النور وخلق الجن من مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرت فان المراد
بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور
عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت مهذبة مصفاة
كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى جذعة ولا تزال تتزايد حتى
ينطفي نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع بين
النصوص والعلم عند الله تع ومن فوايد الآية استقباح الاستكبار وانه
قد يفضي بصاحبه الى الكفر والحث على الايتمار لامره وترك الخوض في سره
وان الامر للوجوب وان الذي علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر
على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال مومنا وهو الموافاة المنسوبة
الى شيخنا ابي الحسن الاشعري رحمه الله وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ
السكنى من السكون لانها استقرار ولبث وانت تاكيد اكد به المستكن ليصح
العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف
عليه تبع له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم
انها لم تخلق بعد قال انه بستان كان بارض فلسطين او بين فارس وكرمان
خلقه الله تع امتحانا لآدم وحمل الاهباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما
في قوله تع اهبطوا مصرا وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا واسعا رافها صفة مصدر محذوف
حَيْثُ شِئْتُمَا اي مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر في
التناول من الشجرة المنهي عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ
فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول

كان ٣

مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب من الشيء يورث
داعية وميلا يأخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روي
حبك الشيء يعمي ويصم فينبغي ان لا يحوما حول ما حرم عليهما مخافة ان يقعا
فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي
او بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء تفيد السببية
سواء جعلته للعطف على النهي او الجواب له والشجرة هي الحنطة او الكرمة او التينة
او شجرة من اكل منها احدث والاولى ان لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الآية
لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهذي
بالياء **فازلهما الشيطان عنها** اصدر زلتهما بسببها ونظيره عن هذه في قوله
تعالى وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما عنها ويعضده قراءة حمزة
فازالهما وهما متقاربان في المعنى غير ان ازل يقتضي عثرة مع الزوال وازلاله
قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة
الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما لمن الناصحين
واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك او القاه اليهما على طريق الوسوسة
وانه كيف توصل الى ازلالهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من
الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة
ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل
ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما
والعلم عند الله تعالى **فاخرجهما مما كانا فيه** اي من الكرامة والنعيم **وقلنا اهبطوا**

الدم

عن الشجرة وحملها على الزلة م

لدم

خطاب لآدم وحواء لقوله قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصلا الانس
فكانهما الجنس كلهم او هما وابليس اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة
او دخلها مسارقة او من السماء **بعضكم لبعض عدو** حال استغنى فيها عن الواو
بالضمير والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله **ولكم في الارض مستقر**
موضع استقرار او استقرار **ومتاع** تمتع **الى حين** يريد به وقت الموت او القيمة
فتلقى آدم من ربه كلمات استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرا
ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا
ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك
لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن
عباس قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك
قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت
الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التأثير المدرك باحدى الحاستين
السمع والبصر كالكلام والجراحة **فتاب عليه** رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة
وانما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب
والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى بذكر آدم لان حواء كانت تبعا له
في الحكم ولذلك طوي ذكر النساء في اكثر القرآن والسنن **انه هو التواب** الرجاع
على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف
به العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف به الباري تعالى اريد بها الرجوع
من العقوبة الى المغفرة **الرحيم** المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد للتائب

قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى صح

بالاحسان مع العفو قلنا اهبطوا منها جميعا كرر للتاكيد او لاختلاف المقصود
فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني
اشعر بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه
على ان مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم ان تعوقه
عن مخالفة حكم الله تع فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم نجد له عزما وان
كل واحد منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى سماء
الدنيا والثاني منها الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ تاكيد
في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على
الهبوط في زمان واحد كقولك جاءوا جميعا فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع
هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط
الاول وما مزيدة اكدت به ان ولذلك حسن تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن
فيه معنى الطلب والمعنى ان يأتينكم مني هدى بانزال او ارسال فمن تبعه منكم
نجا وفاز وانما جيء بحرف الشك واتيان الهدى كائن لانه محتمل في نفسه غير
واجب عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه اراد بالثاني اعم من الاول
وهو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل اي فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد
به العقل فلا خوف عليهم فضلا من ان يحل بهم مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب
فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب واثبت
لهم الثواب على اكد وجه وابلغه وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون عطف على

فمن تبع الى آخره قسيم له كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا
بآياته او كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين
الى الجار والمجرور والآية في الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات من
حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن
المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من أي لانها تبين أيا من أي او من اوى اليه
واصلها أية او اوية كتمرة فابدلت عينها الفا على غير قياس او أيية او اوية كرمكة
فاعلت او آئية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد بآياتنا الآيات المنزلة
او ما يعمها والمعقولة وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبياء
عليهم السلم من وجوه الاول ان آدم صلوات الله عليه كان نبيا وارتكب المنهي عنه
والمرتكب له عاص والثاني انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله
الا لعنة الله على الظالمين والثالث انه تع لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب
والندم عليه والخامس اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة الله اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس انه لو لم يذنب لم يجر
عليه ما جرى والجواب من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب
بالبيان والثاني ان النهي للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه
بترك الاولى له واما اسناد الغي والعصيان اليه فسيأتي الجواب عنه في موضعه
ان شاء الله تعالى وانما امر بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة
له على ترك الاولى ووفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه والثالث انه فعله ناسيا لقوله
تع فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان وان

والثالث انه تع اسند اليه العصيان والغي وقال وعصى آدم ربه فغوى والرابع انه تع

ولعله

عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال عليه السلام اشد
الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل او ادى فعله الى ما جرى عليه على
طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة كتناول السم على الجاهل بشانه لا يقال
انه باطل بقوله تعالى ما نهاكما ربكما وقاسمهما الآية لانه ليس فيهما ما يدل
على ان تناوله حين ما قاله ابليس فلعل مقاله اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه
كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى الى ان نسي ذلك وزال المانع فحمله
الطبع عليه والرابع انه عليه السلام اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطأ فيه
فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها
من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روي انه عليه السلام اخذ
حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتي حل لاناثها وانما
جرى تعظيما لشان الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها دلالة على ان الجنة
مخلوقة وانها في جهة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدى مامون
العاقبة وان عذاب النار دائم والكافر فيه مخلد وان غيره لا يخلد فيه
بمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون واعلم انه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد
والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها وتاكيدا فانها من
حيث انها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك
له ومن حيث ان الاخبار بها على ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها
ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب معجز يدل على نبوة المخبر عنها ومن
حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وما هو اعظم من ذلك تدل على

ثم الاولياء صح

فأكل صح

عليه ما جرى صح

انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطب اهل العلم والكتاب
منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله عليهم ويوفوا بعهوده في اتباع الحق و
اقتفاء الحجج ليكونوا اول من آمن بمحمد وما انزل عليه فقال يا بني اسرائيل اي
اولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى
صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلم
ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال
بحذفهما واسرايل بقلب الهمزة ياء اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اي بالتفكر
فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور حسود بالطبع
فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط
وان نظر الى ما انعم الله به عليه حمله حب النعمة على الرضا والشكر وقيل اراد
بها ما انعم على آبائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ
العجل وعليهم من ادراك زمن محمد صلوات الله عليه وقرئ اذكروا والاصل
افتعلوا ونعمتي باسكان الياء واسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرك
الياء المكسور ما قبلها واوفوا بعهدي بالايمان والطاعة اوف بعهدكم
بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد ولعل الاول مضاف الى
الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب
الدلائل وانزال الكتب ووعد لهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض
عريض فاول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى
حقن الدم والمال وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن

صلى الله عليه وسلم صح

اذا

والسلام صح

نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم وما روي عن ابن عباس
اوفوا بعهدي في اتباع محمد اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال وعن
غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب او
اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم
فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما
عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة
وتفصيل العهدين قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم
جنات وقرئ اوفّ بالتشديد للمبالغة **وإياي فارهبون** فيما تأتون
وتذرون وخصوصا في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص من اياك
نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن
الكلام معنى الشرط كأنه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبة خوف
مع تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء
بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله **وآمنوا بما انزلت مصدقا
لما معكم** افراد للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء
بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه
نازل حسبما نعت فيها او مطابق لها في القصص والمواعيد والدعاء
الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي و
الفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار
في المصالح من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيها

صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم في ايام المتأخر لنزل على وفقه و
لذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي تنبيه على ان
اتباعها لا ينافي الايمان به بل يوجبه ولذلك عرّض بقوله **ولا تكونوا اول
كافر به** بان الواجب ان تكونوا اول من آمن به ولانهم كانوا اهل النظر في معجزاته
والعلم بشأنه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه واول كافر وقع خبرا
عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او فوج او بتأويل لا يكن كل واحد منكم
اول كافر به كقولك كسانا حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد
سبقهم مشركو العرب قلت المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به
الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او ولا تكونوا اول كافر من اهل الكتاب
او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر
من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل فابدلت
همزته واوا تخفيفا غير قياسي او أوأل من آل فقلبت همزته وادغمت
ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ولا تستبدلوا بالايمان بها والاتباع لها
حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما يفوت عنكم
من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم
وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله فاختاروها عليه وقيل كانوا
يأخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه **وإياي فاتقون** بالايمان واتباع
الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي
لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب

اول م
واوا م
عليها لو م
بالاولي م

لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة التي هي مبدأ السلوك وبالثانية لما
يخص اهل العلم امرهم بالتقوى الذي هو منتهاه ولا تلبسوا الحق بالباطل
عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها بغيره
والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى
لا يميز بينهما او ولا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه
في خلاله او تذكرونه في تاويله وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهي كانهم
امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من
سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه او نصب باضمار ان على ان الواو للجمع
اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود
وتكتمون اي وانتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار بان استقباح
اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وانتم تعلمون عالمين بانكم لابسون كاتمون
فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة يعني صلوة
المسلمين وزكوتهم فان غيرهما كلا صلوة ولا زكوة امرهم بفروع الاسلام
بعدما امرهم باصولها وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكوة من
زكا الزرع اذا نما فان اخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس
فضيلة الكرم او من الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث والنفس
من البخل واركعوا مع الراكعين اي في جماعاتهم فان صلوة الجماعة تفضل
صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن
الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد

لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدي لا تذل الضعيف علك ان تركع
يوما والدهر قد رفعه اتامرون الناس بالبر تقرير مع توبيخ وتعجيب
والبر التوسع في الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك
قيل البر ثلثة بر في عبادة الله تع وبر في مراعات الاقارب وبر في معاملة
الاجانب وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس
انها نزلت في احبار المدينة كانوا يامرون سرا من نصحوه باتباع محمد ولا
يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون وانتم تتلون الكتاب
تبكيت كقوله وانتم تعلمون اي تتلون التورية وفيها الوعيد على العناد
وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون قبح صنيعكم فيصدكم عنه او
افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الاصل الحبس سمي
به الادراك الانساني لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم
القوة التي بها النفس تدرك هذا الادراك والاية ناعية على من يعظ غيره
ولا يتعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع
او الاحمق الخالي عن العقل فان الجامع بينهما تابى عنه شكيمته والمراد بها
حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم غيره
لا منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المامور بهما لا يوجب
الاخلال بالآخر واستعينوا بالصبر والصلوة متصل بما قبله كانهم لما
امروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال
عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا

على الله تع او بالصوم الذي هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القران والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المارب وجبر المصائب روي انه عليه السلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء **وانها** اي الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها **لكبيرة** لثقيلة شاقة كقوله كبر على المشركين ما تدعوهم اليه **الا على الخاشعين** اي المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع بالقلب **الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون** اي يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله تع فيجازيهم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال اوس بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف وانما لم يثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثم قال عليه السلم وجعلت قرة عيني في الصلوة **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم**

مواد

كقوله تع

كرره للتاكيد وتذكير التفضيل الذي هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها **واني فضلتكم** عطف على نعمتي **على العالمين** اي عالمي زمانهم يريد به تفضيل آبائهم الذين كانوا في عصر موسى وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم من العلم والايمان والعمل وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف **واتقوا يوما** اي ما فيه من الحساب والعذاب **لا تجزي نفس عن نفس شيئا** لا تقضي عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة ليوما والعائد منها محذوف تقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجري مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله او مال اصابوا **ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل** اي من النفس الثانية العاصية او من الاولى وكانه اريد بالاية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع له والثاني اما باداء ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او بغيره وهو ان يعطي عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي به الفدية لانها سويت بالمفدى **ولا هم ينصرون** يمنعون من عذاب الله والضمير

عليه الصلواة والسلام م

الصالح م

نصبه

فما ادري اغيرهم تناء وطول العهد م

وقرا ابن كثير وابو عمرو لا تقبل بالتاء م

لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس
الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد والاناسي والنصرة اخص من المعونة لاختصاصها
بدفع الضرر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر
واجيب بانها مخصوصة بالكفار للايات والاحاديث الواردة في الشفاعة
ويؤيده ان الخطاب معهم والاية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان اباءهم
يشفع لهم وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ تفصيل لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي
التي انعمت عليكم وعطف على نعمتي عطف جبرئيل وميكائيل على الملائكة
وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولي
الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر
لملكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وكان
فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون
يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يَسُومُونَكُمْ
يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب في طلب
الشيء سُوءَ الْعَذَابِ افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سائره والسوء مصدر ساء
يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم او
من آل فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ
وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ بيان يسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف
وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون راى في المنام او قال له الكهنة سيولد
منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ محنة

بانها

ان اشير بذلكم الى صنيعهم

ان اشير به الى الانجاء واصل البلاء الاختبار لكن لما كان اختبار الله عباده تارة بالمحنة
وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان
الشايع بينهما مِّن رَّبِّكُمْ بتسليطهم عليكم او ببعث موسى وتوفيقه لتخليصكم
او بهما عَظِيمٌ صفة بلاء وفي الاية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او شر
اختبار من الله تعالى فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من
خير المختبرين وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى
حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم
كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا وقرئ فرقنا على بناء التكثير لان المسالك
كانت اثني عشر بعدد الاسباط فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ اراد به فرعون
وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه كما روي ان
الحسن البصري كان يقول اللهم صل على محمد اي شخصه واستغنى بذكره
عن ذكر اتباعه وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ذلك او غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق
البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر
بعضكم بعضا روي انه تعالى امر موسى ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم
فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله اليه ان
اضرب بعصاك البحر فضربه فظهرت فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها
فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله فيها كوى فتراءوا
وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون وراه منفلقا اقتحم
فيه هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه الواقعة

الى م
بالمنحة

آل ص

عليه الصلوة والسلام

من اعظم ما انعم الله به على بني اسرائيل ومن الايات الملجئة الى العلم بوجود
الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه السلم ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك بمعزل في الفطنة والذكاء و
فهم ٥
سلامة النفس وحسن الاتباع عن امة محمد صلوات الله وسلامه عليه
مع ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية دقيقة يدركها الاذكياء واخباره عليه
السلام عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره وإذ واعدنا موسى أربعين
ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى ان يعطيه التوراة
وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها
غرر الشهور وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي
لانه تعالى وعده الوحي ووعده موسى المجيء للميقات الى الطور ثم اتخذتم
العجل الها ومعبودا من بعده من بعد موسى او مضيه وأنتم ظالمون باشرا[كم]
ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس من بعد ذلك
اي الاتخاذ لعلكم تشكرون لكي تشكروا عفوه وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان
يعني التوراة الجامع بين كونه كتابا وحجة يفرق بين الحق والباطل وقيل
اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى او بين الكفر
والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه
وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر لعلكم تهتدون لكي
تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الايات وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم
ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاعزموا على التوبة والرجوع الى

من خلقكم بريئا من التفاوت ومميزا بعضكم عن بعض بصور وهيئات مختلفة
واصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره اما على سبيل التفصي كقولهم
برئ المريض من مرضه والمديون من دينه او الانشاء كقولهم برأ الله
ادم من الطين او فتوبوا فاقتلوا أنفسكم تماما لتوبتكم بالبخع او قطع
الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ولم يقتلها لم يحيها وقيل امروا
من ٥
ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روي
ان الرجل يرى بعضه وقريبه فلم يقدر المضي لامر الله فارسل الله ضبابة و
سحابة سوداء لا يتباصرون فاخذوا يقتتلون من الغداة الى العشي حتى
دعا موسى وهارون فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين
الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم خير لكم عند
بارئكم من حيث انه طهرة من الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية والبهجة
السرمدية فتاب عليكم متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى عليه السلم
لهم تقديره ان فعلتم فقد تاب عليكم او عطف على محذوف ان جعلته خطابا
ما امرتم به ٥
من الله لهم على طريق الالتفات كأنه قال ففعلتم فتاب عليكم
بارئكم وذكر البارئ وترتيب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة
والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التي هي مثل في
حقيق بان يسترد ٥
الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه بان يسترد منه ولذلك امروا بالقتل
وفك التركيب إنه هو التواب الرحيم الذي يكثر توفيق التوبة او قبولها
من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله

جهرة عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة
ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية او الحال من الفاعل او المفعول
وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا
جاهرم
والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى للميقات وقيل
عشرة آلاف من قومه والمؤمن به ان الله الذي اعطاك التورية وكلمك
او انك نبي **فاخذتكم الصاعقة** لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل
فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات
والاحياز المقابلة للرائي وهي محال بل الممكن ان يرى رؤية منزهة عن
الكيفية وذلك للمؤمنين في الآخرة وللافراد من الانبياء في بعض
الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل
جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة **وانتم تنظرون**
ما اصابكم بنفسه او اثره **ثم بعثناكم من بعد موتكم** بسبب الصاعقة وقيد
البعث لانه قد يكون عن اغماء او نوم كقوله تعالى وكذلك بعثناهم **لعلكم**
بالموت م
تشكرون نعمة البعث او ما كفرتموه لما رايتم باس الله بالصاعقة **وظللنا**
عليكم الغمام سخر الله لهم السحاب يظللهم من الشمس حين كانوا في التيه
وانزلنا عليكم المن والسلوى الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم
المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع ويبعث الجنوب عليهم السماني وينزل
بالليل عمود نار يسيرون في ضوءه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى **كلوا**
من طيبات ما رزقناكم على ارادة القول **وما ظلمونا** فيه اختصار واصله

فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** بالكفران
لانه لا يتخطاهم ضرره **واذ قلنا ادخلوا هذه القرية** يعني بيت المقدس وقيل
اريحا امروا به بعد التيه **فكلوا منها حيث شئتم رغدا** واسعا ونصبه على
المصدر او الحال من الواو **وادخلوا الباب** اي باب القرية او القبة التي
كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى عليه السلم
سجدا متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه **وقولوا**
حطة اي مسئلتنا او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب
على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اي قولوا هذه
الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونقيم بها **نغفر لكم**
خطاياكم بسجودكم ودعائكم قرأ نافع بالياء وابن عامر على البناء للمفعول و
بالتاء م
خطايا اصله خطايئ كخطايع فعند سيبويه انه ابدلت الياء الزائدة همزة
لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا
وكانت الهمزة بين الالفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء
ثم فعل بهما ما ذكر **وسنزيد المحسنين** ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب
زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب الى الوعد ايهاما بان المحسن
بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعل لا محالة **فبدل الذين**
ظلموا قولا غير الذي قيل لهم بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار طلب
ما يشتهون من اغراض الدنيا **فانزلنا على الذين ظلموا** كرره مبالغة في تقبيح
امرهم واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المامور به موضعه او

على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها رجزا من السماء
بما كانوا يفسقون عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الاصل
ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون
روى انه مات في ساعة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه لما
عطشوا في التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد على ما روى انه
كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكان ينبع من كل وجه ثلث اعين يسيل
كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر
ميلا او حجرا اهبطه آدم من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه مع العصا او
الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبراه الله به عما رموه به من الادرة
فاشار اليه جبريل بحمله او للجنس وهذا اظهر في الحجة قيل لم يامره ان يضرب
حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل
حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه بها اذا ارتحل
فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى اليه لا تقرع الحجارة
وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في
ذراع والعصا عشرة اذرع على طول موسى من آس الجنة ولها شعبتان
تتقدان في الظلمة فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا متعلق بمحذوف تقديره
فان ضربت فقد انفجرت او فضرب فانفجرت كما مر في قوله فتاب عليكم وقرئ
عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه قد علم كل اناس كل سبط مشربهم
عينهم التي يشربون منها كلوا واشربوا على تقدير القول من رزق الله ويريد به

الحمد

ما رزقهم الله من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب
ويؤكل مما ينبت به ولا تعثوا في الارض مفسدين لا تعتدوا حال افسادكم
وانما قيده لانه وان غلب في الفساد قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة
الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام
وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا ومن
انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجائب صنعه
فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم
يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض او لجذب الهواء
من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك واذ قلتم يا موسى لن نصبر
على طعام واحد يريد به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى وبوحدته انه
لا يختلف ولا يتبدل كقولهم طعام مائدة الامير واحد يريدون انه لا يتغير
الوانه ولذلك اجموا او ضرب واحد لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم
كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه فادع لنا ربك سله لنا
بدعائك اياه يخرج لنا يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته
سبب الاجابة مما تنبت الارض من الاسناد المجازي واقامة القابل مقام الفاعل
ومن للتبعيض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها تفسير وبيان
وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض من الخضر
والمراد به اطائبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل
الثوم وقرئ قثائها بالضم وهو لغة فيه قال اي الله او موسى اتستبدلون

ني

انه

وذو الحال هو الضمير في تنبت او ما هم

الذي هو ادنى اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد في الشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرى ادنا من الدناة **بالذي هو خير** يريد به المن والسلوى فانه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعي **اهبطوا مصرا** انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرى بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه او على تاويل البلد ويويده انه غير منون في مصحف ابن مسعود وقيل اصله مصرائيم فعرب **فان لكم ما سالتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة** احيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران النعمة واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على التكلف مخافة ان يضاعف جزيتهم **وباوا بغضب من الله** رجعوا به او صاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل البوء المساواة **ذلك** اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب **بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق** بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر او بالكتب المنزلة كالانجيل والفرقان واية الرجم والتي فيها نعت محمد عليه السلم من التورية وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم

عليهم

وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله **ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** اي جرهم العصيان والتمادي والاعتداء فيه الى الكفر بالايات وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب يودي الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب مودية الى تحري كبارها وقيل كرر الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تاويل ما ذكر او تقدم للاختصار ونظيره في الضمير قول رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق والذي حسن ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتانيثها ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع **ان الذين امنوا** بالسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد صلوات الله عليه المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك الكفرة **والذين هادوا** تهودوا يقال هاد وتهود اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما معرب يهوذا وكانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه السلم **والنصارى** جمع نصران كالندامى والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران او ناصرة فسموا باسمها او من اسسها **والصابئين** قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلم وقيل هم عبدة الملائكة

ذلك

وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبأ اذا خرج وقرأ نافع
وحده بالياء اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا
من سائر الاديان الى دينهم او من الحق الى الباطل من آمن بالله واليوم
الآخر وعمل صالحا من كان منهم في دينه قبل ان نسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ
والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا
ودخل الاسلام دخولا صادقا فلهم اجرهم عند ربهم الذي وعد لهم على
ايمانهم وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين يخاف الكفار من
العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدأ
خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم
والفاء لتضمن المسند اليه معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها في
خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى ان الذين فتنوا
المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم واذ اخذنا ميثاقكم
باتباع موسى والعمل بالتورية ورفعنا فوقكم الطور حتى اعطيتم الميثاق
روي ان موسى عليه السلم لما جاءهم بالتورية فراوا ما فيها من التكاليف
الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل بقلع الطور فظلله فوقهم
حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة
واذكروا ما فيه ادرسوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او
اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين
ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق بالقول المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا

الطور هو الجبل بالسريانية

ارادة ان تتقوا ثم توليتم من بعد ذلك اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه
فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلوات الله عليه
يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين المغبونين بالانهماك
في المعاصي او بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع
الشيء لامتناع غيره فاذا دخل على لا افاد اثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت
غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف
لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف
ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت اللام موطئة للقسم والسبت
مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت واصله القطع امروا
بان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عليه السلم
واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على الساحل
يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك
واخرج خرطومه واذا امسى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول
وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فقلنا
لهم كونوا قردة خاسئين جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار
والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما
مثلوا بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر
لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما
اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة فجعلناها

قدرة

اى المسخة او العقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اى تمنعه ومنه النكل للقيد
لما بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالتهم في زبر
الاولين واشتهرت قصتهم في الاخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما
بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل
ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تاخر منها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل
متق واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة اول هذه القصة قوله
تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلاله
بنوع اخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال
وترك المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل
ابنه بنو اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون
بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله
قالوا أتتخذنا هزوا اى مكان هزؤ او اهله او مهزوا بنا او الهزؤ نفسه لفرط
الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرأ حمزة واسمعيل عن
نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا قال اعوذ
بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزؤ في مثل ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه
ما رمي به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعا
له قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى اى ما حالها وصفتها وكان حقهم ان يقولوا
اي بقرة هي او كيف هي لان ما يسال به عن الجنس غالبا لكنهم لما راوا ما امروا
به على حال لم يوجد بها شى من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم ير

سمعها

مثله قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة ولا فتية فرضت البقرة
فروضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية
ومنه البكرة والباكورة عوان نصف قال نواعم بين ابكار وعون
بين ذلك اى ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف
الا الى متعدد وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة تدل
على ان المراد بها معينة ويلزمه تاخير البيان عن وقت الخطاب ومن
انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت
مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير
الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الراى الثانى ظاهر اللفظ والمروى
عنه عليه السلم لو ذبحوا اى بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على
انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادى وزجرهم عن المراجعة بقوله
فافعلوا ما تؤمرون اى ما تؤمرونه بمعنى من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت
به او امركم بمعنى مأموركم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة
صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة ولذلك يؤكد به فيقال اصفر
فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده الى اللون وهو صفة صفراء لملابسته
بها فضل تاكيد كانه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء
شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر قال الاعشى تلك خيلى
منه وتلك ركابى هن صفر اولادها كالزبيب ولعله عبر بالصفرة عن
السواد لانها من مقدماته او لان سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة

يقال

بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع تسر الناظرين اى تعجبهم والسرور اصله لذة فى القلب
عند حصول نفع او توقعه من السر قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى تكرير للسؤال
الاول واستكشاف زايد وقوله ان البقر تشابه علينا اعتذار عنه اى ان البقر
الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا وقرى ان الباقر وهو اسم
لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء ويشابه بطرح التاء
وادغامها على التذكير والتانيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى
يتشبه ويشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومتشبه ومتشبهة
وانا ان شاء الله لمهتدون الى المراد ذبحها او الى القاتل وفى الحديث لو لم يستثنوا
لما بينت لهم اخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله تعالى
وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة
والكرامية على حدوث الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق قال
انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث اى لم تذلل للكراب
وسقى الحروث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتاكيد
الاولى والفعلان صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرى
لا ذلول بالفتح اى حيث هى كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اى حيث
هو وتسقى من اسقى مسلمة سلمها الله من العيوب او اهلها من العمل او اخلص
لونها من سلم له كذا اذا خلص له لا شية فيها لا لون فيها يخالف لون جلدها
وهى فى الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا اخر قالوا
الآن جئت بالحق اى بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا وقرى الآن على الاستفهام

البقرة م

بالمد م

والآن بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها فيه اختصار و
التقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا يفعلون لتطويلهم
وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة فى ظهور القاتل ولغلاء ثمنها اذ روى
ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم انى استود
عكها لابنى حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها
اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلثة
دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل عليه النفى
قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كساير الافعال ولا ينافى
قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوا لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم
ما قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا
كالمضطر الملجى الى الفعل واذ قتلتم نفسا خطاب الجمع لوجود القتل فيهم
فادارأتم فيها اختصمتم فى شانها اذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم
بان طرح قتلها كل عن نفسه الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التاء فى
الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة
واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال
ماضية فقلنا اضربوه عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس و
التذكير على تاويل الشخص او القتيل ببعضها اى بعض كان وقيل باصغريها
وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب كذلك
يحيى الله الموتى يدل على ما حذف وهو فضربوه فحيى والخطاب مع من حضر

رجاء او م

انقطعت

حيوة القتيل او تروا الاية ويريكم آياته دلايله على كمال قدرته لعلكم تعقلون
لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها
او تعملون على قضيته ولعله تعالى انما لم يحيه ابتدأ وشرط فيها ما شرط لما
فيه من التقرب واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة
على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن
ويغالي بثمنه كما روي عن عمر رضي انه ضحى بنجيبة بثلث مائة دينار وان المؤثر في
الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لا اثر لها وان من اراد ان يعرف
اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه
التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبى ولم يلحقها ضعف الكبر
وكان معجبة رايقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا شية
بها من مقابحها بحيث يصل اثره الى نفسه فتحيى حيوة طيبة وتعرب عما به
ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارؤ والنزاع ثم قست قلوبكم
القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب مثل في
نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة من بعد ذلك يعني احياء القتيل او
جميع ما عدد من الايات فانها مما توجب لين القلب فهي كالحجارة في قسوتها
او اشد قسوة منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة او زايدة عليها او انها مثلها
او مثل اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم مقامه ويعضده قراءة
الجر بالفتح عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة والدلالة
على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد

بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها وان من الحجارة لما
يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله تعليل للتفضيل
والمعنى ان الحجارة تتاثر وتنفعل فان منها ما تتشقق فينبع منه الماء وتنفجر
منها الانهار ومنها ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا لما اراد الله به وقلوب
هولاء لا تتاثر ولا تنفعل عن امره والتفجر التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز
عن الانقياد وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة ويلزمها اللام الفارقة
بينها وبين النافية ويهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون وعيد على ذلك وقرأ
ابن كثير بالياء ضما الى ما بعده ان يومنوا او يعلمون والباقون بالتاء افتطمعون
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يصدقوكم او
يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون
كلام الله يعني التورية ثم يحرفونه كنعت محمد صلوات الله عليه واية الرجم او
تاويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هولاء من السبعين المختارين سمعوا
كلام الله حين كلم موسى بالطور ثم قالوا سمعنا الله يقول في اخره ان استطعتم
ان تفعلوا هذه الاشيا فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه اي
فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون مبطلون
ومعنى الاية ان اخبار هولاء ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما طمعك
بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا
الذين آمنوا يعني منافقيهم قالوا آمنا بانكم على الحق وان رسولكم هو المبشر به في
التورية واذا خلا بعضهم الى بعض اي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق قالوا

ونافع ويعقوب وخلف وحماد وابو بكر م

بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التوراة من نعت محمد او الذين نافقوا لاعقاب
اظهارا للتصلب في اليهودية ومنعا لهم عن ابداء ما وجدوا في كتابهم
فينافقون الفريقين فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثاني انكار
ونهي ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم
بكتاب الله وحكمه وقيل عند ذكر ربكم او بما عند ربكم في القيامة وفيه نظر
اذ الاخفاء لا يدفعها افلا تعقلون اما من تمام كلام اللائمين وتقديره افلا تعقلون
انهم يحاجونكم به فيحجونكم او خطاب من الله للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون
والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم اولا يعلمون يعني هولاء
المنافقين او اللائمين او كليهما او اياهم والمحرفين ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون
ومن جملتها اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار
غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب
جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها او التوراة
الا اماني استثناء منقطع والاماني جمع امنية وهي في الاصل ما يقدره
الانسان في نفسه من منى اذا قدر ولذلك يطلق على الكذب وعلى ما يتمنى
وما يقرأ والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرفين
او مواعيد فارغة سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا
وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا ما يقرؤن قراءة عارية
عن معرفة المعنى وتدبره من قوله تمنى كتاب الله اول ليله تمني داود الزبور
على رسل وهو لا يناسب وصفهم بانهم اميون وان هم الا ما هم الا قوم

صلى الله عليه وسلم م

ليحتجوا
محاجة عنده كما يقال عند الله تعالى كذا ويراد به انه في كتابه وحكمه م

يظنون لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل رأي واعتقاد من غير
قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق لشبهة فويل
اي تحسر وهلك ومن قال انه واد او جبل في جهنم فمعناه ان فيها موضعا
يتبوأ فيها من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وفي الاصل مصدر
لا فعل له وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء للذين يكتبون الكتاب
يعني المحرف ولعله اراد به ما كتبوه من التاويلات الزائغة بايديهم
تاكيد كقولك كتبته بيميني ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا
كي يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه
من العقاب الدائم فويل لهم مما كتبت ايديهم يعني المحرف وويل لهم مما يكسبون
يريد به الرشى وقالوا لن تمسنا النار المس اتصال الشيء بالبشرة بحيث تتاثر الحاسة
به واللمس كالطلب له ولذلك يقال المسه فلا اجده الا اياما معدودة
محصورة قليلة روي ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام عبادة العجل
اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب
مكان كل الف سنة يوما قل اتخذتم عند الله عهدا خبرا او وعدا بما تزعمون وقرا
ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون بادغامه فلن يخلف الله عهده جواب
شرط مقدر اي ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على
ان الخلف في خبره محال ام تقولون على الله ما لا تعلمون ام معادلة لهمزة
الاستفهام بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما او
منقطعة بمعنى بل اتقولون على التقرير والتقريع بلى اثبات لما نفوه من

هو م

مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه اعم ليكون كالبرهان
على بطلان قولهم ويختص بجواب النفي من كسب سيئة قبيحة والفرق بينها
وبين الخطيئة انها قد يقال فيما يقصد بالذات والخطيئة يقصد بالعرض
لانه من الخطا والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة قوله
فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به خطيئته اى استولت عليه وشملت جملة احواله
حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شئ من جوانبه وهذا انما يصح فى شان
الكافر لان غيره ان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط
الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا
ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر
منه حتى تستولى عليه الذنوب وتاخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا
الى المعاصى مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها
مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ان كذبوا
بايات الله وقرا نافع خطيئاته وقرئ خطيته وخطياته على القلب والادغام
فيهما فاولئك اصحاب النار ملازموها فى الاخرة كما انهم ملازمون اسبابها
فى الدنيا هم فيها خالدون دائمون او لابثون لبثا طويلا والاية كما ترى
لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التى قبلها والذين امنوا وعملوا
الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت عادته سبحانه على
ان يشفع وعده بوعيده ليرجى رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل على الايمان
يدل على خروجه عن مسماه واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله اخبار

تغلب فيما م

فى معنى النهى كقوله لا يضار كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهى لما فيه
من ايهام ان المنهى سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا
وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما
حذف ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى ويدل عليه قراءة ان
لا تعبدوا فيكون بدلا عن الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب
قسم دل عليه المعنى كانه قال حلفناهم لا تعبدون وقرا نافع وابن عامر
وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء
لانهم غيب وبالوالدين احسانا متعلق بمضمر تقديره وتحسنون او احسنوا
وذى القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كنديم
وندامى وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه وقولوا للناس
حسنا اى قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة وقرئ حسنا بضمتين وهو
لغة اهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق
وارشاد واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يريد بهما ما عليهم فى ملتهم ثم توليتم
على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم فى عهد الرسول
ومن قبلهم على التغليب اى اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم يريد
من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم وانتم معرضون قوم
عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة
الى جهة العرض واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم
على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء عن

تعالى م

فرض م

الوطن وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا او لانه
يوجبه قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من
دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل في الحقيقة
ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي ثم اقررتم
بالميثاق واعترفتم بلزومه وانتم تشهدون توكيد كقولك اقر
فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار
اسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا ثم انتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه
بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه وانتم هؤلاء خبره على معنى انتم بعد
ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت ذلك الرجل الذي فعل كذا نزل تغير
الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار
ما سيحكى عنهم غيبا وقوله تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم
اما حال والعامل فيها معنى الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تاكيد
والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلته والمجموع هو الخبر وقرئ
تقتلون على التكثير تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان حال من فاعل تخرجون
او من مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون من الظهر وقرأ عاصم والكسائي وحمزة
بحذف احدى التائين وقرئ باظهارهما وتظهرون بمعنى تتظهرون
وان ياتوكم اسارى تفادوهم روى ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير
حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار
واجلاء اهلها واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه ان

مبتدأ

قريظة

ياتوكم اسارى في ايدي الشياطين تتصدون لانقاذهم بالارشاد والوعظ
مع تضييعكم انفسكم كقوله تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم
وقرأ حمزة اسرى وهو جمع اسير كجريح وجرحى واسارى جمعه كسكرى
وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير وكانه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرأ
ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم وهو محرم عليكم اخراجهم متعلق
بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشان
او مبهم ويفسره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم
تاكيد وبيان افتؤمنون ببعض الكتاب يعني الفدا وتكفرون ببعض يعني
حرمة المقاتلة والاجلاء فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا
كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم واصل الخزي
ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل في كل منهما ويوم القيمة يردون الى اشد
العذاب لان عصيانهم اشد وما الله بغافل عما تعملون تاكيد للوعيد اي الله سبحانه
بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرأ عاصم في رواية المفضل تردون على الخطاب
لقوله منكم وابن كثير ونافع وعاصم في رواية ابي بكر ويعقوب يعملون على ان الضمير
لمن اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة آثروا الحيوة الدنيا على الاخرة فلا يخفف
عنهم العذاب بنقص الجزية في الدنيا والتعذيب في الاخرة ولا هم ينصرون
بدفعهما عنهم ولقد آتينا موسى الكتاب التورية وقفينا من بعده بالرسل اي ارسلنا
على اثره الرسل لقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه به اتبعه
من القفا نحو ذنبه من الذنب وآتينا عيسى ابن مريم البينات المعجزات الواضحات كاحياء

الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالعبرية
ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال قال
رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه قويناه
وقرئ آيدناه بروح القدس بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق واراد
به جبريل او روح عيسى ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته على
الله ولذلك اضافها الى نفسه او لانه لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث
او الانجيل او اسم الله الاعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرأ ابن كثير القدس بالاسكان
في جميع القران افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوي بالكسر
هوى اذا احب وهوى بالفتح هويا بالضم سقط ووسطت الهمزة بين الفاء
وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا وتعجيبا من شانهم ويحتمل ان يكون
استئنافا والفاء للعطف على مقدر استكبرتم عن الايمان واتباع الرسل ففريقا
كذبتم كموسى وعيسى والفاء للسببية او التفصيل وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى
وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها في النفوس فان
الامر فظيع ومراعاة للفواصل او للدلالة على انكم بعد فيه فانكم حولتم قتل محمد
لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقالوا قلوبنا غلف مغشاة
باغطية خلقية لا يصل اليها ما جئت به ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن
وقيل اصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى انها اوعية العلم لا تسمع علما الا وعته
ولا تعي ما تقول او نحن مستغنون بما فيها عن غيره بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا
والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فابطل

عليه الصلوة والسلام م

عليه الصلوة والسلام م

وبعده

استعدادهم او انها لم تأب قبول ما تقول لخلل فيه لكن الله خذلهم بكفرهم
كما قال تعالى فاصمهم واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم
دعوى العلم والاستغناء عنك فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون
وما مزيدة للمبالغة في القلة وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة
العدم ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني القران مصدق لما معهم من كتابهم
وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصصه بالوصف وجواب لما محذوف
دل عليه جواب لما الثانية وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اي
يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت
في التورية او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب
زمانه والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل يسأل ذلك عن نفسه فلما
جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة الله على
الكافرين اي عليهم واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فيكون اللام
للعهد ويجوز ان يكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم
بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا
صفته ومعناه باعوا او شروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من
العقاب بما فعلوا ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص بالذم بغيا طلبا لما
ليس لهم وحسدا وهو علة يكفروا دون اشتروا للفصل ان ينزل الله لان
ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله من فضله يعني الوحي على من يشاء من عباده
على من اختاره للرسالة فباءوا بغضب على غضب للكفر والحسد على من هو افضل

بل م

انهم م

او حسدوه

الخلق وقيل لكفرهم بمحمد بعد عيسى او بعد قولهم عزير ابن الله وللكافرين
عذاب مهين يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصي فانه طهرة لذنوبه واذا
قيل لهم آمنوا بما انزل الله يعم الكتب المنزلة باسرها قالوا نؤمن بما انزل علينا
اي بالتورية ويكفرون بما وراءه حال من الضمير في قالوا ووراء في الاصل مصدر
جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول
فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد وهو الحق الضمير لما
وراءه والمراد به القرآن مصدقا لما معهم حال مؤكدة تتضمن رد مقالهم فانهم
لما كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل
ان كنتم مؤمنين اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان بالتورية والتورية
لا تسوغه وانما اسنده اليهم لانه فعل ابائهم وانهم راضون به عازمون عليه
ولقد جاءكم موسى بالبينات يعني الايات التسع المذكورة في قوله ولقد آتينا
موسى تسع آيات بينات ثم اتخذتم العجل اي الها من بعده بعد مجيء موسى او
ذهابه الى الطور وانتم ظالمون حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته
او بالاخلال بايات الله او اعتراض بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم ومساق
الاية ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع
الرسول طريقة اسلافهم مع موسى عليهما السلام لا لتكرير القصة وكذا
ما بعدها واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا
اي قلنا لهم خذوا ما امرتم به في التورية بجد واسمعوا سماع طاعة قالوا سمعنا
قولك وعصينا امرك واشربوا في قلوبهم العجل تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم

صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن
وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا بكفرهم
بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب
منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري قل بئسما يامركم به ايمانكم اي بالتورية
والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر او ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة
في الايات الثلث الزاما عليهم ان كنتم مؤمنين تقرير للقدح في دعواهم
الايمان بالتورية وتقديره ان كنتم مؤمنين بها ما امركم بهذه القبائح ورخص
لكم ايمانكم بها او ان كنتم مؤمنين بها فبئسما امركم به ايمانكم بها لان المؤمن ينبغي
ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يامر به فاذا لستم بمؤمنين
قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة
الا من كان هودا او نصارى ونصبها على الحال من الدار من دون الناس سائرهم او المسلمين
واللام للعهد فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها
واحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال علي رضي الله عنه لا ابالي
سقطت على الموت او سقط الموت علي وقال عمار بصفين الان الاقي
الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح من
ندم اي على التمني سيما اذا علم انها سالمة له لا يشاركه فيها غيره ولن يتمنوه
ابدا بما قدمت ايديهم من موجبات النار كالكفر بمحمد والقرآن وتحريف
التورية ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان آلة لقدرته بها عامة
صنائعه ومنها اكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة اخرى وهذه

فيه م

او نصارى م

عليه الصلوة والسلام م

الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا لنقل واشتهر فان التمنى
ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت كذا ولو كان بالقلب
لقالوا تمنينا وعن النبى صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان
بريقه فمات مكانه وما بقى على وجه الارض يهودى والله عليم بالظالمين
تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون فى دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم
ولتجدنهم احرص الناس على حيوة من وجد بعقل الجارى مجرى علم ومفعولاه
هم واحرص وتنكير حيوة لانه اريد فرد من افرادها وهى الحيوة المتطاولة وقرى
باللام ومن الذين اشركوا محمول على المعنى فكانه قال احرص من الناس ومن
الذين اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا
الا الحيوة العاجلة والزيادة فى التوبيخ والتقريع فانهم لما زاد حرصهم وهم
مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صائرون الى
النار ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه
وان يكون خبر مبتدا محذوف صفته يود احدهم على انه اريد بالذين اشركوا
اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اى ومنهم ناس يود احدهم وهو على الاول
بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف لو يعمر الف سنة حكاية لودادتهم
ولو بمعنى ليت وكان اصله لو اعمر فاجرى على الغيبة لقوله يود كقولك حلف
بالله ليفعلن وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر الضمير لاحدهم وان يعمر
فاعل مزحزحه اى وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره او لما دل عليه يعمر
وان يعمر بدل منه او مبهم وان يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم سنوات

منه

وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون
والزحزحة التبعيد والله بصير بما يعملون فيجازيهم قل من كان عدوا لجبريل
نزل فى عبد الله بن صوريا سال رسول الله عليه السلام عمن ينزل عليه
فقال ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس
سيخربه بختنصر فبعثنا من يقتله فراه ببابل فدفع عنه جبريل وقال ان كان
ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر مدراس
اليهود يوما فسالهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا
وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال
وما منزلتهما من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة
فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدو
احدهما فهو عدو الله ثم رجع فوجد جبريل قد سبقه بالوحى فقال عليه
السلام لقد وافقك ربك يا عمر وفى جبريل ثمان لغات قرى بهن اربع
فى المشهورة جبرئيل كسلسبيل قراة حمزة والكسائى وجبريل بكسر الراء و
حذف الهمزة قراة ابن كثير وجبرئل كجحمرش قراة عاصم جبريل كقنديل
قراة الباقين واربع فى الشواذ جبرال وجبرايل وجبرين ومنع صرفه
للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله فانه نزله البارز الاول لجبريل والثانى
للقران واضماره غير مذكور يدل على فخامة شانه كانه لتعينه وفرط شهرته
لم يحتج الى سبق ذكره على قلبك فانه القابل الاول للوحى ومحل الفهم والحفظ
وكان حقه على قلبى لكنه جاء على حكاية كلام الله كانه قال قل ما تكلمت به باذن الله

جبرئيل فقال

عمر

بزو

وجبرائل

بامره او تيسيره حال من فاعل نزله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين
احوال من مفعوله والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى من عادى منهم
جبريل فقد خلع ربقة الانصاف او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لتنزيله
عليك بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم
علته مقامه او من عاداه فالسبب في عداوته انه نزل عليك وقيل محذوف مثل
فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدوه كما قال من كان عدوا لله وملائكته ورسله
وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين اراد بعداوة الله مخالفته عنادا او معاداة
المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره تفخيما لشانهم كقوله والله ورسوله
احق ان يرضوه وافرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس آخر والتنبيه
على ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى
وان من عادى احدهم فكانه عادى الجميع اذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة
واحد ولان المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انه
تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر وقرأ نافع ميكائل كميكاعل
وابو عمرو ويعقوب وعاصم ميكال كميعاد وقرئ ميكئل وميكئيل وميكائيل
ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون اي المتمردون من
الكفرة والفسق اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على اعظمه كانه متجاوز عن
حده نزل في ابن صوريا حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء
نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك اوكلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار
والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو

على ان التقدير الا الذين فسقوا او كلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا نبذه فريق
منهم نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم
لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون او ان من لم ينبذ
جهارا فهم يؤمنون به خفاء ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم كعيسى
ومحمد نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله يعني التوراة لان كفرهم بالرسول
المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين
بالآيات وقيل ما مع الرسول هو القرآن وراء ظهورهم مثل لاعراضهم عنه
رأسا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه كانهم لا يعلمون انه
كتاب الله يعني ان علمهم به رصين ولكن يتجاهلون عنادا واعلم انه تعالى دل بالآيتين
على ان جل اليهود اربع فرق فرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب
وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ
عهودها وتخطي حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذ فريق منهم
وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا
بها ظاهرا ونبذوها حقيقة عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون
واتبعوا ما تتلو الشياطين عطف على نبذ اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر
التي تقرؤها او تتبعها الشياطين من الجن او الانس او منهما على ملك سليمان اي
عهده وتتلو حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب
ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس وفشا ذلك في عهد سليمان
حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وان ملك سليمان تم بهذا العلم وانه تسخر به الانس والجن

خفية

والربح له وما كفر سليمان تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر
وان من كان نبيا كان معصوما عنه ولكن الشياطين كفروا باستعماله يعلمون الناس
السحر اغواء واضلالا والجملة حال عن الضمير والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله
بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه
في الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز
الساحر عن النبي والولي واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة
الالات والادوية او يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز
او لما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه وما انزل على الملكين عطف على السحر
والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او لانه نوع اقوى منه او على ما تتلو
وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة
وما روي انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامراة يقال لها زهرة
فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكي
عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لا يخفى على ذوي البصائر وقيل رجلان
سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفي
معطوف على ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة ببابل ظرف او حال من الملكين
او الضمير في انزل والمشهور انه بلد من سواد الكوفة هاروت وماروت عطف
بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى
الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض
وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن

وقراء ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين م

بالكسر

فتنة فلا تكفر فمعناه على الاول وما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما نحن
ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا
تكفر باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه
غير محظور وانما المنع من اتباعه والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا
انا مفتونان فلا تكن مثلنا فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون
به بين المرء وزوجه اي من السحر ما يكون سبب تفريقهما وما هم بضارين به من
احد الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى
وجعله وقرئ بضاري على الاضافة الى احد وجعل الجار جزءا منه والفصل
بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل ولان العلم يجر الى
العمل غالبا ولا ينفعهم اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع في الدارين وفيه ان
التحرز عنه اولى ولقد علموا اي اليهود لمن اشتراه اي استبدل ما تتلو الشياطين
بكتاب الله والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل ما له في
الاخرة من خلاق نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم يحتمل المعنيين على ما مر
لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على التعيين او حقيقة ما يتبعه
من العذاب والمثبت لهم اولا على التوكيد القسمي العقل الغريزي او العلم
الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم
فان من لم يعمل بما علم هو كمن لم يعلم ولو انهم امنوا بالرسول والكتاب واتقوا
بترك المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع السحر لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله
لاثيبوا مثوبة من الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي جملة

دليله م

اولا

اسمية لتدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا
للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشيء من الثواب خير وقيل
لو للتمني ولمثوبة كلام مبتدا وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا
ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير جهلهم
لترك التدبر او العمل بالعلم يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا
الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون لرسول الله راعنا اي راقبنا
وتأن بنا فيما تلقننا حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين
نسبته الى الرعن او سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا
فنهي المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو
انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار
اي امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي
قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعينا وتسبب للسب
واسمعوا واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة او واسمعوا
سماع قبول لا كسماع اليهود او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى
ما نهيتم عنه وللكافرين عذاب اليم يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبوه ما يود
الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون
مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشيء مع تمنيه
ولذلك يستعمل في كل منهما ومن للتبيين كما في قوله لم يكن الذين كفروا من
اهل الكتاب والمشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يود ومن الاولى مزيدة

الهوج الحماقة

للاستغراق والثالثة للابتداء وفسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم
به وما يحبون ان ينزل عليكم شيء منه وبالعلم وبالنصرة ولعل المراد به ما يعم ذلك
والله يختص برحمته من يشاء يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه
شيء وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة من الفضل
وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته
ما ننسخ من آية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد
يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة
عن الشيء واثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس ومنه التناسخ ثم استعمل لكل
واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الآية بيان
انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها
اذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرا
ابن عامر ننسخ من انسخ اي نامرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن
كثير وابو عمرو ننساها اي نؤخرها من النساء وقرئ ننسها اي ننس احدا
اياها وتنسها اي انت وتنسها على البناء للمفعول وننسكها باظهار المفعولين
نات بخير منها او مثلها اي بما هو خير للعباد في النفع والثواب او مثلها في
الثواب وقرا ابو عمرو بقلب الهمزة الفا الم تعلم ان الله على كل شيء قدير فيقدر
على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير منه والآية دلت على جواز النسخ و
تاخير الانزال اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور المحتملة وذلك
لان الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا

من الله ورحمته وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش
فان النافع في عصر قد يضر في غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل او ببدل
اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو المأتي به بدلا والسنة ليست
كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم والاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره
والسنة مما اتى به الله وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ و
المعتزلة على حدوث القران فان التغير والتفاوت من لوازمه واجيب بانهما
من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديم ألم تعلم الخطاب
للنبي والمراد هو وامته لقوله وما لكم وانما افرده لانه اعلمهم ومبدأ علمهم أن
الله له ملك السموات والارض يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على
قوله ان الله على كل شيء قدير وعلى جواز النسخ ولذلك ترك العاطف وما
لكم من دون الله من ولي ولا نصير وانما هو الذي يملك اموركم ويجريها على
ما يصلحكم والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير
قد يكون اجنبيا عن المنصور أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من
قبل ام معادلة للهمزة في ألم تعلم اي ألم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء
كلها يأمر وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود
على موسى او منقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل
نزلت في اهل الكتاب حين سألوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل في
المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ومن يتبدل
الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ومن ترك الثقة بالايات البينة وشك

فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الايمان
ومعنى الاية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤدي بكم الضلال الى
البعد عن المقصد وتبديل الكفر بالايمان وقرئ يبدل من ابدل ود كثير
من اهل الكتاب يعني احبارهم لو يردونكم ان يردوكم فان لو تنوب عن ان
في المعنى دون اللفظ من بعد ايمانكم كفارا مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين
حسدا علة ود من عند انفسهم يجوز ان يتعلق بود اي تمنوا ذلك من عند
انفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق او بحسدا اي حسدا
بالغا منبعثا من اصل نفوسهم من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات والنعوت
المذكورة في التورية فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك
تثريبه حتى يأتي الله بامره الذي هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل
بني قريظة واجلاء بني النضير وعن ابن عباس انه منسوخ باية السيف وفيه نظر اذ
الامر غير مطلق ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة
واتوا الزكوة عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر والمخالفة والالتجاء الى الله
بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم من خير كصلاة او صدقة وقرئ تقدموا
من اقدم تجدوه عند الله اي ثوابه ان الله بما تعملون بصير لا يضيع عنده عمل عامل
وقرئ بالياء فيكون وعيدا وقالوا عطف على ود والضمير لاهل الكتاب
من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لف بين قولي
الفريقين كما في قوله وقالوا كونوا هودا او نصارى ثقة بفهم السامع وهود
جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ

والمعنى تلك امانيهم اشارة الى الامانى المذكورة وهى ان لا ينزل على المؤمنين خير من
ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما فى الاية على حذف المضاف
اى امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض والامنية افعولة من التمنى كا
لاضحوكة والاعجوبة قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين
فى دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم
الجنة من اسلم وجهه لله اخلص نفسه او قصده واصله العضو وهو محسن فى عمله
فله اجره الذى وعده له على عمله عند ربه ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص
والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها
معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من
اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
فى الاخرة وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود
على شيء اى امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه
وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك وهم يتلون الكتاب
الواو للحال والكتاب للجنس اى قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب كذلك
مثل ذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم
على المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا
الدينين بعد النسخ ليس بشيء قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد به كل فريق
ابطال دين الاخر من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ان ما لم ينسخ منهما حق واجب
القبول والعمل به فالله يحكم بينهم بين الفريقين يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون

بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم
النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله عام لكل من خرب مسجدا او سعى فى تعطيل
مكان مرشح للصلوة وان نزل فى الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا
اهله او المشركين لما منعوا رسول الله ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية
ان يذكر فيها اسمه ثانى مفعولى منع وسعى فى خرابها بالهدم او التعطيل اولئك
اى المانعون ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين ما كان ينبغى لهم ان يدخلوها
الا بخشية وخشوع فضلا ان يجترؤا على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها
الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان لهم
فى علم الله وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم
وقد انجز وعده وقيل معناه النهى عن تمكينهم من الدخول فى المسجد واختلفت
الائمة فيه فجوزه ابو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعى بين المسجد الحرام
وغيره لهم فى الدنيا خزى قتل وسبى او ذلة بضرب الجزية ولهم فى الاخرة عذاب
عظيم بكفرهم وظلمهم ولله المشرق والمغرب يريد بهما ناحيتى الارض اى له
الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان فان منعتم ان تصلوا فى المسجد الحرام
او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا فاينما تولوا ففى اى مكان فعلتم التولية
شطر القبلة فثم وجه الله اى جهته التى امر بها فان امكان التولية لا يختص
بمسجد او مكان او فثم ذاته اى عالم مطلع بما يفعل فيه ان الله واسع باحاطته
بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم فى الاماكن
كلها وعن ابن عمر انها نزلت فى صلوة المسافر على الراحلة وقيل فى قوم عميت

الوجه

عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطأهم وعلى هذا
لو اخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لنسخ
القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون في حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا
نزلت لما قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب
الملائكة بنات الله وعطفه على قالت اليهود او منعوا او مفهوم قوله ومن اظلم
وقرأ ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي التشبيه والحاجة
وسرعة الفناء الا ترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت باقية
ما دام العالم لم تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او
طبعا بل له ما في السموات والارض رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى
انه خالق ما في السموات والارض الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له
قانتون منقادون لا يمتنعون على مشيئته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة
لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لان من حق الولد ان يجانس
والده وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون على تغليب اولي العلم
تحقيرا لشانهم وتنوين كل عوض عن المضاف اليه اي كل ما فيهما ويجوز ان يراد
كل من جعلوه الها له مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة
الحجة والآية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلثة اوجه واحتج بها الفقهاء على
ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضي
تنافيهما بديع السموات والارض مبدعهما ونظيره السميع في قوله امن ريحانة
الداعي السميع او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة

قالت م

وتقريرها ان الولد عنصر الوالد المنفصل بانفصال مادته عنه والله سبحانه
مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا
والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق بهذا الموضع الذي هو تركيب
الصورة بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغير وفي زمان غالبا وقرئ بديع
مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح واذا قضى امرا اي اراد
شيئا والقضاء اتمام الشيء قولا كقوله وقضى ربك او فعلا كقوله فقضاهن
سبع سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه
يوجبه فانما يقول له كن فيكون من كان التامة اي احدث فيحدث وليس المراد
به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة
المأمور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة خامسة
وهو ان اتخاذ الولد يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغني عن ذلك
وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب واعلم ان السبب في هذه الضلالة ان ارباب
الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله باعتبار انه السبب الاول حتى
قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه هو الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة
منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع
منه مطلقا حسما لمادة الفساد وقال الذين لا يعلمون اي جهلة المشركين او
المتجاهلون من اهل الكتاب لولا يكلمنا هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة او يوحي
الينا بانك رسوله او تأتينا آية حجة على صدقك والاول استكبار والثاني
جحود لان ما اتاهم آيات استهانة به وعنادا كذلك قال الذين من قبلهم

من الصنع م

الله م

الامم الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة
من السماء تشابهت قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم فى العمى والعناد وقرى
بتشديد الشين قد بينا الآيات لقوم يوقنون اى يطلبون اليقين او يوقنون
الحقايق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء فى
الآيات او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا انا ارسلناك بالحق
ملتبسا مؤيدا به بشيرا ونذيرا فلا عليك ان اصروا او كابروا ولا تسئل عن اصحاب
الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرأ نافع ويعقوب ولا تسأل على انه نهى كأنه
عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكافر كأنها لفظاعتها لا تقدر ان
تخبر عنها او السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم
المتأجج من النار ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة
فى اقناط الرسول عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم فكيف
يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم ولذلك قال قل تعليما للجواب
ان هدى الله هو الهدى اى هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى الى الحق
لا ما تدعون اليه ولئن اتبعت اهواءهم آراءهم الزائغة والملة ما شرعه الله
لعباده على لسان انبيائه من امللت الكتاب اذا امليته والهوى رأى يتبع الشهوة
بعد الذى جاءك من العلم اى الوحى او الدين المعلوم صحته ما لك من الله من ولى
ولا نصير يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن الذين آتيناهم الكتاب يريد به
مؤمنى اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر فى
معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر على ان المراد بالمو

مؤمنوا اهل الكتاب اولئك يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به بالتحريف
والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بنى
اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا
تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون
لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف
عن الساعة واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة فى النصح وايذانا
بانه فذلكة القضية والمقصود من القصة واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات كلفه
باوامر ونواه والابتلاء فى الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما
استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما والضمير
لابرهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تأخر رتبة لان الشرط احد التقدمين و
الكلمات قد يطلق على المعانى فلذلك فسرت بالخصال الثلثين المحمودة المذكورة
فى قوله التائبون العابدون وقوله ان المسلمين الى آخر الآيتين وقوله قد
افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون كما فسرت بها فى قوله فتلقى آدم
من ربه كلمات وبالعشر التى هى من سننه وبمناسك الحج وبالكوكب والقمرين
وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عامله معاملة المختبر بهن وبما تضمنه
الآيات التى بعدها وقرى ابرهيم ربه على انه دعا ربه بكلمات مثل ارنى كيف
تحيى الموتى اجعل هذا البلد آمنا ليرى هل يجيبه وقرأ ابن عامر ابراهام فاتمهن فادى
كلهن وقام بهن حق القيام لقوله وابرهيم الذى وفى وفى القراءة الاخيرة الضمير
لربه اى اعطاه جميع ما دعاه قال انى جاعلك للناس اماما استيناف ان اضمرت

ناصب اذ كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله
ابتلى فيكون الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده
والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من
جعل الذي له مفعولان والامام اسم من يؤتم به وامامته عامة مؤبدة اذ لم
يبعث بعده نبي الا من كان من ذريته مأمورا باتباعه قال ومن ذريتي عطف
على الكاف اي وبعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب سأكرمك والذرية
نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت راؤها الثالثة ياء كما في تقضيت من الذر بمعنى
التفريق او فعولة او فعيلة قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذرتي
بالكسر وهي لغة قال لا ينال عهدي الظالمين اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد
يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها امانة من الله وعهد والظالم لا يصلح
لها وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر
قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد
اذ كل ما نالك فقد نلته واذ جعلنا البيت اي الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا
مثابة للناس مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار او امثالهم او موضع ثواب
يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة كل احد وامنا وموضع
امن لا يتعرض لاهله لقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم او يأمن
حاجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يؤاخذ الجاني الملتجئ
حتى يخرج وهو مذهب ابي حنيفة واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى على ارادة
القول او عطف على المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره

يا ء م
يا ء م
لانها امانة م
اليه م

ثوبوا اليه واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد عليه السلام وهو امر استحباب
ومقام ابرهيم الحجر الذي فيه اثر قدمه والموضع الذي كان فيه حين قام
عليه ودعى الناس الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روي
انه عليه السلام اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى
فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي
الطواف لما روى جابر انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابرهيم
فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وللشافعي في وجوبهما
قولان وقيل مقام ابرهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى
فيها ويتقرب الى الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا
على جعلنا اي واتخذ الناس المقام الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها
وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل امرناهما ان طهرا بيتي بان طهرا ويجوز ان تكون
مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس وما لا يليق
به او اخلصاه للطائفين حوله والعاكفين المقيمين عنده او المعتكفين فيه
والركع السجود اي المصلين جمع راكع وساجد واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا
يريد البلد او المكان بلدا آمنا ذا امن كقوله في عيشة راضية او آمنا اهله
كقولك ليل نائم وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر
ابدل من آمن من اهله بدل البعض للتخصيص قال ومن كفر عطف على من آمن والمعنى
وارزق من كفر قاس ابرهيم الرزق على الامامة فنبه سبحانه على ان الرزق رحمة
دنيوية يعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين او مبتدأ تضمن

الحجر م
من م

معنى الشرط فأمتعه قليلا خبره والكفر وان لم يكن سبب التمتع ولكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم اضطره الى عذاب النار اى الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف وقرى بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابرهيم وفى قال ضميره وقرا ابن عامر فامتعه من امتع وقرى فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة واطره بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهى الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها سافات البناء فان كل ساف قاعدة ما يوضع فوقه ويرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفى ابهام القواعد وتبيينها تفخيم شانها واسمعيل كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل فى البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان فى طرفين او على التناوب ربنا تقبل منا اى يقولان ربنا وقد قرى به والجملة حال منهما انك انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة فى الاخلاص والاذعان او الثبات عليه وقرى مسلمين على ان المراد انفسهما وهاجر او ان التثنية من مراتب

الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اى واجعل بعض ذريتنا وانما خص الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا اصلحوا اصلح بهم الاتباع وخصا بعضهم لما اعلما ان فى ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضى الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلى على الله فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد عليه السلم ويجوز ان يكون من للتبيين كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما فى قوله خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وارنا من راى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يجاوز مفعولين مناسكنا متعبداتنا فى الحج او مذابحنا والنسك فى الاصل غاية العبادة وشاع فى الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرا ابن كثير ويعقوب ارنا قياسا على فخذ فى فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة عن الهمزة الساقطة دليل عليها وتب علينا استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالا هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا وابعث فيهم فى الامة المسلمة رسولا منهم من انفسهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما كما قال عليه الصلوة والسلام انا دعوة ابى ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امى يتلو عليهم آياتك يقراء عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة ويعلمهم الكتاب القران والحكمة ما تكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام ويزكيهم عن الشرك والمعاصى انك انت العزيز الذى لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم المحكم له ومن يرغب عن ملة ابرهيم استبعاد وانكار لان يكون احد يرغب عن ملته الواضحة الغراء اى

لا يرغب احد عن ملته الا من سفه نفسه الا من استمهنها واذلها واستخف
بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في
الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه نفسه على الرفع
نصب على التمييز نحو غبن رأيه والم راسه وقول جرير ونأخذ بعده بذناب
عيش اجب الظهر ليس له سنام او سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض و
المستثنى في محل الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب لانه في معنى النفي
ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين حجة وبيان لذلك
فان من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح
يوم القيمة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه
بالجهل والاعراض عن النظر اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين
ظرف لاصطفيناه وتعليل له او منصوب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك
الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نال ما
نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه واخطر بباله دلائل
المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام روي انه دعا عبد الله بن
سلام ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر ووصى
بها ابرهيم بنيه التوصية هو التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة واصلها
الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل
الموصى والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت على تأويل الكلمة او الجملة
وقرأ نافع وابن عامر اوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابرهيم اي ووصى

هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابرهيم يا بني على اضمار القول
عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه نظيره رجلان
من ضبة اخبرانا انا رأينا رجلا عريانا بالكسر وبنو ابرهيم كانوا اربعة اسمعيل
واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب اثنى عشر
روبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويشسوخر وزبولون ودونى
ونفتوني وكودا واوشير وبنيامين ويوسف ان الله اصطفى لكم الدين
دين الاسلام الذي هو صفوة الاسلام لقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون
ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهي عن ان
يكونوا على تلك الحال اذا ماتوا والامر بالثبات على الاسلام كقولك لا
تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت
لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم ونظيره في الامر مت وانت شهيد
روي ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب
اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت
ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب
الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة بمحذوف
تقديره اكنتم غائبين ام كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم
ذلك وانما علمتموه من الوحي وقرئ حضر بالكسر اذ قال لبنيه بدل من اذ
حضر ما تعبدون من بعدي اي شيء تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد و
الاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسأل به عن كل شيء ما لم يعرف فاذا

اثنا عشر

الاديان م

عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن تعيينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد أفقيه
ام طبيب قالوا نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق المتفق على
وجوده والوهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من اباىه تغليبا للاب
والجد او لانه كالاب لقوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه كما قال في
العباس رضي الله عنه هذا بقية آبائي وقرئ اله ابيك على انه جمع بالواو
والنون كما قال ولما تبين اصواتنا بكين وفديننا بالابينا او مفرد وابرهيم
وحده عطف بيان الها واحدا بدل من اله آبائك كقوله بالناصية ناصية
كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشئ من تكرير المضاف
لتعذر العطف على المجرور والتاكيد او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون
حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا تلك امة قد
خلت يعني ابرهيم ويعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود وسمي بها
الجماعة لان الفرق تؤمها لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله والمعنى
ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم و
اتباعهم كما قال عليه السلام لا ياتيني الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم ولا
تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم
وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا الضمير الغائب لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى
مقالتهم احد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا
نصارى تهتدوا جواب الامر قل بل ملة ابرهيم اي بل تكون ملة ابرهيم اي اهل
ملته او بل نتبع ملة ابرهيم وقرئت بالرفع اي ملته ملتنا او عكسه او نحن ملته بمعنى نحن

او م

يا بني هاشم م

او م

اهل ملته حنيفا مائلا عن الباطل الى الحق حال من المضاف او المضاف اليه كقوله
ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب
وغيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون قولوا آمنا بالله الخطاب للمؤمنين
لقوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به وما انزل الينا القرآن قدم ذكره لانه اول بالاضافة
المناسب للايمان بغيره وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب و
الاسباط الصحف وهي وان نزلت الى ابرهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها
داخلين تحت احكامها فهي ايضا منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا والاسباط
جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب او ابناءه وذراريهم
فانهم حفدة ابرهيم واسحق وما اوتي موسى وعيسى التورية والانجيل افردهما
بالذكر بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع
وقع فيهما وما اوتي النبيون جملة المذكورين منهم وغير المذكورين من ربهم
منزلا عليهم من ربهم لا نفرق بين احد منهم كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض
واحد لوقوعه في سياق النفي عام فساغ ان يضاف اليه بين ونحن له اي لله
مسلمون مذعنون مخلصون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا من باب
التعجيز والتبكيت كقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما آمن به المسلمون
ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء للآلة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان
بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق او
مزيدة للتاكيد كقوله جزاء سيئة بمثلها والمعنى فان آمنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم
به او المثل مقحم كما في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويشهد

داخلين م

سيئة م

د قراءة من قرا بما امنتم به او بالذي امنتم به **وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ** اي
ان اعرضوا عن الايمان او عما يقولون لهم فما هم الا في شقاق الحق وهي المناواة
والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين في شق غير شق الاخر **فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ**
تسلية وتسكين للمومنين ووعد لهم بالحفظ والنصرة على من ناواهم **وَهُوَ السَّمِيعُ**
الْعَلِيمُ اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم
لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم
عليه **صِبْغَةَ اللَّهِ** اي صبغنا الله صبغته وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها
فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته وارشدنا حجته
او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ
على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة
فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون
هو تطهير لهم وبه يحق نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر مؤكد لقوله آمنا
وقيل على البدل من ملة ابرهيم عليه السلام وقيل نصب على الاغراء **وَمَنْ أَحْسَنُ**
مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً لا صبغة احسن من صبغته **وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ** تعريض بهم اي
لا نشرك به كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضي دخول قوله صبغة الله
في مفعول قولوا ولمن نصبها على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا
على الزموا او اتبعوا ملة ابرهيم وقولوا آمنا بدل اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم
وسوء الترتيب **قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا** اتجادلوننا **فِي اللَّهِ** في شانه واصطفائه نبيا من العرب
دونكم روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت

وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده
وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كانه الزمهم على كل مذهب
ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على من يشاء والكل
فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي
بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله في اعطائها فلنا ايضا اعمال
وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ موحدون نخلصه بالايمان والطاعة دونكم **أَمْ يَقُولُونَ**
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى
ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر والكسائي بالتاء يحتمل ان يكون
معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تاتون المحاجة او ادعاء اليهودية
او النصرانية على الانبياء **قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ** وقد نفى الامرين عن ابرهيم بقوله
ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت التورية و
الانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه في الدين وفاقا **وَمَنْ**
أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ يعني شهادة الله لابرهيم بالحنيفية والبراءة
عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه
الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد عم
بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما في قوله براءة من الله **وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ**
عَمَّا تَعْمَلُونَ وعيد لهم وقرئ بالياء **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم**
مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ تكرير للمبالغة في التحذير والزجر
عما استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما

ينتحونه ينتحلونه
الانحاء الاعمال

وحمزة

سبق لهم وفي الاية لنا تحذير عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة في الاول الانبيا
وفي الثاني اسلاف اليهود والنصارى سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ
الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر يريد المنكرين
لتغير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار توطين
النفس واعداد الجواب مَا وَلَّاهُمْ ما صرفهم عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا يعني بيت
المقدس والقبلة في الاصل الحالة التي عليها الانسان من الاستقبال فصارت
عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلوة قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ لا يختص به مكان
دون مكان بخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره
لا بخصوص المكان يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وهو ما ترتضيه الحكمة
وتقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى وَكَذَلِكَ
اشارة الى مفهوم الاية المتقدمة اي كما جعلناكم مهديين الى الصراط المستقيم او
جعلنا قبلتكم افضل القبل جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا اي خيارا او عدولا مزكين
بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم للمكان الذي يستوي اليه المساحة من الجوانب
ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين
الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها
مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التي يوصف
بها واستدل به على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت
به عدالتهم لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا علة
للجعل اي لتعلموا بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وانزل عليكم من الكتاب انه

تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن
الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن الايات
فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روي ان الامم
يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو اعلم
بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد عليه السلام فيشهدون
فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه
الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد عليه السلام فيسال عن حال امته
فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول عليه
السلام كالرقيب المهيمن على امته عدي بعلى وقدمت الصلة للدلالة على
اختصاصهم بكون الرسول عليه السلام شهيدا عليهم وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ
الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا اي الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فانه عليه السلام كان يصلي
اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تالفا لليهود او الصخرة لقول
ابن عباس كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه
فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل امرك
ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ
مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك في الصلوة اليها ممن
يرتد عن دينك الفا لقبلة ابائه او لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه
وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه ما رددناك الى التي كنت
عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه

فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه
باعتبار التعلق الحالى الذى هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا
وقيل ليعلم رسوله والمومنون لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه او ليتميز
الثابت عن المتزلزل كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع
التمييز المسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة
او معلق لما فى من من معنى الاستفهام او مفعوله الثانى ممن ينقلب اى لنعلم من
يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً ان هى المخففة من الثقيلة
واللام هى الفاصلة وقال الكوفيون هى النافية واللام بمعنى الا والضمير لما
دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التى كنت عليها من الجعلة او الردة او التحويلة
او القبلة وقرى لكبيرة بالرفع فيكون كان زائدة إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ الى
حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ اى ثباتكم
على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم اليها لما روى انه عليه السلم
لما وجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا
فنزلت إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم
ولعله قدم الرؤف وهو ابلغ محافظة على الفواصل وقرا الحرميان وابن عامر
وحفص لرؤف بالمد والباقون بالقصر قَدْ نَرَى ربما نرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي
السَّمَاءِ تردد وجهك فى جهة السماء تطلعا للوحى وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقع فى روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم واقدم
القبلتين وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه

حيث انتظر ولم يسأل فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً فلنمكننك من استقبالها من قولك وليته
كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلى جهتها تَرْضَاهَا تحبها وتتشوق اليها لمقاصد
دينية وافقت مشية الله وحكمته فَوَلِّ وَجْهَكَ اصرف وجهك شَطْرَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ نحوه وقيل الشطر فى الاصل لما انفصل عن الشى من شطر اذا انفصل ودار
شطور منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام
المحرم اى محرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر
المسجد دون الكعبة لانه عليه السلم كان فى المدينة والبعيد يكفيه مراعاة
الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب روى انه عليه السلم
قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة فى رجب
بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه فى مسجد بنى سلمة ركعتين
من الظهر فتحول فى الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم
فسمى المسجد مسجد القبلتين وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ خص الرسول
بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة
وتحضيضا للامة على المتابعة وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ
جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم
انه يصلى الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ
وعد ووعيد للفريقين وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ برهان وحجة
على ان الكعبة قبلة واللام موطية للقسم مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ جواب القسم المضمر
ساد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك

لم

وفيه

قرا ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء
م

مكابرة وعنادا وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا
لكنا نرجو ان تكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له وطمعا في رجوعه وقبلتهم
وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وما بعضهم بتابع قبلة
بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم
كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم من
بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض والتقدير اي ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان
لك الحق وجاءك فيه الوحي انك اذا لمن الظالمين اكد تهديده وبالغ فيه من سبعة
اوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى
واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء الذين آتيناهم الكتاب يعني علماءهم
يعرفونه الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان لم يسبق ذكره لدلالة
الكلام عليه وقيل للعلم او القرآن او التحويل كما يعرفون ابناءهم يشهد
للاول اي يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر
انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم
به بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد عليه السلام انه نبي فاما ولدي
فلعل والدته خانت وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص لمن
عاند واستثناء لمن آمن الحق من ربك كلام مستأنف والحق اما مبتدأ خبره من
ربك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول او الحق الذي يكتمونه او للجنس
والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه اهل
الكتاب واما خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر

من ابني

عليه الصلوة والسلام م

وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين
الشاكين في انه من ربك او في كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهي الرسول
صلى الله عليه وسلم عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل
اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف
المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة ولكل امة قبلة او لكل قوم من
المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة هو موليها احد المفعولين
محذوف اي هو موليها وجهه او الله تعالى موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة
والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتأكيد جبرا لضعف
العامل وقرأ ابن عامر مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا
الخيرات من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من
الجهات وهي المسامتة للكعبة اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا في اي موضع تكونوا
من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء ومفترقها يحشركم الله الى المحشر للجزاء او اينما
تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات
المتقابلات يأت بكم الله جميعا ويجعل صلواتكم كأنها الى جهة واحدة ان الله على
كل شيء قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع ومن حيث خرجت ومن اي مكان
خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا الامر
للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر
المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره كرر هذا الحكم لتعدد علله
فانه تعالى ذكر للتحويل ثلث علل تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته وجرى العادة الالهية

وقرا ابو عمرو بالياء م

على ان يولي كل اهل ملة وصاحب دعوة وجهة ثلث علل تعظيم الرسول بابتغاء
مرضاته وجرى العادة الالهية يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما نبينه
وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلايله تقريبا وتقريرا
مع ان القبلة لها شان والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحري ان يؤكد
امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى لئلا يكون للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا
والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت
في التورية قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا والمشركين
بانه يدعي ملة ابرهيم عليه السلم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم استثنا
من الناس اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا للمعاندين منهم فانهم يقولون
ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى
قبلة ابايه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله حجتهم داحضة
لانهم يسوقونه مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثنا للمبالغة
في نفي الحجة راسا كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع
الكتايب للعلم بان الظالم لا حجة له وقرى الا الذين ظلموا على انه استيناف
بحرف التنبيه فلا تخشوهم فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم واخشوني
فلا تخالفوا امري ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة محذوف اي وامرتكم
لاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداكم او عطف على علة مقدرة مثل واخشوني
لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتي عليكم او لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول
الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا

المدحضة المزلقة قاموس
ودحضت الحجة دحوضا
اي بطلت قاموس

منكم متصل بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الاخرة كما اتممتها
بارسال رسول منكم او بما بعده اي كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني يتلوا
عليكم اياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به ازكيا قدمه باعتبار القصد و
اخره في دعوة ابرهيم عليه السلم باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم
ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحي وكرر
الفعل ليدل على انه جنس اخر فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي
ما انعمت به عليكم ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان الامر يا ايها الذين امنوا
استعينوا بالصبر عن المعاصي وحظوظ النفس والصلوة التي هي ام العبادات
ومعراج المؤمنين ومناجات رب العالمين ان الله مع الصابرين بالنصر واجابة
الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات بل احياء بل هم
احياء ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه على ان حيوتهم ليست بالجسد ولا
من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هي امر لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن
الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم
الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح ال فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع
والاية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر
قائمة بانفسها مغايرة لما يحس من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة
والتابعين وبه نطقت الايات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم
بالقرب من الله تعالى ومزيد البهجة والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة من
يختبر لاحوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف

عليه السلام

والجوع اى بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ما وقاهم عنه ليخفف عليهم ويريهم
ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب معانديهم فى الاخرة وانما اخبرهم به قبل
وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على
شىء او الخوف وعن الشافعى رضى الله عنه الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان و
النقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات
موت الاولاد وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى
للملائكة اقبضتم ولد عبدى فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم
فيقول الله تعالى ماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدى
بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا
انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول او لمن تاتى منه البشارة والمصيبة تعم
ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه السلام كل شىء يؤذى المؤمن فهو له مصيبة
وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل وبالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وانه
راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون
على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه اولئك عليهم صلوات من
ربهم ورحمة الصلوة فى الاصل الدعاء ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه
على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبى صلى الله عليه
وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا
صالحا يرضاه واولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضاء
الله ان الصفا والمروة هما علما جبلين بمكة من شعائر الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة

والجوع

وهى العلامة فمن حج البيت او اعتمر الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا
شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين فلا جناح عليه ان
يطوف بهما كان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا
مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما
لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع فى الحج والعمرة وانما الخلاف فى وجوبه
فعن احمد انه سنة وبه قال ابن عباس وانس لقوله فلا جناح فانه يفهم منه التخيير
وهو ضعيف لان نفى الجناح يدل على الجواز الداخل فى الوجوب فلا يدفعه وعن
ابى حنيفة انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعى انه ركن ومن تطوع خيرا اى
فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف او
تطوع بالسعى ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف او
بحذف الجار وايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل وقرأ
حمزة والكسائى ويعقوب يطوع واصله يتطوع فادغم مثل يطوف فان الله
شاكر عليم مثيب على الطاعة لا يخفى عليه ان الذين يكتمون كاحبار اليهود
ما انزلنا من البينات كالايات الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى
وما يهدى الى وجوب اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه للناس لخصناه فى
الكتاب فى التورية اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون اى الذين يتاتى منهم
اللعن من الملائكة والثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان وسائر ما يجب ان يتاب
عنه واصلحوا ما افسدوا بالتدارك وبينوا ما بينه الله فى كتابهم لتتم توبتهم وقيل
ما احدثوه من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن انفسهم ويقتدى بهم اضرابهم فاولئك

معنى م

لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعى

بتقدير م

عليهم م

أتوب عليهم بالقبول والمغفرة وأنا التواب الرحيم المبالغ في قبول التوبة وإفاضة الرحمة
إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أي ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات أولئك
عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين استقر عليهم لعن الله ومن يعتد
بلعنه من خلقه وقيل الأول لعنهم أحياء وهذا لعنهم أمواتا والملائكة والناس
أجمعون عطفا على محل اسم الله لأنه فاعل في المعنى كقولك أعجبني ضرب زيد وعمرو
أو فاعلا لفعل مقدر نحو ويلعنهم الملائكة خالدين فيها أي في اللعنة أو النار
وإضمارها قبل الذكر تفخيما لشأنها وتهويلا أو اكتفاء بدلالة اللعن عليها لا يخفف
عنهم العذاب ولا هم ينظرون لا يمهلون أو لا ينتظرون ليعتذروا أو لا ينظر
إليهم نظر رحمة وإلهكم إله واحد خطاب عام أي المستحق منكم للعبادة واحد لا شريك
له يصح أن يعبد أو يسمى إلها لا إله إلا هو تقرير للوحدانية وإزاحة لأن يتوهم
أن في الوجود إلها ولكن لا يستحق منهم العبادة الرحمن الرحيم كالحجة عليها فإنه
لما كان مولى النعم كلها أصولها وفروعها وما سواه إما نعمة أو منعم عليه لم يستحق
العبادة أحد غيره وهما خبران آخران لقوله إلهكم أو لمبتدأ محذوف قيل
لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا إن كنت صادقا فأت بآية نعرف بها صدقك
فنزلت إن في خلق السموات والأرض وإنما جمع السموات وأفرد الأرض لأنها
طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الأرضين واختلاف الليل
والنهار تعاقبهما كقوله جعل الليل والنهار خلفة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع
الناس أي بنفعهم أو بالذي ينفعهم والقصد إلى الاستدلال بالبحر وأحواله وتخصيص
الفلك بالذكر لأنه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه على

المطر والسحاب أو لأن منشأهما البحر في غالب الأمر وتأنيث الفلك لأنه بمعنى
السفينة وقرئ بضمتين على الأصل أو الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند
المحققين وما أنزل الله من السماء من ماء من الأولى للابتداء والثانية للبيان
والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فأحيا به الأرض بعد موتها بالنبات
وبث فيها من كل دابة عطف على أنزل كأنه استدل بنزول المطر وتكون النبات
به وبث الحيوانات في الأرض أو على أحيا فإن الدواب ينمون بالخصب
ويعيشون بالحيا والبث النشر والتفريق وتصريف الرياح في مهابها
وأحوالها وقرأ حمزة والكسائي على الإفراد والسحاب المسخر بين السماء والأرض
لا ينزل ولا ينقشع مع أن الطبع يقتضي أحدهما حتى يأتي أمر الله وقيل
مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله واشتقاقه من السحب لأن بعضه
يجر بعضا لآيات لقوم يعقلون يتفكرون فيها وينظرون إليها بعيون عقولهم
وعنه عليه السلام ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها أي لم يتفكر فيها واعلم أن
دلالة هذه الآيات على وجود الإله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها
مفصلا والكلام المجمل أنها أمور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه
محتملة وأنحاء مختلفة إذ كان من الجائز مثلا أن لا تتحرك السموات أو بعضها
كالأرض وأن تتحرك بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين
وأن لا يكون لها أوج وحضيض أصلا أو على هذا الوجه لبساطتها وتساوي
أجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته و
تقتضيه مشيئته متعاليا عن معارضة غيره إذ لو كان معه إله يقدر على ما يقدر

ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الآخر المنافي لالهيته وان اختلفت لزم م

عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع مؤثرين على اثر واحد
وان كان لاحدهما لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه بقوله تعالى لو كان فيهما
آلهة الا الله لفسدتا وفي الآية تنبيه على شرف علم الكلام واهله وحث على البحث
والنظر فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا من الاصنام وقيل من الرؤساء
الذين كانوا يطيعونهم كقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد اعم
منهما وهو ما يشغله عن الله يحبونهم يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله كتعظيمه
والميل الى طاعته اي يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب
من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة
العباد لله ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعباد ارادة
اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي والذين آمنوا اشد حبا
لله لانه لا ينقطع محبتهم لله بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة
تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله عند الشدائد
ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره ولو يرى الذين ظلموا ولو يعلم
هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذ عاينوه يوم القيامة
واجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله ونادى اصحاب الجنة ان القوة
لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى وجواب لو محذوف اي لو يعلمون ان القدرة
لله جميعا اذ عاينوا العذاب لندموا اشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان
محذوفان والتقدير لو يرى الذين ظلموا اندادهم لا تنفع لعلموا ان القوة
لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى على

صلى الله عليه وسلم م

وكذا م

من م

انه خطاب للنبي اي ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وابن عامر اذ يرون على
البناء للمفعول ويعقوب ان بالكسر وان الله شديد العذاب على الاستئناف
او اضمار القول اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي تبرأ المتبوعون
من الاتباع وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب اي رائين
له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ وتقطعت بهم الاسباب يحتمل
العطف على تبرأ او رأوا والواو للحال والاول اظهر والاسباب الوصل التي
كانت بينهم من الاتباع والاتفاق على الدين والاغراض الداعية الى ذلك
واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر وقرئ تقطعت على البناء للمفعول
وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا لو للتمني ولذلك
اجيب بالفاء اي ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الاراء
الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى ان
كان من رؤية القلب والا فحال وما هم بخارجين من النار اصله وما يخرجون
فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع
الى الدنيا يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا نزلت في قوم حرموا على انفسهم
رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال
مما في الارض ومن للتبعيض اذ لا يؤكل كل ما في الارض طيبا يستطيبه الشرع
او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول ولا تتبعوا خطوات الشيطان
لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرأ نافع وابو عمرو
وحمزة بتسكين الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهو ما بين قدمي الخاطي وقرئ

بضمتين وهمزة حملت ضمة الطاء كانها عليها وبفتحتين على انه جمع خطوة
وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان
كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا في قوله اولياؤهم الطاغوت
انما يأمركم بالسوء والفحشاء بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته واستعير
الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم والسوء
والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين
فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح
والفحشاء ما يجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول لا حد فيه والثاني ما شرع
فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات و
تحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع الظن رأسا واما اتباع المجتهد
لما ادى اليه ظن مستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه كما
بيناه في الكتب الاصولية واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير للناس وعدل بهم
عن الخطاب عنهم للنداء على ضلالهم كانه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا
الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا ما وجدناهم
عليه نزلت في المشركين امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل الله من الحجج والآيات
فجنحوا الى التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى الاسلام فقالوا نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم و
على هذا فيعم ما انزل الله التوراة لانها ايضا تدعو الى الاسلام اولو كان آباؤهم
لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الواو للحال او العطف والهمزة للرد والتعجب

وجواب لو محذوف اي لو كان آباؤهم جهلة لا يتفكرون في امر الدين ولا يهتدون
الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد
واما اتباع الغير في الدين اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء والمجتهدين في
الاحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله ومثل الذين كفروا
كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء على حذف مضاف تقديره ومثل داعي
الذين كفروا كمثل بهائم الذي ينعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم في التقليد لا
يلقون اذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتأملون فيما يقرر معهم فهم في ذلك كا
لبهائم التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم
معناه وقيل هو تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم
التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في
نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا يغني عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله
الا دعاء ونداء لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك من باب التمثيل المركب
صم بكم عمي رفع على الذم فهم لا يعقلون اي بالفعل للاخلال بالنظر يا ايها
الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس كافة واباح
بالفعل للاخلال بالنظر يا ايها الذين آمنوا لهم ما في الارض سوى ما حرم عليهم امر
المؤمنين منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال واشكروا
لله على ما رزقكم واحل لكم ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تخصونه بالعبادة و
تقرون انه مولى النعم فان عبادته لا تتم الا بالشكر وعن النبي صلى الله عليه وسلم
فالمعلق بفعل العبادة هو الامر بالشكر لاتمامه وهو عدم عند عدمه وعن النبي صلى الله

امام

الذي ينعق او مثل الذين كفروا كمثل نسخه

علي نسخه

فالمعلق بفعل العبادة هو الامر بالشكر لا تمامه وهو عدم عند عدمه نسخه

عليه وسلم يقول الله تعالى انى والانس والجن فى نبا عظيم اخلق ويعبد غيرى
وارزق ويشكر غيرى انما حرم عليكم الميتة اكلها او الانتفاع بها وهى التى ماتت من غير ذكوة
والحديث الحق بها ما ابين من حى والسمك والجراد اخرجهما العرف عنها او استثنى
الشرع والحرمة المضافة الى العين تفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا الا ما خصه
الدليل كالتصرف فى المدبوغ والدم ولحم الخنزير انما خص اللحم بالذكر
لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وساير اجزايه كالتابع له وما اهل به لغير الله
اى رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله روية الهلال
يقال اهل الهلال واهللته لكن لما جرت العادة ان يرفع الصوت بالتكبير
اذا رأى سمى ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره فمن
اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر اخر ولا عاد سد الرمق والجوعة
وقيل غير باغ على الوالى ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصى
بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعى رضى الله عنه وقول احمد فلا اثم عليه
فى تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة فيه فان قيل انما يفيد قصر
الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه
لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء
ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون
به ثمنا قليلا عوضا حقيرا اولئك ما ياكلون فى بطونهم الا النار اما فى
الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانهم اكلوا النار
كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

ما ابن

وقرأ عاصم وحمزة وابو عمرو بكسر النون م

يعنى الرشوة او فى المال اى لا ياكلون يوم القيمة الا النار ومعنى فى بطونهم
ملء بطونهم يقال اكل فى بطنه واكل فى بعض بطنه كقوله كلوا فى بعض
بطنكم تعفوا ولا يكلمهم الله يوم القيمة عبارة عن غضبه عليهم وتعريض
بحرمانهم حال مقابليهم فى الكرامة والزلفى من الله ولا يزكيهم لا يثنى عليهم
ولهم عذاب اليم مولم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فى الدنيا
والعذاب بالمغفرة فى الاخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية فما
اصبرهم على النار تعجب من حالهم فى الالتباس بموجبات النار من غير
مبالات وما تامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص قولهم شر اهر
ذا ناب او استفهامية وما بعدها الخبر او موصولة وما بعدها صلة والخبر
محذوف ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اى ذلك العذاب بسبب ان الله
نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب او الكتمان وان الذين اختلفوا
فى الكتاب اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله وكفرهم
ببعض او للعهد والاشارة اما الى التورية واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج
المستقيم فى تاويلها او خلفوا خلاف ما انزل الله مكانه اى حرفوا ما فيها او
الى القران واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر واساطير
الاولين لفى شقاق بعيد لفى خلاف بعيد عن الحق ليس البر ان تولوا
وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر كل فعل مرضى والخطاب لاهل الكتاب
فانهم اكثروا الخوض فى امر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة ان البر هو
التوجه الى قبلته فرد الله عليهم وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ

ولكن البر ما بينته واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين اى ليس البر
مقصورا بامر القبلة او ليس البر العظيم الذى يحسن ان تذهلوا بشانه
عن غيره امرها وقرا حمزة وحفص البر بالنصب ولكن البر من آمن بالله
واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين اى ولكن البر الذى ينبغى
ان يهتم به بر من آمن او ولكن ذا البر من آمن ويؤيده قراءة من قرا و
لكن البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس او القرآن و
قرا نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر وآتى المال على حبه اى على حب
المال كما قال عليه السلام لما سئل اى الصدقة افضل قال ان تؤتيه وانت
صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير لله او للمصدر والجار
والمجرور فى موضع الحال ذوى القربى واليتامى يريد المحاويج منهم
ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوى القربى لان ايتاءهم اهم كما قال
عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذى رحمك اثنتان
صدقة وصلة والمساكين جمع المسكين وهو الذى اسكنته الخلة واصله
دائم السكون كالمسكير لدائم السكر وابن السبيل المسافر سمى به لملازمته
السبيل كما سمى القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل يرعف به
والسائلين الذين الجأهم الحاجة الى السؤال وقال عليه السلام للسائل
حق وان جاء على فرسه وفى الرقاب وفى تخليصها بمعاونة المكاتبين او فك
الاسارى او ابتياع الرقاب لعتقها واقام الصلوة المفروضة وآتى الزكوة
يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله وآتى المال الزكوة المفروضة ولكن

الغرض من الاول بيان مصارفها وبالثانى اداؤها والحث عليها ويحتمل
ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات او حقوقا كانت فى المال
سوى الزكوة وفى الحديث نسخت الزكوة كل صدقة والموفون بعهدهم
اذا عاهدوا عطف على من آمن والصابرين فى البأساء والضراء نصب على
المدح ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الاعمال وعن الازهرى البأساء
فى الاموال كالفقر والضراء فى الانفس كالمرض وحين البأس وقت
مجاهدة العدو اولئك الذين صدقوا فى الدين واتباع الحق وطلب البر
واولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل والآية كما ترى جامعة للكمالات
الانسانية باسرها دالة عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة
فى ثلثة اشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد
اشير الى الاول بقوله من آمن الى والنبيين والى الثانى بقوله وآتى المال
الى وفى الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلوة الى آخرها ولذلك
وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا
بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار بقوله عليه السلام من
عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص
فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان فى الجاهلية
بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا
لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وامرهم ان يتباوؤا ولا يدل على ان لا يقتل

انما يعتبره

الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا يدل على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر
للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع
مالك والشافعي رضي الله عنهما قتل الحر بالعبد سواء كان عبده او عبد
غيره لما روي عن علي رضي الله عنه ان رجلا قتل عبده فجلده النبي عليه السلام
ونفاه سنة ولم يقده به وروي عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم
بذي عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا لا يقتلان
الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الاطراف ومن
سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما في
القران واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف
اذ الواجب على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير
بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص
على النصب وكذا كل فعل جاء في القران فمن عفي له من اخيه شيء اي شيء من العفو
لان عفا لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام في اسقاط
القصاص وقيل عفي بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت
عفا الشيء بمعنى تركه بل اعفاه وعفا يعدى بعن الى الجاني والى الذنب قال
تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا عدي به الى الذنب عدي الى
الجاني باللام وعليه ما في الاية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه
يعني ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام
ليرق له ويعطف عليه فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان اي فليكن اتباع

التورية فلا ينسخ ما في

اوفالامر اتباع والمراد به وصية العافي بان يطالب الدية بالمعروف
فلا يعنف والمعفو عنه بان يؤديها باحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس
وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر باديها
على مطلق العفو وللشافعي رضي الله عنه في المسئلة قولان ذلك اي الحكم
المذكور في العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل و
النفع قيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو وخير
هذه الامة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب
مراتبهم فمن اعتدى بعد ذلك قبل بعد العفو واخذ الدية فله عذاب اليم
في الاخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله عليه السلام لا اعافي
احدا قتل بعد اخذ الدية ولكم في القصاص حيوة كلام في غاية الفصاحة والبلاغة
من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان في
هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك لان العلم به يردع
القاتل عن القتل فيكون سبب حيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون
غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل
سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه اضمار
وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بها الحيوة الاخروية فان القاتل اذا
اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به في الاخرة ولكم في القصاص حيوة يحتمل
ان يكونا خبرين لحيوة وان يكون احدهما خبرا والاخر صلة له او حالا عن
الضمير المستكن فيه وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل

مطلقا م

او في القران حيوة للقلوب يا اولي الالباب ذوي العقول الكاملة ناداهم
للتامل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس
لعلكم تتقون في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او عن القصاص
فتكفوا عن القتل كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اي حضر اسبابه وظهر اماراته
ان ترك خيرا مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رضي الله عنه ان مولى
له اراد ان يوصي وله سبع مائة درهم فمنعه وقال قال الله ان ترك
خيرا والخير هو المال الكثير وعن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد ان
يوصي فسالته كم مالك فقال ثلثة الاف فقال كم عيالك قال اربعة
قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشي يسير فاتركه لعيالك الوصية
للوالدين والاقربين مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تاويل ان
يوصي او الايصاء ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله والعامل في اذا
مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدا خبره للوالدين والجملة
جواب الشرط باضمار الفاء كقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد
بانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ
باية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية
لوارث وفيه نظر لان اية المواريث لا تعارضه بل توكده من حيث انها تدل
على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الاحاد وتلقي الامة له بالقبول لا يلحقه
بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله من توريث
الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير

ما اوصى به الله عليهم بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغني ولا يتجاوز
الثلث حقا على المتقين مصدر موكد اي حق ذلك حقا فمن بدله غيره
من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وصل اليه وتحقق عنده فانما
اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على
مبدليه لانهم الذين حافوا وخالفوا الشرع ان الله سميع عليم وعيد
للمبدل بغير حق فمن خاف من موص اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان
ترسل السماء وقرا حمزة والكسائي وابو بكر ويعقوب موص جنفا ميلا بالخطا
في الوصية او اثما تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم باجرائهم
على نهج الشرع فلا اثم عليه في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف
الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم
وكون الفعل من جنس ما يوثم يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما
كتب على الذين من قبلكم يعني الانبياء والامم من لدن ادم وفيه توكيد
للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس والصوم في اللغة الامساك
عما تنازع اليه النفس وفي الشرع الامساك عن المفطرات فانها معظم
ما تشتهيه الانفس لعلكم تتقون المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة التي
هي مبدؤها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء
او الاخلال بادائه لاصالته وقدمه اياما معدودات موقتات بعدد
معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها
ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام

ذكر م

عليه والمراد بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو
عاشوراء وثلثة ايام من كل شهر او بما كتب على الظرفية او على انه مفعول
ثان لكتب عليكم على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام
لما روي ان رمضان كتب على النصارى فوقع في برد او حر شديد فحولوه
الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان
اصابهم فمن كان منكم مريضا مرضا يضره الصوم ويعسر معه او على سفر
او راكب سفر وفيه ايماء بان من سافر اثناء اليوم لم يفطر فعدة من ايام اخر
اي فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط
والمضاف والمضاف اليه للعلم بها وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا
على سبيل الرخصة وقيل الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة
وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية طعام مسكين
نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء
الحجاز رخص لهم في ذلك اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم
لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر باضافة الفدية الى الطعام وجمع
المساكين وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة
والقلادة ويتطوقونه اي يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بالادغام
ويطيقونه ويطيقونه على ان اصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل و
تفيعل بمعنى يتطيقونه وعلى هذه القراءات يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن
يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فيكون

عام
برواية ابن ذكوان
وقرأ ابن عامر برواية هشام مساكين بالجمع ... الطعام

وقد اوله به القراءة المشهورة اي يصومونه جهدهم وطاقتهم فمن تطوع
خيرا فزاد في الفدية فهو فالتطوع او الخير خير له وان تصوموا ايها المطيقون
او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون في الافطار ليندرج تحته
المريض والمسافر خير لكم من الفدية او تطوع الخير او منهما ومن التاخير
للقضاء ان كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف
دل عليه ما قبله اي اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم
ان الصوم خير من ذلك شهر رمضان مبتدأ خبره ما بعده او خبر محذوف
تقديره ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اي كتب
عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على
انه مفعول وان تصوموا وفيه ضعف او بدل من ايام معدودات ورمضان مصدر
رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية
والالف والنون كما منع داية في ابن داية علما للغراب للعلمية والتانيث
وقوله عليه السلام من صام رمضان فعلى حذف المضاف لامن الالتباس
وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب
فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حينما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة
الذي انزل فيه القرآن اي ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل
فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او انزل في شانه القرآن و
هو كتب عليكم الصيام وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم
اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست مضين والانجيل لثلث عشرة

مبتداء ح
والشهر من الشهرة ح
قوله تعالى ح

والقرآن لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتداء او صفته والخبر فمن
شهد والفاء لوصف المبتدا بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال
فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه هدى للناس وبينات من
الهدى والفرقان حالان من القرآن اي انزل وهو هداية للناس باعجازه
وآيات واضحات مما يهدي الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل فمن شهد
منكم الشهر فليصمه فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه ولكن وضع
المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف وحذف الجار
ونصب الضمير الثاني على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه
على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلوتها فيكون ومن كان مريضا
او على سفر فعدة من ايام اخر مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر
ولعل تكريره لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بكم اليسر ولا
يريد بكم العسر اي يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر ولذلك اباح الفطر
للسفر والمرض ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم
تشكرون علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق اي وشرع جملة ما ذكر
من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه
والترخيص لتكملوا العدة الى آخرها على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا
علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته
ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير او لافعال كل لفعله او معطوفة
على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا ويجوز ان

لما فيه من الحكم والاحكام م

يعطف على اليسر اي ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا والمعنى بالتكبير
تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك عدي بعلى وقيل تكبير يوم الفطر
وقيل التكبير عند الاهلال وما تحتمل المصدر والخبر اي الذي هداكم
اليه وعن عاصم ولتكملوا بالتشديد واذا سألك عبادي عني فاني قريب اي
فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه
على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روي ان اعرابيا قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب
دعوة الداع اذا دعان تقرير للقرب ووعد للداعي بالاجابة فليستجيبوا لي
اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم وليؤمنوا بي
امر بالثبات والمداومة عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد وهو
اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم الشهر
ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه
الآية الدالة على انه خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم
على اعمالهم تأكيدا له وحثا عليه ثم بين احكام الصوم فقال احل لكم ليلة
الصيام الرفث الى نسائكم روي ان المسلمين كانوا اذا امسوا حل لهم الاكل
والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء او يرقدوا ثم ان عمر رضي الله عنه
باشر بعد العشاء فندم واتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام
رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التي
يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو

اي م

برواية ابي بكر م

الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدى بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره
هاهنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث هن لباس
لكم وانتم لباس لهن استيناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر
عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان
الرجل والمراة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس
قال الجعدى اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا ولان كل
واحد منهما يستر حال صاحبه ويمنعه عن الفجور علم الله انكم كنتم تختانون
انفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب و
الاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب فتاب عليكم لما تبتم مما
اقترفتموه وعفا عنكم ومحا عنكم اثره فالآن باشروهن لما نسخ عنكم التحريم
وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقران والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة
كنى به عن الجماع وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره لكم واثبته في
اللوح من الولد والمعنى ان المباشر ينبغي ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة
من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهي عن العزل
وقيل عن غير المأتي والتقدير وابتغوا المحل الذي كتب الله لكم وكلوا
واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه
اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل
بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر
عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى

المحفوظ م

التمثيل ويجوز ان تكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روي انها
نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين اسود وابيض ولا يزالون
ياكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت ان صح فلعله كان قبل دخول
رمضان وتاخير البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى اولا باشتهارهما
في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى
الصبح الدلالة على جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم المصبح جنبا
ثم اتموا الصيام الى الليل بيان اخر وقته واخراج الليل عنه فينفي صوم
الوصال ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف
هو اللبث في المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطء وعن قتادة
كان الرجل يعتكف فيخرج الى امراته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن
ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص بمسجد
دون مسجد وان الوطء يحرم فيه ويفسده لان النهي في العبادات
يوجب الفساد تلك حدود الله اي الاحكام التي ذكرت فلا تقربوها نهى
ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا ان يتخطى عنه
كما قال عليه السلام ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول
الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان يريد
بحدود الله محارمه ومناهيه كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله اياته
للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر والنواهي ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
اي ولا ياكل بعضكم مال البعض على الوجه الذي لم يبحه الله وبين نصب على الظرف

من م

الذى م

او الحال من الاموال وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهي او نصب باضمار ان
والادلاء الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتأكلوا بالتحاكم فريقا طائفة
من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او
متلبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم
بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة ارض
ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس
فهم به فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين يشترون بعهد
الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت
وهو دليل على ان حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه السلام انما
انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضي
له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقطع له قطعة
من النار يسألونك عن الاهلة سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال
الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى
يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج انهم سألوا عن الحكمة في اختلاف
حال القمر وتبدل امره فامره الله بان يجيب بان الحكمة الظاهرة في ذلك
ان يكون معالم للناس يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات المؤقتة
كالحج يعرف بها اوقاتها وخصوصا الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء
والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة
المطلقة امتداد حركة الفلك من مبداها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة

والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر بان تأتوا البيوت قرأ ابو عمرو وورش
وحفص عن عاصم بضم الباء والباقون بالكسر من ظهورها ولكن البر من اتقى
قرأ نافع وابن عامر بتخفيف لكن ورفع البر كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا
دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءه
ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر وانما البر بر من اتقى المحارم والشهوات
ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت الحج
وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره استطرادا او انهم لما سألوا عما لا يتعلق
ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سألوه تنبيها على ان اللائق بهم
ان يسألوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او ان المراد به التنبيه على تعكيسهم
السؤال وتمثيلهم بحال من ترك باب البيت ودخل من وراءه والمعنى و
ليس البر ان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله وأتوا
البيوت من ابوابها اذ ليس في العدول بر فباشروا الامور من وجوهها و
اتقوا الله في تغيير احكامه والاعتراض على افعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالهدى و
البر وقاتلوا في سبيل الله جاهدوا لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه الذين يقاتلونكم
قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين
وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم
من المشايخ والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة كلهم فانهم بصدد
قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد الاول ما روي ان المشركين صدوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا

ولا تعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنونه م

يجسر

لا علاء

له مكة ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم
في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ولا تعتدوا بابتداء القتال او
بقتال المعاهد والمفاجاة به من غير دعوة والمثلة وقتل من نهيتم عن
قتله ان الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث
وجدتموهم في حل او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك الشيء علما كان او
عملا وهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فاما تثقفوني
فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي مكة
وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اي المحنة التي يفتتن
بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس
بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه
ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم بالقتال وهتك
حرمة المسجد الحرام فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثم فانهم الذين هتكوا
حرمته وقرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى
حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو اسد كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك
جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن القتال والكفر فان الله غفور رحيم
يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك ويكون الدين
لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين اي فلا
تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع
الحكم وسمي جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا

عليه او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم والفاء
الاولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون
عام الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه فكرهوا ان يقاتلوهم
لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذاك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات
قصاص احتجاج عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليها يجري
فيه القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا
عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة التقرير واتقوا الله في الانتصار ولا تعتدوا
الى ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شأنهم وانفقوا
في سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف
وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فانه يقوي العدو
ويسلطه على اهلاككم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري انه قال
لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها
فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد ولذلك
سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء
وعدي بالى لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس
والتهلكة والهلاك والهلك واحد فهي مصدر كالتضرة والتسرة اي لا
توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم
انفسكم اليها فحذف المفعول واحسنوا اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على

لهم
فيها
عليه
مثل
خالصا ليس للشيطان فيه
فيه
قاتلوهم
تعتدوا

المحاويج ان الله يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين مستجمعي
المناسك لوجه الله وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة من قرأ
واقيموا الحج والعمرة وما روى جابر انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل
الحج فقال لا وان تعتمر خير لك معارض بما روي ان رجلا قال لعمر اني وجدت
الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا
يقال انه فسر وجدت بقوله اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب
بسبب اهلاله بهما لانه رتب الاهلال على الوجدان وذلك يدل على
انه سبب الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة
اهلك او ان تفرد لكل منهما سفرا او ان تجرده لهما لا تشوبهما بغرض
دنيوي او ان تكون النفقة حلالا فان احصرتم منعتم يقال حصره العدو
واحصره اذا حبسه ومنعه عن المضي مثل صده واصده والمراد حصر العدو
عند مالك والشافعي لقوله فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول
ابن عباس لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض وغيرهما عند
ابي حنيفة لما روي عنه عليه السلام من كسر او عرج فعليه الحج من قابل
وهو ضعيف مأول بما اذا شرط الاحلال به لقوله عليه السلام لضباعة
بنت الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فما استيسر
من الهدي فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما
استيسر والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من
بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر لانه عليه السلام ذبح عام

لكن م

تحلل م

الحديبية بها وهي من الحل وعند ابي حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث
بيده يوم امارة فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا
رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى
الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي
محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما واقتصاره على الهدي
دليل عدم القضاء وقال ابو حنيفة يجب القضاء والمحل بالكسر يطلق للمكان و
الزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي
في مطية فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من رأسه كجراحة
وقمل ففدية فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس
الفدية واما قدرها فقد روي انه عليه السلام قال لكعب بن عجرة لعلك آذاك
هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلثة ايام او تصدق بفرق
على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلثة آصع فاذا امنتم الاحصار
او كنتم في حال سعة وامن فمن تمتع بالعمرة الى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب
الى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع بعد
التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر
من الهدي فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران يذبح اذا احرم
بالحج ولا يأكل منه وقال ابو حنيفة انه دم نسك فهو كالاضحية فمن لم يجد
اي الهدي فصيام ثلثة ايام في الحج في ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل
التحلل وقال ابو حنيفة في اشهره بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع

الى م

على م

اصوع

ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق عند الاكثر
وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي او نفرتم وفرغتم من
اعماله وهو قوله الثاني ومذهب ابي حنيفة وقرئ سبعة بالنصب عطفا
على محل ثلثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفايدتها ان لا يتوهم
متوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم
العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد
بالسبعة العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما كاملة صفة موكدة تفيد
المبالغة في محافظة العدد او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل
اذ به ينتهي الاحاد ويتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي
ذلك اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابي حنيفة اذ لا متعة
ولا قران لحاضري المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية
لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عندنا
فان من كان على اقل فانه مقيم الحرم او في حكمه ومن مسكنه وراء الميقات
عنده واهل الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك واتقوا الله في المحافظة
على اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب
لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان الحج اشهر اي وقته كقولك البرد
شهران معلومات معروفات وهي شوال وذو القعدة وتسع ذي الحجة
بليلة النحر عندنا والعشر عند ابي حنيفة وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف
ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن

فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو
حنيفة وان صح الاحرام به قبل شوال عند مالك فقد استكرهه وانما
سمي شهرين وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا
للجمع على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج فمن اوجبه على نفسه بالاحرام
فيهن عندنا او بالتلبية او سوق الهدي عند ابي حنيفة وهو دليل على ما ذهب
اليه الشافعي وان من احرم بالحج لزمه الاتمام فلا رفث فلا جماع او فلا فحش
من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشرع بالسيئات وارتكاب المحظورات
ولا جدال ولا مراء مع الخدم والرفقة في الحج في ايامه نفي الثلثة على قصد النهي
للمبالغة والدلالة على انها حقيقة بان لا تكون وما كانت مستقبحة في
انفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة والتطريب بقراءة القرآن
لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرا ابن كثير وابو
عمرو الاولين بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح
على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف
ساير العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا
ايضا بعرفة وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر
ليستبدل به ويستعمل مكانه وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا
لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون
ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا
الابرام في السوال والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب فان

والمكاريت م
منها م
فانه م
فيكونون م

قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان المقصود بها
هو الله فتبرءوا عن كل شيء سوى الله وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى
فلذلك خص اولى الالباب بهذا الخطاب ليس عليكم جناح ان تبتغوا في
ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة
قيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها مواسم
الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم من
عرفات دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم
انفسكم فحذف المفعول كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به
كاذرعات وانما نون وكسر وفيها العلمية والتانيث لان تنوين الجمع
تنوين المقابلة لا تنوين التمكن وذهاب الكسرة تبع لذهاب التنوين من
غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التانيث اما ان يكون
بالتاء المذكورة وهي ليست تاء تانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة
جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة
تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي عرفة لانه
نعت لابرهيم عليه السلام فلما ابصره عرفه او لان جبرئيل كان يدور به في المشاعر
فلما اراه قال قد عرفت او لان آدم وحوا التقيا فيه فتعارفا او لان الناس
يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل
جمع عارف وفيه دليل وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي
مأمور بها بقوله ثم افيضوا او مقدمة للذكر المأمور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب

فتبرءوا

ولذلك جمع باللام

الموقف

بل الامر به غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلاة العشائين
عند المشعر الحرام جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مأزمي عرفة و
وادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه عليه السلام لما صلى الفجر يعني
بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل
واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته
ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها
موقف الا وادي محسر واذكروه كما هداكم كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم
هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله اي
الهدى لمن الضالين الجاهلين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي
الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله وان نظنك لمن الكاذبين ثم
افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش
كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان
يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس
ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها و
الخطاب عام وقرئ الناس بالكسر اي الناسي يريد آدم من قوله تعالى فنسي
والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم
في تغيير المناسك ونحوه ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه
فاذا قضيتم مناسككم فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها فاذكروا الله
كذكركم آباءكم فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر آبائكم في المفاخرة

جمعه

المازم الطريق الضيق بين الجبلين

وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون
مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعل
الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى واذكروا الله ذكرا كذكركم آباءكم او كذكر اشد
منه وابلغ او على ما اضيف اليه على ضعف بمعنى او كذكر قوم اشد منكم
ذكرا واما منصوب بالعطف على آباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم
اشد مذكورية من آبائكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد
ذكرا لله منكم لآبائكم فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب
بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار
والارشاد اليه ربنا آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا وما له في الآخرة
من خلاق اي نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا او من طلب خلاق ومنهم
من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير وفي
الآخرة حسنة يعني الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وقول
علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب
النار امرأة السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة
الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار
امثلة للمراد بها اولئك اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما لهم نصيب مما كسبوا
اي من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم
منه ما قدرناه فسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب
العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيامة فيحاسب

الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات واذكروا الله في ايام معدودات
كبروه ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام التشريق
فمن تعجل فمن استعجل النفر في يومين يوم القر والذي بعده اي فمن نفر في ثاني
ايام التشريق بعد رمي الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عنده فلا اثم عليه باستعجاله
ومن تأخر فلا اثم عليه ومن تأخر في النفر حتى رمى اليوم الثالث بعد الزوال و
قال ابو حنيفة يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجل و
التأخير التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم
من اثم المتأخر لمن اتقى اي الذي ذكر من التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه
الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه
منهما واتقوا الله في مجامع اموركم ليعبأ بكم واعلموا انكم اليه تحشرون للجزاء
بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق ومن الناس من يعجبك قوله
يروقك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض الانسان لجهله بسبب
المتعجب منه في الحياة الدنيا متعلق بالقول اي ما يقوله في امور الدنيا واسباب
المعاش او في معنى الدنيا فانها مراده من ادعاء المحبة واظهار الايمان او بيعجبك اي
يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الآخرة لما يعتريه من
الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن له في الكلام ويشهد الله على ما في قلبه
يحلف ويستشهد الله على ان ما في قلبه موافق لكلامه وهو الد الخصام شديد
العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خصم
كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق

في
قبل
او في

الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله ويدعي الاسلام
وقيل في المنافقين كلهم وإذا تولى ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا
سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم
واحرق زرعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او
بالظلم حتى يمنع الله بشومه القطر فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد
لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم حملته
الأنفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي يؤمر باتقائه لجاجا من قولك اخذته
بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار
العقاب وهو في الاصل مرادف للنار وقيل معرب ولبئس المهاد جواب قسم
مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب
ومن الناس من يشري نفسه يبيعها يبذلها في الجهاد او يامر بالمعروف وينهى عن
المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه وقيل انها نزلت في صهيب بن
سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت
معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوه منه واتى
المدينة والله رؤوف بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا الشرا وكلفهم بالجهاد
فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة السلم بالكسر
والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والاسلام فتحه ابن كثير و
نافع والكسائي وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء عن التفرق حال
من الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب

تكفيك من انفاسها جرع والمعنى استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب
للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني
اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها
او في شرائع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب
او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء والخطاب للمسلمين ولا
تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق إنه لكم عدو مبين ظاهر العداوة
فإن زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات الآيات والحجج الشاهدة
على انه الحق فاعلموا أن الله عزيز لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم الا بحق هل ينظرون
استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده إلا أن يأتيهم الله اي يأتيهم امره او بأسه
كقوله او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا او يأتيهم الله ببأسه فحذف المأتي به
للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك
وقرئ ظلال كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما يأتيهم العذاب فيه لانه
مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا
يحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فانهم الواسطة
في اتيان امره او الآتون على الحقيقة ببأسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام
وقضي الأمر اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وضع الماضي موضع المستقبل لدنوه
وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة وإلى الله ترجع الأمور قراه
ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم على انه من الرجع وقراه الباقون على البناء للفاعل
بالتانيث غير يعقوب على انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء المفعول

علي

سل بني اسرائيل امر للرسول عليه السلام او لكل احد والمراد بهذا السؤال تقريعهم
كم آتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة او آية في الكتب شاهدة على الحق والصواب
على ايدي الانبياء وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية
او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مميزها ومن للفصل ومن
يبدل نعمة الله اي آيات الله بعد معرفتها فانها سبب الهدى الذي هو اجل النعم
بجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف والتاويل الزائغ من بعد
ما جاءته بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد
ما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل فان الله شديد العقاب
فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة زين للذين كفروا الحيوة الدنيا حسنت
في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها
والمزين على الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من شيء الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة
زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلقه الله فيها
من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا
يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب اي يسترذلونهم او يستهزؤن
بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كانهم جعلوا ابتداء
السخرية والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين
او لانهم في كرامة وهم في مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم
كما سخروا منهم في الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين آمنوا
ليدل على انهم متقون وان استعلاءهم للتقوى والله يرزق من يشاء في الدارين

نعمة الله

بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان
الناس امة واحدة متفقين على الحق فيما بين آدم وادريس او نوح او بعد
الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر في فترة ادريس او نوح فبعث الله
النبيين مبشرين ومنذرين اي اختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله
فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذي علمته من عدد الانبياء مائة الف واربعة
وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور في القرآن
باسم العلم ثمانية وعشرون وانزل معهم الكتاب يريد به الجنس ولا يريد
به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم
وانما كانوا ياخذون بكتب من قبلهم بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق
شاهدا به ليحكم بين الناس اي الله او النبي المبعوث او كتابه فيما اختلفوا فيه
في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه في الحق او
الكتاب الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الخلاف اي عكسوا
الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه من بعد ما جاءتهم
البينات بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا فهدى الله الذين
آمنوا لما اختلفوا فيه اي للحق الذي اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما اختلفوا
فيه باذنه بامره او بارادته ولطفه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
لا يضل سالكه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة خاطب به النبي والمؤمنين بعد ما ذكر
اختلاف الامم على الانبياء بعد مجيء الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفتهم
وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما ياتكم ولم ياتكم واصل لما لم زيدت

عليها ما وقع فيها توقع ولذلك جعل مقابلا بقد مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التي هي
مثل في الشدة مستهم البأساء والضراء بيان له على الاستيناف وزلزلوا
وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدايد حتى يقول الرسول والذين
امنوا معه لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرأ
نافع يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه متى
نصر الله استبطاء لتاخره الا ان نصر الله قريب استيناف على ارادة القول
اي فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى ان الوصول
الى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدايد و
الرياضات كما قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات
يسألونك ماذا ينفقون عن ابن عباس ان عمرو بن الجموح الانصاري كان هما ذا مال
عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت قل ما انفقتم
من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل سئل عن
المنفق واجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتباره ولانه
كان في سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا في الاية واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه
قوله ما انفقتم من خير وما تفعلوا من خير في معنى الشرط فان الله به عليم جوابه
اي ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه وليس في الاية ما ينافيه
فرض الزكوة لينسخ به كتب عليكم القتال وهو كره لكم شاق عليكم مكروه طبعا وهو
مصدر نعت به للمبالغة او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على انه لغة فيه
كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدته وعظم

مشقته كقوله حملته امه كرها ووضعته كرها وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم
وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم
وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه
وهو يفضي بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر
عليها والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على ان الاحكام تتبع
المصالح الراجحة وان لم يعرف عينها يسألونك عن الشهر الحرام روي انه عليه
السلام بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية في جمادى الاخرة قبل بدر بشهرين
ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه
واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطايف وكان ذلك غرة رجب و
هم يظنونه من جمادى فقالت قريش استحل محمد عليه السلام الشهر الحرام شهرا
يامن فيه الخايف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم وشق على اصحاب السرية وقالوا
ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى
وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة وهو اول غنيمة
في الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه في ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل
اصحاب السرية قتال فيه بدل الاشتمال عن الشهر وقرئ عن قتال فيه بتكرير
العامل قل قتال فيه كبير اي ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وصد صرف ومنع عن سبيل الله اي الاسلام
او ما يوصل العبد الى الله من الطاعات وكفر به اي بالله والمسجد الحرام على ارادة
المضاف اي وصد المسجد الحرام كقول ابي دؤاد اكل امرئ تحسبين امرأ ونار

الآخرة م

وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى منع دلالة الآية على حرمة القتال في الشهر الحرام مطلقا فان قتال فيه نكرة في حيز مثبت

توقد بالليل نارا ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله على سبيل الله
لان عطف قوله وكفر به على وصد مانع منه اذ لا يقدم العطف على الموصول
على العطف على الصلة ولا على الهاء في به فان العطف على الضمير المجرور انما
يكون باعادة الجار واخراج اهله منه اهل المسجد وهم النبي عليه السلام والمؤمنون
اكبر عند الله مما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربع
المعدودة من كبائر قريش وافعل مما يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
والفتنة اكبر من القتل اي ما ترتكبونه من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوه من قتل
الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام عداوة
الكفار لهم وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك
اعبد الله حتى ادخل الجنة ان استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم
كقول الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت بي فلا تبق علي وايذان بانهم لا يردونهم عن
ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة
بالموت عليها في احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعي رضي الله عنه والمراد
بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهي لغة فيه في الدنيا لبطلان
ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من الفوائد الدنيوية والآخرة بسقوط الثواب
واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة ان الذين آمنوا نزلت ايضا
في السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين هاجروا وجاهدوا
في سبيل الله كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد كانهما مستقلان في تحقيق
الرجاء اولئك يرجون رحمة الله ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب

ولا قاطع في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم والله غفور لما فعلوا خطأ وقلة احتياط
رحيم باجزال الثواب والاجر يسئلونك عن الخمر والميسر روي انه نزل بمكة قوله
ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان
عمر ومعاذا في نفر من الصحابة قالوا افتنا يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة العقل
فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا
منهم فشربوا فسكروا فقام احدهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة
وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص في نفر
فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه
انصاري بلحي بعير فشجه فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم
بين لنا بيانا شافيا في الخمر فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون
فقال عمر انتهينا يا رب والخمر في الاصل مصدر خمره اذا ستره سمي بها عصير
العنب والتمر اذا اشتد وغلا كأنه يخمر العقل كما سمي سكرا لانه يسكره اي
يحجزه وهي حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة نقيع
الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر
والميسر ايضا مصدر كالموعد سمي به القمار لانه اخذ مال الغير بيسر او سلب
يساره والمعنى يسألونك عن تعاطيهما لقوله قل فيهما اي في تعاطيهما اثم كبير
من حيث انه يؤدي الى الانتكاب عن المأمور وارتكاب المحظور ومنافع للناس من
كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وفي الخمر خصوصا تشجيع
الجبان وتوفير المروءة وتقوية الطبيعة واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد التي

وقرأ حمزة والكسائي
كثير بالثاء

ينشأ منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولذلك قيل انها المحرمة للخمر
فان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه ليس
كذلك لما مر ويسألونك ماذا ينفقون قيل سائله ايضا عمرو بن الجموح سأل
اولا عن المنفق والمصرف ثم سأل عن كيفية الانفاق قل العفو العفو نقيض
الجهد ومنه يقال للارض السهلة وهو ان ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ
منه الجهد قال خذي العفو مني تستديمي مودتي وروي ان رجلا اتى
النبي عليه السلام ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني
صدقة فاعرض عنه حتى كرره مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفها حذفا
لو اصابه لشجه ثم قال يأتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس
انما الصدقة عن ظهر غنى كذلك يبين الله لكم الآيات اي مثل ما بين ان العفو
اصلح من الجهد او ما ذكر من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة لمصدر
محذوف اي تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب به جمع على
تأويل القبيل والجمع لعلكم تتفكرون في الدلائل والاحكام في الدنيا والآخرة في
امور الدارين فتأخذون بالاصلح والانفع منهما وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم
او يضركم اكثر مما ينفعكم ويسألونك عن اليتامى لما نزلت ان الذين يأكلون اموال
اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم
فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم
لاصلاحهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث على المخالطة اي انهم
اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة

العفو م

والله يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح اي
يعلم امره فيجازيه عليه ولو شاء الله لاعنتكم اي ولو شاء اعناتكم لاعنتكم
اي كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهي المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ان
الله عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم يحكم ما تقتضيه الحكمة وتتسع له
الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اي ولا تتزوجوهن وقرئ بالضم اي
ولا تزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون
لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى
قوله سبحانه عما يشركون لكن خصت عنها بقوله والمحصنات من الذين اوتوا
الكتاب روي انه عليه السلام بعث مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من
المسلمين فاتته عناق وكان يهواها في الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان
الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن استامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة خير من مشركة
اي ولامرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة فان الناس عباد الله واماؤه ولو اعجبتكم
بحسنها وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير ولا تنكحوا المشركين حتى
يؤمنوا ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه ولعبد مؤمن
خير من مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهي عن مواصلتهم وترغيب في مواصلة المؤمنين
اولئك اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات يدعون الى النار
اي الكفر المؤدي الى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم والله اي واولياؤه
يعني المؤمنين بحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه تفخيما لشانهم يدعو

مرثد

عبيد

النار م

الى الجنة والمغفرة اي الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة
باذنه بتوفيق الله وتيسيره او بقضائه وارادته ويبين آياته للناس لعلهم
يتذكرون لكي يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول
من ميل الخير ومخالفة الهوى ويسألونك عن المحيض روي ان اهل الجاهلية كانوا
لم يساكنوا الحيض ولم يواكلوها كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى
ان سال ابو الدحداح في نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجيء
والمبيت ولعله سبحانه انما ذكر يسألونك بغير واو ثلاثا ثم بها ثلاثا لان
السؤالات الاول كانت في اوقات متفرقة والثلثة الاخيرة كانت في وقت
واحد ولذلك ذكرها بحرف الجمع قل هو اذى اي الحيض مستقذر مؤذي
من يقربه نفرة منه فاعتزلوا النساء في المحيض فاجتنبوا مجامعتهن لقوله
عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن
من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط
النصارى فانهم كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض وانما وصفه بانه
اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة ولا تقربوهن حتى يطهرن
تاكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه
صريحا قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابن عياش يطّهّرن اي يتطهرن
بمعنى يغتسلن والتزاما قوله فاذا تطهرن فأتوهن فانه يقتضي تاخر جواز
الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل
الغسل من حيث امركم الله اي المأتى الذي امركم به وحلله لكم ان الله يحب التوابين

منهم

من الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة
الحائض والاتيان في غير المأتى نساؤكم حرث لكم مواضع حرث لكم شبههن
بها تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف بالبذور فأتوا حرثكم اي فأتوهن كما
تاتون المحارث وهو كالبيان لقوله فأتوهن من حيث امركم الله انى شئتم من اي
جهة شئتم روي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها في قبلها كان
ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقدموا لانفسكم
ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطي واتقوا الله
بالاجتناب عن معاصيه واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر
المؤمنين الكاملين في الايمان بالكرامة والنعيم الدائم امر الرسول صلوات الله عليه
ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل امره منهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان
تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس نزلت في الصديق لما حلف ان لا ينفق
على مسطح لافترائه على عائشة او في عبد الله بن رواحة حلف ان لا يكلم ختنه
بشير بن النعمن ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة
تطلق لما يعرض دون الشيء وللمعرض للامر ومعنى الآية على الاول لا تجعلوا
الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف
عليها كقوله عليه السلام لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا
منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك وان مع صلتها عطف بيان لها
واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان يكون للتعليل
ويتعلق ان بالفعل او بعرضة اي ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم

لما فيهما

به وعلى الشأن ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك
ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة النهي اي انهيكم
عنه ارادة بركم وتقويكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على
الله والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به في اصلاح ذات البين والله
سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط الذي
لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان او
تكلم به جاهلا لمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد التاكيد لقوله
ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا
قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطات فيها
قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب
والمعنى لا يعاقبكم بما اخطاتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب
فيها والله غفور حيث لم يؤاخذ باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين
الجد تربصا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اي يحلفون على ان لا يجامعوهن
والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي
بمن تربص اربعة اشهر مبتدا ما قبله خبره او فاعل الظرف على خلاف سبق
والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اي للمولي حق
التلبث في هذه المدة فلا يطالب بفيء ولا طلاق ولذلك قال الشافعي
لا ايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ويؤيده فان فاؤا رجعوا في اليمين بالحنث
فان الله غفور رحيم للمولي اثم حنثه اذا كفر او ما توخى بالايلاء من ضرار المرأة

ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة وان عزموا الطلاق وان صمموا قصده فان
الله سميع لطلاقهم عليم بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة الايلاء في اربعة اشهر
فما دونها وحكمه ان المولي ان فاء في المدة بالوطي ان قدر وبالوعد ان عجز
صح الفيء ولزم الواطي ان يكفر والا بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد
المدة باحد الامرين فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم والمطلقات يريد بها
المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الايات والاخبار ان حكم غيرهن
خلاف ما ذكر يتربصن خبر بمعنى الامر وتغيير العبارة للتاكيد والاشعار
بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكان المخاطب قصد ان يمتثل الامر فيخبر
عنه كقولك في الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدا يزيده فضل تاكيد
بانفسهن تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء طوامح الى الرجال
فامرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص ثلثة قروء نصب على الظرف
او المفعول به اي يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض
لقوله عليه السلم دعي الصلوة ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين حيضتين
كقول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا واصله الانتقال من الطهر الى
الحيض وهو المراد به في الاية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قالت
الحنفية لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اي في وقت عدتهن والطلاق
المشروع لا يكون في الحيض واما قوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان
وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر مره فليراجعها
ثم ليمسكها حتى تطهر ثم ان شاء امسك بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك

ثم تحيض ثم تطهر ثم

العدة التي امر الله تعالى ان يطلق لها النساء وكان القياس ان يذكر بصيغة
القلة التي هي الاقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من
البنائين مكان الاخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن
معنى الكثرة فحسن بناؤها **ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن** من
الولد والحيض استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها
مقبول في ذلك **ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر** ليس المراد منه تقييد نفي الحل
بايمانهن بل التنبيه على انه ينافي الايمان وان المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي له
ان يفعل **وبعولتهن** اي ازواج المطلقات **احق بردهن** الى النكاح والرجعة
اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للاية التي تتلوها فالضمير اخص من
المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع
بعل والتاء لتانيث الجمع كالعمومة والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن
البعولة نعت به او اقيم مقام المضاف المحذوف اي واهل بعولتهن وافعل
هاهنا بمعنى الفاعل **في ذلك** اي في زمان التربص **ان ارادوا اصلاحا** بالرجعة
لا اضرار المراة وليس المراد منه شريطة قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض
عليه والمنع من قصد الضرار **ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف** اي ولهن حقوق
على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا في
الجنس **وللرجال عليهن درجة** زيادة في الحق وفضل فيه لان حقوقهم في انفسهن
وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او شرف وفضيلة لانهم
قوام عليهن وحراس لهن يشاركونهن في غرض الزواج ويخصون بفضيلة الرعا

والانفاق **والله عزيز** يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام **حكيم** يشرعها لحكم ومصالح
الطلاق مرتان اي التطليق الرجعي اثنتان لما روي انه عليه السلام سئل اين
الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعي تطليقة
بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلث بدعة
فامساك بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة يؤيد المعنى الاول **او تسريح باحسان**
بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدا و
تخيير مطلق عقبه تعليمهم كيفية التطليق **ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن**
شيئا اي من الصدقات روي ان جميلة بنت اخت عبد الله بن ابي بن سلول
كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله وقالت لا انا ولا ثابت
لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعتبه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في
الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخبا فرايته اقبل في عدة فاذا هو
اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة
اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الامرون بها
عند الترافع وقيل انه خطاب للازواج وما بعده خطاب الحكام وهو يشوش
النظم على القراءة المشهورة **الا ان يخافا** اي الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد
تفسير الخوف بالظن **الا يقيما حدود الله** بتركها اقامة احكامه من مواجب الزوجية
وقرا حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته عن الضمير بدل
الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب **فان خفتم** ايها الحكام **الا يقيما**
حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به على الرجل في اخذ ما افتدت به نفسها

واختلعت وعلى المراة في اعطائه تلك حدود الله اشارة الى ما حدد من الاحكام فلا
تعتدوها فلا تتعدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون
تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد واعلم ان ظاهر الاية يدل على ان الخلع
لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج اليها فضلا عن
الزائد ويؤيد ذلك قوله عليه السلم ايما امراة سالت زوجها طلاقا في غير
باس فحرام عليها رائحة الجنة وما روي انه عليه السلم قال لجميلة اتردين عليه
حديقته فقالت اردها وازيد عليها فقال عليه السلم اما الزائد فلا و
الجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع عن العقد لا يدل على فساده وانه
يصح بلفظ المفاداة فانه سماه افتداء واختلف في انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق
فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله فان طلقها فان تعقيبه للخلع بعد ذكر
الطلقتين يقتضي ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه
طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض فان طلقها
متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما
ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان
طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا غيره
حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره من
اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لا بد من الاصابة لما
روي ان امراة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقني
فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب

فقال رسول الله اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق
عسيلتك فالاية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة
ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع عن
التسرع الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلثا والرغبة فيها والنكاح بشرط
التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة مع الكراهة وقد لعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح
عليهما ان يتراجعا ان يرجع كل من المراة والزوج الاول الى الاخر بالزواج ان ظنا
ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حدده الله وشرعه من
حقوق الزوجية وتفسير الظن بالعلم ههنا غير سديد لان عواقب الامور
غيب تظن ولا تعلم ولانه لا يقال علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع
وهو ينافي العلم وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون
يفهمون ويعملون بمقتضى العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي اخر عدتهن
والاجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذي به ينتهي
قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى اجله والبلوغ هو الوصول
الى الشيء وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد في الاية ليصح ان
يرتب عليه فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امساك بعد انقضاء
الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتى تنقضي عدتهن من
غير تطويل وهو اعادة الحكم في بعض صوره للاهتمام به ولا تمسكوهن ضرارا
ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف

فقالت نعم يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم
ان م
اجل م

الاجل ثم يراجعها ليطول العدة عليها فنهى عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب
ضرارا على العلة او الحال بمعنى مضارين لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل او
الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة بالضرار اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد
ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا آيات الله هزوا بالاعراض عنها
والتهاون في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كانه
نهى عن الهزء واراد به الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق
ويقول كنت العب فنزلت وعنه عليه السلام ثلث جدهن جد وهزلهن
جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية
وبعثة محمد عليه السلام بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل عليكم من الكتاب و
الحكمة القرآن والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما يعظكم به بما انزل عليكم
واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم تاكيد وتهديد واذا طلقتم النساء فبلغن
اجلهن اى انقضت عدتهن وعن الشافعي رضي الله عنه دل سياق الكلامين
على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن المخاطب به الاولياء لما روى
انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جملاء ان ترجع الى زوجها الاول
بالاستيناف فيكون دليلا على ان المرأة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه
لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه بسبب توقفه
على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضي العدة ولا
يتركوهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم وقيل الاولياء
والازواج وقيل الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا

والعتاق

بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق ومنه
عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم تخرج اذا تراضوا بينهم اى الخطاب
والنساء وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف بما يعرفه الشرع
ويستحسنه المروة حال عن الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف اى
تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج من غير كفو
غير منهي ذلك اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب للجميع على تاويل القبيل او
كل واحد او ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون
تعين المخاطبين او للرسول على طريقة قوله يا ايها النبي اذا طلقتم للدلالة
على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره كل احد يوعظ به من كان منكم
يؤمن بالله واليوم الآخر لانه المتعظ به والمنتفع ذلكم اى العمل بمقتضى ما ذكر
ازكى لكم انفع واطهر من دنس الآثام والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح وانتم
لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن امر عبر عنه بالخبر
للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبي الا
من امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار والوالدات يعم
المطلقات وغيرهن وقيل يختص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين اكده
بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان للمتوجه
اليه الحكم اى ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة او متعلق بيرضعن فان الاب يجب
عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له وهو دليل على ان اقصى مدة
الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه وعلى المولود

عليه الصلوة والسلام

اى الذى يولد له يعنى الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة
للاشارة الى المعنى المقتضى لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه رزقهن
وكسوتهن اجرة لهن واختلف فى استيجار الام فجوزه الشافعى ومنعه
ابو حنيفة ما دامت زوجة او معتدة نكاح بالمعروف حسب ما يراه
الحاكم ويفى به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن و
التقييد بالمعروف ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه و
ذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل
له وتقريب اى لا يكلف كل منهما الاخر ما ليس فى وسعه ولا يضاره
بسبب الولد وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا عن
قوله لا تكلف واصله على القراءتين تضارر بالكسر على البناء للفاعل او
الفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر و
الباء من صلته اى لا يضر الوالدان بالولد فيفرط فى تعهده ويقصر فيما
ينبغى له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه
مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى
استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه
والاشفاق فلا ينبغى ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل
ذلك عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما
تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبى اى نفقات المرضعة
من ماله اذا مات الاب وقيل الباقى من الابوين من قوله واجعله الوارث

اى مؤن

منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعى اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولاد
وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابى ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو
مذهب ابى حنيفة وقيل عصباته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة الى
ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا فصالا عن تراض منهما
وتشاور اى فصالا صادرا عن التراضى منهما والتشاور بينهما قبل الحولين
والتشاور والمشاورة والمشورة والمشورة استخراج الراى من شرت
العسل اذا استخرجته فلا جناح عليهما فى ذلك وانما اعتبر تراضيهما
مراعاة لصلاح الطفل وحذرا ان يقدم احدهما على ما يضر به لغرض وان
اردتم ان تسترضعوا اولادكم اى تسترضعوا المراضع اولادكم يقال ارضعت المراة
الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتى واستنجحته اياها فحذف المفعول
الاول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم فيه واطلاقه يدل على ان للزوج
ان يسترضع للولد ويمنع الزوجة من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما اتيتم
ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقرا ابن كثير ما اتيتم من اتى
اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اى ما اتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة
بالمعروف صلة سلمتم اى بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط
محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك
ما هو الاولى والاصلح للطفل واتقوا الله مبالغة فى المحافظة على ما شرع فى
امر الاطفال والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اى فازواج

الذين والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن
منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اى يستوفون اجالهم وتأنيث
العشر باعتبار الليالى لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون
التذكير فى مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد
له قوله ان لبثتم الا عشرا ثم قوله ان لبثتم الا يوما ولعل المقتضى لهذا التقدير
ان الجنين فى غالب الامر يتحرك لثلاثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان
انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما يضعف
حركته فى المبادى فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضى تساوى المسلمة و
الكتابية فيه كما قاله الشافعى والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها
ولكن القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله
تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن على وابن عباس انها
تعتد باقصى الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اى انقضت عدتهن فلا
جناح عليكم ايها الائمة والمسلمون جميعا فيما فعلن فى انفسهن من التعرض
للخطاب وسائر ما حرم عليها للعدة بالمعروف بالوجه الذى لا ينكره الشرع
ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكره فعليهم ان يكفوهن فان قصروا فعليهم
الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم عليه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به
من خطبة النساء التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة
ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك والكناية هى الدلالة على الشى
بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف

عليهن

ابهام

والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة و
المكسورة بطلب المرأة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها
ان يقول لها انك جميلة او نافقة ومن غرضى ان اتزوج ونحو ذلك
او اكننتم فى انفسكم او اضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم
الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن
وفيه نوع توبيخ ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل
عليه ستذكرونهن اى فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا او جماعا عبر
بالسر عن الوطء لانه مما يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن
فى السر على ان المعنى بالمواعدة فى السر المواعدة بما يستهجن الا ان تقولوا
قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف اى لا
تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة او الا مواعدة بقول معروف و
قيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك لا تواعدوهن
الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة
وجواز تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف فى معتدة الفراق البائن
والاظهر جوازه ولا تعزموا عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة فى النهى عن
العقد اى ولا تعزموا عقد عقدة النكاح فان اصل العزم القطع حتى يبلغ
الكتاب اجله حتى ينتهى ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم
من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموه واعلموا ان الله غفور لمن عزم
ولم يفعل خشية من الله حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة من مهر

نافقة

الوطي

وقيل معناه لاتقطعوا عقدة النكاح صح

وقيل من وزر لانه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله عليه
يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفى ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن
اي تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا وتفرضوا
والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى مفعول و
التاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه
لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم
لها مهر اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة
ولكن سمى لها فلها نصف المسمى فمنطوق الآية نفي الوجوب في الصورة
الاولى ومفهومها يقتضي الوجوب على الجملة في الاخريين ومتعوهن
عطف على مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة
جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راي الحاكم ويؤيده قوله
على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اي على كل من الذي له سعة والمقتر
الضيق الحال ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله عليه السلام لانصاري
طلق امراته المفوضة قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك وقال ابو حنيفة
هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها من ذلك
فلها نصف مهر المثل ومفهوم الآية يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة
التي لم يمسها الزوج والحق بها الشافعي في احد قوليه الممسوسة المفوضة
وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم وقرا حمزة والكسائي قدره بفتح الدال
متاعا تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروة حقا صفة لمتاعا

جُرما

وقراء حمزة و الكسائي تماسوهن بضم التاء وبمد الميم في جميع القرآن

وحفص وابن ذكوان

ومصدر موكد اي حق ذلك حقا على المحسنين الذين يحسنون الى انفسهم بالمسا
الى الامتثال والى المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا
وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف
ما فرضتم لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها اي فلهن او فالواجب نصف
ما فرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنفي ثم تبعة المهر وان لا متعة
مع التشطير لانه قسيمها الا ان يعفون اي المطلقات فلا ياخذن شيئا و
الصيغة يحتمل التذكير والتانيث والفرق ان الواو في الاول ضمير والنون
علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم
يؤثر فيه ان ههنا ونصب المعطوف عليه او يعفو الذي بيده عقدة
النكاح اي الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر
اليها كاملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر
بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل الولي الذي يلي عقد
نكاحهن وذلك اذا كانت المراة صغيرة وهو قول قديم للشافعي وان تعفوا
اقرب للتقوى يويد الوجه الاول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى
الوجه الاخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة
واما لانهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق قبل المسيس استحق
استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج
امراة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولا
تنسوا الفضل بينكم اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ان الله بما تعملون

الزوج

لانهم طلقا

بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا على الصلوات بالاداء لوقتها والمداومة
عليها ولعل الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم
الاشتغال بشأنهم عنها والصلوة الوسطى اي الوسطى بينها او الفضلى منها خصوصا
وهي صلوة العصر لقوله عليه السلم يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى
صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها
واجتماع الملائكة وقيل صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكانت اشق
الصلوات عليهم فكانت افضل لقوله عليه السلام افضل العبادات احمزها وقيل
الفجر لانها بين صلوتي النهار والليل والواقعة في الحد المشترك بينهما
ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسط بالعدد ووتر النهار وقيل
العشاء لانها بين جهريتين واقعتين طرفي الليل وعن عائشة انه عليه
السلم كان يقرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر فيكون صلوة من الاربع خصت
بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص
وقوموا لله في الصلوة قانتين ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر فيه وقيل
خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح فان خفتم من عدو او غيره
فرجالا او ركبانا فصلوا راجلين او راكبين ورجال جمع راجل او رجل بمعنى
كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلوة حال المسايفة واليه ذهب الشافعي
وقال ابو حنيفة لا يصلي حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف فاذا امنتم
وزال الخوف فاذكروا الله صلوا صلوة الامن او اشكروه على الامن كما علمكم
ذكرا مثل ما علمكم من الشرائع وكيفية الصلوة حالتي الخوف والامن او شكرا يوازيه

وما مصدرية او موصولة ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين يتوفون
منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم قرأها بالنصب ابو عمرو وابن عامر
وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية
او كتب الله عليهم وصية او الزم الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب
عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكانه وقرأ الباقون بالرفع على تقدير
ووصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين يتوفون اهل وصية او
كتب عليهم وصية او عليهم وصية وقرئ متاع بدلها متاعا الى الحول نصب
بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية وبمتاع على قراءة من قرأه لانه بمعنى
التمتيع غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول
او حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان
يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى وكان
ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان
متقدما في التلاوة فهو متأخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع
او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابي حنيفة فان خرجن عن منزل
الازواج فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن كالتطيب وترك
الحداد من معروف مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة
مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة
وبين الخروج وتركها والله عزيز ينتقم ممن خالفه منهم حكيم راعى مصالحهم
وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعد

اوليوصوا وصية

ما أوجبها الواحد منهن وأراد بعض العلماء بالحكم لا بتخصيصه الا إذا جوز تخصيص
المنطوق بالمفهوم ولذلك أوجبها ابن جبير لكل مطلقة وأوله غيره بما يعم التمتيع
الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز أن يكون
اللام للعهد والتكرير للتأكيد أو لتكرير القصة كذلك إشارة إلى ما سبق من
أحكام الطلاق والعدة يبين الله لكم آياته وعد بأنه سيبين لعباده من الدلائل
والأحكام ما يحتاجون إليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون لعلكم تفهمونها
فتستعملون العقل فيها ألم تر تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب و
أرباب التواريخ وقد يخاطب به من لم ير ولم يسمع فإنه صار مثلا في التعجب إلى الذين
خرجوا من ديارهم يريد أهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا
هاربين فأماتهم الله ثم أحياهم ليعتبروا ويتيقنوا أن لا مفر من قضاء الله وقدره
أو قوما من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد ففروا حذر الموت فأماتهم الله
ثمانية أيام ثم أحياهم وهم ألوف أي ألوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلاثون و
قيل سبعون وقيل متآلفون جمع آلف كقاعد وقعود والواو للحال حذر
الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا أي قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون
والمعنى أنهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بأمر الله ومشيئته وقيل ناداهم
به ملك وإنما أسند إلى الله تعالى تخويفا وتهويلا ثم أحياهم قيل مر حزقيل
على أهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت أوصالهم فتعجب من ذلك
فأوحى إليه ناد فيهم أن قوموا بإذن الله فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم
وبحمدك لا إله إلا أنت وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض

الف اوم

للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء إن الله لذو فضل على الناس
حيث أحياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم حالهم لتستبصروا ولكن
أكثر الناس لا يشكرون أي لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز أن يراد بالشكر الاعتبار
والاستبصار وقاتلوا في سبيل الله لما بين أن الفرار عن الموت غير مخلص و
أن المقدر لا محالة واقع أمرهم بالقتال إذ لو جاء أجلهم ففي سبيل الله وإلا
فالنصر والثواب واعلموا أن الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق عليم
بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة
الموضع بالابتداء وذا خبره والذي صفة ذا أو بدله وإقراض الله مثل لتقديم
العمل الذي يطلب به ثوابه قرضا حسنا إقراضا مقرونا بالإخلاص وطيب
النفس أو مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والإنفاق في
سبيل الله فيضاعفه له فيضاعف جزاءه أخرجه على صورة المغالبة للمبالغة
وقرأ عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فإن من ذا الذي
يقرض الله في معنى أيقرض الله أحد وقرأ ابن كثير فيضعفه بالرفع وابن عامر
ويعقوب بالنصب أضعافا كثيرة لا يقدرها إلا الله وقيل الواحد بسبعمائة
وأضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب أو المفعول الثاني
لتضمن المضاعفة معنى التصيير أو المصدر على أن الضعف اسم المصدر وجمعه
للتنويع والله يقبض ويبسط يقتر على بعض حسبما اقتضت حكمته فلا
تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم وإليه ترجعون فيجازيكم على
ما قدمتم ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل الملأ جماعة يجتمعون للتشاور ولا واحد له

والتشديد

ويوسع على بعض

وقرأ نافع والكسائي والبزي وابو بكر بالصاد ومثله في الاعراف في قوله تعالى في الخلق بسطة



كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى اى من بعد وفاته ومن للابتداء اذ قالوا لنبي
لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اقم
لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رايه وجزم نقاتل على الجواب
وقرئ بالرفع على انه حال اى ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما
ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال
الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال ان
كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا او
تثبيتا قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا
اى اى غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث عليه من الاخراج عن
الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا
يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني اسرائيل
فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين
فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم ثلثمائة وثلثة عشر بعدد اهل بدر والله
عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث
لكم طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف
يدفعه منع صرفه روي ان نبيهم لما دعا الله ان يملكهم اتى بعصا يقاس بها من
يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا انى يكون له الملك علينا من اين يكون له
ذلك ويستاهل ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال والحال انا احق
منه بالملك وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له يعتضد به وانما قالوا ذلك لان

وقرا نافع عسيتم بكسر السين صح

طالوت كان فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة
والملك وانما كانت النبوة في اولاد لاوي بن يعقوب والملك في اولاد
يهودا وكان فيهم من السبطين خلق قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة
في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه
لفقره وسقوط نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد
اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم
ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا في
القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد
زاده الله فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال راسه وثالثا بانه تعالى
مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا بانه واسع الفضل يوسع
على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسب وغيره وقال لهم نبيهم
لما طلبوا منه حجة على انه سبحانه اصطفى طالوت وملكه عليهم ان اية ملكه ان
يأتيكم التابوت الصندوق فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج
منه وليس بفاعول لقلته نحو سلس وقلق ومن قراه بالهاء فلعله ابدله
منه كما ابدل من تاء التانيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة يريد به صندوق
التورية وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين
فيه سكينة من ربكم الضمير للاتيان اى في اتيانه سكون لكم وطمانينة او للتابوت
اى مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التورية وكان موسى عليه السلام اذا قاتل
قدمه فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد

فيهما

او ياقوت لها راس وذنب كراس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من ادم الى محمد عليهم السلام وقيل التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقر العلم والوقار بعد ان لم يكن وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون رضاض الالواح وعصى موسى وثيابه وعمامة هرون والهما ابناؤهما او انفسهما والال مقحم لتفخيم شانهما او انبياء بنى اسرائيل لانهم ابناء عمهما تحمله الملائكة قيل رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعده مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان فى ارض جالوت الى ان ملك الله طالوت فاصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مداين فتشاموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت ان فى ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون من كلام النبى تمام النبوة وان يكون ابتداء خطاب من الله تع فلما فصل طالوت بالجنود انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روى انه قال لهم لا يخرج معى الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسالوا ان يجرى الله لهم نهرا قال ان الله مبتليكم بنهر معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه فمن شرب منه فليس منى فليس من اشياعى او ليس بمتحد معى ومن لم يطعمه فانه منى اى من لم يذقه من طعم الشئ اذا ذاقه ماكولا او مشروبا قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا او غما

الله صح

كلام النبى صح

لهم صح

معاملة صح

علم ذلك بالوحى ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبى الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم الصابئون على الخبر فى قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة فى القليل دون الكثير فشربوا منه الا قليلا منهم اى فكرعوا فيه اذ الاصل فى الشرب منه ان لا يكون بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا فى الشرب الا قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه فى معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وقيل ثلثة الاف وقيل الف روى ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عطشه وازرقت شفته ولم يقدر ان يمضى وهكذا الدنيا لقاصد الاخرة فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه اى القليل الذى لم يخالفوه قالوا اى بعضهم لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اى قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير فى قالوا للكثير المنخذلين عنه اعتذارا فى التخلف وتخذيلا للقليل وكانهم تقاولوا به والنهر بينهما كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بحكمه وتيسيره وكم يحتمل الخبر والاستفهام ومن مبينة او مزيدة والفئة الفرقة من الناس من فاوت راسه اذا شققته او من فاء اذا رجع فوزنها فعة او فلة والله مع الصابرين بالنصر والاثابة ولما برزوا لجالوت وجنوده اى ظهروا لهم ودنوا منهم قالوا ربنا افرغ علينا

وقرا ابن عامر والكوفيون بضم الغين صح

اسودت

وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين التجاء الى الله بالدعاء وفيه ترتيب
بليغ اذ سالوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم
في مداحض الحرب المسبب منه ثم النصر على العدو المرتب عليهما غالبا
فهزموهم باذن الله فكسروهم بنصره او مصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم
وقتل داود جالوت قيل كان ايشى في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان
داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الى نبيهم انه الذي يقتل
جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد كلمه في الطريق ثلثة احجار وقالت له انك
بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته
وآتيه الله الملك اي ملك بني اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك والحكمة
النبوة وعلمه مما يشاء كالسرد وكلام الدواب والطير ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين ولولا انه تعالى
يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم
لغلبوا وافسدوا في الارض او لفسدت الارض بشؤمهم تلك آيات الله
اشارة الى ما قص من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة
وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق بالوجه المطابق الذي لا يشك فيه
اهل الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين لما اخبرت بها من غير
تعرف واستماع تلك الرسل اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها في السورة او
المعلومة للرسول او جماعة الرسل واللام للاستغراق فضلنا بعضهم على بعض
بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله تفصيل له وهو موسى وقيل

موسى ومحمد عليهما السلام كلم موسى ليلة الحيرة وفي الطور ومحمدا ليلة
المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد وقرئ كلم
الله وكالم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل كليم الله
بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات بان فضله على غيره من وجوه متعددة
وبمراتب متباعدة وهو محمد عليه الصلوة والسلام فانه خص بالدعوة
العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب
الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شانه
كانه العلم المتعين لهذا الوصف المستغني عن التعيين وقيل ابرهيم خصه
بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل ادريس لقوله تعالى ورفعناه مكانا
عليا وقيل اولو العزم من الرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه
بروح القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه
وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها
غيره ولو شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل
من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحة لاختلافهم في الدين وتضليل
بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيقه التزام دين الانبياء ومنهم من
كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن الله يفعل
ما يريد فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والآية دليل على ان
الانبياء متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع
لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله تابعة لمشيئته

عليه السلام

كان او شرا ايمانا او كفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم ما اوجبت عليكم
انفاقه من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان ياتي يوم
لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلوا
ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه اخلاؤكم او
يسامحونكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتكلوا
على شفعاء تشفع لكم في حط ما في ذممكم وانما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم
لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها ابن كثير و
ابو عمرو ويعقوب على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد والتاركون
للزكوة هم الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على
غير وجهه فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر
مكان من لم يحج وايذانا بان ترك الزكوة من صفات الكفار لقوله وويل
للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة الله لا اله الا هو مبتدا وخبر والمعنى انه
المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف في انه هل يضمر للا خبر مثل في الوجود
او يصح ان يوجد الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب
لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق
وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه لا تاخذه سنة ولا نوم السنة فتور
يتقدم النوم قال ابن الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة
وليس بنائم والنوم حال يعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من
رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس راسا

وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفي
للتشبيه وتاكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس او نوم كان مؤوف
الحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي
الجمل التي بعده له ما في السموات وما في الارض تقرير لقيوميته واحتجاج
على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما
او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له السموات والارض وما
فيهن من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شانه وانه لا احد
يساويه او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا
ان يعاوقه عنادا او مناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما
بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا
وامور الاخرة او عكسه او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا
يدركونه والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه
من ذا من الملائكة والانبياء ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا
بما شاء ان يعلموا وعطفه على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي
التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات والارض تصوير لعظمته
وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة
والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه
مجاز عن علمه او ملكه ماخوذ من كرسي العالم والملك وقيل جسم بين يدي
العرش ولذلك سمي كرسيا محيط بالسموات السبع والارضون السبع

عليه السلام م

لقوله عليه السلام ما السموات السبع م

الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة
على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل
لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرسي
وهو الملبد ولا يؤوده ولا يثقله ماخوذ من الاود وهو الاعوجاج
حفظهما اى حفظه السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر
الى المفعول وهو العلي المتعالي عن الانداد والاشباه العظيم المستحقر
بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الاية مشتملة على امهات المسائل
الالهية فانها دالة على انه تعالى موجود واحد في الالهية متصف
بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه
المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرا عن التغير والفتور لا يناسب
الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح وحده مالك الملك والملكوت
ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده
الا من اذن له عالم بالاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع
الملك والقدرة كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه لا يؤوده شاق ولا يشغله
شان متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال عليه
السلام ان اعظم اية في القرآن اية الكرسي من قراها بعث الله ملكا
يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال من
قرا اية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت
ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه

الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله لا اكراه في الدين اذ
الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ولكن قد تبين
الرشد من الغي تميز الايمان من الكفر بالايات الواضحة ودلت الدلايل على
ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يودي الى
الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان
طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل اخبار
في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله جاهد
الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لما روي ان
انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما
وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله
او صد عن عبادة الله فعلوت من الطغيان قلب عينه ولامه ويؤمن بالله بالتوحيد
وتصديق الرسل فقد استمسك بالعروة الوثقى طلب الامساك من نفسه
بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعارة لمتمسك المحق من النظر
الصحيح والراي القويم لا انفصام لها لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم
اذا كسرته والله سميع بالاقوال عليم بالنيات ولعله تهديد على النفاق
الله ولي الذين امنوا محبهم او متولي امرهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت في علمه
ايمانه يخرجهم بهدايته وتوفيقه من الظلمات ظلمات الجهل واتباع
الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر الى النور الى الهدى

الموصل الى الايمان والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن في الخبر او من الموصول
او منهما او استيناف مبين او مقرر للولاية **والذين كفروا اولياؤهم**
الطاغوت اى الشياطين او المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما
يخرجونهم من النور الى الظلمات من النور الذى منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد
الاستعداد والانهماك في الشهوات او من نور البينات الى ظلمات
الشكوك والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد
الاخراج الى الطاغوت باعتبار التسبب لا يابى تعلق قدرته تعالى و
ارادته به **اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** وعيد وتحذير ولعل
عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشانهم **الم تر الى الذى حاج ابرهيم في ربه**
تعجيب من محاجة نمروذ وحماقته **ان آتاه الله الملك** لان آتاه اى ابطره ايتاء
الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا له على طريقة العكس كقولك
عاديتني لاني احسنت اليك او وقت ان آتاه الله الملك وهو حجة على
من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة **اذ قال ابرهيم** ظرف لحاج او بدل
من آتاه على الوجه الثاني **ربي الذى يحيي ويميت** يخلق الحيوة والموت
في الاجساد وقرا حمزة رب بحذف الياء **قال انا احيي واميت** بالعفو عن
القتل والقتل **قال ابرهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من**
المغرب اعرض ابرهيم عن الاعتراض على معارضته الفاسدة الى الاحتجاج
بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة عدول
عن مثال خفي الى مثال جلي من مقدوراته التي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن

حجة الى اخرى ولعل نمروذ زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه
ابرهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد الحلول وقيل
لما كسر ابرهيم الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال من ربك الذى
تدعو اليه وحاجه فيه **فبهت الذى كفر** فصار مبهوتا وقرى فبهت اى
فغلب ابرهيم الكافر **والله لا يهدي القوم الظالمين** الذين ظلموا انفسهم بالامتناع
عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق
الجنة يوم القيمة **او كالذى مر على قرية** تقديره او ارايت مثل الذى فحذف
لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل
بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعى الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير
الكلام الم تر الى الذى حاج او الذى مر وقيل انه عطف محمول على المعنى كانه قيل
الم تر كالذى حاج او كالذى مر وقيل انه من كلام ابرهيم ذكره جوابا لمعارضته
وتقديره او ان كنت تحيي فاحي كاحياء الله الذى مر وهو عزير بن شرخيا
او الخضر او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمروذ والقرية بيت المقدس
حين خربه بختنصر وقيل القرية التي خرج منها الالوف وقيل غيرهما
واشتقاقها من القرى وهو الجمع **وهي خاوية على عروشها** خالية ساقطة
حيطانها على سقوفها **قال انى يحيي هذه الله بعد موتها** اعترافا بالقصور عن
معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحيي ان كان القائل مؤمنا واستبعادا
ان كان كافرا وانى في موضع نصب على الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى
كيف **فاماته الله مائة عام** فالبثه ميتا مائة عام او اماته فلبث ميتا مائة عام

له

ع

عليهما السلام

ثم بعثه بالاحياء قال كم لبثت القائل هو الله وساغ ان يكلمه وان كان كافرا
لانه آمن بعد البعث او شارف الايمان وقيل ملك او نبي قال لبثت يوما
او بعض يوم كقول الظان وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل
الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال او
بعض يوم على الاضراب قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك
لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء اصلية ان قدر لام
السنة هاء وهاء سكت ان قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن من الحما المسنون
فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضي البازي وانما افرد الضمير لان
الطعام والشراب كالجنس الواحد وقيل كان طعامه تينا او عنبا وشرابه
عصيرا او لبنا وكان الكل على حاله وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه
او انظر اليه سالما في مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما حفظنا
الطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال واوفق لما بعده ولنجعلك
آية للناس اي وفعلنا ذلك لنجعلك آية روي انه اتى قومه على حماره
وقال انا عزير فكذبوه فقرأ التوراة من الحفظ ولم يحفظها احد قبله
فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان شابا واولاده
شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام يعني
عظام الحمار او الاموات الذين تعجب من احيائهم كيف ننشزها نحييها او نرفع
بعضها على بعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشزها والجملة حال من
العظام اي انظر اليها محياة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب ننشرها

من انشر الله الموتى وقرئ ننشرها من نشر بمعنى انشر ثم نكسوها لحما
فلما تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله
على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة
الثاني عليه او ما قبله اي فلما تبين له ما اشكل عليه وقرأ حمزة والكسائي
قال اعلم على الامر والامر مخاطبه او هو نفسه خاطبها به على طريق التبكيت
واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى انما سأل ذلك ليصير علمه
عيانا وقيل لما قال نمرود انا احيي واميت قال له ان احياء الله برد الروح
الى بدنها فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير
آخر ثم سأل ربه ان يريه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى
قال اولم تؤمن باني قادر على الاحياء باعادة التركيب والحيوة قال له ذلك
وقد علم انه اعرق الناس في الايمان ليجيب بما اجاب فيعلم السامعون
غرضه قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اي بلى آمنت ولكن سألت لازيد
بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان الى الوحي والاستدلال قال فخذ
اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر
بدل الحمام وفيه ايماء الى ان احياء النفس بالحيوة الابدية انما يتأتى
باماتة حب الشهوات والزخارف الذي هو صفة الطاوس والصولة
المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف بهما الغراب و
الترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم بهما الحمام وانما خص الطير لانه اقرب
الى الانسان واجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمي به او جمع كصحب

فصرهن اليك فاملهن واضممهن اليك لتتاملها وتعرف شانها لئلا يلتبس
عليك بعد الاحياء وقرا حمزة ويعقوب فصِرهن بالكسر وهما لغتان قال
ولكن اطراف الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد وحف كانه على
الليت قنوان الكروم الدوالح وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها
مشددة الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه وفصرهن من التصرية وهي الجمع
ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اي ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال
التي بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل سبعة ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله
ياتينك سعيا ساعيات مسرعات طيرانا او مشيا روي انه امر بان يذبحها
وينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤسها ويخلط سائر اجزائها و
يوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير الى الآخر
حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن وفيه اشارة الى ان من
اراد احياء نفسه بالحيوة الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية
فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات
متى دعاهن بداعية العقل او الشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابرهيم
عليه السلم ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال انه تعالى
اراه ما اراد ان يريه في الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته مائة
عام واعلم ان الله عزيز لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله
ويذره مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة اي مثل نفقتهم
كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة على حذف مضاف انبتت سبع سنابل في كل

سنبلة مائة حبة اسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما
يسند الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله والمعنى انه
يخرج منها ساق يتشعب منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة
حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون في الذرة والدخن
وفي البر في الاراضي المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء
بفضله وعلى حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجله تفاوتت
الاعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من
الزيادة عليم بنية المنفق وقدر انفاقه الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله
ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى نزلت في عثمان فانه جهز جيش العسرة
بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف فانه اتى النبي صلى
الله عليه وسلم باربعة الاف درهم صدقة والمن ان يعتد باحسانه على
من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت
بين الانفاق وترك المن والاذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما
بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا قول معروف رد جميل
ومغفرة تجاوز عن السائل الحاحه او نيل مغفرة من الله بالرد الجميل او عفو
من السائل بان يعذره ويغتفر رده خير من صدقة يتبعها اذى خبر عنهما
وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة والله غني عن انفاق بمن
وايذاء حليم عن معاجلة من يمن ويؤذي بالعقوبة يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا

صدقٰتكم بالمن والاذى لا تحبطوا اجرها بكل واحد منهما كالذي ينفق ماله
رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر كابطال المنافق الذي يرائي
بانفاقه لا يريد به رضاء الله ولا ثواب الاخرة او مماثلين الذي ينفق رياء
فالكاف في محل النصب على المصدر او الحال ورياء نصب على المفعول له
او الحال بمعنى مرائيا او المصدر اي انفاقا رياء فمثله فمثل المرائي في انفاقه
كمثل صفوان كمثل حجر املس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه
صلدا املس نقيا من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا
رياء ولا يجدون ثوابه والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى لان المراد به
الجنس او الجمع كما في قوله ان الذي حانت بفلج دماؤهم والله لا يهدي
القوم الكافرين الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الريا والمن والاذى على
الانفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمن من ان يتجنب عنها ومثل الذين ينفقون
اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم وتثبيتا بعض انفسهم على الايمان
فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل
ماله وروحه ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدا من اصل
انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب
المال كمثل جنة بربوة اي ومثل نفقة هؤلاء في الزكاة كمثل بستان بموضع مرتفع
فان شجره احسن منظرا وازكى ثمرا وقرا ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ
بالكسر وثلاثتها لغات فيها اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها
وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون للتخفيف ضعفين مثلي ما كانت تثمر

القطر

القطر

بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما اريد بالزوج الواحد في قوله
من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال اي مضاعفا
فان لم يصبها وابل فطل اي فيصيبها او فالذي يصيبها طل او فطل يكفيها
لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر
والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت
باعتبار ما ينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله بالجنة
على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين في زلفاهم بالوابل و
الطل والله بما تعملون بصير تحذير عن الريا وترغيب في الاخلاص ايود
احدكم الهمزة فيه للانكار ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها
الانهار له فيها من كل الثمرات جعل الجنة منهما مع ما فيهما من سائر الاشجار تغليبا
لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها من كل الثمرات ليدل على احتوائها
على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات المنافع واصابه الكبر
اي كبر السن فان الفاقة والعالة في الشيخوخة اصعب والواو للحال او للعطف
حملا على المعنى فكانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية
ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت
عطف على اصابه او يكون باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس
من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال
الحسنة ويضم اليها ما يحبطها كرياء وايذاء في الحسرة والاسف فاذا كان
يوم القيمة واشتد حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا شانه واشبههم

به من جال ببصره في عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص
على عقبه الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا
كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون اى تتفكرون فيها فتعتبرون بها
يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلاله او جياده ومما
اخرجنا لكم من الارض اي ومن طيبات ما اخرجنا من الحبوب والثمر والمعادن
فحذف المضاف لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث منه ولا تقصدوا الردي
منه اى من المال او مما اخرجنا وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر
وقرئ ولا تأمموا ولا تيمموا بضم التاء تنفقون حال مقدرة من فاعل
تيمموا ويجوز ان يتعلق به منه ويكون الضمير للخبيث والجملة حالا منه ولستم
بآخذيه اي وحالكم انكم لا تأخذونه في حقوقكم لرداءته الا ان تغمضوا فيه الا
ان تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرئ تغمضوا اي تحملوا على
الاغماض او توجدوا مغمضين وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف
التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما يأمركم به
لانتفاعكم حميد بقبوله واثابته الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق والوعد
في الاصل شائع في الخير والشر وقرئ الفقر بالضم والسكون وبضمتين و
فتحتين ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل والعرب تسمي البخيل الفاحش و
قيل المعاصي والله يعدكم مغفرة منه اى يعدكم في الانفاق مغفرة ذنوبكم
وفضلا خلفا افضل مما انفقتم في الدنيا او في الآخرة والله واسع الفضل اى واسع
الفضل لمن انفق عليم بانفاقه يؤتي الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء

فاحشا

بناه

مفعول اول واخر للاهتمام بالمفعول الثاني ومن يؤت الحكمة بناه للمفعول
لانه المقصود وقرأ يعقوب بالكسر اى ومن يؤته الله فقد اوتي خيرا كثيرا اي
اي خير كثير اذ حيز له خير الدارين وما يذكر وما يتعظ بما قص من الآيات او ما
يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله في قلبه من العلوم بالقوة الا اولوا الالباب
ذوو العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى وما
انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية في حق او باطل او نذرتم من نذر
بشرط او غير شرط في طاعة او معصية فان الله يعلمه فيجازيكم عليه وما
للظالمين الذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها او يمنعون الصدقات
ولا يوفون بالنذور من انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ان تبدوا
الصدقات فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح
النون وكسر العين على الاصل وان تخفوها وتؤتوها الفقراء اى تعطوها مع الاخفاء
فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم وهذا في التطوع ولمن لم يعرف بالمال فان ابداء الفرض
لغيره افضل لنفي التهمة عن ابن عباس صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها
سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة و
عشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم قرأ ابن عامر وعاصم في رواية حفص بالياء اى
والله يكفر او الاخفاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش
ويعقوب بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتدأة او اسمية معطوفة على
ما بعد الفاء اى ونحن نكفر وقرأ نافع وحمزة والكسائي به مجزوما على
محل الفاء وما بعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات والله

وقرأ ابو بكر وابو عمرو وقالون وشعبة بكسر النون وسكون العين وروي عنهم بكسر النون واخفاء حركة العين وهو اقيس م

بما تعملون خبير ترغيب في الاسرار ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعل
الناس مهديين وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن القبائح
كالمن والاذى وانفاق الخبيث ولكن الله يهدي من يشاء صريح بان الهداية
من الله وبمشيئته وانما يخص بقوم دون قوم وما تنفقوا من خير من نفقة
معروفة فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث
وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال وكانه قال وما تنفقوا من خير فلانفسكم
غير منفقين الا لابتغاء وجه الله وطلب ثوابه او عطف على ما قبله اى وليس
نفقتكم الا لابتغاء وجهه فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفي
في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تاكيد
للشرطية السابقة او ما يخلف المنفق استجابة لقوله عليه السلام اللهم
اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار
ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم
فنزلت وهذا في غير الواجب اما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وانتم
لا تظلمون اى لا تنقصون ثواب نفقتكم للفقراء متعلق بمحذوف اى اعمدوا
للفقراء واجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في
سبيل الله احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في
الارض ذهابا فيها للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربعمائة من
فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم و
العبادة وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلعم يحسبهم الجاهل

بحالهم اغنياء من التعفف من اجل تعففهم عن السؤال تعرفهم بسيماهم من
الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول او لكل احد لا يسألون الناس
الحافا الحاحا وهو ان يلازم المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل
لحافه اى اعطاني من فضل ما عنده والمعنى انهم لا يسألون وان سألوا عن
ضرورة لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين لقوله على لاحب لا يهتدى بمناره
ونصبه على المصدر فانه كنوع من السؤال او على الحال وما تنفقوا من خير
فان الله به عليم ترغيب في الانفاق وخصوصا على هؤلاء الذين ينفقون
اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اى يعمون الاوقات والاحوال بالخير
نزلت في ابي بكر تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة
بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في علي لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق
بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية وقيل في ربط الخيل
في سبيل الله والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف اى
ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على وعلانية الذين يأكلون الربوا اى
الآخذون له وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان الربوا شائع في
المطعومات وهو زيادة في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد
الى اجل او في العوض بان يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب بالواو
كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون
اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام

المرتضى رضي الله عنه م

المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع و
الخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء من المس اى الجنون وهذا ايضا
من زعماتهم ان الجنى يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو
متعلق بلا يقومون اى لا يقومون من المس الذى بهم بسبب اكل الربوا
او بيقوم او بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال
عقلهم ولكن لان الله اربى فى بطونهم ما اكلوه من الربوا فاثقلهم ذلك
بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اى ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا
والبيع فى سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل
انما الربوا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا و
قاسوا به البيع والفرق بين فان من اعطى درهمين بدرهم ضيع
درهما ومن اشترى سلعة تساوى درهما بدرهمين فلعل مساس
الحاجة اليها او توقع رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله البيع وحرم الربوا
انكار لتسويتهم وابطال للقياس لمعارضته النص فمن جاءه موعظة
من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر كالنهى عن الربوا فانتهى فاتعظ
وتبع النهى فله ما سلف تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وما فى موضع
الرفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على
راى سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه
ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم فى شانه ولا اعتراض
لكم عليه ومن عاد الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب النار هم

قبل

فيها خالدون لانهم كفروا به يمحق الله الربوا يذهب بركته ويهلك المال الذى
يدخل فيه ويربى الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه
وعنه عليه السلام ان الله يقبل الصدقة فيربيها كما يربى احدكم مهره
وعنه ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب لا يرتضى ولا يحب
محبته للتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك فى ارتكابه ان
الذين آمنوا بالله ورسله وبما جاءهم منه وعملوا الصالحات واقاموا
الصلوة وآتوا الزكوة عطفهما على ما يعمهما لانافتهما على ساير الاعمال الصالحة
لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من آت ولا هم يحزنون على فائت يا ايها
الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا واتركوا بقايا ما شرطتم على
الناس من الربوا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم فان دليله امتثال ما امرتم به روى
انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا
فنزلت فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله اى فاعلموا بها من اذن
بالشىء اذا علم به وقرا حمزة وعاصم فى رواية ابن عياش فآذنوا اى فاعلموا
بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم
وذلك يقتضى ان يقاتل المربى بعد الاستتابة حتى يفىء الى امر الله كالباغى
ولا يقتضى كفره روى انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدى لنا بحرب الله ورسوله
وان تبتم من الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون باخذ الزيادة
ولا تظلمون بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم
راس مالهم وهو سديد على ما قلناه اذ المصر على التحليل مرتد وماله فىء

عليه الصلوة والسلام

وإن كان ذو عسرة وإن وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اي وان كان الغريم ذا عسرة
فنظرة فالحكم نظرة او فعليكم نظرة وهي الانظار وقرئ فناظره على الخبر
اي فالمستحق ناظره بمعنى منتظره او صاحب نظرته على طريق النسب
وعلى الامر اي فسامحه بالنظرة الى ميسرة يسار وقرأ نافع وحمزة بضم السين
وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة
كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وان تصدقوا بالابراء خير لكم اكثر
ثوابا من الانظار او خير مما تأخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد
بالتصدق الانظار لقوله عليه السلم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا
كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل
واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله يوم القيامة او يوم الموت فتأهبوا لمصيركم اليه
وقرأ ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من خير
او شر وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس انها آخر آية
نزل بها جبرئيل وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول
الله بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث
ساعات يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين اي اذا داين بعضكم بعضا تقول داينته
اذا عاملته نسيئة معطيا او آخذا وفائدة ذكر الدين ان لا يتوهم من التداين المجازاة
ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال وانه الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه
الى اجل مسمى معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لانه
اوثق وادفع للنزاع والجمهور على انه استحباب وعن ابن عباس ان المراد به

ناظره م
وقرأ عاصم بتخفيف الصاد م
ثواب م
وقيل ثمانين م
فائدة م

السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف وليكتب بينكم كاتب بالعدل
من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة امر للمتداينين
باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع
ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله
من كتبة الوثائق او ولا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها
كقوله واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها
بعد النهي عن الاباء عنها تأكيدا ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر فيكون
النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق
وليكن المملي من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء
واحد وليتق الله ربه اي المملي او الكاتب ولا يبخس ولا ينقص منه شيئا
اي من الحق او مما املى عليه فان كان الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا
او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء
بنفسه لخرس او جهل باللغة فليملل وليه بالعدل اي الذي يلي امره
ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل عقل او وكيل او مترجم
ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة في الاقرار ولعله مخصوص
بما تعاطاه القيم او الوكيل واستشهدوا شهيدين اطلبوا ان يشهد على
الدين شاهدان من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام
الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة تسمع شهادة الكفار
بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان

فليشهد او فالمستشهد رجل وامرأتان وهذا مخصوص بالاموال عند
وبما عدا الحدود والقصاص عند ابى حنيفة ممن ترضون من الشهداء
لعلمكم بعدالتهم ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى علة اعتبار العدد
اى لاجل ان احديهما ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة
فى الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم اعددت
السلاح ان يجئ عدو فادفعه وكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى
ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقرأ حمزة ان تضل على
الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار ولا
يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او التحمل وسموا شهداء قبل التحمل
لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة ولا تسئموا ان تكتبوه ولا تملوا من كثرة
مداينا تكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى بالسأم عن
الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال عليه السلام لا يقول المؤمن
كسلت صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا كان الكتاب او مشبعا
الى اجله الى وقت حلوله الذى اقر به المديون ذلكم اقسط عند الله اكثر قسطا
واقوم للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط
واقام على غير قياس او من قاسط بمعنى ذى قسط وقويم وانما صحت الواو
فى اقوم كما صحت فى التعجب لجموده وادنى ان لا ترتابوا واقرب فى ان لا تشكوا
فى جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذلك الا ان تكون تجارة
حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها استثناء عن الامر بالكتابة

والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين او عين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها
يدا بيد اى الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا باس ان لا تكتبوا لبعده عن التنازع
والنسيان ونصب عاصم تجارة على انه الخبر والاسم مضمر تقديره الا ان
تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله بنى اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان
يوما ذا كواكب اشنعا ورفعها الباقون على انها الاسم والخبر تديرونها
او على كان التامة واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع او مطلقا لانه احوط
والاوامر التى فى هذه الآية للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها
للوجوب ثم اختلف فى احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل
البنائين ويدل عليه انه قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك
الاجابة والتحريف والتغيير فى الكتبة والشهادة او النهى عن الضرار بهما
مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب
جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان وان تفعلوا الضرار او ما نهيتم
عنه م
فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله فى مخالفة امره ونهيه
ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شئ عليم كرر لفظة الله
فى الجمل الثلث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد
بانعامه والثالثة تعظيم لشانه ولانه ادخل فى التعظيم من الكناية وان
كنتم على سفر اى مسافرين ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فالذى يستوثق
به رهان او فعليكم رهان او فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط
السفر فى الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك لانه عليه السلام رهن

درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل لاقامة
التوثيق بالكتبة في السفر الذي هو مظنة اعوازها والجمهور على اعتبار
القبض فيه غير مالك وقرا ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف وكلاهما
جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف فان امن
بعضكم بعضا اي بعض الدائنين بعض المديونين واستغنى بامانته
عن الارتهان فليؤد الذي اؤتمن امانته اي دينه سماه امانة لائتمانه
عليه بترك الارتهان به وقرئ الذيمن بقلب الهمزة ياء والذتمن بادغام
الياء في التاء وهو خطأ لان المنقلبة عن الهمزة في حكمها فلا تدغم
وليتق الله ربه في الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة
ايها الشهود او المديونون والشهادة شهادتهم على انفسهم ومن يكتمها
فانه آثم قلبه اي يأثم قلبه او قلبه يأثم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى
القلب لان الكتمان يقترفه ونظيره العين زانية والاذن زانية او للمبالغة
فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وكأنه قيل تمكن الاثم في نفسه
واخذ اشرف اجزائه وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه
والله بما تعملون عليم تهديد لله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا
وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب
المغفرة والعذاب عليه يحاسبكم به الله يوم القيامة وهو حجة على من انكر
الحساب كالمعتزلة والروافض فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء
تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم

بالارتهان مقام التوثيق ص

عن ابي عمرو م

للمبالغة

ويعقوب على الاستئناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط
ومن جزم بغير فاء جعلهما بدلا عنه بدل البعض من الكل او الاشتمال كقوله
متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وادغام الراء لا
تدغم الا في مثلها والله على كل شيء قدير فيقدر على الاحياء والمحاسبة آمن
الرسول بما انزل اليه من ربه شهادة وتنصيص من الله على صحة ايمانه
والاعتداد به وانه جازم في امره غير شاك فيه والمؤمنون كل آمن بالله و
ملائكته وكتبه ورسله لا يخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون
الضمير الذي ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين او يجعل
مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدأ
ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة و
عيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقرأ حمزة والكسائي وكتابه يعني
القرآن او الجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شائع في وحدان الجنس
والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب لا نفرق بين احد
من رسله اي يقولون لا نفرق وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل
لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه كقوله وكل اتوه داخرين واحد في
معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي كقوله وما من احد عنه حاجزين و
لذلك دخل عليه بين والمراد نفي الفرق بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا
اجبنا واطعنا امرك غفرانك ربنا اغفر غفرانك او نطلب غفرانك واليك المصير
المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا الا وسعها

في اللام لحن اذ الراء ص

منكم ص

قولك ص

قبتها

الا ما يسعه قدرتها فضلاً ورحمة او ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه
طوقه ويتيسر عليه كقوله يريد الله بكم اليسر وهو يدل على عدم وقوع
التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت
من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب
بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه
النفس وتنجذب اليه وكانت اجد في تحصيله واعمل بخلاف الخير ربنا
لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان او
خطأ من تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا تمتنع المؤاخذة بهما
عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يؤدي الى الهلاك وان
كان خطأ فتعاطي الذنوب لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم يكن
عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو
الانسان به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم
قوله عليه السلام رفع عن امتي الخطأ والنسيان ربنا ولا تحمل علينا اصرا
عبأ ثقيلا يأصر صاحبه اي يحبسه في مكانه يريد به التكاليف الشاقة
وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا حملا
مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذي حملته اياهم فيكون صفة لاصرا
المراد به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة
وخمسين صلوة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكوة وما اصابهم
من الشدائد والمحن ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او

طوقها

التكاليف التي لا تفي بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف
بما لا يطاق والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل
الى مفعول ثاني واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا
ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا انت مولانا
سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر مواليه
على الاعداء والمراد به عامة الكفرة روي انه عليه السلام لما دعا بهذه
الدعوات قيل له في كل دعوة فعلت وعنه عليه السلام انزل الله آيتين
من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من
قراهما بعد العشاء الاخرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه عليه السلام
من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وهو يرد قول
من استكره ان يقال سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي
يذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة التي يذكر فيها فسطاط القرآن
فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة

سورة آل عمران قال السحرة مائتا آية وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو انما فتح الميم في المشهور
وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها ليدل على انها في
حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم في حكم الوقف
لذلك لا لتحرك في لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ

عند كل كلمة

انكر

كقولهم واحد اثنان
لا لالتقاء الساكنين
فانه غير محذور في
باب الوقف

ابو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل الحي القيوم روي انه عليه
السلام قال ان اسم الله الاعظم في ثلث سور في البقرة الله لا اله الا
هو الحي القيوم وفي آل عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت
الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب القرآن نجوما بالحق بالعدل او
بالصدق في اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله وهو في موضع
الحال مصدقا لما بين يديه من الكتب وانزل التوراة والانجيل جملة على موسى
وعيسى واشتقاقهما من الوري والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل
لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس
من ابنية العرب من قبل من قبل تنزيل القرآن هدى للناس على العموم ان
قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما وانزل الفرقان
يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد
ذكر الكتب الثلثة ليعم ما عداها كانه قال وانزل سائر ما يفرق به بين
الحق والباطل او الزبور او القرآن وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا و
تعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا منزلا ويتميز
بانه معجز يفرق به بين المحق والمبطل او المعجزات ان الذين كفروا بآيات الله
من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد بسبب كفرهم والله عزيز غالب
لا يمنع من التعذيب ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة
المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد
والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض

وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان
والكسائي في الموضع بالامالة
ونافع وحمزة
بين اللفظين الا قالون فانه
لقراءه بالفتح كقراءة
الباقين م

عنه ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اي شيء كائن في العالم
كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما
وانما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف
فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف
يشاء اي من الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال
على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم اي
صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم ولا يقدر على مثل ما يفعله
العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته قيل هذا حجاج على من زعم
ان عيسى كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه و
سلم نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليهم
واجاب عن شبههم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات احكمت
عبارتها بان حفظت من الاجمال هن ام الكتاب اصله يرد اليها غيرها و
القياس امهات فافرد على تأويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة آية واحدة
واخر متشابهات محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر
الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا
في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا
بها وباتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين
المحكمات معالي الدرجات واما قوله تعالى الر كتاب احكمت آياته فمعناه
انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها

كان م

غيره جملة ما يعلمه م

منها م

فمعناه انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ واخر جمع اخرى
وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الآخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه
ان القياس ان يعرف ولم يعرف لا انه في معنى المعرف او عن آخر من فاما الذين
في قلوبهم زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون
بظاهره ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس
ومناقضة المحكم بالمتشابه وابتغاء تاويله وطلب ان يأولوه على ما يشتهونه
ويحتمل ان يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل منهما على التعاقب
والاول يناسب المعاند والثاني يلائم الجاهل وما يعلم تاويله الذي يجب
ان يحمل عليه الا الله والراسخون في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف
على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام
الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره
غير مراد ولم يدل على ما هو المراد يقولون آمنا به استئناف موضح لحال
الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته مبتدأ كل من عند ربنا اي كل من المتشابه
والمحكم من عنده وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بجودة الذهن
وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تاويله وهو تجرد
العقل عن غواشي الحس واتصال الآية بما قبلها من حيث انها في تصوير الروح
بالعلم وتربيته وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته او انها جواب عن
تشبث النصارى بنحو قوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب
قولهم لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو اباه فاجيب بانه مصور الاجنة

كيف يشاء فيصوره من نطفة اب ومن غيرها وبانه صوره في الرحم والمصور
لا يكون اب المصور ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين وقيل استئناف
والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه
قال عليه السلام قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء
اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها
قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق والايمان بالقسمين وبعد نصب على
الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من
لدنك رحمة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة
للذنوب انك انت الوهاب لكل مسؤل وفيه دليل على ان الهدى والضلال
من الله وانه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شيء ربنا انك جامع الناس
ليوم لحساب يوم او لجزائه لا ريب فيه في وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء
نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالآخرة فانها المقصد
والمآل ان الله لا يخلف الميعاد فان الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم
الموعود به لون الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق
مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا
ان الذين كفروا عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركوا
العرب لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي من رحمته او
طاعته على معنى البدلية او من عذابه واولئك هم وقود النار حطبها و
قرئ بالضم بمعنى اهل وقودها كدأب آل فرعون متصل بما قبله اي لن تغني

عنهم كالم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك او استئناف مرفوع المحل وتقديره داب هولاء كدابهم في الكفر والعذاب وهو مصدر داب في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشان والذين من قبلهم عطف على ال فرعون وقيل استئناف كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم حال باضمار قد او استئناف بتفسير حالهم او خبر ان ابتدات بالذين من قبلهم والله شديد العقاب تهويل للمواخذة وزيادة تخويف للكفرة قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم اى قل لمشركي مكة ستغلبون يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه السلام جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرا حمزة والكسائي بالياء فيهما على ان الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد تمام ما يقال لهم او استئناف وتقديره بئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد كان لكم اية الخطاب لقريش او لليهود وقيل للمومنين في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم اى يرى المشركون المومنين مثلي عدد المشركين وكان قريب الف او مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر وذلك بعد ما قللهم في اعينهم حتى اجترؤا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا

في اعينهم حتى غلبوا مددا من الله للمومنين او يرى المومنون المشركين مثلي المومنين وكانوا ثلثة امثالهم ليثبتوا ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم الله في قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويويده قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول اى يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص او الحال من فاعل التقتا راى العين روية ظاهرة معاينة والله يويد بنصره من يشاء نصره كما ايد اهل بدر ان في ذلك اى التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح وكون الواقعة اية ايضا يحتملها ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول لعبرة لاولي الابصار لعظة لذوي البصائر وقيل لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات اى المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء على انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوا شهوتها كقوله احببت حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعي ولعله زينه ابتلاء او لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله او لانه من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الاية في معرض الذم وفرق الجبائي بين المباح والمحرم من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث بيان للمشتهيات والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف في انه فعلال او فعلان والمقنطرة ماخوذة منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة

من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة
والانعام الابل والبقر والغنم ذلك متاع الحيوة الدنيا اشارة الى ماذكر
والله عنده حسن المآب اي المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من
اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية قل اؤنبئكم بخير
من ذلكم يريد به تقرير ان ثواب الله خير من مستلذات الدنيا للذين اتقوا
عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها استيناف لبيان
ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات ويؤيده قراءة من
جرها بدلا من خير وازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ورضوان من
الله قراءة عاصم بضم الراء وهما لغتان والله بصير بالعباد اي باعمالهم
فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات
وقد نبه بهذه الاية على نعم فادناها متاع الدنيا واعلاها رضوان الله
كقوله ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها الذين يقولون
ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار صفة للمتقين او للعباد
او مدح منصوب او مرفوع وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه
كاف في استحقاق المغفرة او الاستعداد لها الصابرين والصادقين
والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات السالك
على احسن ترتيب فان معاملته مع الله اما توسل واما طلب والتوسل
اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما
واما بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت الذي

المطهمة تامة الخلق

على هو جنات م

هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب
فهو الاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط
الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحدة منها وكمالهم فيها او لتغاير
الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة
لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع سيما للمجتهدين
قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون شهد الله انه
لا اله الا هو بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الآيات
الناطقة بها والملائكة بالاقرار واولوا العلم بالايمان بها والاحتجاج
عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد قائما بالقسط
مقيما للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله وانما جاز افراده
بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله ووهبنا له اسحق
ويعقوب نافلة او من هو والعامل فيها معنى الجملة اي تفرد قائما او احقه
لانها حال مؤكدة او على المدح او الصفة للمنفي وفيه ضعف للفصل وهو
مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة او حالا عن الضمير وقرئ القائم بالقسط
على البدل من هو او الخبر لمحذوف لا اله الا هو كرره للتاكيد ومزيد الاعتناء
بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبنى عليه قوله العزيز
الحكيم فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بالقدرة على
العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة لفاعل شهد وقد
روي في فضلها انه عليه السلام قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله

العقلية م

الارزاق م

ان لعبدى هذا عندى عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدى الجنة و
هو دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله ان الدين عند الله الاسلام
جملة مستانفة مؤكدة للاولى اى لا دين مرضى عند الله سوى الاسلام
وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذى جاء به محمد صلوات الله عليه و
قرأ الكسائى بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان
او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح
على وقوع الفعل على الثانى واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى قال
تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من
اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة فى دين الاسلام فقال قوم
انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقا او فى التوحيد
فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا
بعده وقيل هم النصارى اختلفوا فى امر عيسى الا من بعد ما جاءهم العلم اى
بعد ما علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج بغيا بينهم
حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء فى الامر ومن يكفر بآيات الله
فان الله سريع الحساب وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك فى الدين وجادلوك
فيه بعد ما اقمت الحجج فقل اسلمت وجهى لله اخلصت نفسى وجملتى له لا
اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذى قامت عليه الحجج ودعا اليه الآيات
والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر
القوى والحواس ومن اتبعن عطف على التاء وحسن للفصل او مفعول معه

هو

وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب لهم كمشركى العرب
ءاسلمتم كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله
فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة فان اسلموا فقد
اهتدوا فقد نفعوا بان اخرجوها من الضلال وان تولوا فانما عليك البلاغ
اى فلم يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد وعد
ووعيد ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون
الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم هم اهل الكتاب الذين
فى عصره قتل اولوهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل
النبى والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله فى سورة البقرة وقرأ حمزة
ويقاتلون ومنع سيبويه ادخال الفاء فى خبر ان كليت ولعل ولذلك
قيل الخبر اولئك الذين حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة كقولك زيد فافهم
رجل صالح والفرق انه لا يغير معنى الابتداء بخلافهما وما لهم من ناصرين
يدفع عنهم العذاب الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اى التورية
او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض او للبيان وتنكير النصيب يحتمل
التعظيم والتحقير يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم الداعى محمد صلوات
الله عليه وكتاب الله القرآن او التورية لما روى انه عليه السلام دخل
مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اى دين انت
فقال على دين ابرهيم فقالا له ان ابرهيم كان يهوديا فقال هلموا الى
التورية فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل نزلت فى الرجم وقرئ ليحكم

انفسهم

الذين لان لهم اللعنة والخزى فى الدنيا والعذاب فى الآخرة صح

على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة
السمعية حجة في الاصول ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم مع
علمهم بان الرجوع اليه واجب وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض
والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصصه بالصفة ذلك اشارة الى التولي
والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم
امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ وغرهم
في دينهم ما كانوا يفترون من ان النار لن تمسهم الا اياما قلائل او ان آباءهم
الانبياء يشفعون لهم او انه تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا
يعذب اولاده الا تحلة القسم فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه
استعظام لما يحيق بهم في الآخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا
اياما روي ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفار راية اليهود
فيفضحهم الله على رؤوس الخلائق الاشهاد ثم يامر بهم الى النار ووفيت
كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان
المؤمن لا يخلد في النار لان توفية ايمانه وعمله لا تكون في النار ولا قبل
دخولها فاذن هي بعد الخلاص منها وهم لا يظلمون الضمير لكل نفس على
المعنى لانه في معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان
وهو من خصائص هذا الاسم كدخولها عليه مع لام التعريف وقطع همزته و
تاء القسم وقيل اصله يا الله امنا بخير فخفف بحذف حرف النداء و
متعلقات
الفعل وهمزته مالك الملك تتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك و

هو بدل ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتي الملك من
تشاء وتنزع الملك ممن تشاء تعطي منها ما تشاء من تشاء وتسترد فالملك
الاول عام والآخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها
نقلها من قوم الى قوم وتعز من تشاء وتذل من تشاء في الدنيا او في الآخرة
او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان بيدك الخير انك على كل شيء قدير
ذكر الخير وحده لانه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض اذ لا يوجد شر
جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب في الخطاب او لان الكلام
وقع فيه اذ روي انه عليه السلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين
ذراعا واخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا
سلمان الى رسول الله يخبره فجاء فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها
وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر
وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب
الكلاب ثم ضرب الثانية وقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض
الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل
ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم
الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما
تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبه على ان الشر ايضا بيده لقوله انك
على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من
قدرته
الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب عقب ذلك بيان

منه

بيت

على معاقبة الليل والنهار والموت والحيوة وسعة فضله دلالة على ان من
قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج
الدخول في مضيق والايلاج الليل والنهار ادخال احدهما في الاخر بالتعقيب
او الزيادة والنقص واخراج الحي من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات
من موادها واماتتها وانشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه وقيل
اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن لا يتخذ المؤمنون الكافرين
اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة وصداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون
حبهم وبغضهم الا في الله او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور
الدينية من دون المؤمنين اشارة الى انهم الحقيق بالموالاة وان في
موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم
اولياء فليس من الله في شيء من ولايته في شيء يصح ان يسمى ولاية فان موالاة
المتعاديين لا يجتمعان قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس
النوك عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم
ما يجب اتقاؤه او اتقاء والفعل معدى بمن لانه في معنى تحذروا و
تخافوا وقرأ يعقوب تقية منع عن موالاتهم ظاهرا وباطنا في الاوقات
كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى
عليه السلام كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه والى الله المصير
فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو تهديد عظيم
مشعر بتناهي المنهي عنه في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب

وقراء ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر الميت بالتخفيف م الاخفاء

يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة قل ان تخفوا ما في
صدوركم او تبدوه يعلمه الله اي انه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها
ان تخفوها او تبدوها ويعلم ما في السموات وما في الارض فيعلم سركم وعلنكم
والله على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والآية
بيان لقوله ويحذركم الله نفسه فكانه قال ويحذركم الله نفسه لانها متصفة
بعلم ذاتي يحيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها
فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر
على العقاب بها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من
سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا اي مسافة بعيدا يوم منصوب
بتود اي تتمنى كل نفس يوم تجد صحايف اعمالها او جزاء اعمالها من الخير
والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو
اذكر وتود حال من الضمير في عملت او خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور
على ما عملت من خير ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت
وعلى هذا يصح ان تكون شرطية ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانه
حكاية كائن واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرره
للتوكيد والتذكير والله رؤف بالعباد اشارة الى انه تعالى انما نهاهم
وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم او انه لذو مغفرة وذو عقاب
فيرجى رحمته ويخشى عذابه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل
النفس الى الشيء لكمال ادرك فيه بحيث يحملها على ما يقربه اليه والعبد

اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا من نفسه او
غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك
يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة
بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته و
الحرص على مطاوعته يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب للامر
اي يرض عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم ويقربكم
من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق
الاستعارة او المقابلة والله غفور رحيم لمن تحبب اليه بطاعته واتباع
نبيه روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل
نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل في
اقوام زعموا على عهده عليه السلام انهم يحبون الله فامروا
ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا
يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين
لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة
على ان التولي كفر وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله وان محبته مخصوصة
بالمؤمنين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين
بالرسالة والخصايص الجسمانية والروحانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه
غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك
ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة وآل ابراهيم

عنكم

واسمعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم
وال عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن
يعقوب او عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن ابي عازار بن ابي
ثور بن ربت بابل بن شاليان بن يوحنا بن اوشب بن اموذ بن ميشا بن
خاذقا بن احاذ بن يوثام بن عزريا بن يوذام بن ساقط بن ايشان بن
رجيم بن سليمان بن داود بن ايشي بن عوبد بن سلمون بن باعز بن
نحشون بن عمناذب بن رام بن حضرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب
وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة ذرية بعضها من بعض
حال او بدل من الآلين او منهما ومن نوح اي انهم ذرية واحدة متشعبة
بعضها عن بعض وقيل بعضها من بعض في الدين والذرية الولد يقع
على الواحد والجمع فعلية من الذرا او فعولة من الذر ابدلت همزتها
ياء ثم قلبت الواو واد غمت والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم فيصطفي
من كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول امرأة عمران عليم بنيتها
اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني فينتصب به اذ وقيل
نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذا جدة عيسى وكانت لعمران بن يصهر
بنت اسمها مريم اكبر من هرون فظن ان المراد زوجته وترده كفالة زكريا
فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع وكان يحيى وعيسى
ابني خالة من الاب روي انها كانت عاقرا عجوزا فبينا هي في ظل شجرة
اذ رات طايرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي

فا
انوزن
ايشابن م
فارص بن م
موسی و م
نحنت

نذرت ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه
فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا في عهدهم في
الغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير او طلبت ذكرا محررا معتقا لخدمته
لا اشغله بشيء او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال فتقبل مني ما نذرته
انك انت السميع العليم لقولي ونيتي فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها
انثى الضمير لما في بطنها وتانيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا
عنه لان تانيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد او على
تاويل مؤنث كالنفس والحبلة وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها
كانت ترجوا ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره والله اعلم بما وضعت اى
بالشيء الذي وضعت وهو استئناف من الله تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها
بشانها وقرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعت على انه
من كلامها تسلية لنفسها اى ولعل لله فيه سرا او الانثى كان خيرا من
الذكر وقرئ وضعت على خطاب الله لها وليس الذكر كالانثى بيان لقوله والله
اعلم اى وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز
ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيين فيما نذرت فيكون اللام للجنس
واني سميتها مريم عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك
لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها
فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية
امور متغايرة واني اعيذها بك اجيرها بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم

وحكمة

عمران

المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من
مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم
وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتاثر منه
الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمها ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها ربها
فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن بوجه حسن تقبل به النذائر وهو
اقامتها مقام الذكر وتسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة
روي ان حنة لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند
الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت روس
بني اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة
وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفى
قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على
تقدير مضاف اى بذي قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل
كتقضى وتعجل اى فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن
وانبتها نباتا حسنا مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها وكفلها
زكريا شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم في
رواية ابن عياش على ان الفاعل هو الله وزكريا مفعول اى جعله كافلا لها
وضامنا لمصالحها وخفف الباقون ومدوا زكريا مرفوعا كلما دخل عليها
زكريا المحراب اى الغرفة التي بنى لها او المسجد او اشرف مواضعه و
مقدمها سمي به لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت في اشرف موضع

بنيت

رزقا

من بيت المقدس وجد عندها جواب كلما وناصبه روى انه كان لا يدخل عليها
غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء
في الصيف وبالعكس قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الآتي
في غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء
وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه قالت هو من عند الله فلا
تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها
ينزل عليها من الجنة ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته
او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون من كلامها وان يكون
من كلام الله روى ان فاطمة رضي الله عنها اهدت لرسول الله صلى الله
عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت
عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا فقالت هو من
عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك
شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع
اهل بيته فاكلوا حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو واوسعت على جيرانها هنالك دعا زكريا ربه
في ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما راى كرامة
مريم ومنزلتها من الله قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها
لحنة العجوز العاقر وقيل لما راى الفواكه في غير اوانها انتبه على جواز ولادة
العاقر من الشيخ فسال وقال هب لي من لدنك لانه لم يكن على الوجوه المعتادة
وبالاسباب المعهودة انك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة اي من جنسهم

كقولهم

كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادي كان جبريل وحده وقرا حمزة
والكسائي فناديه بالامالة والتذكير وهو قائم يصلي في المحراب اي قائما
في الصلوة ويصلي صفة قائم او خبر او حال اخر او حال عن الضمير في قائم
ان الله يبشرك بيحيى اي بان الله وقرا نافع وابن عامر بالكسر على ارادة
القول او لان النداء نوع منه وقرا حمزة والكسائي يبشرك ويحيى اسم
اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة
من الله اي بعيسى سمي بذلك لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه
البدعيات التي هي عالم الامر او بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة
لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم
في انه ما هم بمعصية قط وحصورا مبالغا في حبس النفس عن الشهوات و
الملاهي روى انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال
ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشئا منهم او كائنا من عداد
من لم يات كبيرة ولا صغيرة قال رب انى يكون لي غلام استبعادا من
حيث العادة او استعظاما او تعجبا او استفهاما عن كيفية حدوثه
وقد بلغني الكبر ادركني كبر السن واثر في وكان له تسع وتسعون سنة
ولامراته ثمان وتسعون وامراتي عاقر لا تلد من العقر وهو القطع
لانها ذات عقر من الاولاد قال كذلك الله يفعل ما يشاء اي يفعل ما يشاء
من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز
عاقر او كما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق

الولد او كذلك الله مبتدأ وخبر اي الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء
بيان له او كذلك خبر محذوف اي الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان
قال رب اجعل لي آية علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر
وتزيح مشقة الانتظار قال آيتك الا تكلم الناس ثلثة ايام ان لا تقدر
على تكليم الناس ثلثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة
لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة وكانه قال آيتك ان تحبس لسانك الا عن
الشكر واحسن الجواب ما اشتق من السؤال الا رمزا اشارة بنحو يد او
راس واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل
متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرئ رمزا كخدم جمع رامز ورمزا
كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله متى
ما تلقني فردين ترجف روانف الييك وتستطارا واذكر ربك كثيرا في
ايام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة
يدل على انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشي من الزوال الى الغروب وقيل
من العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى
الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملائكة يا
مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين كلموها
شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة زكريا او ارهاصا
لنبوة عيسى فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امراة لقوله وما ارسلنا
قبلك الا رجالا وقيل الهموها والاصطفاء الاول تقبلها من امها ولم تقبل

قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها
عما يستقذر من النساء والثاني هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها
بالكرامات السنية كالولد من غير اب وتبرئتها عما قذفته اليهود بانطاق
الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي
مع الراكعين امرت بالصلوة بالجماعة بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها
وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم او للتنبيه على ان الواو
لا توجب الترتيب او ليقترن اركعي بالراكعين للايذان بان من ليس في
صلوتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله
امن هو قانت اناء الليل ساجدا او قائما وبالسجود الصلوة لقوله وادبار
السجود وبالركوع الخشوع والاخبات ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك
اي ما ذكرنا من القصص من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي وما كنت لديهم اذ
يلقون اقلامهم اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون
بها التورية تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه فان طريق
معرفة الوقائع المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم
فبقي ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل ايهم يكفل مريم
متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها ليعلموا او يقولوا
ايهم يكفل وما كنت لديهم اذ يختصمون تنافسا في كفالتها اذ قالت الملائكة
بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون على ان وقوع
الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا يا مريم ان الله

في النهر

يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم المسيح لقبه وهو من الالقاب
المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب
ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب
او مسح الارض ولم يقم في موضع او مسحه جبرئيل او من العيس وهو بياض
تعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته وابن مريم لما كانت صفة تميز تميز الاسماء
نظمت في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر افراد المبتدا فانه اسم جنس مضاف
ويحتمل ان يراد ان الذي يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلثة ويجوز ان
يكون عيسى خبر مبتدا محذوف وابن مريم صفته فان الاسم علامة للمسمى
والمميز له ممن سواه وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه يولد من
غير اب اذ الاولاد تنسب الى الاباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب
وجيها في الدنيا والاخرة حال مقدرة من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة
وتذكيره للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي الاخرة الشفاعة ومن المقربين
من الله وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة او رفعه الى السماء وصحبة الملائكة
ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء
من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل انه
رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشادا
الى انه بمعزل عن الالوهية ومن الصالحين حال ثالث من كلمة او ضميرها الذي
في يكلم قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر تعجب او استبعاد عادي
او استفهام عن انه يكون بتزوج او غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء القائل

لكنها

جبرئيل او الله وجبرئيل حكى لها قوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد
يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية
والانجيل كلام مبتدا ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم
لما علمت انها تلد من غير زوج او عطف على يبشرك او وجيها والكتاب
الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما ورسولا الى بني
اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره
ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة
مضمنا معنى النطق وكانه قال وناطقا باني قد جئتكم وتخصيص بني اسرائيل
لخصوص بعثته اليهم او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم اني اخلق لكم
من الطين كهيئة الطير نصب بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من اية او رفع على هي
اني اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه
الضمير للكاف اي في ذلك المماثل فيكون طيرا باذن الله فيصير حيا طيارا
بامر الله نبه به على ان احياءه من الله لا منه وابرئ الاكمه والابرص الذي
ولد اعمى او الممسوح العين روي انه ربما كان يجتمع عليه الوف من المرضى
من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما يداوي الا بالدعاء و
احيي الموتى باذن الله كرر باذن الله دفعا لوهم الالوهية فان الاحياء
ليس من جنس الافعال البشرية وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم
بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها ان في ذلك لاية لكم ان كنتم

لما همها
او يخلق م
وقرا نافع و
عاصم ويعلمه
بالياء م

اليهم م
من م
وقرا نافع
اني بالكسر م

مؤمنين موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق
غير معاندين ومصدقا لما بين يدي من التورية عطف على رسولا على الوجهين
او بما اضمر لاجله قد جئتكم اى وجئتكم مصدقا ولاحل لكم مقدر باضمار
او مردود على قوله قد جئتكم باية او معطوف على معنى مصدقا كقولهم
جئتك معتذرا ولاطيب قلبك بعض الذي حرم عليكم اى في شريعة موسى
كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت وهو يدل
على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتورية
كما لا يعود نسخ القران بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ
في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله
واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم اى جئتكم باية
اخرى الهمنيها ربكم وهو قوله ان الله ربي وربكم فانه دعوة الحق المجمع
عليها فيما بين الرسل الفارقة بين النبي والساحر او جئتكم باية على ان الله
ربي وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير
لقوله قد جئتكم باية من ربكم اى جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول
كتمهيد الحجة والثاني كتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله
فاتقوا الله اى لما جئتكم بالمعجزات القاهرة والايات الباهرة فاتقوا الله
في المخالفة واطيعوني فيما ادعوكم اليه ثم شرع في الدعوة واشار اليها
بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية
بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال

القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء
عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود
له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام قل امنت بالله ثم استقم
فلما احس عيسى منهم الكفر تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس
قال من انصاري الى الله ملتجيا الى الله او ذاهبا او ضاما اليه ويجوز ان
يتعلق الجار بانصاري مضمنا معنى الاضافة اى من الذين يضيفون انفسهم
الى الله في نصرتي وقيل الى هنا بمعنى مع او في او اللام قال الحواريون
حواري الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات
للحضريات لخلوص الوانهن سمي به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص
نيتهم ونقاء سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم
عيسى من اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب اى يبيضونها
نحن انصار الله اى انصار دينه امنا بالله واشهد بانا مسلمون لتشهد لنا
يوم القيمة حين يشهد الرسل لقومهم وعليهم ربنا امنا بما انزلت واتبعنا
الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اى مع الشاهدين بوحدانيتك او مع الانبياء
الذين يشهدون لاتباعهم او امة محمد عليه السلام فانهم شهداء على الناس
ومكروا اى الذين احس منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه من يقتله غيلة
ومكر الله حين رفع عيسى والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر
من حيث انه في الاصل حيلة جلب بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله تعالى
الا على سبيل المقابلة والازدواج والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم

علي

النشر

على ايصال الضر من حيث لا يحتسب اذ قال الله ظرف لمكر الله او لخير الماكرين
او لمضمر مثل وقع ذلك يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى
اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي
او متوفيك نائما اذ روي انه رفع نائما او مميتك عن الشهوات العائقة عن
العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء
واليه ذهبت النصارى ورافعك الي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من
الذين كفروا من سوء جوارهم او قصدهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا
الى يوم القيمة يعلونهم بالحجة او السيف في غالب الامر ومتبعوه من آمن بنبوته
من المسلمين والنصارى والى الان لم يسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق
لهم ملك وشوكة ثم الي مرجعكم الضمير لعيسى ومن تبعه ومن كفر به وغلب المخاطب
على الغائبين فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين فاما الذين كفروا
فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا
وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم تفسير للحكم وتفصيل له والله لا يحب الظالمين
تقرير لذلك ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه
عليك وقوله من الآيات حال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه حالا على ان
العامل معنى الاشارة وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه والذكر
الحكيم المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه يريد به القرآن وقيل
اللوح ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ان شأنه الغريب كشأن آدم خلقه من تراب
جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه وهو انه خلق بلا اب كما خلق آدم

وقرأ حفص فيوفيهم بالياء

من التراب بلا اب وام شبه حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد
الشبهة والمعنى خلق قالبه من التراب ثم قال له كن اي انشاه بشرا كقوله ثم
انشأناه خلقا آخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز ان يكون ثم لتراخي
الخبر لا المخبر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر محذوف اي هو الحق
وقيل الحق مبتدأ ومن ربك خبره اي الحق المذكور من الله فلا تكن من الممترين
خطاب للنبي على طريقة التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع فمن حاجك من
النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم
فقل تعالوا هلموا بالرأي والعزم ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا
وانفسكم اي يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة
ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب
دونهم ثم نبتهل اي نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة
واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على
الكاذبين عطف فيه بيان روي انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما
تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته
ولقد جاءكم بالفصل في امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان
ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل فانصرفوا فاتوا رسول الله وقد غدا
محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول
اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو
سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا لرسول

انشاه

اي حاجك

دعوا

الله وبذلوا له الجزية الفي حلة حمراء وثلثين درعا حديدا فقال عليه السلم
والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم
الوادي نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر وهو
دليل على نبوته وفضل من اتى بهم من اهل بيته ان هذا اي ما قص من
نبأ عيسى ومريم لهو القصص الحق بجملتها خبر ان او هو فصل يفيد
ان ما ذكره في شأن عيسى ومريم حق دون ما ذكروه وما بعده خبر واللام
دخلت فيه لانه اقرب الى المبتدأ من الخبر واصلها ان تدخل المبتدأ وما
من اله الا الله صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تأكيدا للرد على النصارى
في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا احد سواه يساويه في القدرة التامة و
الحكمة البالغة ليشاركه في الالوهية فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين
وعيد لهم وضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولي عن الحجج و
الاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدي الى فساد النفس
بل والى فساد العالم قل يا اهل الكتاب يعم اهل الكتابين وقيل يريد وفد
نجران او يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل
والكتب ويفسرها ما بعدها ان لا نعبد الا الله ان نوحده بالعبادة ونخلص
فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا
لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ولا نقول عزير ابن الله و
لا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا
منهم بعضنا بشر مثلنا روي انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون

الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم و
يحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك فان تولوا عن التوحيد
فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم
او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه
انظر الى ما راعى في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدريج في
الحجاج بين اولا احوال عيسى وما تعاقب عليه من الاطوار المنافية للالهية
ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما رأى عنادهم ولجاجهم دعاهم
الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد
عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ما وافق
عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم
وعلم ان الآيات والنذر لا تغني عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا بانا
مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التورية والانجيل
الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى في ابرهيم وزعم كل فريق انه منهم
وترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى ان اليهودية
والنصرانية حدثت بنزول التورية والانجيل على موسى وعيسى وكان ابرهيم
قبل موسى بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليهما افلا تعقلون
فتدعون المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم
ها حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره
وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى اي انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم

جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التوراة والانجيل عنادا او تدعون وروده
وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر له في كتابكم من دين ابرهيم
وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله آانتم على الاستفهام
للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون
انتم جاهلون به ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان
ولكن كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة مسلما منقادا لله وليس المراد
انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وما كان من المشركين تعريض
بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة
ابرهيم ان اولى الناس بابرهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب
للذين اتبعوه من امته وهذا النبي والذين آمنوا لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم
على الاصالة وقرئ والنبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا
على ابرهيم والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت طائفة
من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا
الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم وما يتخطاهم الاضلال
ولا يعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم او ما يضلون الا امثالهم
وما يشعرون وزره واختصاص ضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات
الله بما نطقت من التوراة والانجيل ودلت على نبوة محمد عليه السلام وانتم
تشهدون انها آيات الله او بالقرآن وانتم تشهدون نعته في الكتابين او
تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف

وقرأ نافع وابو عمرو ها انتم حيث وقع بالمد من غير همزة وورش اقل مدا وقنبل بالهمزة من غير الف بعد الهاء والباقون بالمد والهمزة والبزي تقصر المد على اصله ٣

عمران

وابراز الباطل في صورته او بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ تلبسون
بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل
كقوله كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق نبوة محمد ونعته وانتم
تعلمون عالمين بما تكتمونه وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي
انزل على الذين آمنوا وجه النهار اي اظهروا الايمان بالقرآن اول النهار
واكفروا آخره لعلهم يرجعون واكفروا به آخره لعلهم يرجعون يشكون
في دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن
الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما
انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى
الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل
اثنا عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار و
يقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت
الذي ورد في التوراة لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا الا لمن تبع
دينكم ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه
النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى
الله يهدي من يشاء الى الايمان ويثبته عليه ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم
على ذلك او بلا تؤمنوا اي لا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين

صلى الله عليه وسلم ٣

لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان
كيدهم لا يجدي بطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل عن الهدى وقرا ابن
كثير ان يوتى على الاستفهام للتقريع يويد الوجه الاول اى الان يوتى احد
دبرتم وقرى ان على انها النافية فيكون من كلام الطائفة اى ولا تومنوا
الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يوتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم
عطف على ان يوتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند
ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم
قل ان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من
يشاء والله ذو الفضل العظيم رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة ومن اهل
الكتاب من ان تامنه بقنطار يوده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي
الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تامنه بدينار لا يوده اليك
كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي اخر دينارا فجحده وقيل المامونون على
الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب
عليهم الخيانة الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك قائما على راسه مبالغا في مطالبته
بالتقاضي والترافع واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه
بقوله بانهم قالوا بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اى ليس علينا في
شان من ليسوا من اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عقاب وذم ويقولون
على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا
ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التورية حرمة وقيل عامل اليهود رجالا

يجدي

وقراء ابو بكر وابو عمرو يوده اليك باسكان الهاء وقالون باختلاس الكسرة الهاء وكذا روي عن هشام والباقون باشباع الكسرة
صح

قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا
انه كذلك في كتابهم وعن النبي عليه السلام انه قال عند نزولها كذب
اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها موداة
الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اى بلى عليهم فيهم سبيل من اوفى بعهده
واتقى فان الله يحب المتقين استيناف مقرر للجملة التي سدت بلى
مسدها والضمير المجرور لمن او لله وعموم المتقين ناب الراجع من الجزاء
الى من واشعر بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء
الواجبات والاجتناب عن المناهي ان الذين يشترون يستبدلون بعهد
الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات وايمانهم وبما
حلفوا به من قولهم والله لنومنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك لا
خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم او بشيء اصلا وان الملائكة
يسالونهم يوم القيمة او لا ينتفعون بكلمات الله واياته والظاهر انه
كناية عن غضبه عليهم لقوله ولا ينظر اليهم يوم القيمة فان من سخط على غيره
واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما ان من اعتد
بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم
على ما فعلوه قيل انها نزلت في احبار حرفوا التورية وبدلوا نعت محمد وحكم
الامانات وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل اقام سلعة
في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل في ترافع كان بين اشعث
بن قيس ويهودي في بئر او ارض وتوجه الحلف على اليهودي وان منهم لفريقا

مناب م

يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي يلوون ألسنتهم بالكتاب يفتلونها
بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلون على
قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها
لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله
يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين ويقولون هو من عند
الله وما هو من عند الله تأكيد لقوله ما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لانهم
يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اي ليس هو نازلا من عنده وهذا لا يقتضي ان لا
يكون فعل العبد فعل الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون تأكيد وتسجيل
عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم
والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب ورد على عبدة عيسى
وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك و
نتخذك ربا فقال معاذ الله ان يعبد غير الله وان نامر بعبادة غير الله فما بذلك
بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما
يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون
الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا ربانيين ولكن
يقول كونوا ربانيين والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون
كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل بما كنتم تعلمون الكتاب وبما
كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له
فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرأ ابن كثير

وقرئ تعلمون من التعلم

ونافع

ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من التدريس
وتدرسون من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز ان يكون القراءة
المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما تدرسونه على الناس ولا يأمركم
ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا نصبه ابن عامر وعاصم ويعقوب عطفا
على ثم يقول ويكون لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان اي ما كان
لبشر ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة
والنبيين اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يأمر بعبادته ولا يأمر
باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة ورفعه الباقون
على الاستئناف ويحتمل الحال أيأمركم بالكفر انكار والضمير فيه للبشر وقيل
لله بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون
لان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة
ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل انه على ظاهره واذا كان
هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين
واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين
اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على
اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل
او سماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا
اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق
بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم

والشرط ويحتمل الخبرية وقرأ حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي
اياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به و
لتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي آتيتموه وجاءكم رسول مصدق
له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم او لمن اجل ما آتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام
فحذف احدى الميمات الثلث استثقالا قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصري
اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر
او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا اقررنا قال فاشهدوا اي فليشهد بعضكم
على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم من الشاهدين وانا
ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم فمن تولى بعد
ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فاولئك هم الفاسقون المتمردون
من الكفرة أفغير دين الله يبغون عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة
بينهما للانكار او محذوف تقديره أيتولون فغير دين الله يبغون وتقديم
المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند ابي عمرو وعاصم في
رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم وله اسلم
من في السموات والارض طوعا وكرها اي طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين
بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف
على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم
لا يقدرون ان يمتنعوا عما قضي عليهم واليه ترجعون وقرئ بالياء على ان
الضمير لمن قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق و

حفص

يعقوب

يعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم امر الرسول صلوات
الله عليه بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل عليه
منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد
ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له والنزول
كما يعدى بالى لانه ينتهي الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل
عليه على المنزل على سائر الرسل لانه المعرف له والمعيار عليه لا نفرق بين
احد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون منقادون او مخلصون له
في عبادته ومن يبتغ غير الاسلام دينا اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله فلن
يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض
عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة
السليمة التي فطر الناس عليها واستدل به على ان الايمان هو الاسلام
اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل
ما يغايره ولعل الدين ايضا للاعمال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم
وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله فان
الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل
نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا تقبل توبة المرتد وشهدوا عطف
على ما في ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فاصدق واكن او حال باضمار قد من كفروا
وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان
والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع

الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم
ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه على جواز لعنهم و
بمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر
ممنوعون على الهدى مأيوسون عن الرحمة راسا بخلاف غيرهم والمراد
بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه
ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر
ذكرهما لدلالة الكلام عليهما لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين
تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد واصلحوا ما افسدوا ويجوز ان لا يقدر
له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح فان الله غفور يقبل توبته رحيم
يتفضل عليه قيل انها نزلت في الحرث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى
قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فرجع الى المدينة
فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى
والانجيل بعد الايمان بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن او
كفروا بمحمد بعدما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد الطعن
فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة
ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه وننافقه
باظهاره لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون او لا يتوبون تغليظا في شانهم وابراز
حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم
توبتهم بعدم قبولها او لان توبتهم لا يكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة

عن

الحارث

الا اذا اشرفوا
على الهلاك فكنى
عن عدم توبتهم
بعدم قبولها

كفرهم ولذلك لم يدخل الفاء فيه واولئك هم الضالون الثابتون على الضلال
ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا تغليظا في
شانهم وابراز حالهم في صورة حال الآيسين لما كان الموت على الكفر سببا
لامتناع قبول الفدية ادخل الفاء هاهنا للاشعار به وملء الشيء ما يملأه
وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف ولو
افتدى به محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء
الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض
ذهبا لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة او المراد ولو
افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل
يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك لهم عذاب اليم مبالغة
في التحذير واقناط لان من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من
ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر اي لن تبلغوا حقيقة
البر الذي هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة والرضى والجنة
حتى تنفقوا مما تحبون اي من المال او ما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس
والبدن في طاعة الله والمهجة في سبيله روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال
يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ
ذلك مال رابح او رايح واني ارى ان تجعلها في الاقربين وجاء زيد بن حارثة
بفرس كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله اسامة
فقال زيد انما اردت ان اتصدق به فقال عليه السلام ان الله تعالى قد

قبلها منك وذلك يدل على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل و
ان الاية تعم الانفاق الواجب والمستحب وقرى بعض ما تحبون وهو يدل على
ان من للتبعيض ويحتمل التبيين وما تنفقوا من شى اى من اى شى محبوب او
غيره ومن لبيان ما فان الله به عليم فمجازيكم بحسبه كل الطعام اى المطعومات
والمراد اكلها كان حلا لبنى اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك
يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث قال تعالى لا هن حل لهم الا ما حرم
اسرائيل يعقوب على نفسه كلحوم الابل والبانها قيل كان به عرق النسا فنذر ان
شفى لم ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوى
باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبى ان يجتهد وللمانع ان يقول ذلك
باذن من الله فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل التورية اى من قبل انزالها مشتملة
على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك رد على
اليهود فى دعوى البراءة عما نعى عليهم فى قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا
عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الايتين بان قالوا
لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعده
حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفى منع النسخ
والطعن فى دعوى الرسول موافقة ابراهيم بتحليله لحوم الابل والبانها صح
قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه
من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما روى انه عليه السلام لما قاله لهم
بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية وفيه دليل على نبوته فمن افترى على الله الكذب
ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التورية على بنى اسرائيل ومن

قبلهم

قبلهم من بعد ذلك من بعد ما لزمهم الحجة فاولئك هم الظالمون الذين لا ينصفون
من انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح قل صدق الله تعريض لكذبهم اى ثبت
ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا اى ملة
الاسلام التى هى فى الاصل ملة ابرهيم او مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية
التى اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم
تحريم طيبات احلها الله لابرهيم ومن تبعه وما كان من المشركين فيه اشارة الى ان
اتباعه واجب فى التوحيد الصرف والاستقامة فى الدين والتجنب عن
الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود ان اول بيت وضع للناس اى وضع
للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تع ويدل عليه انه قرى على البناء
للفاعل للذى ببكة للبيت الذى ببكة وهى لغة فى مكة كالنبيط والنميط وامر راتب
وراتم ولازب ولازم وقيل هى موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه
او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روى انه عليه السلام سئل عن
اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما
فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابرهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم
ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو اول بيت بناه ادم فانطمس فى الطوفان
ثم بناه ابرهيم وقيل كان فى موضعه قبل ادم بيت يقال له الضراح يطوف
به الملائكة فلما اهبط آدم امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع فى الطوفان الى
السماء الرابعة يطوف به ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الاية وقيل
المراد انه اول بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره

واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن في الظرف **وهدى للعالمين** لانه
قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه ايات عجيبة كما قال **فيه ايات بينات** كانحراف
الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وان ضوارى السباع تخالط
الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهره كاصحاب الفيل
والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى **مقام ابرهيم** مبتدا محذوف خبره اى منها
مقام او بدل من ايات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد
بالايات اثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها
بهذه الالانة من بين الصخار وابقاءه دون سائر اثار الانبياء وحفظه مع
كثرة اعدائه الوف سنة ويؤيده انه قرئ اية بينة على التوحيد وسبب هذا
الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت
فيه قدماه **ومن دخله كان امنا** جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى
على مقام لانه في معنى امن من دخله اى ومنها امن من دخله او فيه ايات بينات
مقام ابرهيم وامن من دخله اقتصر بذكرهما من الايات الكثيرة وطوى ذكر
غيرهما كقوله عليه السلام حبب الى من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة
عينى في الصلوة لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين بقاء الاثر مدى الدهر
والامن من العذاب يوم القيمة قال عليه السلام من مات في احدى الحرمين بعث
يوم القيامة امنا وعند ابى حنيفة من لزمه القتل بردة او قصاص وغيرهما والتجا الى الحرم لم
يتعرض له ولكن الجئ الى الخروج **ولله على الناس حج البيت** قصده للزيارة على الوجه
المخصوص وقرا حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص حج بالكسر وهي لغة نجد من

[في الهامش: ابراهيم]

[في أسفل الصفحة: استطاع]

[في الهامش: عمران]

استطاع اليه سبيلا بدل من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي انها بالمال و
لذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك
انها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال ابو حنيفة
انها بمجموع الامرين والضمير في اليه للبيت او الحج وكل ما اتى الى الشيء فهو
سبيله **ومن كفر فان الله غني عن العالمين** وضع كفر موضع من لم يحج تاكيدا
لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت
ان شاء يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج في هذه الاية من وجوه الدلالة على
وجوبه بصيغة الخبر وابرازه في الصورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق
واجب لله في رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه كايضاح بعد
ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة
وذكر الاستغناء فانه في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله
عن العالمين يدل عليه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه
بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس
واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله روى
انه لما نزل صدر الاية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب الملل فخطبهم
وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل
فنزل ومن كفر **قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله** اى باياته السمعية والعقلية
الدالة على صدق محمد فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب

[في الهامش: الملل]

دليل على ان كفرهم اقبح وانهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل فهم
كافرون بهما والله شهيد على ما تعملون والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم
فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار قل يا اهل الكتاب لم تصدون
عن سبيل الله من آمن كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي العذر
لهم واشعارا بان كل واحد من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب
العذاب وسبيل الله دينه الحق المأمور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا
يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم
ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم
عنه تبغونها عوجا حال من الواو اي باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا
على الناس وتوهموا ان فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول
الله ونحوهما او بان تحرشوا بين المؤمنين لتختلف كلمتهم ويختل امر دينهم
وانتم شهداء انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال او انتم عدول عند
اهل ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وما الله بغافل عما
تعملون وعيد لهم ولما كان المنكر في الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها
بقوله والله شهيد ولما كان في هذه الآية صدهم المؤمنين عن الاسلام
وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون يا ايها
الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين
نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن
قيس اليهودي فغاظه تآلفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم

ويذكرهم

ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم
للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح
السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه وقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ
اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بين قلوبكم فعلموا
انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا
وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع الرسول صلوات الله عليه وانما خاطبهم
الله بنفسه بعد ما امر الرسول بان يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم
واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم وكيف تكفرون وانتم
تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله انكار وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع لهم
الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر ومن يعتصم بالله ومن
يتمسك بدينه او يلتجئ اليه في مجامع اموره فقد هدي الى صراط مستقيم فقد
اهتدى لا محالة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب
منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالمواجب والاجتناب عن المحارم
كقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود هو ان يطاع فلا يعصى
ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات
اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر تاكيد للنهي عن طاعة اهل
الكتاب واصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة
والياء الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن على حال سوى حال

الاسلام اذا ادرككم الموت فان النهي عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه
بالذات نحو الفعل تارة والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك
النفي واعتصموا بحبل الله بدين الاسلام او بكتابه لقوله عليه السلام القرآن
حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب للنجاة عن
الردى كما ان التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردي وللوثوق به و
الاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين عليه ولا تفرقوا
ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او لا تتفرقوا
تفرقكم الجاهلي يحارب بعضكم بعضا او لا تذكروا لما يوجب التفرق ويزيل
الالفة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدي
الى التالف وزوال الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقاتلين فالف بين قلوبكم
بالاسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في الله وقيل
كان الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت
الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفاها الله بالاسلام والف بينهم برسوله
عليه السلام وكنتم على شفا حفرة من النار مشفقين على الوقوع في نار جهنم
لكفركم اذ لو ادرككم الموت في تلك الحال لوقعتم في النار فانقذكم منها
بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وتانيثه لتانيث ما اضيف
اليه او لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة
واصله شفو فقلبت الواو في المذكر الفا وحذفت في المؤنث كذلك مثل ذلك
التبيين يبين الله لكم آياته دلائله لعلكم تهتدون ارادة ثباتكم على الهدى و

ان ذيادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن
المنكر من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولانه
لا يصلح له كل احد اذ للمتصدي له شروط لا يشترك فيه جميع الامة كالعلم
بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب
الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه راسا
اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية او للتبيين
بمعنى وكونوا امة يامرون كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون
بالمعروف والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح ديني ودنيوي وعطف
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله
واولئك هم المفلحون المخصوصون بكمال الفلاح روي انه عليه السلام سئل
من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم
والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يؤمر به والنهي عن المنكر
واجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر ان العاصي يجب ان ينهى
عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب الآخر
ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا هم اليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد
والتنزيه واحوال الآخرة على ما عرفت من بعد ما جاءهم البينات الآيات والحجج
المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي فيه مخصوص بالتفرق في
الاصول دون الفروع لقوله عليه السلام اختلاف امتي رحمة ولقوله عليه السلام
من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطا فله اجر واحد واولئك لهم عذاب عظيم

وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب
بما في لهم من معنى الفعل او باضمار اذكر وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور
بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة
واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك
فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم
اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا
برسول الله بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعد ما اقروا به حين
اشهدهم على انفسهم او تمكنوا من الايمان بالنظر في الدلائل والايات فذوقوا
العذاب امر اهانة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او جزاء لكفركم واما الذين ابيضت
وجوههم ففي رحمة الله يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على
ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله
وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم ولكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه
حلية المؤمنين وثوابهم هم فيها خالدون اخرجه مخرج الاستيناف للتاكيد
كانه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون تلك آيات الله الواردة في وعده
ووعيده نتلوها عليك بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة فيها وما الله يريد ظلما
للعالمين اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه ولا يمنع عن
شيء فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال ولله ما في السموات وما في الارض
والى الله ترجع الامور فيجازي كلا بما وعد له واوعد كنتم خير امة دل على خيريتهم
فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرا كقوله وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم في

علم الله

علم الله او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين اخرجت للناس اظهرت لهم
تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف بين به كونهم خير امة او خبر ثان
لكنتم وتؤمنون بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يؤمن به لان الايمان
انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به وانما اخره وحقه
ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر
ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه الاية على ان الاجماع
حجة لانها تقتضي كونهم امرين بكل معروف ناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما
للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك ولو آمن اهل
الكتاب ايمانا كما ينبغي لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه منهم المؤمنون
كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر وهذه الجملة
والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا
كطعن وتهديد وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر
ثم لا ينصرون ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع باسكم عنهم نفى اضرارهم سوى
ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدبرة عليهم
ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا
على ان ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه
الآية من المغيبات التي وافقها الواقع اذ كان كذلك حال قريظة والنضير
وبني قينقاع ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال والاهل او
ذل التمسك بالباطل والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل

بتحقق

معتصمين او م

استثناء من اعم عام الاحوال اى ضربت عليهم الذلة فى عامة الاحوال الا ملتبسين
بذمة الله او كتابه الذى اتاهم وذمة المسلمين او بدينه الاسلام واتباع
سبيل المؤمنين وباؤا بغضب من الله رجعوا به مستوجبين له وضربت عليهم
المسكنة فهى محيطة بهم احاطة البيت المضروب على اهله واليهود فى غالب
الامر فقراء مساكين ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء
بالغضب بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق بسبب كفرهم
بالايات وقتلهم الانبياء ذلك اى الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون
بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغائر يفضى
الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدى الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة
فى الدنيا واستيجاب الغضب فى الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو
مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا
ليسوا سواء فى المساوى والضمير لاهل الكتاب من اهل الكتاب امة قائمة
استيناف لبيان نفى الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت
العود فقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون
يتلون القرآن فى تهجدهم عبر عنه بالتلاوة فى ساعات الليل مع السجود ليكون
ابين وابلغ فى المدح وقيل المراد صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلون
لما روى انه عليه السلام اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة
فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم يؤمنون
بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات

والتقييد بقوله بغير حق مع انه كذلك فى نفس الامر للدلالة على انه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم ايضا م

صفات

صفات اخر لامة وصفهم بخصائص ما كانت فى اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين
بالليل مشركون بالله ملحدون فى صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته
مداهنون فى الاحتساب متباطئون عن الخيرات واولئك من الصالحين
اى الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه
وثناءه وما يفعلوا من خير فلن يكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمى
ذلك كفرانا كما سمى توفية الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمنه
معنى الحرمان والله عليم بالمتقين بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدأ
الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى ان الذين كفروا
لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب او من الغناء فيكون
مصدرا واولئك اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون مثل ما ينفقون
ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا فى هذه الحيوة
الدنيا كمثل ريح فيها صر برد شديد والشايع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر
فهو فى الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد
بارد اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصى فاهلكته عقوبة لهم
لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا فى ضياعه بحرث كفار
ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما فى الدنيا والآخرة وهو من
التشبيه المركب ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث
ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون
اى ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث

وقرأ حفص وحمزة والكسائى فلن يكفروه بالياء وقرأ الباقون بالتاء م

يستدبها او ما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا
به العقوبة وقرئ ولكن اى ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير
الشان لانه لا يحذف الا فى الشعر كقوله ولكن من يبصر جفونك يعشق **يا ايها
الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة** وليجة وهو الذى يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه
ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه السلام الانصار شعار والناس
دثار **من دونكم** من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف هو
صفة بطانة اى بطانة كائنة من دونكم **لا يألونكم خبالا** لا يقصرون لكم فى
الفساد والالو التقصير واصله ان يعدى بالحرف وعدى الى مفعولين كقولهم
لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع او النقص **ودوا ما عنتم** تمنوا عنتكم وهو
شدة الضرر والمشقة وما مصدرية **قد بدت البغضاء من افواههم** اى فى كلامهم
لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم **وما تخفى صدورهم اكبر** مما بدا لان بدوه
ليس عن روية واختيار **قد بينا لكم الآيات** الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة
المؤمنين ومعاداة الكافرين **ان كنتم تعقلون** ما بين لكم والجمل الاربع جاءت
مستانفات على التعليل ويجوز ان يكون الثلث الاول صفات لبطانة
ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم اى انتم اولاء الخاطئون فى موالاة الكفار
وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم فى موالاتهم وهو خبر ثان او خبر لاولاء
والجملة خبر انتم كقولك انت زيد تحبه او صلته او حال والعامل فيها معنى
الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل يفسره ما بعده ويكون الجملة خبرا
وتؤمنون بالكتاب كله بجنس الكتب كله وهو حال من لا يحبونكم والحال

انكم

انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم
وفيه توبيخ بانهم فى باطلهم اصلب منكم فى حقكم **واذا لقوكم قالوا آمنا**
نفاقا وتغريرا **واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ** من اجله تاسفا وتحسرا
لم يجدوا الى التشفى سبيلا **قل موتوا بغيظكم** دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته
بتضاعف قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به **ان الله عليم بذات الصدور**
فيعلم ما فى صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اى
قل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون
خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعى اياك على اسرارهم فانى
عليم بالاخفى من ضمائرهم **ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة
يفرحوا بها** بيان لتناهى عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة و
شمتوا بما اصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة **وان تصبروا** على
عداوتهم او على مشاق التكاليف **وتتقوا** موالاتهم او ما حرم الله عليكم
لا يضركم كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين و
لان المجد فى الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريئا
على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره **ان الله بما يعملون** من الصبر والتقوى و
غيرهما **محيط** اى محيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اى بما يعملون
فى عداوتكم فيعاقبهم عليه **واذ غدوت** اى واذكر اذ غدوت **من اهلك** من
حجرة عائشة رضى الله عنها **تبوئ المؤمنين** تنزلهم او تسوى وتهيئ لهم و

يؤيده القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف واماكن له وقد يستعمل المقعد
والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله تعالى في مقعد صدق وقوله قبل ان
تقوم من مقامك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم روي ان المشركين نزلوا
باحد يوم الاربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلث من الهجرة فاستشار رسول
الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقد دعا عبد الله بن ابي ولم يدعه قبل
فقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله
ما خرجنا منها الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف
وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال
ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين واشار بعضهم
الى الخروج فقال عليه السلام رايت في منامي بقرا مذبوحة حولي فاولتها
خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي
في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم
فقال رجال فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى
اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما راوا ذلك ندموا على مبالغتهم
وقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته
فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة واصبح بشعب احد يوم السبت
ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفهم وامر
عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا ياتوا من ورائنا
اذ همت متعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت طائفتان منكم بنو سلمة

من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر ان تفشلا ان تجبنا
وتضعفا روي انه عليه السلام خرج في زهاء الف رجل ووعد لهم
النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن ابي في ثلثمائة وقال علام
نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري وقال انشدكم
الله في نبيكم وانفسكم فقال ابن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه
فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله والظاهر انها ما كانت عزيمة لقوله والله
وليهما اي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله ناصرهما
فما لهما يفشلان وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي فليتوكلوا عليه ولا
يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر ولقد نصركم الله ببدر تذكير
ببعض ما افادهم التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا
فسمي به وانتم اذلة حال من الضمير وانما قال اذلة ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم
مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح فاتقوا الله في الثبات
لعلكم تشكرون ما انعم به عليكم بتقواكم من نصره او لعلكم ينعم الله عليكم
فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه اذ تقول للمؤمنين ظرف
لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت على ان قوله لهم يوم احد وكان مع
اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا
امر الرسول لم تنزل الملائكة الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملائكة
منزلين انكار ان لا يكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا بانهم كانوا كالآيسين
من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل امدهم الله يوم بدر اولا

بالف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة الاف ثم صاروا خمسة وقرأ ابن عامر
منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج بلى ايجاب لما بعد لن اى بلى يكفيكم
ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم
فقال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم اى المشركون من فورهم هذا من ساعتهم
هذه وهو فى الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم
اطلق للحال التى لا ريث فيها ولا تراخى والمعنى ان يأتوكم فى الحال يمددكم
ربكم بخمسة الاف من الملائكة فى حال اتيانهم بلا تراخ وتأخير مسومين معلمين
من التسويم الذى هو اظهار سيما الشى لقوله عليه السلام لاصحابه تسوموا
فان الملائكة قد تسومت او مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وقرأ
ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله الله وما جعل
امدادكم بالملائكة الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به ولتسكن
اليه من الخوف وما النصر الا من عند الله لا من العدة والعدد وهو تنبيه
على انه لا حاجة فى نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعد لهم به بشارة لهم و
ربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر وحث على
ان لا يبالوا بمن تأخر عنهم العزيز الذى لا يغالب فى اقضيته الحكيم الذى ينصر
ويخذل بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا من
الذين كفروا متعلق بنصركم او وما النصر ان كان اللام فيه للعهد والمعنى
لينقص منهم بقتل بعض واسر آخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين
واسر سبعين من صناديدهم او يكبتهم او يخزيهم والكبت شدة غيظ او وهن

يقع فى القلب او للتنويع دون الترديد فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعى
الآمال ليس لك من الامر شى اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على
قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب
عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شى وانما انت عبد
مامور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر او شى باضمار
ان اى ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شى او ليس لك
من امرهم شى او التوبة عليهم او تعذيبهم وان يكون او بمعنى الا ان اى ليس
لك من امرهم شى الا ان يتوب عليهم فتسر به او يعذبهم فتتشفى منهم روى
ان عتبة بن ابى وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه
ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو
عليهم فنهاه الله لعلمه بان فيهم من يؤمن فانهم ظالمون قد استحقوا التعذيب
بظلمهم ولله ما فى السموات وما فى الارض خلقا وملكا فله الامر كله يغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء صريح فى نفى وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها
كالمنافى له والله غفور رحيم لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم يا ايها الذين
آمنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل
التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربى الى اجل ثم يزيد فيه
زيادة اخرى حتى تستغرق بالشى الطفيف مال المديون وقرأ ابن
كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم
تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار التى اعدت للكافرين بالتحرز عن

متابعتهم وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة
للكفار وبالعرض للعصاة واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون اتبع الوعيد
بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك
دليل عزة التوصل الى ما جعل خبرا له وسارعوا بادروا واقبلوا الى مغفرة
من ربكم الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرأ
نافع وابن عامر سارعوا بلا واو وجنة عرضها السموات والارض اى
عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة على طريقة التمثيل
لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل
بعضها ببعض اعدت للمتقين هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة
وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون صفة مادحة للمتقين او مدح
منصوب او مرفوع في السراء والضراء في حالي الرخاء والشدة او الاحوال
كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة اى لا يخلون في حال ما بانفاق
ما قدروا عليه من قليل او كثير والكاظمين الغيظ الممسكين عليه الكافين
عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت رأسها
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه
ملأ الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس التاركين عقوبة من استحقوا
مواخذته وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في امتي قليل الا من
عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين يحتمل
الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فيكون الاشارة اليهم والذين اذا فعلوا

فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اذنبوا اى ذنب
كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما
يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه
او حقه العظيم فاستغفروا لذنوبهم بالندم والتوبة ومن يغفر الذنوب
الا الله استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى
بالسعة والرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول
التوبة ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه
السلام ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون
حال من يصروا اى ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به اولئك جزاؤهم مغفرة
من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر للذين ان ابتدأت
به وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها ان عطفت على المتقين او على الذين ينفقون
ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون
كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات
على الاول يدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات
المذكورة في الآية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين انهم بان بين انهم
محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع
وتخطوا الى التخصص بمكارمه وفصل آية هؤلاء بقوله ونعم اجر العاملين
لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوته على نفسه وكم بين المحسن
والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة

انه فصل آيتهم

والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة
والجنات قد خلت من قبلكم سنن وقائع سنها الله في الامم المكذبة كقوله
وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال الكميت ما عاين
الناس من فضل كفضلكم ولا ارى مثله في سالف السنن فسيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لتعتبروا بما ترون من اثار هلاكهم هذا
بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم
قوله فانظروا اي انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة
للمتقين او الى ما لخص من امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض
للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القرآن ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية
لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم ولا
تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم شانا فانهم
على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم
بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او وانتم الاعلون في العاقبة فيكون
بشارة لهم بالنصرة والغلبة ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي اي لا تهنوا
ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون
ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قراء حمزة والكسائي وابن عياش
عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف و
الضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها والمعنى ان اصابوا منكم
يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم

فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة م

اولى

اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين
كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول وتلك
الايام نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء
اخرى كقوله فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة
كالمعاورة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه والايام يحتمل الوصف
والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر والغلبة
وليعلم الله الذين آمنوا عطف على علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت
وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه
من المصالح ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون
على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد في امثاله ونقائضه
ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريقة
البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء
موجودا ويتخذ منكم شهداء ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد او
يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد
والله لا يحب الظالمين الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين وهو
اعتراض فيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم
احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين وليمحص الله الذين آمنوا ليطهرهم
ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم ان
كانت عليهم والمحق نقص الشيء قليلا قليلا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة

بل احسبتم ومعناه الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما تجاهد
بعضكم وفيه دليل على انه فرض على الكفاية والفرق بين لما ولم ان فيه توقع
الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت
النون ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على
ان الواو للحال كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت
اى الحرب فانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم
يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على
الخروج من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته فقد رأيتموه
وانتم تنظرون اى فقد رأيتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم
وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها
او على تمنى الشهادة فان فى تمنيها تمنى غلبة الكفار وما محمد الا رسول قد
خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل افان مات او قتل انقلبتم
على اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت
او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية
والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم
بعد وفاته روى انه لما رمى عبد الله بن قميئة الحارثى رسول الله
بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير وكان صاحب
الراية حتى قتله ابن قميئة وهو يرى انه قتل النبى صلى الله عليه وسلم فقال

قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل
الرسول يدعو الى عباد الله فانحاز اليه ثلثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا
عنه المشركين وتفرق الباقون وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما
قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم
ان كان قتل محمد فان رب محمد حى لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعده
فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم انى اعتذر اليك مما يقولون وابرأ
منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت ومن ينقلب على عقبيه فلن
يضر الله شيئا بارتداده بل يضر نفسه وسيجزى الله الشاكرين على نعمة الاسلام
بالثبات عليه كانس واضرابه وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله الا بمشيته
تعالى او باذنه لملك الموت فى قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى
فى علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بالاحجام
عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد
للرسول بالحفظ وتأخير الاجل كتابا مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا
مؤجلا صفة له اى موقتا لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها
تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين و
هزموهم واخذوا ينهبون فلما رأى الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا
مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم ومن يرد
ثواب الآخرة نؤته منها اى من ثوابها وسنجزى الشاكرين الذين شكروا نعمة الله
فلم يشغلهم شئ عن الجهاد وكأين اصله اى دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى

كم والنون تنوين اثبت في الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه
انه قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري فصار كيأن ثم حذفت
الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت من طائي
من نبي بيان له قاتل معه ربيون كثير ربانيون علماء اتقياء او عابدون لربهم وقيل
جماعات والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع
وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده الى ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون
حال عنه ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل
وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله
فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من قتل النبي او بعضهم وما ضعفوا عن العدو
او في الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون
لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او
استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض
بما اصابهم عند الارجاف بقتله عليه السلام والله يحب الصابرين فينصرهم
ويعظم قدرهم وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا
وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين اي وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم
في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف
الى انفسهم هضما لها واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالها والاستغفار
عنها ثم طلبوا التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون عن خضوع
وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لان ان قالوا اعرف

صلى الله عليه وسلم صح

لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن
ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجاء
الى الله النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم
في الآخرة وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عنده يا ايها
الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت
في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان
محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابي سفيان واشياعه وتستأمنوهم
يردوكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر
الى موافقتهم بل الله مولاكم ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم
وهو خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقي في قلوب الذين كفروا
الرعب يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا
من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت
فقال عليه السلام ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا
وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم فالقى الله الرعب في قلوبهم وقرأ
ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم على الاصل في كل القرآن بما اشركوا بالله
بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا اي آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم
به سلطان وهو كقوله لا ترى الضب بها ينجحر واصل السلطنة القوة ومنه
السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان ومأواهم النار وبئس
مثوى الظالمين اي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل

ولقد صدقكم الله وعده اى وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان
كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون
يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم اذ تحسونهم باذنه
تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف رايكم او ملتم
الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم فى الامر يعنى اختلاف الرماة
حين انهزم المشركون فقال بعضهم فما موقفنا ههنا وقال آخرون لا نخالف
امر الرسول فثبت مكانه اميرهم فى نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب
وهو المعنى بقوله وعصيتم من بعد ما اريكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام
العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز
للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة وهم الثابتون محافظة على امر الرسول ثم صرفكم
عنهم ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوهم ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم
على الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا لما علم من ندمهم على المخالفة والله
ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او فى الاحوال كلها سواء اديل لهم او
عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة اذ تصعدون متعلق بصرفكم او ليبتليكم او
بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد فى الارض يقال اصعدنا من مكة
الى المدينة ولا تلوون على احد لا يقف احد لاحد ولا ينتظره والرسول
يدعوكم كان يقول الى عباد الله الى عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة فى
اخريكم فى ساقتكم وجماعتكم الاخرى فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم
ولا ما اصابكم عطف على صرفكم والمعنى فجازيكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا

صلى الله عليه وسلم

بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول او
فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله بعصيانكم له لتتمرنوا
على الصبر فى الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضر لاحق
وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم
من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير فى فاثابكم للرسول اى فآساكم
فى الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم
تسلية لكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة
والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد
الغم امنة نعاسا انزل الله عليكم الامن حتى اخذكم النعاس وعن ابى طلحة
غشينا النعاس فى المصاف حتى كان السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه
ثم يسقط فيأخذه والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها
او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول له او حال من المخاطبين
بمعنى ذوى امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم
كانها المرة من الامن يغشى طائفة منكم اى النعاس وقرأ حمزة والكسائى
بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم
انفسهم اوقعتهم انفسهم فى الهموم اذ ما بهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها
يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية صفة اخرى لطائفة او حال او استئناف
على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر اى يظنون بالله غير
الظن الحق الذى يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالملة

المواساة

الجاهلية بدله واهلها يقولون اى لرسول الله وهو بدل من يظنون هل
لنا من الامر من شئ هل لنا مما امر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط وقيل
اخبر ابن ابى بقتل بنى الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا
وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شئ او هل يزول عنا هذا القهر
فيكون لنا من الامر شئ قل ان الامر كله لله اى الغلبة الحقيقية لله ولاوليائه
فان حزب الله هم الغالبون او القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
وهو اعتراض وقرأ ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء يخفون
فى انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون اى يقولون مظهرين انهم
مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب يقولون اى
فى انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من يخفون او استئناف
على وجه البيان له لو كان لنا من الامر شئ كما وعد محمد او زعم ان الامر كله
لله ولاوليائه او لو كان لنا اختيار وتدبير ولم نبرح كما كان رأى ابن
ابى وغيره ما قتلنا هاهنا لما غلبنا ولما قتل من قتل منا فى هذه المعركة قل لو
كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اى لخرج الذين
قدر الله عليهم القتل وكتب فى اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم ينفع
الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه قدر الامور ودبرها فى سابق
قضائه لا معقب لحكمه وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمتحن ما فى صدوركم و
يظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اى وفعل ذلك
ليبتلى او عطف على محذوف اى لبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمة وللابتلاء

او على قوله لكيلا تحزنوا وليمحص ما فى قلوبكم وليكشفه ويميزه او يخلصه من
الوساوس والله عليم بذات الصدور بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد
وتنبيه على انه غنى عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمرين المؤمنين واظهار
حال المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان
ببعض ما كسبوا يعنى ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب فى انهزامهم ان
الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه فاقترفوا ذنوبا بترك المركز والحرص
على الغنيمة او الحيوة لمخالفة النبى فمنعوا التائيد وقوة القلب وقيل
استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان
المعاصى يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت
منهم وكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله
عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب
كى يتوب يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعنى المنافقين وقالوا لاخوانهم
لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم فى النسب او المذهب اذا ضربوا فى الارض
اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه
جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفا لو كانوا
عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين
به ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة
مثلها فى ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا اى لا تكونوا مثلهم فى النطق بذلك
القول والاعتقاد ليجعله حسرة فى قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى ما دل عليه

قولهم من الاعتقاد
وقيل الى ما دل
عليه م

النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم
فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم والله يحيي ويميت رد لقولهم
اي هو المؤثر في الحيوة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيي
المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير تهديد
للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على
انه وعيد للذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم اي متم في سبيله
وقرا نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات لمغفرة من الله و
رحمة خير مما يجمعون جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر
والغزاء ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيل
الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها
لو لم تموتوا ولئن متم او قتلتم على اي وجه اتفق هلاككم لالى الله تحشرون
لالى معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجتكم لوجهه لا الى غيره لا محالة
تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرا نافع وحمزة والكسائي متم
بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة وما مزيدة للتاكيد والدلالة على
ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق
بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه ولو كنت فظا سيء الخلق جافيا غليظ القلب
قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم
فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله وشاورهم في الامر اي في امر الحرب اذ
الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا برايهم وتطييبا لنفوسهم

وقرا حفص بالياء

وتمهيدا لسنة المشاورة للامة فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شيء بعد
الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه
وقرئ فاذا عزمت على التكلم اي فاذا عزمت لك على شيء وعينته لك
فتوكل علي ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم
الى الصلاح ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم
وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد خذلانه
او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضي
للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه
وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه
وآمنوا به وما كان لنبي ان يغل وما صح لنبي ان يخون في الغنائم فان النبوة
تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في
خفية والمراد منه اما براءة الرسول عما اتهم به اذ روي ان قطيفة حمراء
فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها او ظن به
الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول
الله من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم واما المبالغة في النهي للرسول على
ما روي انه بعث طلائع فغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم على
من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين
غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي
ويعقوب وان يغل على البناء للمفعول والمعنى وما صح له ان يوجد غالا

او ان ينسب الى الغلول ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة يأت بالذى غله يحمله
على عنقه كما جاء فى الحديث او بما احتمل من وباله واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت
تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم يوفى ما كسب
لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان
كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون
فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد فى عقاب عاصيهم افمن اتبع رضوان
الله بالطاعة كمن باء رجع بسخط من الله بسبب المعاصى ومأواه جهنم
وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى
ولا كذلك المرجع هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت
فى الثواب والعقاب او هم ذوو درجات والله بصير بما يعملون عالم
باعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على
المؤمنين انعم على من آمن مع الرسول من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة
عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على انه خبر مبتدأ محذوف مثل
منه او بعثه اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من نسبهم او من جنسهم عربيا
مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله فى الصدق
والامانة مفتخرين به وقرئ من انفسهم اى من اشرفهم لانه عليه السلام
كان من اشرف قبائل العرب وبطونهم يتلو عليهم آياته اى القرآن بعد
ما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحى ويزكيهم ويطهرهم من دنس الطباع و
سوء العقايد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة وان

كانوا

كانوا من قبل لفى ضلال مبين ان هى المخففة واللام هى الفارقة والمعنى وان
الشان كانوا من قبل بعثة الرسول فى ضلال ظاهر اولما اصابتكم مصيبة
قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقرير والتقريع والواو عاطفة للجملة
على ما سبق من قصة احد او على محذوف مثل افعلتم كذا وقلتم ولما ظرفه
المضاف الى اصابتكم اى حين اصابتكم مصيبة وهى قتل سبعين منكم
يوم احد والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين
من اين هذا اصابنا وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند انفسكم اى مما اقترفته
انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة
او اختيار الخروج من المدينة وعن على رضى الله عنه باختياركم الفداء
يوم بدر ان الله على كل شىء قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب
بكم ويصيب منكم وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين
يريد يوم احد فباذن الله فهو كائن بقضائه او تخليته الكفار سماها اذنا لانها
من لوازمه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون
فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف على نافقوا داخل فى الصلة
او كلام مبتدأ قاتلوا فى سبيل الله او ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير
بين ان يقاتلوا للآخرة او للدفع عن الانفس والثمرات والاموال وقيل
معناه قاتلوا الكفرة وادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد
مما يروع العدو ويكسر منه قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان
يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس

تعالى

الى التهلكة اى لو نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوه دغلا واستهزاء **هم**
للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخزالهم وكلامهم هذا فانهما اول امارات
ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل
الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين
يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطئ
قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تاكيد وتصوير
والله اعلم بما يكتمون من النفاق وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا
بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات **الذين قالوا** رفع بدلا من واو يكتمون
او نصب على الذم او الوصف للذين نافقوا وجر بدلا من الضمير فى بافواههم
او قلوبهم لقوله على جوده لضن بالماء حاتم **لاخوانهم** اى لاجلهم يريد من
قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم **وقعدوا** مقدرا بقد اى قالوا قاعدين
عن القتال **لو اطاعونا** فى القعود **ما قتلوا** كما لم نقتل **قل فادرءوا عن انفسكم**
الموت ان كنتم صادقين اى ان كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع القتل عمن
كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان
القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة كما ان القتال يكون سببا للهلاك
والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس **ولا تحسبن الذين قتلوا فى**
سبيل الله امواتا نزلت فى شهداء احد وقيل فى شهداء بدر والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد وقرئ بالياء على اسناده الى
ضمير الرسول او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف

لانه فى الاصل مبتدا جاز الحذف عند القرينة وقرا ابن عامر قتلوا
بالتشديد لكثرة المقتولين **بل احياء** اى هم احياء وقرئ بالنصب
على بل احسبهم احياء **عند ربهم** ذوو زلفى منه **يرزقون** من الجنة وهو
تاكيد لكونهم احياء **فرحين بما آتيهم الله من فضله** وهو شرف الشهادة
والفوز بالحيوة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة **ويستبشرون**
يسرون بالبشارة **بالذين لم يلحقوا بهم** اى باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا
فيلحقوا بهم **من خلفهم** اى الذين من خلفهم زمانا او رتبة **الا خوف عليهم**
ولا هم يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من
امر الاخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا
كانوا احياء حيوة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب
والاية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك
بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتالمه والتذاذه
ويؤيد ذلك قوله تعالى فى آل فرعون النار يعرضون عليها الاية
وما روى ابن عباس انه عليه السلام قال ارواح الشهداء فى اجواف طير
خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوى الى قناديل معلقة
فى ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء
يوم القيمة وانما وصفوا به فى الحال لتحققه ودنوه او احياء بالذكر او
بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب فى الشهادة وبعث على ازدياد
الطاعة واحماد لمن تمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح

يستبشرون كرره للتوكيد وليتعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف ويجوز
ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم
وفضل زيادة عليه كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما
للتعظيم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين من جملة المستبشر به عطف على فضل
وقرأ الكسائي بالكسر على انه استيناف معترض دال على ان ذلك اجر
لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة
الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب
على المدح او مبتدأ خبره الذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن
للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان
المستجيبين كلهم متقون روي ان ابا سفين واصحابه لما رجعوا فبلغوا
الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فندب اصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر
يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد
وهي على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على
انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر فالقى الله الرعب في قلوب المشركين
فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلهم من عبد
قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال
فلان يركب الخيل وماله الا فرس واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة
واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعني ابا سفين واصحابه

محسنون

انه نادى عند انصرافه عن احد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال
عليه السلام ان شاء الله فلما كان القابل خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران
فانزل الله الرعب في قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون
المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل
لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل
فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت
منكم احد الا شريدا افتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلم
والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم
يقولون حسبنا الله فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول او لمصدر قال
او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى انهم لم
يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم واظهروا
حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص
ويعضده قول ابن عمر قلنا يا رسول الله الايمان يزيد حتى يدخل صاحبه
الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة
من جملة الايمان وكذا ان لم تجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة
التأمل وتناصر الحجج وقالوا حسبنا الله محسبنا وكافينا من احسبه
اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في
قولك رجل حسبك ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا
من بدر بنعمة من الله عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه وفضل ربح

الايمان يزيد ينقص قال عليه السلام نعم

هذا

في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا لم يمسسهم
سوء من جراحة وكيد عدو واتبعوا رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير
الدارين بجرأتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتثبيت
وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين و
اظهار الجراءة على العدو بالحفظ عن كل ما يسوؤهم واصابة النفع مع ضمان
الاجر حتى انقلبوا بنعمة من الله وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة
رايه حيث حرم نفسه ما فازوا به انما ذلكم الشيطان يريد به المثبط نعيما
او ابا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته او صفته
وما بعده خبر ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف
اي انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس يخوف اولياءه القاعدين عن
الخروج مع الرسول صلى الله عليه او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان
واصحابه فلا تخافوهم الضمير للناس الثاني على الاول والى الاولياء على الثاني
وخافون في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي ان كنتم مؤمنين فان الايمان
يقتضي ايثار خوف الله على خوف الناس ولا يحزنك الذين يسارعون في
الكفر يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين او قوم
ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله
انهم لن يضروا الله شيئا اي لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون
بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر يريد الله الا يجعل لهم حظا
في الاخرة نصيبا من الثواب في الاخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم في موتهم

على

على الكفر وفي ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين
ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد
لهم ان يكون لهم حظ في الاخرة ولهم عذاب عظيم مع الحرمان عن الثواب
ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم تكرير للتاكيد
او تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد من الاعراب
ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم خطاب للرسول صلى الله
عليه وسلم او لكل من يحسب والذين مفعول وانما نملي لهم بدل منه وانما
اقتصر على مفعول واحد لان التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين
كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او المفعول الثاني على تقدير
مضاف مثل ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم
او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية
وكان حقها ان تفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة في الامام فاتبع
وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء على ان
الذين فاعل وان مع ما في حيزه مفعول وفتح سينه في جميع القران ابن
عامر وحمزة وعاصم والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشانهم
من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء انما نملي لهم ليزدادوا
اثما استيناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة و
عند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح ههنا وبكسر الاولى ولا يحسبن بالياء
على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة

والدخول في الايمان وانما على لهم خبر اعتراض معناه ان املاءنا لهم خير ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس في سبيل الله ليختبر به بواطنكم ويستدل به على عقائدكم وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء وما كان الله ليؤتي احدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر وايمان ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها فآمنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص او بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون الا ما اوحي اليهم روي ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدي انه عليه السلام قال عرضت علي امتي واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا حق الايمان وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم القراءة فيه ما سبق ومن قرأ بالتاء قدر مضافا ليتطابق مفعولاه اي ولا تحسبن بخل

وقرأ حمزة والكسائي حتى يُميّز هنا وفي الانفال بضم الياء وفتح الميم وكسر الياء والباقون بفتح الياء وكسر الميم وسكون الياء ١٢

الذين

الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول او من يحسب وان جعله الموصول كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه اي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو اي البخل شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وعنه عليه السلام ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل الله له شجاعا في عنقه يوم القيامة ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله وانه يرث منهم ما يمسكون ولا ينفقونه في سبيله بهلاكهم ويبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله بما تعملون من المنع والاعطاء خبير فمجازيكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قالته اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وروي انه عليه السلام كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ان الله فقير حين سأل القرض فلطمه ابو بكر وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق اي سنكتبه في صحائف الكتبة او سنحفظه في علمنا لا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله واستهزاء بالقرآن والرسول عليه السلام ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه

ولا ينفقونه في سبيله صح

ليسوا واجرءة ان تكبوه وانه من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال
هذا القول ونقول ذوقوا عذاب الحريق اى وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا
العذاب المحرق وفيه مبالغات بالوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع
يستعمل لادراك ساير المحسوسات والحالات وذكره هنا لان العذاب
مرتب على قولهم الناشى عن البخل والتهالك على المال وغالب حاجة الانسان
اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل
مع المال ذلك اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وقولهم هذا
وساير معاصيهم عبر بالايدى عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن وان الله ليس
بظلام للعبيد عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفى الظلم
يستلزم العدل المقتضى اثابة المحسن ومعاقبة المسئ الذين قالوا هم كعب بن
الاشرف ومالك وحيى وفنحاص ووهب بن يهودا ان الله عهد الينا اى امرنا
فى التورية واوصانا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار بان لا
نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التى كانت لانبياء بنى اسرائيل
وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبى فيدعو فتنزل نار سماوية فتأكله اى
تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل النار القربان
لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وساير المعجزات شرع فى ذلك قل قد
جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين تكذيب
والزام بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات اخر موجبة للتصديق وبما
اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم

وقرأ حمزة سيكتب بالياء وضمها وفتح التاء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء

وامتناعهم

وامتناعهم عن الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به فى معجزات اخر واجترؤا
على قتله فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤ بالبينات والزبر والكتاب
المنير تسلية للرسول من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب
المقصور على الحكم من زبرت الشئ اذا حسنته والكتاب فى عرف القران
ما يتضمن الشرايع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين فى
عامة القران وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرأ ابن
عامر وبالزبر لاعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات كل
نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت
بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وانما توفون اجوركم
تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا تاما وافيا يوم القيمة يوم قيامكم عن القبور
ولفظ التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه
السلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار
بعد عنها والزحزحة فى الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد
فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبى صلى الله عليه و
سلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن
بالله واليوم الاخر ويأتى الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا
اى لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذى يدلس به على
المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الاخرة فاما من طلب بها الاخرة
فهى له متاع بلاغ والغرور مصدر او جمع غار لتبلون اى والله لتختبرن

في اموالكم بتكليف الانفاق وبما يصيبها من الآفات وانفسكم بالجهاد والقتل
والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول
والطعن في الدين واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها
ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم
نزولها وان تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك يعني الصبر
والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور التي يجب العزم عليها او مما
عزم الله عليه اي امر به وبالغ فيه والعزم في الاصل ثبات الرأي على الشيء نحو
امضائه واذ اخذ الله اي اذكر وقت اخذه ميثاق الذين اوتوا الكتاب يريد به
العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم وقرأة ابن كثير وابي
عمرو وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم الذي
ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي الميثاق
وراء ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك
الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه نصب عينيه والقاؤه بين عينيه
واشتروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واعراضها فبئس ما يشترون
يختارون لانفسهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم
بلجام من نار وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ
على اهل العلم ان يعلموا لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا
بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب الخطاب للرسول والمفعول الاول

جعله م

الذين

الذين يفرحون ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والثاني بمفازة و
قوله فلا تحسبنهم تاكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من
التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق
واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب اي فائزين بالنجاة
منه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على
ان الذين فاعل ومفعولا يحسبن محذوفان يدل عليهما مفعولا مؤكده
فكأنه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة او
المفعول الاول محذوف وقوله فلا يحسبنهم تاكيد للفعل وفاعله ومفعوله
الاول ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روي انه عليه السلام سال اليهود
عن شيء مما في التورية فاخبروه بخلاف ما كان فيه واروه انهم قد صدقوه
وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا
بانهم راوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فانهم
يفرحون بنفاقهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذي لم يفعلوه على
الحقيقة ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل شيء قدير
فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب لدلائل واضحة على وجود
الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة عن
شوائب الحس والوهم كما سبق في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلثة
في هذه الآية لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه

والمفعول الاول الذين يفرحون صح

الثلثة م

اما ان يكون في ذات الشي كتغير الليل والنهار او جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها
او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ويل لمن قراها ولم يتفكر الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي يذكرونه
دايما على الحالات قايمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه السلام من
احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيئات
الثلث حسب طاقتهم لقوله عليه السلم لعمران بن حصين رض صل قايما فان لم تستطع
فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء فهو حجة للشافعي رضي الله عنه
في ان المريض يصلي مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه
ويتفكرون في خلق السموات والارض استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات
كما قال عليه السلام لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق
وعنه عليه السلام بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى
السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه
فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله ربنا ما خلقت
هذا باطلا على ارادة القول اي يتفكرون قايلين ذلك وهذا اشارة الى
المتفكر فيه او الخلق على انه اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما
لانهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضايعا من غير حكمة بل خلقته
لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدا لوجود الانسان وسببا لمعاشه
ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحيوة الابدية والسعادة
السرمدية في جوارك سبحانك تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض

فقنا

عمران

فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفايدة الفاء هي
الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة
ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره قولهم
من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها
على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني
افظع وما للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر
للدلالة على ان ظلمهم تسبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في
الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصر دفع بقهر
ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع
لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليس في ايقاعه على نفس المسموع وفي
تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه والمراد به الرسول عليه
السلام وقيل القران والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بالى واللام
لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص ان آمنوا بربكم فآمنا اي بان امنوا
فامتثلنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبايرنا فانها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا
صغايرنا فانها ذات مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكباير وتوفنا مع
الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه على انهم يحبون
لقاء الله ومن احب لقاء الله والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب
ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اي ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب
لما اظهر امتثاله لما امر سال ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة

امنوا م

احب الله لقايه

ان لا يكون من الموعودين لسوء عاقبة او قصور في الامتثال او تعبدا واستكانة
ويجوز ان يتعلق على بمحذوف تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا
عليهم وقيل معناه على السنة رسلك ولا تخزنا يوم القيمة بان تعصمنا عما
يقتضيه انك لا تخلف الميعاد باثابة المومن واجابة الداعي وعن ابن عباس
الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة
على استقلال المطالب وعلو شانها وفي الاثار من حزبه امر فقال خمس
مرات ربنا انجاه الله مما يخاف فاستجاب لهم ربهم الى طلبتهم وهو اخص
من اجاب ويعدى بنفسه وباللام اني لا اضيع عمل عامل منكم اي باني لا اضيع
وقرئ بالكسر على ارادة القول من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض لان
الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما من اصل واحد او لفرط الاتصال
والاتحاد او للاجتماع والاتفاق في الدين وهي جملة معترضة بين بها
شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روي ان ام سلمة قالت يا رسول
الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا
الى اخره تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح و
التعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك او الاوطان والعشاير للدين
واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا
الكفار وقتلوا في الجهاد وقرا حمزة والكسائي بالعكس لان الواو لا توجب
ترتيبا والثاني افضل لان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم تضعفوا
وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير لاكفرن عنهم سيئاتهم لامحونها ولادخلنهم

جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اي اثيبهم بذلك اثابة من عند الله
تفضلا منه فهو مصدر موكد والله عنده حسن الثواب على الطاعات قادر
عليه لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد الخطاب للنبي والمراد امته او
تثبيته على ما كان عليه كقوله ولا تطع المكذبين او لكل احد والنهي في المعنى
للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى
لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر
ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روي ان بعض
المومنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله
فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر
مبتدا محذوف اي ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته او في جنب ما
اعد الله للمومنين قال عليه السلام ما الدنيا في الاخرة الا مثل ما يجعل
احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ثم ماويهم جهنم وبيس المهاد اي ما
مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها نزلا من عند الله النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب
وصلة قال ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا
والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها الظرف وقيل
انه مصدر موكد والتقدير انزلوها نزلا وما عند الله لكثرته ودوامه خير
للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله وان من اهل الكتاب لمن
يومن بالله نزلت في ابن سلام واصحابه وقيل في اربعين من نجران واثنين

وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل في اصحمة
النجاشي لما نعاه جبرئيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فصلى
عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وانما
دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم من
القرآن وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن وجمعه
باعتبار المعنى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون من احبارهم
اولئك لهم اجرهم عند ربهم ما خص بهم من الاجر ووعدوه في قوله تعالى
اولئك يؤتون اجرهم مرتين ان الله سريع الحساب لعلمه بالاعمال وما يستوجبه
من الجزاء واستغنائه عن التامل والاحتياط والمراد ان الاجر الموعود
سريع الوصول فان سرعة الحساب يستدعي سرعة الجزاء يا ايها الذين
آمنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد وصابروا وغالبوا
اعداء الله في الصبر على شدائد الحرب واعدى عدوكم في الصبر على مخالفة
الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته ورابطوا ابدانكم و
خيولكم في الثغور مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعة كما قال عليه السلام
من الرباط انتظار الصلوة بعد الصلوة وعنه من رابط يوما وليلة في سبيل الله
كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا
لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوه بالتبري عما سواه لكي تفلحوا غاية
الفلاح او اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلث المترتبة التي
هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس في رفض العادات ومرا

بطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة و
الحقيقة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية
منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه السلام من قرأ السورة التي يذكر
فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

سورة النساء مائة وست وسبعون آية وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس خطاب يعم بني آدم اتقوا ربكم
الذي خلقكم من نفس واحدة هي آدم وخلق منها زوجها عطف على خلقكم اي
خلقكم من شخص واحد وخلق منها امكم حوا من ضلع من اضلاعها او محذوف
تقديره من نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا ونساء بيان لكيفية تولدهم
منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة
واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضي
ان يكون اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه
القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها ان تخشى
والنعمة الباهرة التي توجب طاعة موليها اولان المراد تمهيد للامر
بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات
التي بعدها وقرئ وخالق وباث على حذف مبتداء تقديره وهو خالق
وباث واتقوا الله الذي تساءلون به اي يسأل بعضكم بعضا فيقول
اسألك بالله واصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية في السين وقرأ

عاصم وحمزة والكسائي بطرحها والارحام بالنصب عطف على محل الجار و
المجرور كقولك مررت بزيد وعمرو او على الله اي اتقوا الله واتقوا
الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقرأ حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور
وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ محذوف
الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى او يتساءل به وقد نبه سبحانه
اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه عليه السلام
الرحم معلقة بالعرش تقول الا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله
ان الله كان عليكم رقيبا حافظا مطلعا وآتوا اليتامى اموالهم اي اذا بلغوا
واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه
الدرة اليتيمة اما على انه لما جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب
جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او على انه جمع على يتمى كاسرى لانه
من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كاسرى واسارى والاشتقاق
يقتضي وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ و
وروده في الآية اما للبلغ على الاصل او الاتساع لقرب عهدهم بالصغر
حثا على ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم
ان اونس منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم صغارا او لغير البلغ والحكم
مقيد وكانه قال وآتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاول ما روي ان رجلا
من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال
فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله نعوذ بالله

من

من الحوب الكبير ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم
بالحلال من اموالكم او الامر الخبيث وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذي
هو حفظها وقيل ولا تأخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانها
وهذا تبديل وليس بتبدل ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم ولا تأكلوها
مضمومة الى اموالكم اي لا تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال
وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر اجره لقوله تعالى فليأكل بالمعروف
انه الضمير للاكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر حاب
حوبا وحابا كقال قولا وقالا وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب
لكم من النساء اي ان خفتم ان لا تعدلوا في يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا
ما طاب من غيرهن اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها
ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن
او ان خفتم ان لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا
ان لا تعدلوا بين النساء فانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه لان المتحرج
من الذنب ينبغي ان يتحرج الذنوب كلها على ما روي انه تعالى لما عظم امر
اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن
فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا في
امر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى
الصفة او اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره او
ما ملكت ايمانهم وقرئ تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة اي ان خفتم

ان تجوروا مثنى وثلث ورباع معدولة عن اعداد مكررة هي ثنتين ثنتين
وثلث وثلث واربع اربع وهي غير منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت
صفات وان كانت اصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة
باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها
الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه
او مختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلثة
ثلثة ولو افردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع
ولو ذكرت باو لذهب تجويز الاختلاف في العدد فان خفتم الا تعدلوا
بين هذه الاعداد ايضا فواحدة فاختاروا او فانكحوا واحدة وذروا الجمع
وقرئ بالرفع على انه فاعل محذوف او خبر مقدر ه فتكفيكم واحدة
او فالمقنع واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى بين الواحدة من الازواج والعدد
من السراري لخفة مؤنهن وعدم وجوب القسم بينهن ذلك اي التقليل
منهن او اختيار الواحدة او التسري ادنى الا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا
يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل
عن حد السهام المسماة وفسر بان لا يكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله
يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده
قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال
الازواج وان اريد الاولاد فلان التسري مظنة قلة الولد بالاضافة
الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع

ربع

وآتوا النساء صدقاتهن مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على
التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما
على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة عطية يقال نحله
كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض و
من فسرها بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الاية لا الى موضوع اللفظ
ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء او الحال من الواو او الصدقات
اي آتوهن صدقاتهن ناحلين او منحولة وقيل المعنى نحلة من الله تفضلا
منه عليهن فيكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان
كذا اذا دان به على انه مفعول له او حال من الصدقات اي دينا من الله عز وجل
شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون
مهور موليّاتهم فان طبن لكم عن شيء منه نفسا الضمير للصداق حملا على
المعنى او يجري اسم الاشارة كقول رؤبة في قوله كانه في الجلد توليع
البهق اي كان ذلك وقيل للايتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك
وحد والمعنى فان وهبن لكم جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه
بعن لتضمين معنى التجافي والتجاوز وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب
فكلوه هنيئا مريئا فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة والهنيء والمريء
صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا ساغ من غير غصص اقيمتا مقام مصدريهما
او وصف بهما المصدر او جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنيء ما يلذه
الانسان والمريء ما تحمد عاقبته روي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم

من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم نهي للاولياء
عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم فيضيعوها وانما اضاف المال
الى الاولياء لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة
والمتأخرة وقيل نهي لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله من المال فيعطي امرأته
واولاده ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم
واستهجانا لجعلهم قواما على انفسهم وهو اوفق لقوله التي جعل الله لكم
قياما اي تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول يؤول بانها التي من جنس
ما جعل الله لكم قياما سماه قياما للمبالغة وقرئ قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقرئ قواما
وهو ما يقام به وارزقوهم فيها واكسوهم واجعلوها مكانا لرزقهم و
كسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون اليه وقولوا لهم قولا
معروفا عدة جميلة يطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع او العقل
بالحسن والمنكر ما انكره احدهما لقبحه وابتلوا اليتامى اختبروهم قبل البلوغ بتتبع
احوالهم في صلاح الدين والتهدي الى ضبط المال وحسن التصرف بان
يكل اليه مقدمات العقد وعند ابي حنيفة بان يدفع اليه ما يتصرف فيه
حتى اذا بلغوا النكاح حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم او يستكمل خمسة
عشر سنة عندنا لقوله عليه السلام اذا استكمل المولود خمسة عشر
سنة كتب ماله وعليه واقيمت عليه الحدود وثمانية عشر عند ابي حنيفة
وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده فان آنستم منهم
رشدا فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم فادفعوا اليهم

سمي ما به القيام قياما م

البلوغ م

حد م

اموالهم

اموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ ونظم الآية ان الشرطية جواب اذا المتضمنة
معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم
واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل
على انه لا يدفع اليهم ما لم يؤنس منهم الرشد وقال ابو حنيفة اذا زاد
على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الاحوال اذ الطفل
يميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان لم يؤنس الرشد ولا
تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم
ومبادرتكم كبرهم ومن كان غنيا فليستعفف من اكلها ومن كان فقيرا فليأكل
بالمعروف بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل
بالمعروف مشعر بان الولي له حق في مال الصبي وعن النبي عليه السلام ان
رجلا قال له ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل
مالا ولا واق مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تأكلوها
يدل على انه نهي للاولياء ان يأخذوا وينفقوا على انفسهم اموال
اليتامى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم قبضوها فانه
انفى للتهمة وابعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل على
ان القيم لا يصدق في دعواه الا بالبينة وهو المختار عندنا ومذهب
مالك خلافا لابي حنيفة وكفى بالله حسيبا محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم
ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء
نصيب مما ترك الوالدان والاقربون يريد بهم المتوارثين بالقرابة مما قل منه

منه م

نصيبا مفروضا

او كثر نصيبا مفروضا بدل مما ترك باعادة العامل نصب على انه مصدر موكد
كقوله فريضة من الله او حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيب او على
الاختصاص بمعنى اعنى نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان
الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه روى ان اوس بن صامت
الانصارى خلف زوجته ام كحة وثلث بنات فزوى ابنا عمه سويد
وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم
ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يورث من يحارب
ويذب عن الحوزة فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعى حتى انظر ما يحدث الله فنزلت
فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا
ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين
والباقى ابنى العم وهو دليل على جواز تاخير البيان عن الخطاب واذا حضر

وقت

القسمة اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم منه فاعطوهم
شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبلغ
من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف فى نسخه والضمير لما ترك او ما دل
عليه القسمة وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا
ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا
خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه فى امر اليتامى فيفعلوا بهم
ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين المريض

عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم
شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف المال عنهم او
للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى
والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا
مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا
فى الوصية ولو بما فى حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم
وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع
وفى ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث
على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف
بحال اولاده فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى الذى
هو غاية الخشية بعد ما امرهم بها مراعاة للمبداء والمنتهى اذ لا ينفع
الاول دون الثانى ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم
بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف فى الوصية
وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضرى القسمة
عذرا جميلا ووعدا حسنا او ان يقولوا فى الوصية ما لا يؤدى الى
مجاوزة الثلث وتضييع الورثة ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما
ظالمين او على وجه الظلم انما ياكلون فى بطونهم ملء بطونهم نارا ما يجر الى
النار ويؤل اليها وعن ابى بردة انه عليه السلم قال يبعث الله قوما
من قبورهم تاجج افواههم نارا فقيل من هم فقال الم تر ان الله يقول ان

الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون
سعيرا سيدخلون نارا أي نارا وقرأ ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا
وقرئ به مشددا يقال صلي النار قاسى حرها وصليته شويته وأصليته
وصليته ألقيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار إذا
ألهبتها يوصيكم الله يأمركم ويعهد إليكم في أولادكم في شأن ميراثهم وهو إجمال
تفصيله للذكر مثل حظ الأنثيين أي يعد كل ذكر بأنثيين حيث اجتمع الصنفان
فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لأن القصد إلى
بيان فضله والتنبيه على أن التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية
وقد اشتركا في الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به فإن كن نساء أي
إن كان الأولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فأنث الضمير باعتبار الخبر
أو على تأويل المولودات فوق اثنتين خبر بعد خبر أو صفة لنساء أي نساء
زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك المتوفى منكم ويدل عليه المعنى وإن
كانت واحدة فلها النصف أي وإن كانت المولودة واحدة وقرأ نافع بالرفع
على كان التامة واختلف في الثنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة
لأنه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما
لأنه تعالى لما بين أن حظ الذكر مثل حظ الأنثيين إذا كان معه أنثى وهو
الثلثان اقتضى ذلك أن فرضهما الثلثان ثم لما أوهم ذلك أن يزاد النصيب
بزيادة العدد رد ذلك بقوله فإن كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك أن
البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع أخيها فبالحري أن تستحقه مع

أخت

أخت مثلها وأن البنتين أمس رحما من الأختين وقد فرض لهما الثلثين
بقوله فلهما الثلثان مما ترك ولأبويه أي ولأبوي الميت لكل واحد منهما
بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كل منهما السدس
والتفصيل بعد الإجمال تأكيدا السدس مما ترك إن كان له للميت ولد ذكر
أو أنثى غير أن الأب يأخذ السدس مع الأنثى بالفرضية وما بقي من ذوي
الفروض أيضا بالعصوبة فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فحسب فلأمه
الثلث مما ترك وإنما لم يذكر حصة الأب لأنه لما فرض أن الوارث أبواه فقط
وعين نصيب الأم علم أن الباقي للأب وكأنه قال فلهما ما ترك أثلاثا
وعلى هذا ينبغي أن يكون لها حيث معهما أحد الزوجين ثلث ما بقي من
فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث المال كما قاله ابن عباس فإنه يفضي إلى
تفضيل الأنثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو خلاف
وضع الشرع فإن كان له إخوة فلأمه السدس بإطلاقه يدل على أن
الإخوة يردونها من الثلث إلى السدس وإن كانوا لا يرثون مع الأب و
عن ابن عباس أنهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الأم والجمهور على
أن المراد بالإخوة عدد ممن له إخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من
الإخوة أو الأخوات وقال ابن عباس لا يحجب الأم من الثلث ما دون
الثلاثة ولا الأخوات الخلص أخذا بالظاهر وقرأ حمزة والكسائي
فلإمه بكسر الهمزة إتباعا للكسرة التي قبلها من بعد وصية يوصي بها أو دين
متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها أي هذه الأنصباء للورثة من

بعد ما كان من وصية او دين وانما قال باو التي للاباحة دون الواو للدلالة على انهما متساويان في الوجوب متقدمان على القسمة مجموعين ومنفردين وقدم الوصية على الدين وهي متاخرة في الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندور وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بفتح الصاد آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم في عاجلكم وآجلكم فتحروا فيهم ما وصاكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روي ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الآخر في الجنة سال ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته او من مورثيكم منهم او من اوصى فعرضكم للثواب بامضاء وصيته ام من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة وتنفيذ الوصية فريضة من الله مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم الله لانه في معنى يامركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما بالمصالح والرتب حكيما فيما قضى وقدره ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمراة كما في النسب وهكذا قياس كل رجل وامراة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة وتستوي الواحدة

والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل اي الميت يورث اي يورث منه من ورث صفة رجل كلالة خبر كان او يورث خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث من اورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة تحتمل المعاني الثلاثة وعلى الاول خبر او حال وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهي في الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى فآليت لا ارثي لها من كلالة فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية لانها كالة بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي او امراة عطف على رجل وله اي وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المراة لدلالة العطف على تشاركهما فيه اخ او اخت اي من الام ويدل عليه قراءة ابي وسعد بن مالك وله اخ او اخت من الام وانه ذكر في آخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام وان ما قدر ههنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولادها فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث سوى بين الذكر والانثى في القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم الآية انهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار اي غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال من

فاعل يوصى المذكور فى هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء
للمفعول فى قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم وصية من الله مصدر
مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده ان قرئ غير مضار وصية
بالاضافة اى لا تضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة او
وصية منه بالاولاد بالاسراف فى الوصية والاقرار الكاذب والله عليم
بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بعقوبته تلك اشارة الى الاحكام التى تقدمت فى امر
اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله شرايعه التى هى كالحدود المحدودة
التى لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا
خالدا فيها وله عذاب مهين توحيد الضمير فى يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى
وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل
معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليسا صفتين لجنات ونارا والا لوجب
ابراز الضمير لانهما جريتا على غير من هما له واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم
اى يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها
والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها فاستشهدوا عليهن اربعة منكم
فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من رجال المؤمنين يشهد عليهن فان شهدوا
فامسكوهن فى البيوت فاحبسوهن فى البيوت واجعلوها سجنا عليهن
حتى يتوفاهن الموت يستوفى ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت
قيل كان ذلك عقوبتهن فى اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون

المراد

المراد به التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجرى عليهن ما جرى بسبب
الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية والزانى
او يجعل الله لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغنى عن
السفاح واللذان يأتيانها منكم يعنى الزانى والزانية فآذوهما بالتوبيخ و
والتقريع وقيل بالتعيير والجلد فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما فاقطعوا
عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاغماض والستر ان الله كان توابا رحيما
علة الامر بالاعراض وترك المذمة قيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا
وكان عقوبة الزناة الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى فى السحاقات و
هذه فى اللواطين والزانية والزانى فى الزناة انما التوبة على الله اى ان قبول
التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته للذين يعملون
السوء بجهالة ملتبسين بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك
قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع من جهالته ثم يتوبون من قريب من زمان
قريب اى قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت و
قوله عليه السلم ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد
الحيوة قريب لقوله قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يشرب فى قلوبهم حبه
فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اى يتوبون فى اى جزء
من الزمان القريب الذى هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او يزين السوء
فاولئك يتوب الله عليهم وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما
التوبة على الله وكان الله عليما فهو يعلم باخلاصهم فى التوبة حكيما والحكيم

وقراء ابن كثير واللذانّ تشديد النون وتمكين مد الالف والباقون بالتخفيف من غير تمكين قص

لا يعاقب التائب **وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت
قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار** سوى بين من سوف التوبة الى
حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة
للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة وكانه قال وتوبة هؤلاء وعدم
توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين
يعملون السيآت المنافقين لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون
الكفار **اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما** تاكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب
اعده لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتاد التهيئة من العتاد وهو العدة
وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء **يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان
ترثوا النساء كرها** كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امرأته وقال
انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ
صداقها وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل
لا يحل لكم ان تاخذوهن على سبيل الارث فتتزوجوهن كارهات لذلك او
مكرهات عليه وقرأ حمزة والكسائي كرها بالضم في مواضعه وهما لغتان و
قيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه **ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن**
عطف على ان ترثوا ولا لتاكيد النفي اي ولا تمنعوهن من التزويج واصل العضل
التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا
يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن
وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل **الا ان يأتين**

بفاحشة مبينة كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من اعم
عام الظرف او المفعول له وتقديره ولا تعضلوهن للافتداء الا وقت
ان يأتين بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة الا لان يأتين بفاحشة ولا
تعضلوهن لعلة الا ان يأتين بفاحشة وقرأ ابن كثير وابو بكر بفاحشة مبينة
ههنا وفي الاحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن **وعاشروهن
بالمعروف** بالانصاف في الفعل والاجمال في القول **فان كرهتموهن فعسى ان
تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** اي فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد
تكره ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه فليكن نظركم الى
ما هو اصلح للدين وادنى الى الخير وعسى في الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه
والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم
وان اردتم استبدال زوج مكان زوج تطليق امرأة وتزوج اخرى **وآتيتم
احداهن** اي احدى الزوجات جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس **قنطارا**
مالا كثيرا **فلا تأخذوا منه شيئا** اي من القنطار **اتأخذونه بهتانا واثما مبينا** استفهام
انكار وتوبيخ اي اتأخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما في قولك
قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المآثم قيل كان
الرجل منهم اذا اراد جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء
منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب
الذي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر ههنا
بالظلم **وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض** انكار لاسترداد المهر والحال

في وقت م

ليصرفه

انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر **واخذن منكم ميثاقا غليظا** عهدا
وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة او ما اوثق الله عليهم في شانهن بقوله فامساك
بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبي عليه السلم بقوله اخذتموهن
بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله **ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم** ولا تنكحوا التي
نكحها اباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل ما مصدرية على
ارادة المفعول من المصدر **من النساء** بيان ما نكح على الوجهين **الا ما قد سلف**
استثناء من المعنى اللازم للنهي وكانه قيل تستحقون العقاب بنكاح
ما نكح اباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم
كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
والمعنى ولا تنكحوا حلائل آبائكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوه وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد
سلف فانه لا مواخذة عليه لا انه مقرر **انه كان فاحشة ومقتا** علة للنهي
اي ان نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند
ذوي المروات ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة ابيه المقتي **وساء سبيلا**
سبيل من يراه ويفعله **حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم**
وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد تحريم ذاتهن بل تحريم نكاحهن لانه
معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل من قوله حرمت
عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده في النكاح وامهاتكم تعم من ولدتك
او ولدت من ولدك وان علت وبناتكم تتناول من ولدتها او ولدت
من ولدها وان سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلثة وكذلك

الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كل انثى ولدها
من ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول
القربى والبعدى **وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة** نزل الله
الرضاعة منزلة النسب حتى سمي المرضعة اما والمراضعة اختا وامرها
على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذي در عليه اللبن
قال عليه السلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب واستثناء اخت
ابن الرجل وام اخيه من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان
حرمتهما في النسب بالمصاهرة دون النسب **وامهات نسائكم وربائبكم**
اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر اولا محرمات النسب ثم
الرضاعة لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن
عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المراة
من اخر سمي به لانه يربه كما يرب ولده في غالب الامر فعيل بمعنى مفعول و
انما لحقه التاء لانه صار اسما واللاتي بصلتها صفة لها مقيدة للفظ
والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات ايضا لان
من اذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية وان علقتها بالامهات لم يجز
ذلك بل وجب ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين
عند جمهور الادباء اللهم الا اذا جعلتها للاتصال كقوله فاني لست منك ولست
مني على معنى ان امهات النساء وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول صلوات
الله عليه فرق بينهما فقال في رجل تزوج امراة وطلقها قبل ان يدخل بها انه

ومن نسائكم متعلق بربائبكم ص

ابنتها ولا تحل له ان يزوج

بالدخول

كربائب ابنته ويحرم امها واليه ذهب عامة العلماء غير انه روى عن على رضى الله عنه
تقييد التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول الثانى صفة للنسائين لان
عاملهما مختلف وفائدة قوله فى حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى
ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن فى احتضانكم او بصدده قوى الشبه
بينها وبين اولادكم وصارت احقاء بان تجروها مجراهم لا تقييد الحرمة واليه
ذهب جمهور العلماء وقد روى عن على رضى الله عنه جعله شرطا والامهات
والربائب يتناول القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن اى دخلتم
معهن الستر وهى كناية عن الجماع ويؤثر ما يلتبس بها كالوطى بشبهة او ملك
يمين وعند ابى حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالدخول فان لم تكونوا دخلتم بهن
فلا جناح عليكم تصريح بعد اشعار دفعا للقياس وحلائل ابنائكم زوجاتهم
سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج الذين من اصلابكم احتراز
عن المتبنى لا عن ابناء الولد وان تجمعوا بين الاختين فى موضع الرفع عطفا
على المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة
كما هى محرمة فى النكاح فهى محرمة فى ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلى
رضى الله عنهما حرمتهما آية واحلتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله او ما ملكت
ايمانكم فرجح على التحريم وعثمان التحليل وقول على اظهر لان آية التحليل مخصوص
فى غير ذلك ولقوله عليه السلام ما اجتمع الحلال والحرام الا غلب الحرام الا
ما قد سلف استثناء عن لازم المعنى او منقطع معناه لكن ما سلف مغفور لقوله
ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء ذوات الازواج احصنهن

التزويج

ايمانكم

التزويج او الازواج وقرأ الكسائى فى جميع القرآن غير هذا الحرف بكسر
الصاد لانهن احصن فروجهن الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانكم من اللاتى
سبين ولهن ازواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبى
لقول ابى سعيد اصبنا سبايا يوم اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان
نقع عليهن فسألنا النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فاستحللناهن
واياه عنى الفرزدق بقوله وذات حليل انكحتها رماحنا حلال لمن يبنى بها لم
تطلق وقال ابو حنيفة لو سبى الزوجان لم يرتفع النكاح ولم يحل للسابى
واطلاق الآية والحديث حجة عليه كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اى كتب
الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اى هذه فرائض الله
عليكم وكتب الله بلفظ الفعل واحل لكم عطف على الفعل المضمر الذى نصب
كتاب الله وقرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم على البناء للمفعول
عطفا على حرمت ما وراء ذلكم ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص
عنه بالسنة ما فى معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المرأة
وعمتها وخالتها ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين مفعول له والمعنى
احل لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تبتغوا باموالكم بالصرف فى مهورهن
او اثمانهن فى حال كونكم محصنين غير مسافحين او بدل من ما وراء ذلكم
بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر لا بد وان يكون مالا ولا حجة
فيه والاحصان العفة فانها تحصين للنفس عن اللوم والعقاب
والسفاح الزنا من السفح وهو صب المنى فانه الغرض منه فما استمتعتم

اوطاس موضع [illegible]

ويجوز ان لا يقدر مفعول تبتغوا وكأنه قيل ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين

به منهن فمن تمتعتم به من المنكوحات او فما استمتعتم به منهن من جماع او عقد
عليهن فآتوهن اجورهن مهورهن فان المهر في مقابلة الاستمتاع فريضة حال من
الاجور بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد
ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما يزاد على المسمى او يحط عنه
بالتراضي او فيما تراضيا به من نفقة او مقام او فراق وقيل نزلت الآية في المتعة
التي كانت ثلاثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت كما انه عليه السلام اباحها ثم اصبح
يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك
الى يوم القيمة وهي النكاح الموقت بوقت معلوم سمي به اذ الغرض منه مجرد
الاستمتاع بالمراة وتمتيعها بما يعطي وجوزها ابن عباس ثم رجع عنه ان الله كان
عليما بالمصالح حكيما فيما شرع من الاحكام ومن لم يستطع منكم طولا غنى واعتلاء
واصله الفضل والزيادة ان ينكح المحصنات المؤمنات في موضع النصب بطولا او
بفعل مقدر صفة له اي ومن لم يستطع منكم ان يعتلي نكاح المحصنات او من لم
يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعني الحرائر لقوله فمن ما ملكت ايمانكم من
فتياتكم المؤمنات يعني الاماء المؤمنات وظاهر الآية حجة للشافعي في تحريم نكاح
الامة على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واول
ابو حنيفة طول المحصنات بان يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطء وحمل
قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه في قوله المحصنات المؤمنات
ومن اصحابنا من حمله ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة
الكتابية دون المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور في نكاح

الامة

الامة رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج والله اعلم بايمانكم
فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر او بتفاضل ما بينكم في الايمان فرب
امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب
والمراد تانيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده بعضكم
من بعض انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الاسلام فانكحوهن باذن
اهلهن يريد اربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لا اشعار له على ان لهن ان يباشرن
العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية وآتوهن اجورهن اي ادوا اليهن مهورهن
باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن فحذف المضاف للعلم
بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك المهر للامة
ذهابا الى الظاهر بالمعروف بغير مطل وضرار ونقصان محصنات عفائف غير مسافحات
غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات اخدان اخلاء في السر فاذا احصن بالتزويج
وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائي بفتح الهمزة والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد
فان اتين بفاحشة زنا فعليهن نصف ما على المحصنات يعني الحرائر من العذاب
من الحد لقوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد
نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا يتنصف ذلك اي نكاح الاماء لمن
خشي العنت منكم لمن خاف الوقوع في الزنا وهو في الاصل انكسار العظم بعد
الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم باقبح القبائح
وقيل المراد به الحد وهذا شرط آخر لنكاح الاماء وان تصبروا خير لكم اي
وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم قال عليه السلم الحرائر صلاح

البيت والاباء هلاكه والله غفور لمن لم يصبر رحيم بان رخص له يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم
به من الحلال والحرام او ما خفي عنكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وليبين مفعول
يريد واللام مزيدة لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما في قول قيس بن
سعد اردت لكيما يعلم الناس انه سراويل قيس والوفود شهود وقيل المفعول
محذوف وليبين مفعول له اي يريد الحق لاجله ويهديكم سنن الذين من
قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم ويتوب عليكم ويغفر لكم
ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة
لسيئاتكم والله عليم بها حكيم في وضعها والله يريد ان يتوب عليكم كرره للتاكيد و
المبالغة ويريد الذين يتبعون الشهوات يعني الفجرة فان اتباع الشهوات
الائتمار لها واما المتعاطي لما سوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له في الحقيقة
لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ
والاخت ان تميلوا عن الحق ميلا بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال
المحرمات عظيما بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندرة غير مستحل لها يريد
الله ان يخفف عنكم فلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم
في المضايق كاحلال نكاح الامة وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات
ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضي الله عنهما ثمان ايات في سورة
النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلث وان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن
يعمل سوءا ما يفعل الله بعذابكم يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه



الشرع كالغصب والربا والقمار الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء
منقطع اي ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه او اقصدوا كون تجارة
وعن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين وتخصيص
التجارة من الوجوه التي بها يحل تناول مال الغير لانها اغلب واوفق لذوي
المروات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود بالنهي المنع
عن صرف المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرا الكوفيون
تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم اي الا ان تكون التجارة او الجهة
تجارة ولا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله جهلة الهند او بالقاء النفس الى التهلكة
ويؤيده ما روي ان عمرو بن العاص تاوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي
صلى الله عليه وسلم او بارتكاب ما يؤدي الى قتلها او باقتراف ما يذللها ويرديها
فانه القتل الحقيقي للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان
المؤمنين كنفس واحدة جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها
من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفي
فضائلها رافة بهم ورحمة كما اشار بقوله ان الله كان بكم رحيما اي امر ما امر ونهى
عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بني اسرائيل
بقتل الانفس ونهيكم عنه ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل او ما سبق من المحرمات
عدوانا وظلما افراطا في التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل اراد
بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب فسوف
نصليه نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه

شاة مصلية ويصلية بالياء والضمير لله او لذلك من حيث انه سبب الصلي وكان
ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه كباير
الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنه وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم سياتكم
نغفر لكم صغايركم ونمحها عنكم واختلف في الكباير والاقرب ان الكبيرة كل ذنب
رتب الشارع عليه حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن
النبي صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله
وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين
وعن ابن عباس الكباير الى سبعماية اقرب منها الى سبع وقيل اراد به هنا
انواع الشرك لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل
صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها فاكبر الكباير الشرك
واصغر الصغاير حديث النفس وبينهما وسايط يصدق عليها الامران فمن
عن له امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما
كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت
باعتبار الاشخاص والاحوال الا ترى انه تعالى عاتب نبيه في كثير من خطراته
التي لم تعد على غيره خطيئة فضلا ان يواخذ عليها وندخلكم مدخلا كريما
الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرا نافع بفتح الميم وهو ايضا
يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض من الامور
الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه ذريعة الى التحاسد
والتعادي معربة عن عدم الرضا بما قسم الله له وانه تشهى لحصول الشي له من غير

طلب وهو مذموم لان تمني ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر وتمني ما قدر له
بكسب بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب ضايع ومحال للرجال
نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اي لكل من الرجال و
النساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا
بالحسد والتمني كما قال عليه السلام ليس الايمان بالتمني وقيل المراد نصيب
الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب
ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له واسئلوا الله من
فضله اي لا تتمنوا ما للناس واسئلوا الله مثله من خزاينه التي لا تنفد وهو يدل
على ان المنهي هو الحسد او لا تتمنوا واسئلوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه
اليكم ان الله كان بكل شيء عليما فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم
وتبيان روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وانما
لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان و
الاقربون اي ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها ويحرزونها ومما ترك بيان لكل مع
الفصل بالعامل او ولكل ميت جعلنا وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانه
في معنى الوارث وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استيناف مفسر
للموالي وفيه خروج الاولاد فان الاقربون لا يتناولهم كما لا يتناول
الوالدين او ولكل قوم جعلناهم موالي حظ مما ترك الوالدان والاقربون على
ان جعلنا موالي صفة كل والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدا وخبر
والذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه

النساء م

فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعن ابى حنيفة لو اسلم رجل
على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث او الازواج على
ان العقد عقد النكاح وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره فآتوهم
نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف
على الوالدين وقوله فآتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير
للموالى وقرأ الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف
العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف فى القراءة الاخرى
ان الله كان على كل شىء شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال قوامون على النساء
يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين موهبى وكسبى
فقال بما فضل الله بعضهم على بعض بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال
العقل وحسن التدبير ومزيد القوة فى الاعمال والطاعات ولذلك خصوا
بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة فى مجامع القضايا ووجوب
الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم فى الميراث والاستبداد
بالفراق وبما انفقوا من اموالهم فى نكاحهن كالمهر والنفقة روى ان سعد بن
الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابى زهير فلطمها
فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكى فقال عليه السلام
لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذى اراد الله خير فالصالحات
قانتات مطيعات لله قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب لمواجب الغيب
اى يحفظن فى غيبة الازواج ما يجب حفظه فى النفس والمال وعنه عليه السلام

خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها
حفظتك فى مالها ونفسها وتلا الاية وقيل لاسرارهم بما حفظ الله بحفظ الله
اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او بالذى
حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ
بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل
والمعنى بالامر الذى حفظ حق الله او طاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال
واللاتى تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز
فعظوهن واهجروهن فى المضاجع فى المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف او لا تباشروهن
فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت اى لا تبايتوهن واضربوهن يعنى
ضربا غير مبرح ولا شائن والامور الثلثة مترتبة ينبغى ان يتدرج فيها فان
اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن
التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله
كان عليا كبيرا فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه على علو شانه يتجاوز
عن سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم او انه يتعالى ويتكبر ان
يظلم احدا او ينقص حقه وان خفتم شقاق بينهما خلافا بين المرء وزوجه اضمرهما
وان لم يجر ذكرهما لجرى ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما لاجرائه
مجرى المفعول به كقوله يا سارق الليلة او الفاعل كقولهم نهارك صائم فابعثوا حكما
من اهله وحكما من اهلها فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر
او اصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله وآخر من

اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب
فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل
به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين ولتبيين
الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك لهما ان يتخالعا
ان وجدا الصلاح فيه ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما الضمير الاول للحكمين
والثاني للزوجين اي ان قصدا الاصلاح اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة
بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما
لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان ارادا الاصلاح
وزوال الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من
اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن
فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا صنما او
غيره او شيئا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا
وبذي القربى وبصاحب القرابة واليتامى والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب
جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب
على الاختصاص تعظيما لحقه والجار الجنب البعيد او الذي لا قرابة له وعنه
عليه السلام الجيران ثلثة فجار له ثلثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق
الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب والصاحب
بالجنب الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك
وقيل المراة وابن السبيل المسافر او الضيف وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء

وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام

ان الله لا يحب من كان مختالا متكبرا يانف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم
فخورا يتفاخر عليهم الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل بدل من قوله من كان او
نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين او مبتدا خبره محذوف تقديره
الذين يبخلون بما منحوا به ويامرون الناس بالبخل به ويكتمون ما آتاهم الله من فضله
الغنى والعلم احقاء بكل ملامة وقرا حمزة والكسائي بالبخل بفتح الحرفين
وهي لغة واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر فيه موضع المضمر اشعارا
بان من هذا شانه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا لنعمة فله عذاب يهينه
كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والاية نزلت في طائفة من اليهود كانوا
يقولون للانصار تنصحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل
في الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم والذين ينفقون اموالهم رئاء
الناس عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد
لان البخل والسرف الذي هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما
طرفا تفريط وافراط سواء في القبح واستجلاب الذم او مبتدا خبره
محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان ولا يؤمنون بالله ولا باليوم
الاخر ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة وقيل
المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا تنبيه على ان الشيطان
قرينهم فحملهم على ذلك وزينه لهم لقوله ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين
والمراد ابليس واعوانه الداخلة والخارجة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان
يقرن بهم الشيطان في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا

مما رزقهم الله اي وما الذي عليهم او اي تبعة تحيق بهم بالايمان والانفاق في
سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء على
خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم الى العلم
بما فيه من الفوائد الجليلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه
ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع وانما قدم الايمان ههنا
واخره في الآية الاخرى لان القصد بذكره الى التخصيص ههنا والتعليل ثمة
وكان الله بهم عليما وعيد لهم ان الله لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص من الاجر
ولا يزيد في العقاب اصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من
اجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفي ذكره ايماء الى انه وان صغر قدره
عظم جزاؤه وان تك حسنة وان تكن مثقال ذرة حسنة وانث الضمير لتانيث
الخبر او لاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف
العلة وقرأ ابن كثير ونافع حسنة بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف
ثوابها وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى ويؤت من
لدنه ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ما وعد في مقابلة
العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم
اذا جئنا من كل امة بشهيد على فساد عقائدهم وقبح اعمالهم والعامل في الظرف
مضمون المبتدأ والخبر من هول الامر وتعظيم الشان وجئنا بك يا محمد على هؤلاء
شهيدا تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك

مجامع

مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى
المؤمنين لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض بيان
لحالهم حينئذ اي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة
والعصاة في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا
او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون
كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان يسوى
بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبونه لقولهم والله
ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد
عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرأ
نافع وابن عامر تسوى على ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين و
حمزة والكسائي تسوى على حذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى
يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون
في صلوتكم روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع مادبة ودعى نفرا من
الصحابة حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلوة
المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل
اراد بالصلوة مواضعها وهي المساجد وليس المراد منه نهي السكران عن
قربان الصلوة وانما المراد النهي عن الافراط في الشرب والسكر من السكر وهو

السد وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم
سكرى وسكرى كحبلى على انها صفة الجماعة ولا جنبا عطف على قوله وانتم
سكارى اذ الجملة في موضع النصب على الحال والجنب الذي اصابته الجنابة
يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجري مجرى المصدر الا
عابري سبيل متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اي لا تقربوا
الصلوة جنبا في عامة الاحوال الا في السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم
ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا غير عابري سبيل و
فيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلوة بمواضعها فسر
عابري سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي
وقال ابو حنيفة لا يجوز له المرور في المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق
حتى تغتسلوا غاية النهي عن القربان حال الجنابة وفي الاية تنبيه على ان المصلي
ينبغي ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها
عنه وان كنتم مرضى مرضا يخاف معه من استعمال الماء فان الواجد له
كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه او على سفر لا تجدونه فيه او جاء
احد منكم من الغائط فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل الغائط
المطمئن من الارض او لامستم النساء او ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه
استدل الشافعي على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهن وقرأ
حمزة والكسائي لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة فلم
تجدوا ماء يريد فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا

كهلكى جمع كهلان

التقسيم

التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية له في
غالب الامر مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث
لما لم يجر ذكره ذكر اسبابه ما يحدث بالذات وما يحدث بالعرض واستغنى عن
تفصيل احواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملا فكانه قيل وان كنتم
جنبا مرضى او على سفر او محدثين جئتم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء
فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم اي فتعمدوا شيئا من وجه الارض
ترابا او غيره ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح
اجزاه وقال اصحابنا لا بد من ان يتعلق باليد شيء من التراب لقوله في
المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه وجعل من لابتداء
الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم العضو
الى المنكب وما روي انه عليه السلام تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس
على الوضوء دليل على ان المراد ههنا وايديكم الى المرافق ان الله كان عفوا
غفورا فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا من رؤية البصر
اي الم تنظر اليهم او القلب وعدي بالى لتضمين معنى الانتهاء نصيبا من
الكتاب حظا يسيرا من علم التورية لان المراد احبار اليهود يشترون الضلالة
يختارونها على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه او حصوله
لهم بانكار نبوة محمد عليه السلام وقيل ياخذون الرشى ويحرفون التورية
ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل سبيل الحق والله اعلم منكم
باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم وكفى

بحدث

طاهرا

بالله وليا يلي امركم وكفى بالله نصيرا يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره
والباء تزاد في فاعل كفى لتؤكد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي من
الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض
او بيان لاعدائكم او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم او
خبر محذوف صفته يحرفون الكلم عن مواضعه اي من الذين هادوا قوم
يحرفون الكلم اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها بازالته عنها
واثبات غيره فيها او يأولونه على ما يشتهون فيميلونه عما انزل الله
فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون
سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع اي مدعوا عليك بلا سمعت
بصمم او موت او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما
غير مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به او اسمع غير مسمع
مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا وراعنا انظرنا
نكلمك او نفهم كلامك ليا بالسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام الى ما يشبه
السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير
مسمع موضع لا اسمعت مكروها او فتلا بها وضما ما يظهرون من الدعاء
والتوقير الى ما يضمرون من السب والتحقير نفاقا وطعنا في الدين استهانة
وسخرية ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا ولو ثبت قولهم هذا
مكان ما قالوه لكان خيرا لهم واقوم لكان قولهم ذلك خيرا لهم واعدل وانما
يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه ولكن

ترضاه او اسمع كلاما م

لعنهم الله بكفرهم ولكن خذلهم وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم فلا يؤمنون
الا قليلا الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الآيات والرسل ويجوز
ان يراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه او الا قليلا منهم
آمنوا او سيؤمنون يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما
معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها من قبل ان نمحو تخطيط
صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعني الاقفاء او ننكسها الى ورائها
واصل الطمس ازالة الاعلام المائلة وقد يطلق بمعنى الطلس في ازالة
الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان نغير وجوها
في الدنيا او في الآخرة فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار
والادبار او نردها الى حيث جاءت منه وهي اذرعات الشام يعني اجلاء بني
النضير ويقرب منه قول من قال ان المراد بالوجوه الرؤساء او من قبل
ان نطمس وجوها بان نعمي الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن
الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة او نلعنهم كما
لعنا اصحاب السبت او نخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت او نلعنهم
على لسانك كما لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه او للذين
على طريقة الالتفات او للوجوه ان اريد به الوجهاء وعطفه على الطمس
بالمعنى الاول يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد على
تغيير الصورة في الدنيا قال انه بعد مترقب او كان وقوعه مشروطا بعدم
ايمانهم وقد آمن منهم طائفة وكان امر الله بايقاع شيء او وعيده او ما حكم به وقضاه

في الدنيا او في الآخرة م

مفعولا} نافذا وكائنا فيقع لا محالة ما اوعدتم به ان لم تؤمنوا {ان الله لا يغفر ان يشرك به} لانه بت الحكم على خلود عذابه ولان ذنبه لا ينمحي عنه اثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره {ويغفر ما دون ذلك} اي ما دون الشرك صغيرا كان او كبيرا {لمن يشاء} تفضلا عليه واحسانا [margin: احسانا] وعلق المشية بالفعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة اولى منه ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشية ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالآية كما هي حجة عليهم فهي حجة [margin: على الخوارج صح] الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد في النار {ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما} ارتكب ما يستحقر دونه الآثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق {الم تر الى الذين يزكون انفسهم} يعني اهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤوا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه واثنى عليها {بل الله يزكي من يشاء} تنبيه على ان تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوي عليه الانسان من حسن وقبح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين واصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا او قولا {ولا يظلمون} بالذم او العقاب على تزكيتهم انفسهم بغير حق {فتيلا} ادنى ظلم واصغره وهو الخيط [margin: الذي صح] في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة {انظر كيف يفترون

على الله الكذب} في زعمهم انهم ابناء الله وازكياء عنده {وكفى به} بزعمهم هذا او بالافتراء {اثما مبينا} لا يخفى كونه مأثما من بين آثامهم {الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت} نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند الله مما يدعو اليه محمد [margin: صلى الله عليه وسلم صح] وقيل في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت في الاصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود او غيره {ويقولون للذين كفروا} لاجلهم وفيهم {هؤلاء} اشارة اليهم {اهدى من الذين آمنوا سبيلا} اقوم دينا وارشد طريقا {اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا} يمنع العذاب عنه بشفاعة او غيرها {ام لهم نصيب من الملك} ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم {فاذا لا يؤتون الناس نقيرا} اي لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة وهذا هو الاغراق في بيان شحهم فانهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا اذلاء متفاقرين [margin: متفاقرين] ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم اوتوا نصيبا من الملك على الكناية وانهم لا يؤتون الناس شيئا واذن اذا وقع بعد الواو والفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فاذا لا يؤتوا على النصب {ام يحسدون الناس} بل ايحسدون رسول الله [margin: صلى الله عليه وسلم صح] واصحابه او العرب او الناس جميعا

لان من حسد على النبوة فكأنما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل وكأن بينهما تلازما وتجاذبا على ما آتاهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبي الموعود منهم فقد آتينا آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد وابناء عمه الكتاب والحكمة النبوة وآتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان يؤتيه الله مثل ما آتاهم فمنهم من اليهود من آمن به بمحمد او بما ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم من صد عنه اعرض عنه ولم يؤمن وقيل معناه فمن آل ابراهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين امره فكذا لا يوهن كفر هؤلاء امرك وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون بها اي ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال ليذوقوا العذاب اي ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلد آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل لتأكيده كقولهم

شمس

شمس شامس وليل اليل ويوم ايوم ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي يده واخذه منه وفتح فدخل رسول الله صلى وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فامره الله ان يرده اليه فامر عليا ان يرده ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحي بان السدانة في اولاده ابدا واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل اي وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم به اي نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل في الحكومات ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم وما تفعلون في الامانات يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين في عهد الرسول وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعدما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فان تنازعتم انتم واولوا الامر منكم في شيء من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤوس الا ان يقال الخطاب

كرم الله وجهه

لاولي الامر على طريقة الالتفات فردوه فراجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول
بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكرو القياس و
قالوا انه تعالى اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس واجيب
بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس
ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة الرسول فانه يدل على ان الاحكام
ثلثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس
ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فان الايمان يوجب ذلك ذلك اي الرد خير
لكم واحسن تاويلا عاقبة او احسن تاويلا من تاويلكم بلا رد الم تر الى الذين يزعمون
انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت عن ابن
عباس ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم
ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي
لعمر قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال
عمر للمنافق اكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ
سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم
يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبرئيل ان عمر فرق بين الحق والباطل
فسمي الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف وفي معناه من يحكم
بالباطل ويؤثر لاجله سمي بذلك لفرط طغيانه او لتشبيهه بالشيطان او
لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه كما قال الله

رضي الله عنه

ورق

وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا وقرئ
ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع لقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول وقرئ تعالوا بضم اللام على
انه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير رأيت المنافقين يصدون
عنك صدودا هو مصدر او اسم للمصدر الذي هو الصد والفرق بينه وبين
السد انه غير محسوس والصد محسوس ويصدون في موضع الحال فكيف يكون حالهم اذا
اصابتهم مصيبة كقتل عمر المنافق او النقمة من الله بما قدمت ايديهم من
التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك ثم جاؤك حين يصابون للاعتذار
عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال
ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ما اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن
والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين
بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه
وبين خصمه اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان
والحلف الكاذب من العقاب فاعرض عنهم اي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم
او عن قبول معذرتهم وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه وقل لهم في انفسهم
اي في معنى انفسهم او خاليا بهم فان النصح في السر انجع قولا بليغا يبلغ منهم المراد
او يؤثر فيهم امرهم بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب و
الترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء وتعلق الظرف ببليغا على معنى
بليغا في انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم على الموصوف

عليهم السلام

والقول البليغ في الاصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به وما ارسلنا
من رسول الا ليطاع باذن الله بسبب اذنه في طاعته وامره المبعوث
اليهم بان يطيعوه وكانه احتج بذلك على ان الذي لم يرض بحكمه وان
اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول
لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن
كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالنفاق
او التحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق
به فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا
اليك حتى انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشانه وتنبيها
على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع له
ومن منصبه ان يشفع في كبائر الذنوب لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه قابلا
لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا
ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة
لتاكيد القسم لا لتظاهر لا في قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا في الاثبات
لقوله تعالى لا اقسم بهذا البلد حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف
بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا
مما قضيت ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا من اجله فان الشاك
في ضيق من امره ويسلموا تسليما وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم و
باطنهم ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد او

اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معنى
امرنا او اخرجوا من دياركم خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرا
ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون على اصل التحريك او اخرجوا بضم
الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ولا تنسوا الفضل وقرا عاصم
وحمزة بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة
بالفعل ما فعلوه الا قليل منهم الا اناس قليل وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم
لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم
والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا او لاحد مصدري الفعلين وقرا
ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا
ما يوعظون به من متابعة الرسول ومطاوعته طوعا ورغبة لكان خيرا لهم
في عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتا في دينهم لانه اشد لتحصيل العلم ونفي
الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه على التمييز والاية ايضا مما
نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل انها والتي قبلها نزلتا في حاطب
بن ابي بلتعة خاصم زبيرا في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال
اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك
فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف
حقك ثم ارسله الى جارك واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال
مقدر كانه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لو تثبتوا لاتيناهم
لان اذا جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه جناب

الى جناب القدس ونفتح عليهم ابواب الغيب قال عليه السلم من عمل بما
علم ورثه الله علم ما لم يعلم **ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين**
انعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلائق
واعظمهم قدرا **من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين** بيان
للذين حال منه او من ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم
والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتاخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون
بكمال العلم المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين
صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والايات واخرى بمعارج
التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا
عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد في
اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا
اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم هم
العارفون بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين
في مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب
بحيث يكونون كمن يرى الشيء قريبا وهم الانبياء او لا فيكونون كمن يرى
الشيء من بعيد وهم الصديقون والاخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين
القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في ارضه واما ان يكون
بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون **وحسن اولئك**
رفيقا في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز او الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد

والجمع كالصديق ولانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روي ان ثوبان مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله
عن حاله فقال ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت
وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك
لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون
منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا **ذلك** اشارة الى ما للمطيعين من
الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم
ومزيتهم **الفضل** صفته **من الله** خبره او الفضل خبره ومن الله حال والعامل
فيه معنى الاشارة **وكفى بالله عليما** بجزاء من اطاعه او بمقادير الفضل واستحقاق
اهله **يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم** تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر
والحذر كالاثر والاثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح فاخرجوا الى الجهاد
فانفروا ثبات جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبّت على فلان تثبيتا اذا ذكرت متفرق
محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه **او انفروا جميعا** مجتمعين
كوكبة واحدة والآية وان نزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها
وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيفما امكن قبل الفوات **وان منكم لمن**
ليبطئن الخطاب لعسكر رسول الله المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون
منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ وهو لازم
او ثبطوا غيرهم كما ثبط ابن ابي ناسا يوم احد من بطأ منقولا من بطؤ
كثقل من ثقل واللام الاولى للابتداء دخلت اسم ان للفصل بالخبر

والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن
فى ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم مصيبة
كقتل وهزيمة قال اى المبطئ قد انعم الله علىّ اذ لم اكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبنى
ما اصابهم ولئن اصابكم فضل من الله كفتح وغنيمة ليقولن اكده تنبيها على
فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى من كان لم يكن بينكم
وبينه مودة اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو يا ليتنى كنت معهم فافوز فوزا
عظيما للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم
وبينه وانما يريد ان يكون معكم لمجرد المال او حال عن الضمير فى ليقولن
او داخل فى المقول اى يقول المبطئ لمن يثبطه من المنافقين وضعفة
المسلمين تضريبا وحسدا كان لم يكن بينكم وبين محمد مودة حيث لم يستعن
بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتنى كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهو
ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكان مخففة
من الثقيلة واسمه ضمير الشان وهو محذوف وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم
ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتانيث لفظ المودة والمنادى فى
يا ليتنى محذوف اى يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع فافوز نصب
على جواب التمنى وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز فى ذلك الوقت او العطف
على كنت فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة اى
الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون
الباذلون انفسهم فى طلب الآخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة

وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكى عنهم ومن يقاتل فى سبيل الله
فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وعد له الاجر العظيم غلب او
غلب ترغيبا فى القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علىّ اذ لم اكن معهم
شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغى ان يثبت
فى المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون
قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين وما لكم مبتدأ
وخبر لا تقاتلون فى سبيل الله حال والعامل فيها ما فى الظرف من معنى الفعل
والمستضعفين عطف على اسم الله اى فى سبيل المستضعفين وهو
تخليصهم عن الاسر وصونهم عن العدو او على السبيل بحذف المضاف اى
فى خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله
يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدى الكفار اعظمها
واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين وهم
المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين
ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة فى الحث وتنبيها على تناهى ظلم المشركين
بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم
فى الدعاء حتى يشاركوا فى اشتراك الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به
العبيد والاماء وهو جمع وليد الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية
الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فاستجاب
الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقى منهم خير ولى

استنزال

وناصر بفتح مكة على نبيه صلوات الله عليه فتولاهم ونصرهم ثم استعمل
عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية
مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل او
المفعول اذا اجرى على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب
ما عمل فيه الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به الى الله والذين
كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا اولياء
الشيطان لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان
ثم شجعهم بقوله ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي ان كيده للمؤمنين بالاضافة
الى كيد الله للكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم
على اضعف شي واوهنه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم اي عن القتال
واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واشتغلوا بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال
اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله يخشون الكفار ان يقتلوهم
كما يخشون الله ان ينزل عليهم باسه واذا للمفاجاة جواب لما وفريق مبتدا
منهم صفته يخشون خبره كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع
المصدر او الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية
الله منه او اشد خشية عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان
افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله
اي كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض اللهم الا ان يجعل
الخشية ذات خشية لقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية

مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله وقالوا ربنا لم كتبت
علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف عن القتال
حذرا عن الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه في انفسهم فحكى الله
عنهم قل متاع الدنيا قليل سريع التقضي والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون
فتيلا ولا تنقصون ادنى شي من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من آجالكم المقدرة
وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم
الموت قرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله
يشكرها او على انه كلام مبتدا واينما متصل بلا تظلمون ولو كنتم في بروج
مشيدة في قصور او حصون مرتفعة والبروج في الاصل بيوت على اطراف
القصر من تبرجت المراة اذا ظهرت وقرئ مشيدة وصفها بوصف
فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه
وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا
هذه من عندك كما يقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية يقعان
على النعمة والبلية وهما المراد في الآية اي ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها
الى الله وان تصبهم بلية كقحط اضافوها اليك وقالوا ان هي الا بشؤمك
كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها
قل كل من عند الله يبسط ويقبض حسب ارادته فما لهؤلاء القوم لا يكادون
يفقهون حديثا يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه
لعلموا ان الكل من الله او حديثا ما كبهائم لا افهام لهم او حادثا من صروف

الزمان فيتفكروا فيها فيعلموا ان القابض والباسط هو الله ما اصابك
يا انسان من حسنة من نعمة فمن الله تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان
من الطاعة لا يكافي نعمة الوجود فكيف يقتضي غيره ولذلك قال عليه
السلام ما يدخل احد الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت قال ولا انا وما اصابك
من سيئة من بلية فمن نفسك لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي
وهو لا ينافي قوله كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان
الحسنة احسان وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة
ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع
شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر والآيتان كما ترى لا حجة
فيهما لنا وللمعتزلة وارسلناك للناس رسولا حال قصد بها التاكيد ان
علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اي رسولا للناس جميعا كقوله وما ارسلناك
الا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام
وكفى بالله شهيدا على رسالتك بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد
اطاع الله لانه في الحقيقة مبلغ والآمر هو الله روي انه عليه السلام قال من
احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف
الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى
فنزلت ومن تولى عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم
وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال عن الكاف
ويقولون اذا امرتهم بامر طاعة اي امرنا طاعة او منا طاعة واصلها النصب

على حلفة لا اشتم الدهر مسلما م

احبني

على

على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات فاذا برزوا من عندك خرجوا بيت
طائفة منهم غير الذي تقول اي زورت خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من
القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل
او من بيت الشعر او البيت المبني لانه يسوى ويدبر وقرا ابو عمرو و
حمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما في المخرج والله يكتب ما يبيتون يثبته
في صحائفهم للمجازاة او في جملة ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم فاعرض عنهم
قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم وتوكل على الله في الامور كلها سيما في شانهم
وكفى بالله وكيلا يكفيك مضرتهم وينتقم لك منهم افلا يتدبرون القرآن
يتاملون في معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر في ادبار الشيء ولو كان
من عند غير الله ولو كان كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا
من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا
وبعضه يصعب معارضته وبعضه تسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة
للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه دون بعض على ما دل عليه
الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره هنا للتنبيه على ان اختلاف
ما سبق من الاحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الاحوال في الحكم
والمصالح واذا جاءهم امر من الامن او الخوف مما يوجب الامن او الخوف
اذاعوا به افشوه كما كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن
سرايا رسول الله او اخبرهم الرسول بما اوحي اليه من وعد بالظفر او تخويف
من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم وكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة

من م

في م

او لتضمن الاذاعة معنى التحدث ولو ردوه ولو ردوا ذلك الخبر الى الرسول و
الى اولى الامر منهم الى رأيه ورأي كبار اصحابه البصراء بالامور او الامراء
لعلمه على اي وجه يذكر الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيرهم
بتجاربهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها
فتعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم
حتى يسمعوه منهم وتعرفوا انه هل يذاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه
من الرسول واولى الامر اي يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط
اخراج النبط وهو الماء الذي يخرج من البئر اول ما يحفر ولولا فضل الله
عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان بالكفر
والضلال الا قليلا الا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به
الى الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل
وورقة بن نوفل او الا اتباعا قليلا على الندور فقاتل في سبيل الله
ان تثبطوا وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك الا فعل نفسك لا يضرك
مخالفتهم وتقاعدهم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك
لا الجنود روي انه عليه السلام دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج
فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد ولو قرئ
لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل اي لا نكلفك الا فعل نفسك
لا انا لا نكلف احدا الا نفسك لقوله وحرض المؤمنين على القتال اذ ما عليك
في شانهم الا التحريض عسى الله ان يكف باس الذين كفروا يعني قريشا وقد فعل

عليه السلام

فتقدم

عليه السلام

بان القى

بان القى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا
تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة
راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضرا او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله و
منها الدعاء لمسلم قال عليه السلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له
وقال له الملك ولك مثل ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة و
التسبب الى الخير الواقع بها ومن يشفع شفاعة سيئة يريد بها محرما يكن له
كفل منها نصيب من وزرها مساو لها في القدر وكان الله على كل شيء مقيتا
مقتدرا من اقات على الشيء اذا قدر قال وذي ضغن كففت الضغن عنه
وكنت على اساءته مقيتا او شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فانه يقوي
البدن ويحفظه واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها الجمهور
على انه في السلام ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه
ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية واما برد مثله لما روي
ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك
السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام
ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال و
عليك السلام ورحمة الله فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله وتلا الآية فقال
انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه اقسام المطالب
السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها ومنه قيل اي للترديد بين ان
يجيب المسلم ببعض التحية وبين ان يجيب بتمامها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث

آمين

عليه السلام

السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة القرآن وفي الحمام وعند قضاء الحاجة
ونحوها والتحية في الأصل مصدر حياك الله على الإخبار من الحياة ثم استعمل
للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام وقيل المراد بالتحية العطية
وأوجب الثواب أو الرد على المتهب وهو قول قديم للشافعي إن الله
على كل شيء حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها الله لا إله إلا هو مبتدأ وخبر أو
الله مبتدأ والخبر ليجمعنكم إلى يوم القيامة أي الله والله ليحشرنكم
من قبوركم إلى يوم القيامة أو مفضين إليه أو في يوم القيامة ولا إله إلا هو
اعتراض والقيامة والقيام كالطلاب والطلابة وهي قيام الناس من
القبور أو للحساب لا ريب فيه في اليوم أو الجمع فهو حال عن اليوم أو صفة
للمصدر ومن أصدق من الله حديثا إنكار أن يكون أحد أكثر صدقا منه
فإنه لا يتطرق الكذب إلى خبره بوجه لأنه نقص وهو على الله محال وقرأ حمزة
والكسائي بإشمام الصاد الزاي فما لكم في المنافقين فئتين فما لكم تفرقتم في
أمر المنافقين فئتين أي فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك أن ناسا
منهم استأذنوا رسول الله في الخروج إلى البدو لاجتواء المدينة فلما
خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون
في إسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين يوم أحد أو في قوم هاجروا ثم رجعوا
معتلين باجتواء المدينة والاشتياق إلى الوطن أو في قوم أظهروا الإسلام
وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم أو عاملها ما لكم كقولك ما لك
قائما وفي المنافقين حال من فئتين أي متفرقتين فيهم أو من الضمير أي فما لكم

تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين والله أركسهم بما كسبوا
ردهم إلى حكم الكفرة أو نكسهم بأن صيرهم للنار وأصل الركس رد الشيء
مقلوبا أتريدون أن تهدوا من أضل الله أن تجعلوه من المهتدين ومن يضلل الله
فلن تجد له سبيلا إلى الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا تمنوا أن تكفروا
ككفرهم فتكونون سواء فتكونون معهم سواء في الضلال وهو عطف
على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز فلا تتخذوا منهم أولياء
حتى يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتحققوا إيمانهم بهجرة
هي لله ورسوله لا لأغراض الدنيا وسبيل الله ما أمر بسلوكه فإن تولوا عن
الإيمان الظاهر بالهجرة أو عن إظهار الإيمان فخذوهم واقتلوهم حيث
وجدتموهم كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا أي جانبوهم رأسا
ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق
استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم أي إلا الذين يتصلون وينتهون
إلى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل الأسلميون
فإنه عليه السلام وادع وقت خروجه إلى مكة هلال بن عويمر الأسلمي على أن
لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجأ إليه فله من الجوار مثل ما له وقيل بنو بكر بن زيد
بن مناة أو جاؤكم عطف على الصلة أي والذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى
عن المأمور بأخذهم وقتلهم وبالجملة من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين أو
أتى الرسول وكف عن قتال الفريقين أو على صفة قوم وكأنه قيل إلا الذين
يصلون إلى قوم معاهدين أو قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والأول أظهر

لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون
او استيناف حصرت صدورهم حال باضمار قد ويدل عليه ان قرئ حصرة
صدورهم وحصرات وقيل صفة محذوف اى جاؤكم قوما حصرت صدورهم
وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض
ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اى عن ان او لان او كراهة ان يقاتلوكم ولو
شاء الله لسلطهم عليكم بان قوى قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب
عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم فان لم يتعرضوا
لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد فما جعل الله لكم عليهم
سبيلا فما اذن لكم فى اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم
ويأمنوا قومهم هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة واظهروا
الاسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما ردوا الى الفتنة دعوا الى
الكفر او الى قتال المسلمين اركسوا فيها عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب
فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم وينبذوا اليكم العهد ويكفوا ايديهم عن
قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف
لا يوجب نفى التعرض واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة
فى التعرض لهم بالقتل والسبى لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم
وما كان لمؤمن وما صح له وليس من شأنه ان يقتل مؤمنا بغير حق الا خطأ
فانه على عرضته ونصبه على الحال او المفعول له اى لا يقتله فى شئ من الاحوال
الا حال الخطأ او لا يقتله لعلة الا للخطأ او على انه صفة مصدر محذوف

اى الا قتلا خطأ وقيل ما كان نفى فى معنى النهى والاستثناء منقطع اى
لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يضامه القصد الى الفعل
او الشخص او ما لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور
كرمى مسلم فى صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف
وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والاية نزلت فى عياش بن
ابى ربيعة اخى ابى جهل من الام لقى حارث بن زيد فى طريق وكان قد اسلم
ولم يشعر به عياش فقتله ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اى فعليه او
فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق الكريم من الشئ
ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمى به لان الكرم فى الاحرار والرقبة
عبر بها عن النسمة كما عبر بالرأس مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة
ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول
ضحاك بن سفيان الكلابى كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنى
ان اورث امرأة اشيم الضبابى من عقل زوجها وهى على العاقلة فان لم يكن
فعلى بيت المال فان لم يكن ففى ماله الا ان يصدقوا يتصدقوا عليه بالدية
سمى العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبى صلى الله
عليه وسلم كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة اى تجب الدية
عليه او يسلمها الى اهله الا حال تصدقهم عليه او زمانه فهو فى محل النصب
على الحال من القاتل او الظرف فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير
رقبة مؤمنة اى ان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين او فى تضاعيفهم

يصاحبه

مكة م

عنهما م

الاهل او م

ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم و
لانهم محاربون وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله
وتحرير رقبة مومنة اى وان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل الذمة فحكمه
حكم المسلم فى وجوب الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا
او كان له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة بان لا يملكها ولا ما يتوصل به اليها فصيام
شهرين متتابعين فعليه او فالواجب عليه صيام شهرين توبة نصب على
المفعول له اى شرع ذلك توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته او على المصدر
اى وتاب الله عليكم توبة او حال بحذف مضاف اى فعليه صيام شهرين
ذا توبة من الله صفتها وكان الله عليما بحاله حكيما فيما امر فى شانه ومن يقتل
مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له
عذابا عظيما لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس لا تقبل توبة قاتل المؤمن
عمدا ولعله اراد به التشديد اذ روى عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص
بمن لم يتب لقوله وانى لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص
بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل فى مقيس بن ضبابة وجد
اخاه هشاما قتيلا فى بنى النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله ان يدفعوا
اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا او المراد بالخلود المكث الطويل
فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم يا ايها الذين
آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله سافرتم وذهبتم للغزو فتبينوا فاطلبوا
بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه وقرأ حمزة والكسائى فتثبتوا فى الموضعين

ديته فدفعوا اليه

من التثبت

هنا وفى الحجرات ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لمن حياكم بتحية الاسلام وقرأ
نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الف اى الاستسلام والانقياد وفسر به
السلام ايضا لست مومنا وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مومنا بالفتح اى
مبذولا له الامان تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون ماله الذى هو حطام الدنيا
سريع النفاد وهو حال من الضمير فى تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة
وترك التثبت فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل امثاله لماله كذلك كنتم من
قبل اى اول ما دخلتم فى الاسلام تفوهتم بكلمتى الشهادة فحصنت بها دماؤكم
واموالكم من غير ان تعلم مواطاة قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم بالاشتهار
بالايمان والاستقامة فى الدين فتبينوا وافعلوا بالداخلين فى الاسلام كما فعل الله
بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء
الف كافر اهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره تاكيد لتعظيم الامر و
ترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم ان الله كان بما تعملون خبيرا عالما به وبالغرض
منه فلا تتهافتوا فى القتل واحتاطوا فيه روى ان سرية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم غزت اهل فدك فهربوا وبقى مرداس ثقة باسلامه فلما رأى
الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال
لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه
فنزلت وقيل نزلت فى المقداد مر برجل فى غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله
فقتله وقال ود لو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد
قد يخطئ وان خطأه مغتفر لا يستوى القاعدون عن الحرب من المؤمنين

في موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذي فيه غير اولي الضرر بالرفع صفة
للقاعدون لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرأ نافع وابن عامر و
الكسائي بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين
او بدل منه وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال
ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فغشي رسول الله صلعم في مجلس الوحي
فوقعت فخذه حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي
القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم
وانفسهم اي لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدة
تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعا لرتبته وانفة
عن انحطاط منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين
درجة جملة موضحة لما نفي الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق
ودرجة نصب بنزع الخافض اي بدرجة او على المصدر لانه تضمن معنى
التفضيل ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى ذوي درجة وكلا من القاعدين
والمجاهدين وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن عقيدتهم و
خلوص نيتهم وانما التفاوت في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب وفضل
الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما نصب على المصدر لان فضل بمعنى
اجر او المفعول الثاني له لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل واعطاهم زيادة
على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة كل واحد منها بدل
من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا

على فخذي م

على

على الحال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار
فعلهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد
وترغيبا فيه وقيل الاول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل
الذكر والثاني ما جعل لهم في الآخرة وقيل الدرجة ارتفاع منزلتهم في الجنة
وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون الثاني هم الذين اذن
لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار
والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر وكان الله غفورا لما عسى ان يفرط منهم رحيما بما وعد لهم
ان الذين توفيهم الملائكة يحتمل الماضي والمضارع وقرئ توفتهم وتوفاهم
على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم
من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بترك
الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا
حين كانت الهجرة واجبة قالوا اي الملائكة توبيخا لهم فيم كنتم في اي شيء
كنتم من امر دينكم قالوا كنا مستضعفين في الارض اعتذروا مما وبخوا
به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة او عن اظهار الدين واعلاء كلمته قالوا
اي الملائكة تكذيبا لهم او تبكيتا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى
قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة فاولئك مأويهم جهنم
لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن
الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد والخبر قالوا

المراد م

والعايد محذوف اى قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة منها وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم وفى الاية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبى صلى الله عليه من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابرهيم ونبيه محمد عليه السلام الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم فى الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة فى الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال عنهم او عن المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما تتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يامن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اى يفارقهم على رغم انوفهم وهو ايضا من الرغام وسعة فى الرزق واظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر

محذوف

محذوف اى ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب والاية نزلت فى جندب بن ضمرة حمله بنوه على سريره متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع رسولك فمات واذا ضربتم فى الارض سافرتم فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة بتنصيف ركعاتها ونفى الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه عليه السلام اتم فى السفر وان عايشة اعتمرت مع رسول الله وقالت يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عايشة واوجبه ابو حنيفة لقول عمر صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ولقول عايشة اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت فى السفر وزيدت فى الحضر وظاهرهما يخالف الاية فان صحا فالاول مؤول بانه كالتام فى الصحة والاجزاء والثانى لا ينفى جواز الزيادة فلا حاجة الى تاويل الاية بانهم الفوا الاربع وكان مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتى السفر قصر ونقصان فسمى الاتيان بهما قصرا على ظنهم ونفى الجناح فيه لتطيب به انفسهم واقل سفر تقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند ابى حنيفة وقرى تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلوة صفة محذوف اى شيئا من الصلوة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا شرط باعتبار الغالب

جندب

بنوه على سريره متوجها

الجناح

ركعتين

في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر في قوله تعالى فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه ايضا في حال الامن وقرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بمفهومه من خص صلوة الخوف بحضرة الرسول لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول كيفيتها لياتم به الائمة بعده فانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احديهما معك يصلون وتقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم اي المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم فاذا سجدوا يعني المصلين فليكونوا اي غير المصلين من ورائكم يحرسونكم يعني النبي ومن يصلي معه فغلب المخاطب على الغائب ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك ظاهره يدل على ان الامام يصلي مرتين بكل طائفة مرة كما فعله عليه السلام ببطن نخل وان اريد به ان يصلي بكل ركعة ان كانت الصلوة ركعتين فكيفيته ان يصلي بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلوتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وتاتي الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلوتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع وقال ابو حنيفة يصلي بالاولى ركعة ثم يذهب هذه وتقف بازاء العدو وتاتي الاخرى فتؤدي الركعة الثانية

بغير قراءة وتتم صلوتها وليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة في وجوب الاخذ ونظيره قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلوتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ السلاح ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم رخصة لهم في وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب وخذوا حذركم امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا في الامور على مراسم التيقظ والتدبير فيتوكلوا على الله فاذا قضيتم الصلوة اديتم وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فدوموا على الذكر في جميع الاحوال او اذا اردتم اداء الصلوة واشتد الخوف فصلوها كيف ما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم مثخنين فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف فاقيموا الصلوة فعدلوا واحفظوا اركانها وشرائطها واتوا بها تامة ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا فرضا محدود الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها في شيء من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلوة وانها واجبة الاداء حالة المسايفة والاضطراب في المعركة

وتعليل للامر بالاتيان بها كيف ما امكن وقال ابو حنيفة لا يصلي المحارب حتى
يطمئن ولا تهنوا ولا تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال
ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون الزام
لهم وتقريع على التواني فيه بان ضرر القتال داير بين الفريقين غير مختص
بهم وهم يرجون من الله بسبب من اظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا
يرجو عدوهم فينبغي ان تكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر عليها
وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون ويكون قوله
فانهم يألمون علة للنهي عن الوهن لاجله والاية نزلت في بدر الصغرى وكان
الله عليما باعمالكم وضمائركم حكيما فيما يأمر وينهى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق
لتحكم بين الناس نزلت في طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة
بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخباها عند زيد
بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها
وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها
فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا
ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله ان يفعل بما
اريك الله بما عرفك واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى
ثلثة مفاعيل ولا تكن للخائنين اي لاجلهم والذب عنهم خصيما للبراء واستغفر
الله مما هممت به ان الله كان غفورا رحيما لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين

ينبغي

انتهوا

صاحبنا

يختانون انفسهم يخونونها فان وبال خيانتهم يعود اليها او جعل المعصية
خيانة لها كما جعلت ظلما عليها والضمير لطعمة وامثاله او له ولقومه فانهم
شاركوه في الاثم حين شهدوا على براءته وخاصموا عنه ان الله لا يحب من
كان خوانا اثيما مبالغا في الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا فيه روي ان طعمة هرب الى
مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله يستخفون
من الناس يستترون منهم حياء وخوفا ولا يستخفون من الله ولا يستحيون
منه وهو احق بان يستحيى ويخاف منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم
فلا طريق معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون و
يزورون ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة
الزور وكان الله بما يعملون محيطا لا يفوت عنه شيء ها انتم هؤلاء مبتداء
وخبر جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا او صلة عند
من يجعله موصولا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا
محاميا يحميهم عن عذاب الله ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه
بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك وبالظلم الشرك
وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفورا لذنوبه
رحيما متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار ومن
يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله لقوله وان اسأتم فلها وكان الله
عليما حكيما ~~ومن يكسب خطيئة~~ فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته او اثما كبيرة او ما كان
عن عمد ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان او فقد احتمل

ومن يكسب خطيئة
صغيرة او ما لا عمد فيه
صح

بهتانا واثما مبينا بسبب رمى البرى وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما
وان كان مقترف احدهما دون مقترف الآخر ولولا فضل الله عليك ورحمته
باعلام ما هم عليه بالوحى لهمت طائفة منهم اى من بنى ظفر ان يضلوك عن
القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى
نفى همهم بل الى نفى تاثيره وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازلك عن الحق و
عاد وباله عليهم وما يضرونك من شىء فان الله عصمك وما خطر ببالك كان
اعتمادا منك على ظاهر الامر لا ميلا فى الحكم ومن شىء فى موضع النصب على
المصدر اى شيأ من الضرر وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم
تكن تعلم من خفيات الامور او من امور الدين والاحكام وكان فضل الله عليك
عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة لا خير فى كثير من نجويهم من متناجيهم لقوله
واذ هم نجوى او من تناجيهم فقوله الا من امر بصدقة او معروف على حذف
مضاف اى الا نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففى
نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل وفسر ههنا
القرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وسائر ما فسر به او اصلاح
بين الناس او اصلاح ذات بين ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف
نؤتيه اجرا عظيما بنى الكلام على الامر ورتب الجزاء على الفعل ليدل على انه
لما دخل الآمر فى زمرة الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم وان العمدة والغرض هو
الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب
مرضاة الله لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق به من الله

اجرا ووصف الاجر بالعظيم تنبيها على حقارة ما فات فى جنبه من اغراض الدنيا
وقرأ حمزة وابو عمرو فسوف يؤتيه بالياء ومن يشاقق الرسول يخالفه من الشق
فان كلا من المتخالفين فى شق غير شق الآخر من بعد ما تبين له الهدى ظهر
له الحق بالوقوف على المعجزات ويتبع غير سبيل المؤمنين غير ما هم عليه
من اعتقاد او عمل نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخل
بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه
وساءت مصيرا جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد
الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد
منهما او احدهما او الجمع بينهما والثانى باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر
واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها
او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا
لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت
الكلام فيه فى مرصاد الافهام الى مبادى الاحكام ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتاكيد او لقصة طعمة وقيل جاء شيخ
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انى شيخ منهمك فى الذنوب الا انى لم اشرك
بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصى
جرأة وما توهمت طرفة عين انى اعجز الله هربا وانى لنادم تائب فما ترى حالى
عند الله فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك
اعظم انواع الضلال وابعدها عن الصواب والاستقامة وانما ذكر فى

الاية الاولى وثمة افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشا شركهم
كان نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله ان يدعون من
دونه الا اناثا يعني اللات والعزى ومناة ونحوها فان لكل حي صنما يعبدونه
ويسمونه انثى بني فلان وذلك اما لتانيث اسمائها كما قال وما ذكر وان
يسمن فانثى اللزام ليس له ضروس فانه عنى القراد وهو ما كان صغيرا
يسمى قرادا فاذا كبر يسمى حلمة او لانها كانت جمادات والجمادات تؤنث من
حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها
على انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود
ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم و
قيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب و
ربى وقرئ انثى على التوحيد وانثا على انه جمع انيث كخبث وخبيث ووثنا
بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد واسد واسد واثنا بهما
على قلب الواو لضمها همزة وان يدعون وان يعبدون بعبادتها الا شيطانا
مريدا لانه الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكان طاعته في ذلك عبادة
له والمارد والمريد الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه
صرح ممرد وغلام امرد وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية
للشيطان وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا عطف عليه اي شيطانا
مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن
سبحانه اولا على ان الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل بان ما يشرك به

ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة فان الاله
تعالى ينبغي ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان
وهي افظع الضلال لثلثة اوجه الاول انه مريد منهمك في الضلال لا يعلق
بشيء من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني انه
ملعون لضلاله فلا يستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث
انه في غاية العداوة والسعي في اهلاكهم وموالاة من هذا شانه غاية الضلال
فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم
فرض له في العطاء ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم الاماني الباطلة كطول
الحيوة وان لا بعث ولا عقاب ولآمرنهم فليبتكن اذان الانعام يشققونها
لتحريم ما احل الله وهي عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب و
اشارة الى تحريم كل ما احل ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل او بالقوة ولآمرنهم
فليغيرن خلق الله عن وجهه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين
الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة
الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التي هي الاسلام واستعمال الجوارح والقوى
فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع
الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة والجمل
الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا او اتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان
وليا من دون الله بايثاره ما يدعوه اليه على ما امره الله به ومجاوزته عن طاعة
الله الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع راس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكان

من النار يعدهم ما لا ينجز ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان الا غرورا وهو اظهار
النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه اولئك
ماويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها
حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله
والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا وعد الله حقا اي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول موكد لنفسه
لان مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد والثاني موكد لغيره ويجوز ان
ينتصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى
نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا جملة
موكدة بليغة والمقصود من الاية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه
بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله
ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب اي ليس ما وعد الله من الثواب ينال بامانيكم
ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح و
قيل ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل روي ان المسلمين
واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم
ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتا
يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه
تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم
ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا اماني اهل الكتا

الموصول

بنا

وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار
الا اياما معدودة ثم قرر ذلك وقال من يعمل سوءا يجز به عاجلا او آجلا لما روي
انه لما نزلت قال ابو بكر فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال عليه السلام اما تحزن
اما تمرض اما تصيبك اللأوى قال بلى يا رسول الله قال هو ذاك ولا يجد له من
دون الله وليا ولا نصيرا ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه
وينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات بعضها او شيئا منها فان كل
احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في
يعمل ومن للبيان او من الصالحات اي كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء وهو
مومن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد
به دونه فيه فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا بنقص شيء من الثواب واذا
لم ينقص ثواب المطيع فبالحري ان لا يزاد عقاب العاصي لان المجازي ارحم الراحمين
ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص
نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وهو محسن آت
بالحسنات تارك للسيئات واتبع ملة ابرهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على
صحتها حنيفا مائلا عن ساير الاديان وهو حال من اتبع او الملة او ابرهيم واتخذ الله
ابرهيم خليلا اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد ذكره
ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس
وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الاخر او من الخل و
هو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما

يتوافقان في الخصال والجملة استئناف جيء بها للترغيب في اتباع ملته والايذان
بانه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر روي ان ابرهيم عليه السلام بعث الى خليل
له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم يريد لنفسه
لفعلت ولكن يريده للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه
ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابرهيم ساءه الخبر فغلبته
عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى واختبزت فاستيقظ
ابرهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين هذا لكم فقالت من خليلك المصري فقال بل
من عند خليلي الله عز وجل فسماه خليلا **ولله ما في السموات وما في الارض** خلقا وملكا يختار
منهما من يشاء وما يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل
السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال **وكان الله بكل شيء محيطا**
احاطة علم وقدرة فكان عالما باعمالهم فيجازيهم على خيرها وشرها **ويستفتونك
في النساء** في ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصين اتى النبي صلى الله عليه فقال
اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال
ويحوز الغنيمة فقال عليه السلام كذلك امرت **قل الله يفتيكم فيهن** يبين لكم حكمه
فيهن والافتاء تبيين المبهم **وما يتلى عليكم في الكتاب** عطف على اسم الله او ضميره المستكن
في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله والى ما في القران من قوله
يوصيكم الله ونحوه والفعل الواحد ينسب الى فاعلين باعتبارين مختلفين و
نظيره اغناني زيد وعطاؤه او استئناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان
ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز ان ينصب على

ابراهيم م

معنى

معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض على القسم كانه قيل واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب
ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى **في يتامى النساء** صلة
يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اي يتلى عليكم في شانهن والا فبدل من فيهن
او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما
تقول كلمتك اليوم في زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه
وقرئ ييامى على انه ايامى فقلبت همزته ياء **اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن** اي فرض
لهن من الميراث **وترغبون ان تنكحوهن** في ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن فان اولياء
اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات وياكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن
طمعا في ميراثهن والواو يحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج
اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريان العقد في صغرها **والمستضعفين
من الولدان** عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون
النساء **وان تقوموا لليتامى بالقسط** ايضا عطف عليه اي ويفتيكم او ما يتلى في
ان تقوموا هذا اذا جعلت في يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه نصبهما
عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينصب وان تقوموا باضمار فعل اي ويامركم
ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام
بالنصفة في شانهم **وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما** وعد لمن آثر الخير في
ذلك **وان امراة خافت من بعلها** توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وامراة فاعل
فعل يفسره الظاهر **نشوزا** تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها
او اعراضا بان يقل مجالستها ومحادثتها **فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا**

ان يتصالحا بان تحط بعض المهر او القسم او تهب له شيئا تستميله به وقرأ
الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا
على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر كما في القراءة الاولى
والمفعول بينهما او هو محذوف وقرئ يصّلحا من اصّلح بمعنى اصطلح والصلح
خير من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة ولا يجوز ان يراد به التفضيل بل
بيان انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله
واحضرت الانفس الشح ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول للترغيب في المصالحة
والثاني لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة
له مطبوعة عليه فلا تكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولا
الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي اذا كرهها او احب غيرها
وان تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض ونقص الحق فان الله
كان بما تعملون من الاحسان والخصومة خبيرا عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه
اقام كونه عليما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب
الشرط اقامة السبب مقام المسبب ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء
لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني
فيما تملك ولا املك ولو حرصتم على تحري ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل
بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها
كالمعلقة التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي صلى الله عليه وسلم

تملك

من

شقيه

من كانت له امرأتان يميل مع احديهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وان تصلحوا
ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما
يغفر لكم ما مضى من ميلكم وان يتفرقا وقرئ وان يتفارقا اي وان يفارق
كل منهما صاحبه يغن الله كلا منهما عن الآخر ببدل او سلو من سعته غناه وقدرته
وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه ولله ما في السموات
وما في الارض تنبيه على كمال سعته وقدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة
بوصينا او باوتوا ومساق الآية لتأكيد الامر بالاخلاص واياكم عطف على الذين
ان اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز ان يكون ان مفسرة لان التوصية في معنى القول
وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض على ارادة القول اي وقلنا لهم
ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع
بشكركم وتقويكم وانما وصيكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله وكان
الله غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا في ذاته ولم يحمد ولله ما في السموات وما
في الارض ذكره ثالثا للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل
بحاجتها على غناه وبما فاض عليها من الوجود وانواع الخصائص والكمالات
على كونه حميدا وكفى بالله وكيلا راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته فانه
توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك ان يشأ يذهبكم ايها الناس يفنكم
ومفعول يشاء محذوف دل عليه الجواب ويأت بآخرين ويوجد قوما آخرين
مكانكم او خلقا آخرين مكان الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا

من الزمان م

بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر
به وخالف امره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله من العرب ومعناه
معنى قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روى انه لما نزل ضرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا من
كان يريد ثواب الدنيا والآخرة فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا
في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد
خالصا لله لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء او فعند الله
ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له
الآية وكان الله سميعا بصيرا عارفا بالاغراض فيجازي كلا بحسب قصده يا ايها
الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مواظبين على العدل مجتهدين في اقامته شهداء لله
بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو خبر ثان او حال ولو على انفسكم ولو كانت
الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة بيان الحق سواء كان عليه
او على غيره او الوالدين والاقربين ولو على والديكم واقاربكم ان يكن اي المشهود
عليه او كل واحد منه ومن المشهود له غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة
او لا تجوروا فيها ميلا او ترحما فالله اولى بهما بالغني والفقير وبالنظر لهما
فلو لم تكن الشهادة عليهما او لهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت
مقامه والضمير في بهما راجع الى ما دل عليه المذكور وهو جنسا الغني والفقير
لا اليه والا لوحد ويشهد عليه ان قرئ فالله اولى بهم فلا تتبعوا الهوى
ان تعدلوا لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل وان تلووا السنتكم

عن

عن شهادة الحق او حكومة العدل وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي
باسكان اللام وبعدها واوان الاولى مضمومة والثانية ساكنة وقرأ حمزة
وابن عامر وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او تعرضوا عن ادائها
فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين
او للمنافقين او لمؤمني اهل الكتاب اذ روي ان ابن سلام واصحابه قالوا يا
رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه
فنزلت آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل
اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه او آمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بلسانكم او
آمنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب
الاول القرآن والثاني الجنس وقرأ نافع والكوفيون الذي نزل والذي
انزل بفتح الهمزة والزاء والباقون بضم النون والهمزة وكسر الزاء ومن يكفر
بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر اي ومن يكفر بشيء من ذلك فقد
ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه ان الذين آمنوا يعني
اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم آمنوا بعد عوده اليهم ثم كفروا
بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلوات الله عليهم او قوما تكرر منهم الارتداد
ثم اصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم
سبيلا اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم
ضربت بالكفر وبصايرهم عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل
منهم ولم يغفر لهم وخبر كان في امثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن

الله ممن يد الغفر لهم بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل على ان الآية في المنافقين
وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار
على النفاق وافساد الامر على المؤمنين ووضع بشر مكان انذر تهكما بهم
الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين في محل النصب او الرفع على
الذم بمعنى اريد الذين او هم الذين ايبتغون عندهم العزة ايتعززون بموالاتهم فان
العزة لله جميعا لا يتعزز الا من اعزه وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة
ولرسوله وللمؤمنين ولا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم وقد نزل عليكم
في الكتاب يعني القرآن وقرأ غير عاصم نزّل والقائم مقام فاعله ان اذا سمعتم آيات
الله وهي المخففة والمعنى انه اذا سمعتم يكفر بها ويستهزأ بها حالان من الآيات
جيء بهما لتقييد النهي عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في
حديث غيره الذي هو جزاء الشرط بما اذا كان من يجالسه هازئا معاندا غير مرجو
ويؤيده الغاية وهذا انزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون
في آياتنا الآية والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ
بها انكم اذا مثلهم في الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم او
الكفر ان رضيتم بذلك ولان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار
كانوا منافقين ويدل عليه ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني
القاعدين والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر
بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع
وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبني كقوله مثل ما انكم تنطقون الذين يتربصون

بكم ينتظرون وقوع امر بكم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين والكافرين
او ذم مرفوع او منصوب او مبتدأ خبره فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن
معكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم وان كان للكافرين نصيب من الحرب
فانها سجال قالوا الم نستحوذ عليكم اي قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم
فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذ
يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل ونمنعكم من المؤمنين بان اخذلناهم
بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فاشركونا فيما اصبتم
وانما سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه
مقصور على امر دنيوي سريع الزوال فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله
للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ او في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة
واحتج به اصحابنا على فساد شراء الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة
بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينفي ان يكون اذا عاد الى الايمان
قبل مضي العدة ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم سبق الكلام فيه اول
سورة البقرة واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل
وقرئ كسالى بالفتح وهما جمع كسلان يراؤن الناس ليخالوهم مؤمنين والمراءاة
مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري من يرائيه عمله
وهو يريه استحسانه ولا يذكرون الله الا قليلا اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة من يراه
وهو اقل احواله او لان ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل
المراد بالذكر الصلوة وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم

مذبذبين بين ذلك حال عن واو يراءون كقوله ولا يذكرون اي يراءونهم غير ذاكرين مذبذبين
او واو يذكرون او منصوب على الذم والمعنى مرددين بين الايمان والكفر من الذبذبة
وهو جعل الشيء مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون
كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال الغير المعجمة بمعنى اخذوا تارة في دبة
وهي الطريقة لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا منسوبين الى المؤمنين ولا الى الكافرين
او لا صائرين الى احد الفريقين بالكلية ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الحق
والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين فانه صنيع المنافقين ودينهم
فلا تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فان موالاتهم
دليل على النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه ان المنافقين في الدرك الاسفل
من النار هو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة
اذ ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله عليه السلام
ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب
واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ وانما سميت
طبقاتها السبع دركات لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرأ
الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك اوجه لانه يجمع
على ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه الا الذين تابوا عن النفاق واصلحوا
ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله وثقوا به وتمسكوا
بدينه واخلصوا دينهم لله لا يريدون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين ومن

قلوبهم او دينهم او يتذبذبون

عداد

عدادهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما فيساهمونهم فيه ما يفعل الله
بعذابكم ان شكرتم وآمنتم أيتشفى به غيظا او يدفع به ضررا او يستجلب به نفعا
وهو الغني المتعالي عن النفع والضر وانما يعاقب المصر بكفره لان اصراره عليه
كسوء مزاج يؤدي الى مرض فاذا ازاله بالايمان والشكر ونقى عنه نفسه
تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر شكرا
مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به وكان الله شاكرا مثيبا يقبل
اليسير ويعطي الجزيل عليما بحق شكركم وايمانكم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول
الا من ظلم الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روي ان رجلا ضاف قوما
فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل
فيكون الاستثناء منقطعا اي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله وكان الله
سميعا لكلام المظلوم عليما بالظالم ان تبدوا خيرا طاعة وبرا او تخفوه اي تفعلوه
سرا او تعفوا عن سوء لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر ابداء الخير واخفائه
تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله فان الله كان عفوا قديرا اي يكثر العفو
عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فانتم اولى بذلك وهو حث المظلوم
على العفو بعد ما رخص له في الانتصار حملا على مكارم الاخلاق ان الذين يكفرون
بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله بان يؤمنوا بالله ويكفروا
برسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم
ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة
اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما

بلغوا عنه تفصيلا واجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال كما قال
تعالى وماذا بعد الحق الا الضلال اولئك هم الكافرون هم الكاملون في الكفر لا عبرة
بايمانهم هذا حقا مصدر مؤكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين
كفروا كفرا حقا اي يقينا محققا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله
ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اضدادهم ومقابلوهم وانما دخل بين على احد
وهو يقتضي متعددا لعمومه من حيث انه وقع في سياق النفي اولئك سوف
نؤتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتوكيد الوعد والدلالة على
انه كائن لا محالة وان تأخر وقرأ حفص عن عاصم وقالون عن يعقوب بالياء
على تلوين الخطاب وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما عليهم بتضعيف
حسناتهم يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود
قالوا ان كنت صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى وقيل كتابا محررا
بخط سماوي على الواح كما كانت التورية او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا
الينا باعياننا بانك رسول فقد سألوا موسى اكبر من ذلك جواب شرط مقدر
اي ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى اكبر منه وهذا السؤال وان كان
من آبائهم اسند اليهم لانهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهديهم والمعنى ان
عرقهم راسخ في ذلك وان ما اقترحوا عليك ليس باول جهالاتهم وخيالاتهم
فقالوا ارنا الله جهرة عيانا اي ارناه نره جهرة او مجاهرين معاينين فأخذتهم
الصاعقة نار جاءت من السماء فاهلكتهم بظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما
يستحيل في تلك الحالة التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا

ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات هذه الجناية الثانية التي اقترفها ايضا
اوائلهم والبينات المعجزات ولا يجوز حملها على التورية اذ لم تأتهم بعد فعفونا
عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا
انفسهم توبة عن اتخاذهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه
وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا على لسان موسى والطور مظل عليهم وقلنا لهم لا
تعدوا في السبت على لسان داود ويحتمل ان يراد على لسان موسى حين ظلل الجبل
عليهم فانه شرع السبت ولكن الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود وقرأ ورش
عن نافع لا تعدّوا فادغمت التاء في الدال واخذنا منهم ميثاقا غليظا على ذلك
وهو قولهم سمعنا واطعنا فبما نقضهم ميثاقهم اي فخالفوا ونقضوا ففعلنا
بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتأكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف و
يجوز ان يتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه
الى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون لانه رد
لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في
جاره وكفرهم بآيات الله بالقرآن او بما في كتابهم وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم
قلوبنا غلف اوعية للعلوم او في اكنة مما تدعونا اليه بل طبع الله عليها بكفرهم فجعلها
محجوبة عن العلم او خذلها ومنعها التوفيق للتدبر في الآيات والتذكر بالمواعظ فلا
يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه وبكفرهم
بعيسى وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع او على قوله فبما نقضهم ويجوز
ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرير ذكر الكفر

ابتدانا للتكرير بكفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم السلام وقولهم
على مريم بهتانا عظيما يعني نسبتها الى الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم
رسول الله اي بزعمه ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون وان يكون استينافا من الله بمدحه او وضعا للذكر الحسن مكان
ذكرهم القبيح وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه
وامه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره
الله بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل
ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب و
قيل كان رجلا ينافقه فخرج ليدل عليه فالقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه
عيسى فاخذ وصلب وقيل دخل طيطايوس اليهودي بيتا كان فيه فلم يجده
والقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من
الخوارق التي لا تستبعد في زمان النبوة وانما ذمهم الله بما دل عليه الكلام من
جراتهم على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لا لقولهم
هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور كانه قيل ولكن وقع لهم
التشبيه بين عيسى والمقتول او الى الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن
ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على
ان ثم مقتولا وان الذين اختلفوا فيه في شان عيسى فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف
الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم
ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا

هو م

فيه م

وقال

رفعه الى السماء ن

وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت
فيه لفي شك منه لفي تردد والشك كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على
مطلق التردد على ما يقابل العلم ولذلك اكده بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن
استثناء منقطع اي ولكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم
بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما كان او غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه
يقينا قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه ما علموه
يقينا كقوله كذلك تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمي ذلكم يقينا من
قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه بل رفعه الله اليه رد و
انكار لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما فيما دبر لعيسى
وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اي وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن
به فقوله ليؤمنن جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثاني والاول
لعيسى والمعنى ما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله ورسوله
قبل ان يموت ولو حين تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك انه قرئ الا
ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم و
التحريض على معالجة الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران
لعيسى والمعنى انه اذا نزل من السماء آمن به اهل الملل جميعا روي انه ينزل من
السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون
الملة واحدة وهي ملة الاسلام وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور
مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة

العالمات

معالجة

ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا فيشهد على
اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين هادوا اي فباي
ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعني ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا
وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان
الربوا محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على دلالة النهي على التحريم واكلهم
اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا
اليما دون من تاب وآمن لكن الراسخون في العلم منهم كعبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون
اي منهم او من المهاجرين والانصار يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدا و
المقيمين الصلوة نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك او عطف على ما انزل اليك
والمراد بهم الانبياء اي يؤمنون بالكتب وبالانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون او
على الضمير في يؤمنون او على انه مبتدا والخبر اولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكوة
رفع لاحد الوجوه المذكورة والمؤمنون بالله واليوم الآخر قدم عليه الايمان بالانبياء
والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لانه المقصود بالاية اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما
على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين
من بعده جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج
عليهم بان امره في الوحي كسائر الانبياء واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان واتينا داود زبورا خصهم
بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابرهيم اول اولي العزم منهم وعيسى
اخرهم والباقين اشراف الانبياء ومشاهيرهم وقرا حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر

ما انزل ٣

وقرا حمزة سيؤتيهم بالياء

بمعنى

بمعنى مزبور ورسلا نصب بمضمر دل عليه اوحينا اليك كارسلنا او فسره قد قصصناهم
عليك من قبل اي من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله
موسى تكليما وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم وقد فضل الله
محمدا صلوات الله عليه بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين
نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال ويكون رسلا موطئا لما بعده كقولك
مررت بزيد رجلا صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لولا
ارسلت الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء
الى الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها
واللام متعلقة بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس
او على الله والآخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعده ظرف لها او صفة
حجة وكان الله عزيزا لا يغلب فيما يريده حكيما فيما دبر من امر النبوة وخص كل نبي بنوع
من الوحي والاعجاز لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم ما قبله فكانه لما تعنتوا
عليه بسؤال الكتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال
انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره بما انزل
اليك من القرآن المعجز الدال على نبوتك روي انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد
لك فنزلت انزله بعلمه انزله متلبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتاليفه على نظم معجز
عند كل بليغ او بحال من يستعد النبوة ويستاهل نزول الكتاب عليه او بعلمه
الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم والجار والمجرور على الاولين حال من
الفاعل وعلى الثالث حال من المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها والملائكة يشهدون

ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودون ان يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغني
عن النظر والتامل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال
ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هولاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها
كما عرفت الملائكة وشهدوا وكفى بالله شهيدا اى وكفى بما اقام من الحجج على صحة نبوتك
على الاستشهاد بغيره ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا
لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق في الضلال وابعد من
الانقلاع عنه ان الذين كفروا وظلموا محمدا بانكار نبوته او الناس بصدهم عما فيه صلاح
وخلاصهم او باعم من ذلك وعليه يدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد
بهم الجامعون بين الكفر والظلم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم
خالدين فيها ابدا لجرى حكمه السابق ووعده المحتوم على ان من مات على كفره فهو خالد في
النار وخالدين حال مقدرة وكان ذلك على الله يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه
يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم
بها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزامهم الحجة والوعد بالاجابة والوعيد
على الرد فآمنوا خيرا لكم اى ايمانا خيرا لكم او ايتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره
يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمها الا فيما لابد منه
يؤدى الى حذف الشرط وجوابه وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض يعني وان
تكفروا فهو غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله ما في
السموات والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه وكان الله عليما باحوالهم
حكيما فيما دبر لهم يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الخطاب للفريقين غلت اليهود في حط عيسى

الآية

حتى رموه بانه ولد لغير رشدة والنصارى في رفعه حتى اتخذوه الها وقيل في النصارى
خاصة فانه اوفق لقوله ولا تقولوا على الله الا الحق يعني تنزيهه عن الصاحبة و
الولد انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها
فيها وروح منه وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل والمادة
له وقيل سمي روحا لانه كان يحيي الاموات او القلوب فآمنوا بالله ورسله ولا
تقولوا ثلاثة اى الالهة ثلاثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى ءانت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون
الله ثلاثة اقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون بالاب الذات و
بالابن العلم وبروح القدس الحيوة انتهوا عن التثليث خيرا لكم نصبه كما سبق انما الله
اله واحد اي واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا
من ان يكون له ولد فانه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق اليه فناء له ما في السموات و
ما في الارض ملكا وخلقا لا يماثله شئ من ذلك فيتخذه ولدا وكفى بالله وكيلا تنبيه على
غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه قايم بحفظ الاشياء
كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه او يعينه لن يستنكف المسيح لن يانف من نكفت الدمع
اذا نحيته باصبعك كيلا يرى اثره عليك ان يكون عبدا لله من ان يكون عبدا له فان عبوديته
شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف في عبودية غيره روي ان وفد نجران
قالوا لرسول الله لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واى شئ اقول
قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت ولا
الملائكة المقربون عطف على المسيح اى ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا

الدمع م

عبيدا واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف اعلى درجة منه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه ان الاية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وان اراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين حول العرش او من اعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء وذلك لا يستلزم فضل احد الجنسين على الآخر مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر يترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق فسيحشرهم اليه جميعا فيجازيهم فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام وكانه قال فسيحشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازات او لمجازاتهم فان اثابة مقابليهم والاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا يعني بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن اي جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر وعلة وقيل البرهان الدين او رسول الله او القرآن فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه ثواب قدره بازاء ايمانهم وعملهم رحمة منه لا قضاء لحق واجب وفضل احسان زائد عليه ويهديهم اليه الى الله وقيل الى الموعود صراطا مستقيما

هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة يستفتونك اي في الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه روي ان جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت وهي آخر ما نزل في الاحكام قل الله يفتيكم في الكلالة سبق تفسيرها في اول السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له او حال من المستكن في هلك والواو في وله يحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين او الاب لانه جعل اخوها عصبة وابن الام لا يكون عصبة والولد على ظاهره فان الاخت وان ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس لكنها لا ترث النصف وهو يرثها اي والمرء يرث اخته ان كان الامر بالعكس ان لم يكن لها ولد ذكرا كان او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به الذكر اذ البنت لا تحجب الاخ والآية كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله الله يفتيكم في الكلالة ان فسرت بالميت فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته محمولة على المعنى وفائدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه على ان الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين اصله وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر يبين الله لكم ان تضلوا اي يبين لكم ضلالكم الذي من شأنكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه او يبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين والله بكل شيء عليم فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة

النساء فكانما تصدق على كل مومن ومومنة وورث ميراثا واعطى من الاجر كمن اشترى محررا وبرى من الشرك وكان فى مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم سورة المائدة وهى مائة وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد العهد الموثق قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التى عقدها الله على عباده والزمها اياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب احلت لكم بهيمة الانعام تفصيل للعقود والبهيمة كل حى لا يميز وقيل كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة من الانعام وهى الازواج الثمانية والحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الانعام فى الاجترار وعدم الانياب واضافتها الى الانعام لملابسة الشبه الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم كقوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم تحريمه غير محلى الصيد حال من الضمير فى لكم وقيل من واو اوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول وانتم حرم حال من الضمير عما استكن فى محلى والحرم جمع حرام وهو المحرم ان الله يحكم ما يريد من تحليل وتحريم يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله يعنى مناسك الحج جمع شعيرة وهى اسم ما اشعر اى جعل شعارا سمى به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحاج واعلام النسك وقيل دين الله لقوله ومن يعظم شعائر الله اى دينه وقيل فرائضه التى حدها لعباده ولا الشهر الحرام

بالقتال فيه او بالنسئ ولا الهدى ما اهدى الى الكعبة جمع هدية كجدى فى جمع جدية السرج ولا القلائد اى ذوات القلائد من الهدى وعطفها على الهدى للاختصاص فانها اشرف الهدى او القلائد انفسها والنهى عن احلالها مبالغة للنهى عن التعرض للهدى ونظيره قوله ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهى ما قلد به الهدى من نعل او لحاء شجر او غيرهما ليعلم به انه هدى فلا يتعرض له ولا آمين البيت الحرام قاصدين لزيارته يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا اى يثيبهم ويرضى عنهم والجملة فى موضع الحال من المستكن فى آمين وليست صفة له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شانه والتنبيه على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روى ان الآية نزلت عام القضية فى حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالآية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المومنين واذا حللتم فاصطادوا اذن فى الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر الآتى بعد الحظر على الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا واحللتم يقال حل المحرم واحل ولا يجرمنكم لا يحملنكم او لا يكسبنكم شنآن قوم شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرأ ابن عامر واسمعيل عن نافع وابن عباس عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر كليان او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان فى النعت اكثر ان صدوكم عن المسجد الحرام لان صدوكم عام الحديبية وقرأ ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم ان تعتدوا بالانتقام ثانى مفعولى يجرمنكم

فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب ومن قرأ يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدى
الى مفعول بالهمزة الى مفعولين وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء ومتابعة
الامر ومجانبة الهوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان للتشفى والانتقام
واتقوا الله ان الله شديد العقاب فانتقامه اشد حرمت عليكم الميتة بيان ما يتلى عليكم والميتة
ما فارقه الروح من غير تذكية والدم اى الدم المسفوح لقوله او دما مسفوحا وكان
اهل الجاهلية يصبونه فى الامعاء ويشوونها ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اى رفع الصوت
لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التى ماتت بالخنق والموقوذة
المضروبة بنحو خشب او حجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته والمتردية التى تردت من
علو او فى بئر فماتت والنطيحة التى نطحتها اخرى فماتت والتاء فيها للنقل وما اكل
السبع اى وما اكل منه السبع فمات وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما
اصطادته لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وفيه حيوة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء
مخصوص بما اكل السبع والذكوة فى الشرع قطع الحلقوم والمرئ بمحدد وما ذبح على
النصب النصب واحد الانصاب وهى احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها
ويعدون ذلك قربة وقيل هى الاصنام وعلى بمعنى اللام او على اصلها بتقدير وما ذبح
مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب وان تستقسموا بالازلام اى وحرم
عليكم الاستقسام بالازلام وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلثة اقداح مكتوب
على احدها امرنى ربى وعلى الاخر نهانى ربى والثالث غفل فان خرج الامر مضوا
على ذلك وان خرج الناهى تجنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام
طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح

على الانصباء المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام
وكونه فسقا لانه دخول فى علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله
ان اريد بربى الله وشرك ان اريد به الصنم او الميسر المحرم او الى تناول ما حرم عليهم اليوم
لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الحاضر وما يتصل به من الازمنة الآتية وقيل اراد
يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع يئس الذين كفروا من
دينكم اى من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من ان يغلبوكم عليه
فلا تخشوهم ان يظهروا عليكم واخشون واخلصوا الخشية لى اليوم اكملت لكم
دينكم بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد و
التوقيف على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد واتممت عليكم نعمتى بالهداية و
التوفيق او باكمال الدين او بفتح مكة وهدم منار الجاهلية ورضيت لكم الاسلام اخترته
لكم دينا من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما
اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل
والنعمة التامة والاسلام المرضى والمعنى فمن اضطر الى تناول شىء من هذه المحرمات
فى مخمصة مجاعة غير متجانف لاثم غير مائل له ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا او مجاوزا
حد الرخصة لقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه باكله يسئلونك ماذا
احل لهم لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة وقد سبق الكلام فى ماذا وانما قال
لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسئلونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين سائغ فى امثاله و
المسئول ما احل لهم من المطاعم كانهم لما تلى عليهم ما حرم عليهم سألوا عما احل لهم قل
احل لكم الطيبات ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه ومن مفهومه حرم

مستخبثات العرب وما لم يدل نص ولا قياس على حرمته وما علمتم من الجوارح عطف على
الطيبات ان جعل ما موصولة على تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت
شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها من سباع ذوات الاربع
والطير مكلبين معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق
من الكلب لان التاديب يكون اكثر فيه واتم او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه السلم
سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه على الحال من علمتم وفايدتها المبالغة في التعليم
تعلمونهن حال ثانية او استيناف مما علمكم الله من الحيل وطرق التاديب فان العلم بها الهام
من الله او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال
صاحبه وينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا ياكل منه فكلوا مما
امسكن عليكم وهو ما لم ياكل منه لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما
امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك في سباع الطير
لان تاديبها الى هذا الحد متعذر وقال اخرون لا يشترط ذلك مطلقا واذكروا اسم الله عليه
الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله او لما امسكن بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكوته
واتقوا الله في محرماته ان الله سريع الحساب فيواخذكم بما جل ودق اليوم احل لكم الطيبات و
طعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم يتناول الذبايح وغيرها وعم الذين اوتوا الكتاب اليهود
والنصارى واستثنى علي رضي الله عنه نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية
ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس في ذلك وان الحق بهم في التقرير على
الجزية لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نساءهم ولا اكلي ذبايحهم
وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات

من المؤمنات الحراير العفايف وتخصيصهن بعث على ما هو الاولى والمحصنات من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم وان كن حربيات وقال ابن عباس لا تحل الحربيات اذا اتيتموهن اجورهن مهورهن
وتقييد الحل باتيانها لتاكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد باتيانها التزامها
محصنين اعفاء بالنكاح غير مسافحين مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان مسرين به و
الخدن الصديق يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الاخرة من
الخاسرين يريد بالايمان شرايع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه يا ايها الذين امنوا
اذا قمتم الى الصلوة اي اذا اردتم القيام كقوله فاذا قرات القران فاستعذ بالله عبر عن
ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغي
ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلوة لان التوجه
الى الشيء والقيام اليه قصد له وظاهر الاية يوجب الوضوء على كل قايم الى الصلوة وان
لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روي انه عليه السلام صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح
فقال عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى
اذا قمتم الى الصلوة محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ و
هو ضعيف لقوله عليه السلام المايدة من اخر القران نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها
فاغسلوا وجوهكم امروا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك وايديكم الى المرافق
الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع لقوله ويزدكم قوة الى قوتكم
او متعلقة بمحذوف تقديره وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق لمعنى التحديد
ولا لذكره مزيد فايدة لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا واما دخولها
في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن في الاية وكان

الابدى تناولها فحكم بدخولها احتياطاً وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضي خروجها
والا لم يكن غاية كقوله فنظرة الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم تتميز الغاية
ههنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطاً **وامسحوا برؤسكم** الباء مزيدة وقيل للتبعيض
فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل وبالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين
الفعل معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب
بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء
في قدر الواجب فاوجب الشافعي اقل ما يقع عليه الاسم اخذاً باليقين وابو حنيفة مسح
ربع الرأس لانه عليه السلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك مسح الكل اخذاً
بالاحتياط **وارجلكم الى الكعبين** نصبه نافع وابن عامر وحفص ويعقوب عطفاً على وجوهكم
ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يحد وجره
الباقون على الجوار ونظيره كثير في القرآن والشعر كقوله تعالى عذاب يوم محيط وحور
عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك وفائدته
التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها ويغسل غسلاً يقرب من المسح وفي
الفصل بينه وبين اخويه ايماء على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة **وان
كنتم جنبا فاطهروا** فاغتسلوا **وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم
النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه** سبق تفسيره ولعل
تكريره ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة **ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج** اي ما يريد الامر
بالطهارة للصلاة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم **ولكن يريد ليطهركم** لينظفكم او ليطهركم عن
الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء فمفعول يريد

في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج
حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر بعد المزيدة
وليتم نعمته عليكم ليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين
او ليتم برخصته انعامه عليكم بعزائمه **لعلكم تشكرون** نعمته والاية مشتملة على سبعة
امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب
وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان
آلتهما مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر او اكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض
او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة **واذكروا نعمة الله عليكم** بالاسلام
ليذكركم المنعم ويرغبكم في شكره **وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا** يعني الميثاق
الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله على السمع والطاعة في العسر واليسر و
المنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة الرضوان **واتقوا الله** في انساء نعمته ونقض
ميثاقه **ان الله عليم بذات الصدور** اي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم **يا ايها
الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا** عداه
بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم
فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا
مما في قلوبكم **اعدلوا هو اقرب للتقوى** اي العدل اقرب الى التقوى صرح لهم الامر بالعدل
وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان
هذا العدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين **واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون**
فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه

في اليهود أو لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في إطفاء ثائرة الغيظ وعد الله الذين
آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم إنما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله
لهم مغفرة فإنه استئناف يبينه وقيل الجملة في موقع المفعول فإن الوعد ضرب من
القول وكأنه قال وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم هذا
من عادته تعالى أن يتبع حال أحد الفريقين حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين
وتطييب لقلوبهم يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم روي أن المشركين رأوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعسفان قاموا إلى الظهر معا فلما صلوا ندموا ألا كانوا
أكبوا عليهم وهموا أن يوقعوا بهم إذا قاموا إلى العصر فرد الله كيدهم بأن أنزل صلاة
الخوف والآية إشارة إلى ذلك وقيل إشارة إلى ما روي أنه عليه السلام أتى قريظة و
معه الخلفاء الأربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأ
يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فأجلسوه في صفة وهموا
بقتله فعمد عمرو بن جحاش إلى رحى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله يده فنزل جبرئيل
فأخبره فخرج وقيل نزل رسول الله منزلا وتفرق الناس عنه فجاء أعرابي فسل
سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله فأسقطه جبرئيل من يده وأخذه الرسول وقال
من يمنعك مني فقال لا أحد أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فنزلت إذ هم قوم
أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم منعها أن تمد إليكم ورد مضرتها عنكم بالقتل و
الإهلاك يقال بسط إليه يده إذا بطش به وبسط إليه لسانه إذا شتمه واتقوا الله
وعلى الله فليتوكل المؤمنون فإنه الكافي لإيصال الخير ودفع الشر ولقد
أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا شاهدا من كل سبط ينقب عن أحوال

[فكف ايديهم عنكم منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم]

قومه ويفتش عنها أو كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما أمروا به روي أن بني إسرائيل لما فرغوا
عن فرعون واستقروا بمصر أمرهم الله بالمسير إلى أريحا أرض الشام وكان يسكنها
الجبابرة الكنعانيون وقال إني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا إليها وجاهدوا
من فيها فإني ناصركم وأمر موسى أن يأخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما أمروا به
فأخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من أرض كنعان بعث
النقباء يتجسسون الأخبار ونهاهم أن يحدثوا قومهم فرأوا أجراما عظيمة وبأسا شديدا
فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم إلا كالب بن يوفنا من سبط يهودا ويوشع بن نون
من سبط افراهيم بن يوسف وقال الله إني معكم بالنصرة لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة
وآمنتم برسلي وعزرتموهم أي نصرتموهم وقويتموهم وأصله الذب ومنه التعزير
وأقرضتم الله قرضا حسنا بالإنفاق في سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول
لأكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم المدلول عليه باللام في لئن ساد مسد جواب الشرط
ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق
به الوعد العظيم منكم فقد ضل سواء السبيل ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف
من كفر قبل ذلك إذ يمكن أن يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم
لعناهم طردناهم من رحمتنا أو مسخناهم أو ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية
لا تنفعل عن الآيات والنذر وقرأ حمزة والكسائي قسية وهي إما مبالغة قاسية
أو بمعنى ردية من قولهم درهم قسي إذا كان مغشوشا وهو أيضا من القسوة فإن
المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية بإتباع القاف للسين يحرفون الكلم
عن مواضعه استئناف لبيان قسوة قلوبهم فإنه لا قسوة أشد من تغيير كلام الله

[من كل]

والاقرار عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه و
نسوا حظا وتركوا نصيبا وافيا مما ذكروا به من التورية او من اتباع محمد والمعنى انهم
حرفوا التورية وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فزلت
بشومه اشياء منها عن حفظهم لما روى ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم
بالمعصية وتلا هذه الاية ولا تزال تطلع على خائنة منهم خيانة او فرقة خائنة او خائن
والهاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم لا تزال ترى
ذلك منهم الا قليلا منهم لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم وقيل الاستثناء من قوله وجعلنا
قلوبهم قاسية فاعف عنهم واصفح ان تابوا وآمنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل
مطلق نسخ باية السيف ان الله يحب المحسنين تعليل للامر بالصفح وحث عليه و
تنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره ومن الذين
قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم اى واخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم و
قيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا وانما قال قالوا انا نصارى ليدل
على انهم سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا فالزمنا
من غرى بالشىء اذا لصق به بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة بين فرق النصارى
وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية او بينهم وبين اليهود وسوف ينبئهم الله بما كانوا
يصنعون بالجزاء والعقاب يا اهل الكتاب يعنى اليهود والنصارى ووحد الكتاب
لانه للجنس قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد وآية
الرجم فى التورية وبشارة عيسى باحمد فى الانجيل ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يخبر به اذا
لم يضطر اليه امر دينى او عن كثير منكم فلا يؤاخذه بجرمه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين

عليه الصلوة والسلام م

يعنى القرآن فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل
يريد بالنور محمدا عليه السلام يهدى به الله وحد الضمير لان المراد بهما واحد او لانهما
فى الحكم كواحد من اتبع رضوانه من اتبع رضاه بالايمان منهم سبل السلام طرق السلامة
من العذاب او سبل الله ويخرجهم من الظلمات الى النور من انواع الكفر الى الاسلام باذنه بارادته
او توفيقه ويهديهم الى صراط مستقيم طريق هو اقرب الطرق الى الله ومؤد اليه لا محالة لقد
كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح
به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون
هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل فمن
يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته وارادته شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم و
امه ومن فى الارض جميعا احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور
مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ولله
ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شىء قدير ازاحة لما عرض
لهم من الشبهة فى امره والمعنى انه تعالى قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما خلق
السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كادم
وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كحواء او من انثى وحدها
كعيسى او منهما كسائر الناس وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه
اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبيون او مقربون عنده
قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان فى سورة آل عمران قل
فلم يعذبكم بذنوبكم اى فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا

المبين م

الى خبيب وهو عبد الله م

المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم
انه سيعذبكم بالنار اياما معدودة بل انتم بشر ممن خلق ممن خلقه الله يغفر لمن يشاء
وهم من آمن به وبرسله ويعذب من يشاء وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم معاملة
سائر الناس لا مزية لكم عليه ولله ملك السموات والارض وما بينهما كلها سواء
في كونه خلقا وملكا له واليه المصير فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته يا اهل
الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم اي الدين وحذف لظهوره او ما كتمتم وحذف
لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول على معنى يبذل لكم البيان والجملة في موقع
الحال اي جاءكم رسولنا مبينا لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين
فتور من الارسال وانقطاع من الوحي او بمبين حال من الضمير فيه ان تقولوا ما جاءنا
من بشير ولا نذير كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا به فقد جاءكم بشير ونذير متعلق
بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم والله على كل شيء قدير فيقدر على الارسال تترى
كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السلام اذ كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف
نبي وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما السلام كان بينهما ستمائة
او خمسمائة وتسع وستون سنة واربعة انبياء ثلثة من بني اسرائيل وواحد من العرب
خالد بن سنان العبسي وفي الاية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي
وكانوا احوج ما يكونون اليه واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل
فيكم انبياء فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء
وجعلكم ملوكا اي وجعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون
حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم

الله

الله وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين
من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها مما آتاهم وقيل المراد
بالعالمين عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة ارض بيت المقدس سميت بذلك
لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق و
فلسطين وبعض الاردن وقيل الشام التي كتب الله لكم قسمها لكم او كتب في اللوح
انها تكون مسكنا لكم ولكن ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم
ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة قيل لما سمعوا احوالهم من
النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا راسا ينصرف بنا الى مصر
او لا ترتدوا في دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين
ويجوز في فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب قالوا يا موسى ان فيها
قوما جبارين متغلبين لا يتاتى مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره
وهو الذي يجبر الناس على ما يريده وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها
فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بهم قال رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون اي يخافون
الله ويتقونه وقيل كانا رجلين من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى فعلى هذا الواو لبني اسرائيل
والراجع الى الموصول محذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له ان قرئ
الذين يخافون بالضم اي المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اي من
الذين يخوفون من الله بالتذكير او يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما بالايمان والتثبيت
وهو صفة ثانية لرجلين او اعتراض انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم اي
باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الاصحار فاذا دخلتموه فانكم غالبون

لتسلطهم عليهم في المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب فيها ويجوز ان
يكون علمهما بذلك من اخبار موسى وقوله كتب الله لكم او مما علماه من عادته تعالى
في نصرة رسله وما عهد من صنعه لموسى في قهر اعدائه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين
اي مؤمنين به ومصدقين لوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا نفوا دخولهم على
التاكيد والتابيد ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا
انا ههنا قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره
اذهب انت وربك يعينك قال رب اني لا املك الا نفسي واخي قاله شكوى بثه وحزنه
الى الله لما خالفه قومه وايس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون عليه السلام
والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه ويجوز
ان يراد باخي من يواخيني في الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسي
او على اسم ان ورفعه عطفا على الضمير في لا املك او على ان واسمها وجره عند الكوفيين
عطفا على الضمير في نفسي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا بما نستحقه
وتحكم عليهم بما يستحقونه او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها
فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم اربعين سنة
يتيهون في الارض عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير موبد فلا يخالف ظاهر
قوله التي كتب الله لكم ويويد ذلك ما روي ان موسى سار بعده بمن بقي من بني اسرائيل
ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل انه قبض في التيه ولما احتضر اخبرهم بان
يوشع بعده نبي وان الله امره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام
كله لبني اسرائيل واما يتيهون فيسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد

قيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة
اولادهم روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء
فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع بالليل
فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه والاكثر على ان
موسى وهرون كانا معهم في التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة في درجتهما
وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هرون اولا وموسى بعده بسنة ثم دخل يوشع اريحا
بعد ثلثة اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع فلا تاس على القوم الفاسقين
خاطب به موسى لما ندم على الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم نبا
ابني آدم قابيل وهابيل اوحى الله الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توم الآخر فسخط منه
قابيل لان توامته كانت اجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل قربان
هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني آدم
لصلبه وانهما رجلان من بني اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بني اسرائيل بالحق صفة
مصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق او حال من الضمير في اتل او من نبا اي ملتبسا
بالصدق موافقا لما في كتب الاولين اذ قربا قربانا ظرف النبا او حال منه او بدل على حذف
مضاف اي اتل عليهم نباهما نبا ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله من
ذبيحة او غيرها كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى وهو في الاصل مصدر ولذلك لم يثن
وقيل تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب اردا
قمح عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا سمينا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر
لانه سخط حكم الله ولم يخلص النية في قربانه وقصد الى اخس ما عنده قال لاقتلنك توعده

بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك قال انما يتقبل الله من المتقين في جوابه اي
انما اتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة الى ان الحاسد
ينبغي ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا في
ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق
لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين
قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يبح
بعد او تحريا لما هو الافضل قال عليه السلام كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله
القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب لئن بسطت للتبري عن هذا الفعل
الشنيع راسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفي بالباء اني
اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين تعليل ثان للامتناع
عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم لك ارادة ان تحمل اثمي لو بسطت اليك
يدي واثمك ببسطك يدك الي ونحوه المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم
وقيل معنى باثمي باثم قتلي وباثمك الذي لم يتقبل من اجله قربانك وكلاهما في موضع
الحال اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده
بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا فاريد ان يكون لك لا لي فالمراد بالذات
ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب
العاصي جائزة فطوعت له نفسه قتل اخيه فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع
وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كانه دعاها الى الاقدام عليه
فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله فاصبح من الخاسرين

دينا ودنيا اذ بقي مدة عمره مطرودا متحيرا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند
عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا يبحث في الارض
ليريه كيف يواري سوأة اخيه روي انه لما قتله تحير في امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان
اول ميت من بني آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره
ورجليه ثم القاه في الحفرة والضمير في ليريه لله او للغراب وكيف حال من الضمير
في يواري والجملة ثاني مفعولي يرى والمراد بسوأة اخيه جسده الميت فانه مما يستقبح
ان يرى قال يا ويلتى كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي
احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري
سوأة اخي لا اهتدي الى ما اهتدى اليه وقوله فاواري عطف على اكون وليس جواب
الاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت لواريت وقرئ بالسكون على فانا اواري او على
تسكين المنصوب تخفيفا فاصبح من النادمين على قتله لما كابد فيه من التحير في امره
وحمله على رقبته سنة او اكثر على ما قيل وتلمذه للغراب واسوداد لونه وتبري ابويه
منه اذ روي انه لما قتله اسود جسده فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا
فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرأ عنه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك
وعدم الظفر بما فعله من اجله من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل بسببه قضينا عليهم
واجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كقولهم من
جراك فعلته اي من ان جررته اي جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تعليل ومن
ابتدائية متعلقة بكتبنا اي ابتداء الكتب وانشاؤه من اجل ذلك انه من قتل نفسا
بغير نفس بغير قتل نفس يوجب القصاص او فساد في الارض او بغير فساد فيها كالشرك

وقطع الطريق فكأنما قتل الناس جميعا من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل
وجرأ الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد والجميع سواء في استجلاب غضب الله
والعذاب العظيم ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا اى ومن تسبب لبقاء حيوتها
بعفو او منع عن القتل او استنقاذ من بعض اسباب الهلكة فكأنما فعل ذلك بالناس
جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحياها في القلوب ترهيبا عن التعرض
لها وترغيبا في المحاماة عليها ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد
ذلك في الارض لمسرفون اى بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال
تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالايات الواضحة تأكيدا للامر وتجديدا للعهد كي
يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون في الارض بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة
بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال في الامر انما جزاء الذين يحاربون الله
ورسوله اى يحاربون اولياءها وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما و
اصل الحرب السلب والمراد به ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان
كانت في مصر ويسعون في الارض فسادا اى مفسدين ويجوز نصبه على العلة او
المصدر لان سعيهم كان فسادا فكانه قيل ويفسدون في الارض فسادا ان يقتلوا
اى قصاصا من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال
وللفقهاء خلاف في انه يقتل ويصلب او يصلب حيا ويترك او يطعن حتى يموت او
تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال
ولم يقتلوا او ينفوا من الارض ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنوا من القرار في موضع
ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة النفي بالحبس والواو في الاية على هذا التفصيل

وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق ذلك لهم خزي في
الدنيا ذل وفضيحة ولهم في الاخرة عذاب عظيم لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل
ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى ويدل عليه قوله تع فاعلموا
ان الله غفور رحيم اما القتل قصاصا فالى الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه
وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة لا تسقط الحد وان
اسقطت العذاب وان الاية في قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة
قبل التوبة وبعدها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة اى ما تتوسلون
به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب
اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة وجاهدوا في سبيله بمحاربة اعدائه الظاهرة و
الباطنة لعلكم تفلحون بالوصول الى الله والفوز بكرامته ان الذين كفروا لو ان لهم ما في
الارض من صنوف الاموال جميعا ومثله معه ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب
يوم القيمة واللام متعلقة بمحذوف يستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض
وتوحيد الضمير في به والمذكور شيئان اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة في نحو قوله تعالى
عوان بين ذلك او لان الواو في ومثله بمعنى مع ما تقبل منهم جواب لو ولو بما في حيزه
خبر ان والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه ولهم عذاب
اليم تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين
منها ولهم عذاب مقيم وقرئ يخرجوا من اخرج وانما قال وما هم بخارجين بدل وما
يخرجون للمبالغة والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جملتان عند سيبويه اذ
التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اى حكمهما وجملة عند المبرد والفاء للسببية

القدرة

دخل الخبر الفاء لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب
وهو المختار في امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتأويل والسرقة اخذ
مال الغير في خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز والمأخوذ ربع دينار او ما يساويه
لقوله عليه السلم القطع في ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف في ذلك لاحاديث
وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصابيح والمراد بالايدي الايمان
ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله
فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام العضو ولذلك
ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه السلم
اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا من الله منصوبان على المفعول له
او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا والله عزيز حكيم فمن تاب من السارق من بعد ظلمه
اي سرقته واصلح امره بالتفصي عن التبعات والعزم على ان لا يعود اليها فان الله يتوب
عليه ان الله غفور رحيم يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة اما القطع فلا يسقط بها
عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض
الخطاب للنبي او لكل احد يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير قدم
التعذيب على المغفرة اتباعا على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب مقدم او
لان المراد به القطع وهو في الدنيا يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر
اي صنيع الذين يقعون في الكفر سريعا اي في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة من الذين قالوا
آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم اي من المنافقين والباء متعلق بقالوا لا بآمنا والواو يحتمل
الحال والعطف ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا سماعون للكذب خبر محذوف

مبتداء

اي هم

اي هم سماعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون ويجوز ان يكون مبتداء ومن الذين
خبره اي ومن اليهود قوم سماعون واللام في للكذب اما مزيدة للتأكيد او لتضمين
السماع معنى القبول اي قابلون لما يفتريه الاحبار او للعلة والمفعول محذوف اي سماعون
كلامك ليكذبوا عليك فيها سماعون لقوم آخرين لم يأتوك اي لجمع آخرين من اليهود لم يحضروا
مجلسك وتجافوا عنك تكبرا او افراطا في البغضاء والمعنى على الوجهين اي مصغون لهم
قابلون كلامهم او سماعون منك لاجلهم وللانهاء اليهم ويجوز ان تتعلق اللام بالكذب
لان سماعون الثاني مكرر للتأكيد اي سماعون ليكذبوا لقوم آخرين يحرفون الكلم
من بعد مواضعه اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها اما لفظا باهماله او تغيير
وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده والجملة صفة اخرى لقوم او
صفة لسماعون او حال من الضمير فيه او استيناف لا موضع له او في موضع الرفع خبر
لمحذوف اي هم يحرفون وكذلك يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه اي ان اوتيتم
هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه بل افتاكم محمد بخلافه فاحذروا اي فاحذروا
قبول ما افتاكم به روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما
فارسلوهما مع رهط منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله عنه وقالوا ان
امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل
ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال له انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر
لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله
وحرامه هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته
ان ينزل علينا العذاب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد

ومن يرد الله فتنته ضلالته او فضيحته فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من الله شيئا
في دفعها اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول
المعتزلة لهم في الدنيا خزي هوان بالجزية والخوف على المؤمنين ولهم في الآخرة عذاب
عظيم وهو الخلود في النار والضمير للذين هادوا ان استانفت بقوله ومن الذين و
الا فللفريقين سماعون للكذب كرره للتاكيد اكالون للسحت اي الحرام كالرشا من سحته
اذا استاصله لانه مسحوت البركة وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب بضمتين
وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر فان جاؤك فاحكم
بينهم او اعرض عنهم تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض
ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول للشافعي والاصح
وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم منهم
والاية ليست في اهل الذمة وعند ابي حنيفة يجب مطلقا وان تعرض عنهم فلن
يضروك شيئا بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس وان حكمت
فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذي امر الله به ان الله يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم
شانهم وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به
والحال ان الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا
بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله في
زعمهم وفيها حكم الله حال من التوراة ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدأ فمن ضميرها
المستكن فيه وتانيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم لفظا كموماة ودوداة ثم يتولون
من بعد ذلك ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل

عن

كالرشى

في حكم

المائدة

في حكم التعجيب وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا او بك وبه
انا انزلنا التوراة فيها هدى يهدي الى الحق ونور يكشف ما استبهم من الاحكام يحكم بها النبيون
يعني انبياء بني اسرائيل او موسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ وبهذه
الاية تمسك القائل به الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشأن المسلمين
وتعريضا باليهود فانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم للذين هادوا متعلق بانزل او
بيحكم اي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم والربانيون والاحبار
زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله
بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف
ومن للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه
كما فعل ابن صوريا فلا تخشوا الناس واخشون نهي للحكام ان يخشوا غير الله في حكوماتهم
ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير ولا تشتروا بآياتي ولا تستبدلوا باحكامي
التي انزلتها ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به منكرا له
فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله
الظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج
عنه ويجوز ان يكون كل واحدة من الصفات الثلث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن
الحكم به فلا غيرها او لطائفة كما قيل هذه في المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون
في اليهود والفاسقون في النصارى وكتبنا عليهم فرضنا على اليهود فيها في التوراة ان
النفس بالنفس اي ان النفس تقتل بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن
والسن بالسن رفعها الكسائي على انها جمل معطوفة على ان وما في حيزها باعتبار المعنى وكانه

ان

عن

ملائمة

قل كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتبة والقراءة يقعان على الجمل كالقول
او مستانفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوعة بالانف
والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن او على ان المرفوع منها معطوف
على المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل مفصول عنه بالظرف و
الجار والمجرور حال مبينة للمعنى والجروح قصاص اي ذات قصاص وقراءة الكسائي
ايضا بالرفع ووافقه ابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال للحكم بعد التفصيل
فمن تصدق من المستحقين به بالقصاص اي فمن عفا عنه فهو فالتصدق كفارة له للمتصدق
يكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له اي فالمتصدق
كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء ومن لم يحكم بما انزل الله من القصاص
او غيره فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم اي واتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول
لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيين بعيسى ابن مريم مفعول ثان عدي اليه
الفعل بالباء مصدقا لما بين يديه من التورية وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى
ونور في موضع النصب بالحال ومصدقا لما بين يديه من التورية عطف عليه وكذا قوله
وهدى وموعظة للمتقين ويجوز نصبهما على المفعول له عطفا على محذوف اي
به وعطف وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه عليه في قراءة حمزة وعلى الاولى اللام
متعلقة بمحذوف اي وآتيناه ليحكم وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كقوله
امرتك ان قم اي وامرنا بان يحكم ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون عن حكمه
او عن الايمان ان كان مستهينا به والاية تدل على ان الانجيل مشتملة على الاحكام وان اليهودية
منسوخة ببعثة عيسى عليه السلام وانه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا

بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب
بالحق اي القران مصدقا لما بين يديه من الكتاب من جنس الكتب المنزلة فاللام الاولى
للعهد والثانية للجنس ومهيمنا عليه ورقيبا على سائر الكتب يحفظها عن التغيير
ويشهد لها بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول اي هو من عليه وحوفظ
من التحريف والحافظ له هو الله تعالى او الحفاظ في كل عصر فاحكم بينهم بما انزل الله
اي بما انزل اليك ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق بالانحراف عنه الى ما يشتهونه
فعن صلة لا تتبع لتضمنه معنى لا تنحرف او حال من فاعله اي لا تتبع اهواءهم مائلا
عما جاءك لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة شريعة وهي الطريقة الى الماء شبه بها الدين
لانه طريق الى ما هو سبب الحيوة الابدية وقرئ بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا
في الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة
ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من
غير نسخ وتحويل ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله
اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما آتيكم من الشرائع المختلفة المناسبة
لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى الحكمة
الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها
انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم الى الله مرجعكم جميعا استيناف
فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين فينبئكم بما كنتم
فيه تختلفون بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر وان احكم بينهم بما انزل
عطف على الكتاب اي انزلنا اليك الكتاب والحكم او على الحق اي انزلناه بالحق وبان احكم

ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا ان احكم ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك
عن بعض ما انزل الله اليك اى ان يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من هم
بدل الاشتمال اى احذرهم فتنتهم او مفعول له اى احذرهم مخافة ان يفتنوك
روى ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا
يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا
وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك
فابى ذلك رسول الله فنزلت فان تولوا عن الحكم المنزل وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله
ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعنى ذنب التولى عن حكم الله فعبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم
ذنوبا كثيرة وهذا مع عظمه احدها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما فى
التنكير ونظيره قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها وان كثيرا من الناس لفاسقون
لمتمردون فى الكفر معتدون فيه افحكم الجاهلية يبغون الذى هو الميل والمداهنة فى الحكم
والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التى هى متابعة الهوى وقيل نزلت فى بنى قريظة
والنضير طلبوا رسول الله ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرى
برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه فى الصلة فى قوله اهذا
الذى بعث الله رسولا واستضعف ذلك فى غير الشعر وقرى افحكم الجاهلية اى يبغون
حاكما كحكام الجاهلية يحكم بحسب شهيتهم وقرأ ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم
افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون اى عندهم واللام للبيان
كما فى قوله هيت لك اى هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتدبرون
الامور ويتحققون الاشياء بانظارهم فيعلمون انه لا احسن حكما من الله يا ايها الذين

آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة
الاحباب بعضهم اولياء بعض ايماء الى علة النهى اى فانهم متفقون على خلافكم
يوالى بعضهم بعضا لاتحادهم فى الدين واجتماعهم على مضادتكم ومن يتولهم منكم فانه
منهم اى ومن والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا للتشديد فى وجوب مجانبتهم كما قال
عليه السلام لا تتراءى ناراهما او لان الموالين لهم كانوا منافقين ان الله لا يهدى القوم
الظالمين اى الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار او المؤمنين بموالاة اعدائهم فترى
الذين فى قلوبهم مرض يعنى ابن ابى واضرابه يسارعون فيهم اى فى موالاتهم ومعاونتهم
يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة يعتذرون بانهم يخافون ان تصيبهم دائرة من دوائر الزمان
بان ينقلب الامر ويكون الدولة للكفار روى ان عبادة بن الصامت قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ان لى موالى من اليهود كثيرا عددهم وانى ابرأ الى الله ورسوله من
ولايتهم واوالى الله ورسوله فقال ابن ابى انى رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية
موالى فنزلت فعسى الله ان يأتى بالفتح لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عنده
يقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء او الامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم
فيصبحوا اى هؤلاء المنافقون على ما اسروا فى انفسهم نادمين على ما استبطنوه من
الكفر والشك فى امر الرسول فضلا عما اظهروه مما اشعر على نفاقهم ويقول الذين
آمنوا بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائى على انه كلام مبتدأ ويؤيده قراءة ابن كثير و
نافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون
حينئذ وبالنصب قراءة ابو عمرو ويعقوب عطفا على ان يأتى باعتبار المعنى وكانه قال
عسى ان يأتى الله بالفتح ويقول الذين آمنوا او يجعله بدلا من اسم الله داخلا فى اسم عسى

منفيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث او على الفتح بمعنى عسى الله ان ياتى بالفتح و
بقول المومنين فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به اهولاء الذين اقسموا بالله جهد
ايمانهم انهم لمعكم يقوله المومنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين و تبجحا
بما من الله عليهم من الاخلاص او يقولون لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة
كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وجهد الايمان اغلظها وهو فى الاصل مصدر
ونصب على الحال على تقدير واقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل و
اقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة او على المصدر لانه بمعنى اقسموا حبطت
اعمالهم فاصبحوا خاسرين اما من جملة المقول او من قول الله شهادة لهم بحبوط اعمالهم
وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم وما اخسرهم يا ايها الذين آمنوا من يرتدد
منكم عن دينه قراه على الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك فى الامام والباقون بالادغام
وهذا من الكائنات التى اخبر الله عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب فى اواخر
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذا الحمار
الاسود العنسى تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمى ليلة
قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدها واخبر الرسول فى تلك الليلة فسر
المومنون واتى الخبر فى اواخر ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة تنبأ و
كتب الى رسول الله من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض
نصفها لى ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان
الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر بجند من المسلمين و
قتله الوحشى قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله

خالدا

خالدا فهرب بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وفى عهد ابى بكر سبع
فزارة قوم عيينة بن حصين وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة
بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت
المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل
بالبحرين قوم الحطم وكفى الله امرهم على يده وفى امرة عمر غسان قوم جبلة
بن الايهم تنصر وصار الى الشام فسوف ياتى الله بقوم يحبهم ويحبونه قيل هم
اليمن لما روى انه عليه السلام اشار الى ابى موسى وقال هم قوم هذا وقيل
الفرس لانه عليه السلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا
وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة الاف من
كندة وبجيلة وثلثة الاف من افناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره
فسوف ياتى الله بقوم مكانهم ومحبة الله للعباد ارادة الهدى والتوفيق
لهم فى الدنيا وحسن الثواب فى الآخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز
عن معاصيه اذلة على المومنين عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول فان
جمعه ذلل واستعماله مع على اما لتضمين معنى العطف والحنو او للتنبيه على انهم
مع علو طبقتهم وفضلهم على المومنين خافضون لهم او للمقابلة اعزة على الكافرين
شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال يجاهدون فى سبيل الله
صفة اخرى لقوم او حال من الضمير فى اعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون
بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة فى سبيل الله والتصلب فى دينه او حال بمعنى انهم
يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم يخرجون فى جيش المسلمين خائفين

رضي الله عنه

خافضون

حالهم

ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة
من اللوم وفيها وفي تنكير لايم مبالغتان ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف فضل
الله يؤتيه من يشاء يمنحه ويوفق له والله واسع كثير الفضل عليم بمن هو اهله انما وليكم
الله ورسوله والذين آمنوا لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وانما
قال وليكم ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة ولرسوله وللمؤمنين
على التبع الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة للذين آمنوا فانه جرى مجرى
الاسم او بدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح وهم راكعون متخشعون
في صلوتهم وزكوتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون اي يؤتون الزكوة في
حال ركوعهم في الصلوة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه وانها نزلت في علي
رضي الله عنه وكرم وجهه حين سأله سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه
واستدل بها الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولي المتولي للامور و
المستحق للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه مع ان حمل الجمع على الواحد ايضا خلاف
الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله
فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل في الصلوة لا يبطلها
وان صدقة التطوع تسمى زكوة ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا ومن يتخذهم
اولياء فان حزب الله هم الغالبون اي فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر
تنبيها على البرهان عليه وكأنه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم
الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشأنهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا لمن
يوالي غير هؤلاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم يا ايها

الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار
اولياء نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال
من المسلمين يوادونهما وقد رتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا
ولعبا ايماء على العلة وتنبيها على ان من هذا شأنه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة
وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم ابو عمرو والكسائي
ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف
كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان النهي عن موالاة من ليس على الحق
رأسا سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن
لم يكن كالمشركين واتقوا الله بترك المناهي ان كنتم مؤمنين لان الايمان حقا يقتضي ذلك
وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا
اي اتخذوا الصلوة او المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلوة روي ان
نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق
الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير شرره في البيت فاحرقه
واهله ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان السفه يؤدي الى الجهل بالحق والهزؤ به والعقل
يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا
اذا انكره وانتقم اذا كافاه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهي لغة الا ان آمنا بالله
وما انزل الينا وما انزل من قبل اي الايمان بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون عطف
على ان آمنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اي ما تنكرون منا الا مخالفتكم
حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون منه او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون

حذف المضاف او على ما اى وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم
او على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا لان آمنا لقلة انصافكم وفسقكم
او نصب باضمار فعل دل عليه هل تنقمون اى ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون
او رفع على الابتداء والخبر محذوف اى وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب
الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والآية خطاب ليهود سألوا رسول الله عمن
يؤمن به من الرسل فقال أومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين
سمعوا ذكر عيسى لا نعلم دينا شرا من دينكم قل هل أنبئكم بشر من ذلك اى من ذلك
المنقوم مثوبة عند الله جزاء ثابتا عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر
فوضعت هنا موضعها على طريقة تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز
عن بشر من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير بدل من بشر على حذف
مضاف اى بشر من اهل ذلك من لعنه الله او بشر من ذلك دين من لعنه الله او خبر
محذوف اى هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم
بكفرهم وانهماكهم فى المعاصى بعد وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب
السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين فى
اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير وعبد الطاغوت عطف
على صلة من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت او عبد بمعنى
صار معبودا فيكون الراجع محذوفا اى فيهم او بينهم ومن قرأ وعابد الطاغوت او
عبد على انه نعت كفطن ويقظ او عبدة او عبد الطاغوت على انه جمع كخدم او ان اصله
عبدة فحذفت التاء للاضافة عطفه على القردة ومن قرأ وعبد الطاغوت بالجر

عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل من اطاعوه فى معصية الله
وقرأ حمزة وعبد الطاغوت بضم الباء وكسر التاء والباقون بفتح الباء ونصب
التاء اولئك اى الملعونون شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ فى الدلالة على شرارتهم
وقيل مكانا منصرفا واضل عن سواء السبيل قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى
وقدح اليهود والمراد من صيغتى التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين
فى الشرارة والضلال واذا جاؤكم قالوا آمنا نزلت فى يهود نافقوا رسول الله او فى
عامة المنافقين وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اى يخرجون من عندك كما دخلوا
لا يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من
فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضى من الحال ليصح ان يقع حالا
افادت ايضا لما فيها من التوقع ان امارة النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول
يظنه ولذلك قال والله اعلم بما كانوا يكتمون اى من الكفر وفيه وعيد لهم وترى كثيرا
منهم اى من اليهود او المنافقين يسارعون فى الاثم اى الحرام وقيل الكذب لقوله
عن قولهم الاثم والعدوان الظلم او مجاوزة الحد فى المعاصى وقيل الاثم ما يختص
بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم واكلهم السحت اى الحرام خصه بالذكر للمبالغة
لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا عملوه لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم
واكلهم السحت تحضيض لعلمائهم على النهى عن ذلك فان لولا اذا دخل الماضى افاد
التوبيخ واذا دخل المستقبل افاد التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون ابلغ من قوله
لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وترو
وتحرى اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس

نلتذ بها ونميل اليها ولكن كل ترك الانكار عليها وكان جديرا بابلغ الذم وقالت اليهود
يد الله مغلولة اى هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل
والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل او بسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور
ذلك كقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده ونظيره
من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير لقوله تعالى لقد سمع الله قول
الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا دعاء عليهم
بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة او بغل الايدى حقيقة يغللون اسارى
فى الدنيا ويسحبون الى النار فى الاخرة فتكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة
الاصل كقولك سبنى سب الله دابره بل يداه مبسوطتان ثنى اليد مبالغة فى الرد
ونفى البخل عنه واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخى من ماله ان يعطيه
بيديه وتنبيها على منح الدنيا والاخرة وعلى ما يعطى للاستدراج وما يعطى للاكرام
ينفق كيف يشاء تاكيد لذلك اى هو مختار فى انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على
حسب مشيته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق فى ذات يد ولا يجوز
جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولا من اليدين
اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والاية نزلت فى فنحاص بن عازوراء
فانه قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشوم تكذيبهم محمدا
صلوات الله عليه واشرك فيه الاخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم
ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اى هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا
بما يسمعون من القران كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء

والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق
اقوالهم كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله كلما ارادوا حرب الرسول واثارة
شر عليه ردهم الله بان اوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم او كلما ارادوا
حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية سلط الله عليهم بخت نصر ثم
افسدوا فسلط عليهم فطوس الرومى ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم
افسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا ويسعون
فى الارض فسادا اى للفساد وهو اجتهادهم فى الكيد واثارة الحروب والفتن وهتك
المحارم والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم الا شرا ولو ان اهل الكتاب امنوا بمحمد بما جاء
به واتقوا ما عددنا من معاصيهم ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم التى فعلوها ولم نؤاخذهم
بها ولادخلناهم جنات النعيم ولجعلناهم من الداخلين فيها وفيه تنبيه على عظم
معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابى لا يدخل
الجنة ولو انهم اقاموا التورية والانجيل باذاعة ما فيهما والقيام باحكامهما وما انزل
اليهم من ربهم يعنى سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها
كالمنزل اليهم او القران لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم لوسع عليهم ارزاقهم بان
يفيض عليهم بركات السماء والارض لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم لوسع عليهم
ارزاقهم بان يفيض عليهم المطر او بكثرة ثمرة الاشجار وغلة الزروع او يرزقهم الجنان اليانعة
الثمار فيجتنون ما تهدل منها من رؤس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض بين بذلك
ان ما كف عنهم بشوم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم امنوا واقاموا
ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين منهم امة مقتصدة عادلة غير غالية

فطرس

من

ولا مقتصد وهم الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته
وكثير منهم ساء ما يعملون أي بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب أي ما أسوأ عملهم
وهو المعاندة وتحريف الحق والإعراض عنه والإفراط في العداوة يا أيها الرسول
بلغ ما أنزل إليك من ربك جميع ما أنزل إليك غير مراقب أحدا ولا خائف مكروها وإن
لم تفعل وإن لم تبلغ جميعه كما أمرتك فما بلغت رسالته فما أديت شيئا منها لأن كتمان
بعضها يضيع ما أدي منها كترك بعض أركان الصلاة فإن غرض الدعوة ينتقض
به أو فكأنك ما بلغت شيئا منها كقوله فكأنما قتل الناس جميعا من حيث إن كتمان
البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر
رسالاته بالجمع وكسر التاء والله يعصمك من الناس عدة وضمان من الله بعصمة روحه
من تعرض الأعادي وإزاحة لمعاذيره إن الله لا يهدي القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون
بك وعن النبي صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالته فضقت بها ذرعا فأوحى الله إلي إن
لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن أنس كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فأخرج رأسه من قبة أدم فقال انصرفوا يا أيها الناس
فقد عصمني الله من الناس وظاهر الآية يوجب تبليغ كل ما أنزل ولعل المراد تبليغ ما يتعلق
به مصالح العباد وقصد بإنزاله اطلاعهم عليه فإن من الأسرار الإلهية ما يحرم إفشاؤه
قل يا أهل الكتاب لستم على شيء أي دين يعتد به ويصح أن يسمى شيئا لأنه باطل حتى تقيموا
التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم ومن إقامتها الإيمان بمحمد والإذعان لحكمه فإن
الكتب الإلهية بأسرها آمرة بالإيمان لمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له
والمراد إقامة أصولها وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك

طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم
بما تبلغه إليهم فإن ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم
إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى سبق تفسيره في سورة البقرة والصابئون
رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز إن والتقدير إن
الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله فإني
وقيار بها لغريب وقوله وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق وهو كاعتراض
دل به على أنه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الأديان كلها يتاب عليهم
إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح كان غيرهم أولى بذلك ويجوز أن يكون والنصارى
معطوفا عليه ومن آمن خبرهما وخبر إن مقدر دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا
وأنت بما عندك راض والرأي مختلف ولا يجوز عطفه على محل إن واسمها فإنه
مشروط بالفراغ من الخبر إذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدأ وخبر إن معا فيجتمع
عليه عاملان ولا على الضمير في هادوا لعدم التأكيد والفصل ولأنه يوجب كون
الصابئين هودا وقيل إن بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء وقيل
والصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو من آمن بالله
واليوم الآخر وعمل صالحا في محل الرفع بالابتداء وخبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
والجملة خبر إن أو خبر مبتدأ كما مر والراجع محذوف أي من آمن منهم أو النصب على
البدل من اسم إن وما عطف عليه وقرئ والصابين وهو الظاهر والصابيون
بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبأ بإبدال الهمزة ألفا أو من صبوت لأنهم
صبوا إلى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل

ارسلنا اليهم رسلا ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم
بما يخالف هواهم من الشرايع ومشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب
الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اى رسول منهم وقيل الجواب محذوف
دل عليه ذلك وهو استيناف وانما جيء يقتلون موضع قتلوا على حكاية
الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك ديدنهم
ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤس الآى وحسبوا ان لا تكون فتنة اى وحسب
بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرا ابو عمرو وحمزة
والكسائى ويعقوب لا تكون بالرفع على ان ان هى المخففة من الثقيلة واصله انه لا
تكون وادخال فعل الحسبان عليها وهى للتحقيق تنزيل له منزلة العلم لتمكنه فى
قلوبهم وان او ان بما فى حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عن الدين او الدلائل والهدى
وصموا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم اى ثم تابوا فتاب
الله عليهم ثم عموا وصموا كرة اخرى وقرئ بالضم فيهما على ان الله عماهم وصمهم اى رماهم
بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمى واصم كثير منهم بدل من الضمير او فاعل
والواو علامة الجمع كقولهم اكلونى البراغيث او خبر مبتدا محذوف اى العمى والصم
كثير منهم وقيل مبتدا والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر فى مثله ممتنع
والله بصير بما يعملون فيجازيهم وفق اعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن
مريم وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم اى انى عبد مربوب مثلكم فاعبدوا
خالقى وخالقكم انه من يشرك بالله فى عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال فقد
حرم الله عليه الجنة يمنعه من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين ومأويه

النار فانها المعدة للمشركين وما للظالمين من انصار اى وما لهم احد ينصرهم من النار فوضع
الظاهر موضع المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل
ان يكون من تمام كلام عيسى وان يكون من كلام الله نبه به على انهم قالوا ذلك تعظيما
لعيسى وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره لقد
كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة اى احد ثلثة وهو حكاية عما قاله النسطورية
والملكانية منهم القايلون بالاقانيم الثلثة وما سبق قول اليعقوبية القايلين بالاتحاد
وما من اله الا اله واحد وما فى الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ
جميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة
للاستغراق وان لم ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا منهم عذاب
اليم اى ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه
موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من دام على
الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه بقوله افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه اى الا
يتوبون بالانتهاء عن تلك العقايد والاقوال الزايغة ويستغفرون بالتوحيد
والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور رحيم يغفر
لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفى هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم ما المسيح ابن
مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل اى ما هو الا رسول كالرسل قبله خصه الله بآيات
كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصى وجعلها حية تسعى على يد
موسى وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق آدم من غير اب وام وهو اغرب
وامه صديقة كساير النساء اللاتى يلازمن الصدق او يصدقن الانبياء كانا ياكلان

الطعام ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما من الكمال ودل على انه
لا يوجب لهما الوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما فى مثله ثم نبه على نقصهما وذكر
ما ينافى الربوبية ويقتضى ان يكونا من عداد المركبات الكائنة الفاسدة ثم عجب
ممن يدعى الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال انظر كيف نبين لهم الايات
ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله وثم لتفاوت ما بين العجبين
اى ان بياننا للآيات عجب واعراضهم عنها اعجب قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك
لكم ضرا ولا نفعا يعنى عيسى عليه السلام وهو وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته
ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما
قال ما نظرا الى ما هو عليه فى ذاته توطئة لنفى القدرة عنه راسا وتنبيها على انه من
هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما
قدم الضر لان التحرز عنه اهم من تحرى النفع والله هو السميع العليم بالاقوال و
العقائد فيجازى عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا فى
دينكم غير الحق اى غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له الالهية او تضعوه فتزعموا
انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل
يعنى اسلافهم وائمتهم الذين ضلوا قبل مبعث محمد عليه السلام فى شريعتهم واضلوا كثيرا
ممن شايعهم على بدعهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد السبيل الذى هو
الاسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى
العقل والثانى اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على
لسان داود وعيسى ابن مريم اى لعنهم الله فى الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل ايلة

لما اعتدوا فى السبت لعنهم داود فمسخهم الله قردة واصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم
عيسى ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة الاف رجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
اى ذلك اللعن الشنيع المقتضى للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم
كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اى لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه
او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله وتهيؤا له او لا ينتهون عنه من قولهم
تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع لبئس ما كانوا يفعلون تعجيب من سوء فعلهم مؤكد
بالقسم ترى كثيرا منهم من اهل الكتاب يتولون الذين كفروا يوالون المشركين بغضا لرسول
الله والمؤمنين لبئس ما قدمت لهم انفسهم اى لبئس شيئا قدموه ليردوا عليه يوم
القيمة ان سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى
موجب سخط الله والخلود فى العذاب او علة الذم والمخصوص محذوف اى
لبئس شيئا ذلك لانه كسبهم السخط والخلود ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى يعنى
نبيهم وان كانت الاية فى المنافقين فالمراد نبينا وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء اذ
الايمان يمنع ذلك ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم او متمردون فى نفاقهم
لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا لشدة شكيمتهم وتضاعف
كفرهم وانهماكهم فى اتباع الهوى وركونهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم
على تكذيب الانبياء ومعاداتهم ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا
نصارى للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل
واليه اشار بقوله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون عن قبول
الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع

والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمودة وان كانت في كافر
واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون
وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم
تأبيهم عنه والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة او
جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى
للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا او للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى انهم
عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله يقولون ربنا آمنا بذلك او بمحمد
فاكتبنا مع الشاهدين من الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او من امته الذين هم
شهداء على الامم يوم القيمة وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان
يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام
الداعي وهو الطمع في الانخراط مع الصالحين والدخول مداخلهم او جواب
سائل قال لم آمنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما في اللام من معنى الفعل اي اي
شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله اي بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه
ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف
على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اي ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا
بها او نؤمن فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي
معتقده جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين الذين احسنوا
النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور والآيات الاربع روي انها نزلت
في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا

استبعاد

جعفر

المائدة

جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه وأحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفرا ان
يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت في ثلاثين او
سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله عليه فقرأ عليهم
سورة يس فبكوا وآمنوا والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف
التكذيب بآيات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين
وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين آمنوا
لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه كأنه لما تضمن ما قبله مدح النصارى
على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهي عن الافراط في ذلك
والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا ان الله لا يحب
المعتدين ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم فيكون
الآية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما روي ان
رسول الله صلى الله عليه وصف القيمة لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم فرقوا
واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين
وان لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب
ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم
حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر وآكل
اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ونزلت وكلوا مما رزقكم
الله حلالا طيبا اي كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول كلوا ومما

منه

المسوح

حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز ان
يكون مفعولا وحلالا حال من الموصول او العائد المحذوف او صفة لمصدر محذوف
وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة واتقوا
الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم هو ما يبدو من المرء بلا
قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعي وقيل الحلف على ما يظن
انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو
لانه مصدر او حال منه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما وثقتم الايمان عليه
بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم
فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم عقدتم بالتخفيف وابن عامر برواية
ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل فكفارته فكفارة نكثه اى الفعلة التي تذهب
اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا
خلافا للحنفية لقوله عليه السلم من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليكفر
عن يمينه وليأت الذي هو خير اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم
من اقصده في النوع او القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند
الحنفية ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين
طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون
وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الاحوال الثلث كالالف وهو جمع
اهل كالليالي في جمع ليل والاراضي في جمع ارض وقيل جمع اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام او من اوسط
ان جعل بدلا وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص او رداء او ازار وقرئ

بضم الكاف وهو لغة كقدوة وقدوة او كاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او
تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف في محل الرفع وتقديره
او اطعامهم كاسوتهم او تحرير رقبة او اعتاق انسان وشرط الشافعي فيه الايمان
قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلث مطلقا و
تخيير المكلف في التعيين فمن لم يجد اي واحدا منها فصيام ثلثة ايام فكفارته صيام
ثلثة ايام وشرط ابو حنيفة فيه التتابع لانه قرئ ثلثة ايام متتابعات والشواذ
ليس بحجة عندنا اذ لم تثبت كتابا ولم ترو سنة ذلك اي المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم
اذا حلفتم وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر او بان تبروا
فيها ما استطعتم ولم يفت بها خيرا او بان تكفروها اذا حنثتم كذلك اي مثل ذلك
البيان يبين الله لكم اياته اعلام شرائعه لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمة الواجب
شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه يا ايها الذين امنوا انما الخمر و
الميسر والانصاب اي الاصنام التي نصبت للعبادة والازلام سبق تفسيرها في
اول السورة رجس قذر تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات
محذوف او لمضاف محذوف كانه قال انما تعاطي الخمر والميسر من عمل الشيطان لانه
مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطي لعلكم
تفلحون لكي تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر في هذه
الاية بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا وجعلهما
من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب
عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد

الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة و
البغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فخصهما باعادة
الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان
وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله
عليه السلم شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلوة من الذكر بالافراد للتعظيم
والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق
بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم
من انواع الصوارف فقال فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في المنع والتحذير بلغ
الغاية وان الاعذار قد انقطعت واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امرا به و
احذروا عما نهيا عنه او مخالفتهما فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ
المبين اي فاعلموا انكم لم تضروا الرسول بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى
وانما ضررتم به انفسكم ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا
مما لم يحرم عليهم لقوله اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات اي اتقوا المحرم وثبتوا
على الايمان والاعمال الصالحة ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر وآمنوا بتحريمه ثم اتقوا
ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا
بها روي انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين
ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرير
باعتبار الاوقات الثلثة او باعتبار الحالات الثلث استعمال الانسان التقوى و
الايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله ولذلك بدل الايمان

بالاحسان

التوسط

بالاحسان في الكرة الثالثة اشارة الى ما قاله عليه السلم في تفسيره ان تعبد الله كانك
تراه او باعتبار المراتب الثلث المبدا والوسط والمنتهى وباعتبار ما يتقى فانه
ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع في الحرام
وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة
والله يحب المحسنين فلا يؤاخذهم بشي وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن
صار محسنا صار لله محبوبا يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشي من الصيد تناله
ايديكم ورماحكم نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم
في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون
والتقليل والتحقير في بشي للتنبيه على انه ليس من العظايم التي تدحض الاقدام
كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عندما هو
اشد منه ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخايف من عقابه وهو غايب منتظر
لقوة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره او تعلق العلم فمن اعتدى
بعد ذلك بعد ذلك الابتلاء بالصيد فله عذاب اليم فالوعيد لاحق به فان من لا يملك
جاشه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله فيه فكيف به فيما يكون النفس اميل اليه و
احرص عليه يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اي محرمون جمع حرام
كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكوة للتعميم واراد بالصيد
ما يوكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويويده قوله عليه السلم خمس يقتلن في الحل
والحرم الحداة والغراب والعقرب والفارة والكلب العقور وفي رواية اخرى
الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل موذ واختلف في ان هذا

النهي هل يلحق بكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثني ولا يكون
كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب ومن قتله منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه
حرام عليه قتل ما يقتله والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف
العامد والمخطئ واحد في ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه
ولان الاية نزلت فيمن تعمد اذ روي انه عنّ لهم في عمرة الحديبية حمار وحش
فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء و
المثل قراءة الكوفيين ويعقوب بمعنى فعليه او فواجبه جزاء يماثل ما قتل من
النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان متعلق المصدر
كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وانما يكون صفة وقرأ الباقون على اضافة
المصدر الى المفعول واقحام مثل كما في قولهم مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه
ان يجزي مثل ما قتل وقرئ فجزاءً مثلَ ما قتل بنصبهما على فليجز جزاءً يماثل ما قتل فجزاؤه
مثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي والقيمة
عند ابي حنيفة وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي يخير بين
ان يهدي ما قيمته قيمته وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع
من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم تبلغ يخير
بين الاطعام والصوم واللفظ للاول اوفق يحكم به ذوا عدل منكم صفة جزاء ويحتمل
ان يكون حالا من ضميره في خبره او منه اذا اضفته او وصفته او نصبته بتقدير
لمن وكما ان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد يحتاج المماثلة في الخلقة والهيئة
اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس او الامام هديا

او فعليه ان يجزي جزاء

حال من الهاء في به او من جزاء وان نون لتخصصه بالصفة او بدل عن مثل باعتبار محله
او لفظه فيمن نصبه بالغ الكعبة وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه
الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثمة فقال ابو حنيفة يذبح ويتصدق به حيث
شاء او كفارة عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف طعام مساكين
عطف بيان او بدل منه او خبر محذوف اي هي طعام وقرأ نافع وابن عامر كفارة
طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعي او ان يكفر باطعام
مساكين ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا او عدل
ذلك صياما او ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو في الاصل
مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشيء في المقدار كعدل
الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل ليذوق وبال امره متعلق بمحذوف
اي فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه حرمة
الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله واصل الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل
عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما في الجاهلية او قبل التحريم او في هذه المرة ومن عاد
الى مثل هذا فينتقم الله منه فهو ينتقم الله منه وليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد
كما حكي عن ابن عباس وشريح والله عزيز ذو انتقام ممن اصر على عصيانه احل لكم
صيد البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال كله لقوله عليه السلام في
البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته وقال ابو حنيفة لا يحل منه الا السمك وقيل
يحل السمك وما يؤكل نظيره في البر وطعامه ما قذفه او نضب عنه وقيل الضمير للصيد
وطعامه اكله متاعا لكم تمتيعا لكم نصب على الغرض وللسيارة اي ولسيارتكم يتزودونه

الصوم

عن

قديدا وحرم عليكم صيد البر اي ما صيد فيه او الصيد فيه فعلى الاول يحرم على المحرم
ايضا ما صاده الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه السلام لحم
الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه او يصد لكم ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ بكسر
الدال من دام يدام واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة صيرها وانما سمي
البيت كعبة لتكعبه البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثاني
قياما للناس انتعاشا لهم اي سبب انتعاشهم في امر معاشهم ومعادهم يلوذ به
الخائف ويامن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما
يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه
كما اعلت في فعله ونصبه على المصدر او الحال والشهر الحرام والهدي والقلائد سبق
تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرنائه
وقيل الجنس ذلك اشارة الى الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره
لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل
وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه وان الله بكل
شيء عليم تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق اعلموا ان الله شديد العقاب وان
الله غفور رحيم وعيد ووعد لمن هتك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن اصر عليه
ولمن انقلع عنه ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر اي الرسول اتى
بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذر في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون من
تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة
عند الله بين الردي من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب به في صالح

العمل وحلال المال ولو اعجبك كثرة الخبيث فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة
والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال
فاتقوا الله يا اولي الالباب اي فاتقوه في تحري الخبيث وان كثر وآثروا الطيب وان
قل لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روي انها نزلت في حجاج اليمامة لما هم
المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا
عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الشرطية وما
عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لا تسألوا رسول الله عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم
وان تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه
مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت
لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشيء على ان اصله شيّء كهيّن او شيء كصديق فخفف
وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه عفا الله عنها
صفة اخرى اي عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روي انه لما نزلت ولله على
الناس حج البيت قال سراقة بن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله حتى اعاد ثلثا
فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت او استئناف
اي عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم
بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس انه عليه السلام كان يخطب
ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل عن شيء الا اجبت
فقال رجل اين ابي فقال في النار وقال آخر من ابي فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت
قد سألها قوم الضمير للمسألة التي دل عليها تسألوا ولذلك لم يعد بعن او لاشياء بحذف

لوجب ٣

الى

الجار من قبلكم متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة الجثة
ولا حالا منها ولا خبرا عنها ثم اصبحوا بها كافرين اى بسببها حيث لم ياتمروا بما سالوا
جحودا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ردوا انكار لما ابتدعه
اهل الجاهلية وهو انهم اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها
اى شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت
فناقتى سائبة ويجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى
فهى لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى اخاها فلا
يذبح لها الذكر واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه
من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك تعدى
الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب
بتحريم ذلك ونسبته اليه واكثرهم لا يعقلون اى الحلال من الحرام والمبيح من المحرم
او الآمر ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن يمنعهم
حب الرياسة وتقليد الآباء ان يعترفوا به واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى
الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم فى التقليد
وان لا سند لهم سواه اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو للحال و
الهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال اى احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو
كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف
الا بالحجة فلا يكفى التقليد يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم اى احفظوها والزموا
صلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرئ بالرفع

على الابتداء لا يضركم من ضل اذا اهتديتم لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء
ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه السلام من رأى منكرا واستطاع ان يغيره بيده
فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه والآية نزلت لما
كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم
قالوا له سفهت اباك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على انه مستأنف ويؤيده
ان قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب او النهى لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد
المنقولة اليها من الراء المدغمة وينصره قراءة من قرأ لا يضركم بالفتح ولا يضركم بكسر
الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم
تعملون وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره يا ايها الذين
آمنوا شهادة بينكم اى فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد فى الوصية
واضافتها الى الظرف على الاتساع وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم اذا حضر
احدكم الموت اذا شارفه وظهرت اماراته وهو ظرف للشهادة حين الوصية بدل منه
وفى ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغى ان لا يتهاون فيها او ظرف حضر اثنان فاعل
شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف ذوا عدل منكم من اقاربكم او من المسلمين
وهما صفتان للاثنان او آخران من غيركم عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة
جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا ان انتم ضربتم فى الارض اى سافرتم
فيها فاصابتكم مصيبة الموت اى قاربتم الاجل تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما
صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او آخران من غيركم
اعتراض فائدته الدلالة على انه ينبغى ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كما فى السفر فمن

غيركم او استيناف كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما من
بعد الصلوة صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل والنهار وقيل
اي صلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم اي ارتاب الوارث منكم لا نشتري به ثمنا مقسم عليه
وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل
بالقسم او بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبا لطمع ولو كان ذا قربى ولو
كان المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا محذوف اي لا نشتري ولا نكتم شهادة الله اي
الشهادة التي امرنا الله باقامتها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدا الله بالمد على حذف
حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد كقولهم الله لافعلن انا
اذا لمن الاثمين اي ان كتمنا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام
النون فيها فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما كتحريف فاخران
فشاهدان اخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم من الذين جني عليهم وهم الورثة
وقرا حفص استحق على البناء للفاعل وهو الاوليان الاوليان الاحقان بالشهادة
لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف اي هما الاوليان او خبر اخران او بدل
منهما او من الضمير في يقومان وقرا حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين
على انه صفة للذين او بدل منه اي من الاولين الذين استحق عليهم وقرئ الاولين
على التثنية وانتصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان فيقسمان
بالله لشهادتنا احق من شهادتهما اصدق منها واولى بان تقبل وما اعتدينا وما
تجاوزنا فيها الحق انا اذا لمن الظالمين الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم
ان اعتدينا ومعنى الاثنين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي نسبه

كانت ه

او مبتدا خبره آخران

منها

او دينه على وصيته او يوصي اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان في سفر فاخران من
غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت
فان اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف اخران من اولياء الميت والحكم
منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين
الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين
فان تصديق الوصي باليمين لامانته او لتغير الدعوى اذ روي ان تميما الداري
وعدي بن هدى خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل
مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه
في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى
اهله ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا
بالذهب فغيباه فاصاب اهله الصحيفة وطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت يا ايها الذين امنوا الاية فحلفهما رسول الله
بعد صلوة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء في ايديهما فاتاهما بنو
سهم في ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا ان نقر به
فرفعوهما الى رسول الله فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة
السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد بخصوص الواقعة ذلك اي الحكم الذي تقدم
او تحليف الشاهد ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها على نحو ما حملوها من غير تحريف
وخيانة فيها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم ان ترد اليمين على المدعين بعد ايمانهم
فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود

بدي

تحريف

الشهود

كلهم واتقوا الله واسمعوا ما توصون به سمع اجابة والله لا يهدي القوم الفاسقين
اي فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين اي
لا يهديهم الى حجة او الى طريق الجنة فقوله يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل
من مفعول واتقوا بدل الاشتمال او مفعول واسمعوا على حذف المضاف اي
واسمعوا خبر يوم جمعه او منصوب باضمار اذكر فيقول اي للرسل ماذا اجبتم
اي اجابة اجبتم على ان ماذا في موضع المصدر او باي شيء اجبتم فحذف الجار وهذا السؤال
للتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموءودة لتوبيخ الوائد ولذلك قالوا لا علم لنا اي لا علم
لنا بما كنت تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم ما نعلم مما اجابونا واظهروا لنا وما
لم نعلم مما اضمروا في قلوبهم وفيه التشكي عنهم ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم
وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة
وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اي الموصوف بصفاتك المعروفة
وعلام منصوب على الاختصاص او النداء وقرأ حمزة وابو بكر بكسر الغين حيث
وقع اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك بدل من يوم يجمع و
هو على طريقة ونادى اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل
على اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الايات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة
وغلا اخرون فاتخذوهم آلهة او نصب باضمار اذكر اذ ايدتك قويتك وهو
ظرف لنعمتي او حال منه وقرئ آيدتك بروح القدس بجبريل عليه السلام او بالكلام
الذي يحيى به الدين والنفس حيوة ابدية وتطهر من الآثام ويؤيده قوله تكلم
الناس في المهد وكهلا اي كائنا في المهد وكهلا والمعنى يكلمهم في الطفولية والكهولة

على

على سواء والمعنى الحاق حاله في الطفولية بحال الكهولية في كمال العقل والتكلم
وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل ان اكتهل واذ علمتك الكتاب والحكمة و
التوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني
وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني سبق تفسيره في آل عمران
وقرأ نافع ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر واذ كففت بني اسرائيل
عنك يعني اليهود حين هموا بقتله اذ جئتهم بالبينات ظرف لكففت فقال الذين
كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين اي ما هذا الذي جئت به الا سحر وقرأ حمزة و
الكسائي الا ساحر فالاشارة الى عيسى عليه الصلوة والسلام واذ اوحيت الى
الحواريين اي امرتهم على السنة رسلي ان آمنوا بي وبرسولي يجوز ان يكون ان مصدرية
وان تكون مفسرة قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون يا
عيسى بن مريم منصوب باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص
مع قولهم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء لم يكن بعد تحقيق و
استحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على
ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك اي هل يجيبك واستطاع بمعنى
اطاع كاستجاب واجاب وقرأ الكسائي هل تستطيع ربك اي سؤال ربك والمعنى
هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء
يميد اذا تحرك او من ماده اذا اعطاه كانها تميد من تقدم اليه ونظيرها
قوله شجرة مطعمة قال اتقوا الله من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين بكمال القدرة
وصحة نبوتي او صدقتم في ادعاء الايمان قالوا نريد ان نأكل منها تمهيد عذر وبيان

لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها وتطمئن قلوبنا بانضمام علم
المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته ونعلم ان قد صدقتنا في ادعاء النبوة
او ان الله تعالى يجيب دعوتنا ونكون عليها من الشاهدين للعين دون السامعين
للخبر فنشهد علينا عند من لم يحضرها او لله بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين
عليها قال عيسى بن مريم لما راى ان لهم غرضا صحيحا او انهم لا يقلعون عنه و
اراد الزامهم الحجة بكمالها اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا
اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم
العيد عيدا وقرئ تكن على جواب الامر لاولنا واخرنا بدل من لنا باعادة العامل
اي عيدا لمتقدمينا ومتاخرينا روي انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى
عيدا وقيل ياكل منه اولنا واخرنا وقرئ لاولينا واخرينا بمعنى الامة او الطائفة
واية عطف على عيدا منك صفة لها اي اية كائنة على كمال قدرتك وصحة نبوتي
وارزقنا المائدة والشكر عليها وانت خير الرازقين اي خير من يرزق لانه خالق الرزق
ومعطيه بلا عوض قال الله اني منزلها عليكم اجابة الى سؤالكم فمن يكفر بعد منكم فاني
اعذبه عذابا اي تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة لا اعذبه الضمير للمصدر او
للعذاب ان اريد به ما يعذب به على حذف حرف الجر احدا من العالمين اي من عالمي زمانهم
او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روي
انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم
فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا
تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام فتوضا وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله

اذا استشهدتنا او من الشاهدين

في ذلك م

منك م

يجوز م

خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها
خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد
منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابعة جبن وعلى
الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الاخرة
فقال ليس منهما ولكنه اخترعه الله تعالى بقدرته كلوا ما سالتم واشكروا
لله يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الاية
اية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت
فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تاتيهم
اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار ياكلون
حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم ياكل منها فقير الا غني ولا مريض
الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام ان اجعل مائدتي
في الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم
ثلثة وثمانون رجلا وقيل لما وعد الله انزالها بهذه الشريطة استعفوا و
قالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد ان هذا مثل ضربه الله تعالى لمقترحي المعجزات
وعن بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف فانها غذاء الروح
كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا
للوقوف عليها فقال لهم عيسى عليه السلام ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى
حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال والحوا فيه فسال لاجل
اقتراحهم فبين الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك

دسما وعند راسها

مدة عمره م

اذا انكشف له ماهو اعلى من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا
بعيدا واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين
من دون الله يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او صلة
اتخذوني ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة
الغير كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده او القصور
فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما
توصل الى عبادة الله تعالى فكانه قيل اتخذوني وامي الهين متوصلين بنا الى الله
قال سبحانك اي انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ما يكون لي ان اقول ما ليس
لي بحق ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله ان كنت قلته فقد علمته تعلم
ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما
تخفيه من معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات انك انت
علام الغيوب تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه ما قلت لهم الا ما امرتني
تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه ان اعبدوا الله ربي وربكم
عطف بيان للضمير في به او بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل
منه مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر مضمر مثل هو او اعني
ولا يجوز ابداله من ما امرتني به فان المصدر لا يكون مفعول القول ولا ان تكون
ان مفسرة لان الامر مسند الى الله تعالى وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم
والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يأول القول بالامر فكانه قيل ما امرتهم
الا ما امرتني به ان اعبدوا الله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم اي رقيبا عليهم

شرط

ومفعوله

امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان فلما توفيتني
بالرفع الى السماء لقوله تعالى اني متوفيك ورافعك والتوفي اخذ الشي وافيا
والموت نوع منه قال الله تعالى يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في
منامها كنت انت الرقيب عليهم المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من القول
به بالارشاد الى الدلايل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الايات وانت
على كل شي شهيد مطلع عليه مراقب له ان تعذبهم فانهم عبادك اي ان تعذبهم
فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه
على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك انت
العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوي على الثواب والعقاب
لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان
عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا
امتناع فيه لذاته ليمنع الترديد والتعليق بان قال الله هذا يوم ينفع الصادقين
صدقهم وقرأ نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف
مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذي مر من كلام عيسى عليه السلم واقع يوم ينفع
وقيل انه خبر ولكن بني على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف
اليه معرب والمراد بالصدق الصدق في الدنيا فان النافع ما كان في حال التكليف
لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه
ذلك الفوز العظيم بيان للنفع لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شي
قدير تنبيه على كذب النصارى وفساد دعويهم في المسيح وامه وانما لم يقل ومن

الله م

الذي

اي ان غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم في المغفرة وجه حكمة لان المغفرة حسنة لكل مجرم في المعقول بل متى كان المجرم اعظم جرما كان العفو عنه احسن ه

الذي

فيهن تغليبا للعقلاء وقال ما فيهن اتباعا لهم غير اولى العقل في غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة العبودية واهانتهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المائدة اعطى من الاجر عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودى ونصرانى يتنفس في الدنيا

سورة الانعام مكية غير ست ايات او ثلث من قوله تعالى قل تعالوا وهى مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق السموات والارض اخبر انه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على خلق هذه الاجسام حمد او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهى مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الاثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات والنور انشاهما والفرق بين خلق وجعل الذى له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها ولان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال كثير متعدد وتقديمها لتقديم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الاية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل ثم الذين كفروا بربهم

يعدلون عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شى منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اى يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثانى متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اى يسوونها به هو الذى خلقكم من طين اى ابتداء خلقكم منه من طين فانه المادة الاولى وان آدم الذى هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيمة وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثانى ما بين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لاخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثانى الموت وقيل الاول لمن مضى والثانى لمن بقى ولمن ياتى واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستيناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اى مثبت معين لا يقبل التغير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود بيانه ثم انتم تمترون استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى اجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وايداع الحيوة فيها وابقائها ما يشاء كان يقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالاية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله المرى وهو استخراج اللبن من الضرع وهو الله الضمير لله والله خبره في السموات وفي الارض متعلق باسم الله تعالى والمعنى هو المستحق

للعبادة فيهما لا غير كقوله تعالى يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان او هي الخبر والله بدل
ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت
خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى انه تعالى بكمال علمه بما فيهما
كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان
صلته لا يتقدم ويعلم ما تكسبون من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد
بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح وما تاتيهم
من آية من آيات من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اي ما يظهر
لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات او آية من آيات القرآن الا كانوا
عنها معرضين تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه فقد كذبوا بالحق لما جاءهم يعني القرآن
وهو كاللازم لما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا به
لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو
اعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيرها ولذلك رتب عليها بالفاء فسوف
ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن اي سيظهر لهم ما كانوا به يستهزؤن عند نزول
العذاب بهم في الدنيا والآخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره الم يروا كم
اهلكنا قبلهم من قرن من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهو سبعون
سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق في العلم قلت المدة او
كثرت واشتقاقه من قرنت مكناهم في الارض جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم فيها
او اعطيناهم من القوى والآلات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها ما لم نمكن
لكم ما لم نجعل لكم من السعة وطول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة

وهو الذي في السماء إله وفي الارض إله
او بقوله م

ربهم م

هي

الفاعل

في المال والاستظهار بالعدد والاسباب وارسلنا السماء عليهم اي المطر او السحاب
او المظلة فان مبدا المطر منها مدرارا مغزارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فعاشوا
في الخصب والريف بين الانهار والثمار فاهلكناهم بذنوبهم اي لم يغن عنهم ذلك
شيا وانشانا واحدثنا من بعدهم قرنا آخرين بدلا منهم والمعنى انه تعالى كما قدر ان
يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشي مكانهم قرنا آخرين يعمر بهم بلاده يقدر ان
يفعل ذلك بكم ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس مكتوبا في رق فلمسوه بايديهم
فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا
ولانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقييده بالايدي لدفع التجوز فانه
قد يتجوز به للفحص كقوله تعالى وانا لمسنا السماء لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر
مبين تعنتا وعنادا وقالوا لولا انزل عليه ملك هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبي
كقوله تعالى لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ولو انزلنا ملكا لقضي الامر
جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل
بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة الله جرت فيمن قبلهم ثم لا
ينظرون بعد نزوله طرفة عين ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون
جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان
فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة
والمعنى ولو جعلنا قرينا لك ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل في صورة دحية
فان القوة البشرية لا تقوى على روية الملك في صورته وانما رآهم كذلك الافراد
من الانبياء بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف اي ولو جعلناه رجلا

ملك م

يعاينوه او الرسول
ملكا م

للبسنا اى لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم
وقرئ لبسنا بلا لام و لبّسنا بالتشديد للمبالغة ولقد استهزئ برسل
من قبلك تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم على ما يرى من قومه فحاق بالذين
سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون فاحاط بهم الذى كانوا يستهزءون به حيث
اهلكوا لاجله او فنزل بهم وبال استهزائهم قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان
عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله بعذاب الاستيصال كى تعتبروا والفرق بينه
وبين قوله قل سيروا فى الارض فانظروا ان السير ثمة لاجل النظر ولا كذلك ههنا
ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر فى آثار الهالكين
قل لمن ما فى السموات والارض خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت قل لله تقرير لهم
وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره كتب
على نفسه الرحمة التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين و
من ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب و امهال
الكفرة ليجمعنكم الى يوم القيمة استيناف وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم
النظر اى ليجمعنكم فى القبور مبعوثين الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم او فى يوم
القيمة والى بمعنى فى وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فانه من رحمته بعثه اياكم
وانعامه عليكم لا ريب فيه فى اليوم او الجمع الذين خسروا انفسهم بتضييع راس
مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين النصب على الذم
او الرفع على الخبر اى وانتم الذين او على الابتداء والخبر فهم لا يؤمنون والفاء
للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال الحق باتباع الحواس

والوهم والانهماك فى التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر و
الامتناع عن الايمان وله ما سكن عطف على لله فى الليل والنهار من السكنى وتعديته
بفى كما فى قوله تعالى وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم والمعنى ما اشتملا عليه
او من السكون اى ما سكن فيهما او تحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر وهو السميع
لكل مسموع العليم بكل معلوم فلا يخفى عليه شىء ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين
على اقوالهم وافعالهم قل اغير الله اتخذ وليا انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولى
فلذلك قدم واولى الهمزة والمراد بالولى المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك
فاطر السموات والارض مبدعهما وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر حتى اتانى
اعرابيان يختصمان فى بئر فقال احدهما انا فطرتها اى ابتدأتها وجره على الصفة
لله فانه بمعنى الماضى ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب على المدح وهو
يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه وقرئ و
لا يطعم بفتح الياء وعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو
فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وببنائهما للفاعل على
ان الثانى من اطعم بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله
يقبض ويبسط قل انى امرت ان اكون اول من اسلم لان النبى سابق امته فى الدين
ولا تكونن من المشركين وقيل لى ولا تكونن ويجوز عطفه على قل انى اخاف ان عصيت
ربى عذاب يوم عظيم مبالغة اخرى فى قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة
مستوجبون للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف
دل عليه الجملة من يصرف عنه يومئذ اى يصرف العذاب عنه وقرأ حمزة والكسائى و

يعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره و
المفعول به محذوف او يومئذ بحذف المضاف فقد رحمه نجاه وانعم عليه وذلك
الفوز المبين اي الصرف او الرحمة وان يمسسك الله بضر ببلية كمرض وفقر فلا كاشف
له فلا كاشف على كشفه الا هو وان يمسسك بخير بنعمة كصحة وغنى فهو على كل شيء
قدير فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله تعالى فلا
راد لفضله وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو
الحكيم في امره وتدبيره الخبير بالعباد وخفايا احوالهم قل اي شيء اكبر شهادة نزلت حين قال
قريش يا محمد لقد سألنا عنك اليهود فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة
فأرنا من يشهد لك انك رسول الله والشيء يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه
في سورة البقرة قل الله شهيد اي الله اكبر شهادة ثم ابتدأ بيني وبينكم اي هو شهيد
ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه تعالى اذا كان الشهيد كان اكبر شهادة
واوحي الي هذا القرآن لانذركم به اي بالقرآن واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة
ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود
والاحمر او من الثقلين او لانذركم ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيامة وهو
دليل على ان احكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وانه لا يؤاخذ
بها من لم يبلغه ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد
قل لا اشهد بما تشهدون قل انما هو اله واحد اي بل اشهد ان لا اله الا هو وانني بريء
مما تشركون يعني الاصنام الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه يعرفون رسول الله صلى
الله عليه وسلم بحليته المذكورة في التوراة والانجيل كما يعرفون ابناءهم بحلاهم

الرحم

قادر

نزلت

تمهيد

انعام

الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون لتضييعهم ما به
يكتسب الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء
شفعاؤنا عند الله او كذب بآياته كانوا كذبوا بالقرآن والمعجزات وسموها سحرا
وانما ذكر أو وهم قد جمعوا بين الامرين تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط
في الظلم على النفس انه لا يفلح الظالمون فضلا عمن لا احد اظلم منه ويوم نحشرهم جميعا
منصوب بمضمر تهويلا للامر ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم اي آلهتكم التي
جعلتموها شركاء لله وقرأ يعقوب يحشر ويقول بالياء الذين كنتم تزعمون اي
تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم
وبين آلهتهم ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم
ولكن لما لم ينفعوهم فكانهم غيب عنهم ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا اي كفرهم والمراد
عاقبته وقيل معذرتهم التي يتوهمون ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته
وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب او لانهم قصدوا به الخلاص عنه و
قرأ ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع على انها الاسم ونافع
وابو عمرو وابو بكر بالياء والنصب والله ربنا ما كنا مشركين يكذبون ويحلفون
عليه مع علمهم بانه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا
منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق
قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم اي بنفي الشرك عنها وحمله على كذبهم في الدنيا
فيه تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون
له كما يحلفون لكم وقرأ حمزة والكسائي ربنا بالنصب على النداء او المدح وضل عنهم

الضمير للشان

حينئذ م

عنه بالتاء والنصب
على ان الاسم ان قالوا
والتانيث للخبر كقولهم
من كانت امك
والباقون م

ما كانوا يفترون من الشركاء ومنهم من يستمع إليك حين تتلو القرآن والمراد ابو سفيان
والوليد والنضر وعتبة وشيبة واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقرأ فقالوا للنضر ما يقول فقال والذي جعلها بيته ما ادري ما اقول
الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم وجعلنا على قلوبهم
أكنة اغطية جمع كنان وهو ما يستر الشيء أن يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفي
آذانهم وقرا يمنع من استماعه وقد مر تحقيقه في اول سورة البقرة وإن يروا كل آية
لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم حتى إذا جاؤوك يجادلونك
اي بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم جاؤوك يجادلونك وحتى هي التي تقع بعدها الجمل
لا عمل لها والجملة شرط اذا وجوابه وهو يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير
الأولين فانه جعل اصدق الاحاديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك
حال لمجيئهم ويجوز ان تكون الجارة واذا جاؤوك في موضع الجر ويجادلونك حال
ويقول تفسير له والاساطير الاباطيل جمع اسطورة او اسطارة او اسطار جمع
سطر واصله السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه اي الناس عن القرآن او الرسول و
الايمان به وينأون عنه بانفسهم او ينهون عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وينأون عنه فلا يؤمنون به كابي طالب وإن يهلكون وما يهلكون بذلك إلا أنفسهم و
ما يشعرون ان ضررهم لا يتعداهم الى غيرهم ولو ترى إذ وقفوا على النار جوابه محذوف
اي ولو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها
فيعرفون مقدار عذابها لرأيت امرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف
عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا للرجوع الى الدنيا ولا نكذب بآيات ربنا

وابو جهل

الى

جواب

ينهون

ونكون من المؤمنين استئناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعني ولا اعود
اي انا لا اعود تركتني ام لم تتركني او عطف على نرد او حال من الضمير فيه في حكم التمني
وقوله انهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمني من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب و
حفص على الجواب باضمار أن بعد الواو واجرائها مجرى الفاء وقرأ ابن عامر برفع
الاول على العطف ونصب الثاني على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل الاضراب
عن ارادة الايمان المفهوم من التمني والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم
او قبائح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لآمنوا ولو ردوا اي الى
الدنيا بعد الوقوف والظهور لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وإنهم لكاذبون
فيما وعدوا من انفسهم وقالوا عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون او على نهوا او
استئناف بذكر ما قالوه في الدنيا الضمير للحيوة ان هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين
ولو ترى إذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا
على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه حق التعريف قال أليس هذا بالحق كأنه جواب قائل
قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث
وما يتبعه من الثواب والعقاب قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية
الانجلاء قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او ببدله قد خسر
الذين كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله
البعث وما يتبعه حتى إذا جاءتهم الساعة غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية
له بغتة فجأة ونصبها على الحال او المصدر فانها نوع من المجيء قالوا يا حسرتنا اي
تعالي فهذا أوانك على ما فرطنا قصرنا فيها في الحيوة الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها

الضمير للحيوة

للعلم بها او في الساعة يعني في شانها والايمان بها وهم يحملون اوزارهم
على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام الا ساء ما يزرون بئس شيئا
يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو اي وما اعمالها الا لعب
ولهو يلهي الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو
جواب لقولهم ان هي الا حيوتنا الدنيا وللدار الآخرة خير للذين يتقون
لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله تعالى للذين يتقون تنبيه على
ان ما ليس من اعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة افلا
تعقلون اي الامرين خير وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء على خطاب
المخاطبين به او تغليب الحاضرين على الغائبين قد نعلم انه ليحزنك الذي
يقولون معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما في قوله ولكنه قد يهلك المال
نائله والهاء في انه للشأن وقرئ ليحزنك من احزن فانهم لا يكذبونك في
الحقيقة وقرأ نافع والكسائي لا يكذبونك من اكذب اذا وجده كاذبا او
نسبه الى الكذب ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون في الحقيقة وقرأ نافع
ولكنهم يجحدون آيات الله ويكذبونه فوضع الظالمين موضع الضمير
للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم او جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمين
الجحود معنى التكذيب روي ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا
لصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك ليس
بنفي تكذيبه مطلقا فصبروا على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم فتأسّ

وحفص عن عاصم م

بهم واصبر حتى اتاهم نصرنا فيه ايماء بوعد النصر للصابرين ولا مبدل
لكلمات الله لمواعيده من قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين الآيات ولقد جاءك من نبأ المرسلين اي من قصصهم وما كابدوا
من قومهم وان كان كبر عليك عظم وشق اعراضهم عنك وعن الايمان
بما جئت به فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء
فتأتيهم بآية منفذا تنفذ الى جوف الارض فتطلع لهم آية او مصعدا تصعد
به الى السماء فتنزل منها آية وفي الارض صفة لنفقا وفي السماء صفة
لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغي او حالين من المستكن وجواب
الشرط الثاني محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول والمقصود
بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر ان يأتيهم بآية من تحت
الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله لجمعهم
على الهدى اي ولو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا
ولكن لم تتعلق به مشيئته فلا تتهالك عليه والمعتزلة اولوه بانه لو شاء
الله لجمعهم على الهدى بان يأتيهم بآية ملجئة ولكنه لم يفعل لخروجه عن
الحكمة فلا تكونن من الجاهلين بالحرص على ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر
فان ذلك من دأب الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله
فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان ثم اليه يرجعون للجزاء وقالوا لولا نزل
عليه آية من ربه اي آية مما اقترحوه او آية اخرى سوى ما انزل من الآيات
المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا قل ان الله قادر على ان ينزل آية مما

انما يجيب الذين يسمعون سماع تفهم وتأمل كقوله او القى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون م

اقترحوه او آية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل او آية ان جحدوها هلكوا
ولكن لا يعلمون ان الله قادر على انزالها وان انزالها يستجلب عليهم البلاء
وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى
واحد وما من دابة في الارض يدب على وجهها ولا طائر وقرئ ولا طائر
بالرفع على المحل يطير بجناحيه في الهواء وصفه به قطعا لمجاز السرعة و
نحوها الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها وآجالها والمقصود
من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون
كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية وجمع الامم للحمل على المعنى ما فرطنا
في الكتاب من شيء يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجري في العالم
من جليل ودقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او القرآن فانه دون
فيه ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا او مجملا ومن مزيدة وشيء في موضع
المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدي بفي الى
الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها
فينصف بعضها عن بعض كما روي انه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن
عباس حشرها موتها والذين كذبوا بآياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الآيات
الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتأثر به نفوسهم
وبكم لا ينطقون بالحق في الظلمات خبر ثالث اي خابطون في ظلمات الكفر
وظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا من المستكن
في الخبر من يشإ الله يضلله من يشأ الله اضلاله يضلله وهو دليل واضح

اكثرهم م

قدم

شيء م

خابطون

لنا على المعتزلة ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم بان يرشده الى الهدى
ويحمله عليه قل ارأيتكم استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب اكد به
للتاكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول ارأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت
كما قاله الكوفيون لعديت الفعل الى ثلثة مفاعيل وللزم في الآية
ان يقال ارأيتموكم بل الفعل معلق او المفعول محذوف تقديره ارأيتكم
آلهتكم تنفعكم او تدعونها ان اتاكم عذاب الله كما اتى من قبلكم او اتتكم
الساعة وهولها ويدل عليه اغير الله تدعون وهو تبكيت لهم
ان كنتم صادقين ان الاصنام آلهة وجوابه محذوف اي فادعوه
بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم في مواضع وتقديم
المفعول لافادة التخصيص فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى
كشفه ان شاء ان يتفضل عليكم ولا يشاء في الآخرة وتنسون ما تشركون
وتتركون آلهتكم في ذلك الوقت لما ركز في العقول على انه القادر على
كشف الضر دون غيره او تنسونه من شدة الامر وهوله ولقد ارسلنا
الى امم من قبلك اي قبلك ومن زائدة فاخذناهم اي فكفروا وكذبوا
المرسلين فاخذناهم بالبأساء بالشدة والفقر والضراء الضر والآفات
وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون ويتوبون
عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا نفي تضرعهم في ذلك الوقت
مع قيام ما يدعوهم ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا
يعملون استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع وانه

الضمير

الكاف مفعولا م

لامانع لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التى زينها الشيطان
لهم فلما نسوا ما ذكروا به من الباساء والضراء ولم يتعظوا به فتحنا
عليهم ابواب كل شى من انواع النعم مراوحة عليهم بين نوبتى الضراء
والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء الزاما للحجة وازاحة للعلة او
مكرا بهم لما روى انه عليه الصلوة والسلم قال مكر بالقوم ورب الكعبة
وقراء ابن كثير فتحنا بالتشديد فى جميع القرآن ووافقه يعقوب
فى ما عدا هذا والذى فى الاعراف حتى اذا فرحوا اعجبوا بما اوتوا من
النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعمة على المنعم والقيام بحقه
اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون متحسرون آيسون فقطع دابر القوم
الذين ظلموا اى آخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اذا
تبعه والحمد لله رب العالمين على اهلاكهم فان اهلاك الكفار والعصاة
من حيث انه تخليص لاهل الارض من شوم عقائدهم واعمالهم نعمة
جديدة يحق ان يحمد عليها قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم
اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم بان يغطى عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم
من اله غير الله ياتيكم به اى بذلك او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه المذكورة
انظر كيف نصرف الايات نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة
من جهة الترغيب والترهيب بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين ثم هم
يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الايات
وظهورها قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة من غير مقدمة او جهرة بتقدمها

ابن عامر

امارة

امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا او نهارا وقرى بغتة او جهرة
هل يهلك اى ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب الا القوم الظالمون
ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرى يهلك بفتح الياء وما نرسل
المرسلين الا مبشرين ~~منذرين~~ المومنين بالجنة ومنذرين الكافرين
بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم فمن آمن واصلح ما يجب
اصلاحه على ما شرع لهم فلا خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون
بفوات الثواب والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب جعل العذاب
ماسا لهم كانه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف
بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة قل لا اقول
لكم عندى خزائن الله مقدوراته او خزائن رزقه ولا اعلم الغيب ما لم يوح
الى ولم ينصب عليه دليل ولا اقول لكم انى ملك اى من جنس الملائكة او
اقدر على ما يقدرون عليه ان اتبع الا ما يوحى الى تبرأ عن دعوى الالوهية
وادعى النبوة التى هى من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه
وجزمهم على فساد مدعاه قل هل يستوى الاعمى والبصير مثل للضال
والمهتدى او الجاهل والعالم او مدعى المستحيل كالالوهية او الملكية
ومدعى المستقيم كالنبوة افلا تتفكرون فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء
الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحى مما لا محيص عنه وانذر به
الضمير لما يوحى الى الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم هم المومنون
المفرطون فى العمل او المجوزون للحشر مومنا كان او كافرا مقرا به او

وهو من جملة المقول ٣

ما ادعاه

مترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته
ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا فان المخوف
هو الحشر على هذه الحال لعلهم يتقون لكي يتقوا ولا تطرد الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي بعدما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره
باكرام هؤلاء وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية لقريش روي انهم
قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار
وصهيب وخباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك فقال ما
انا بطارد المؤمنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئناك قال نعم وروي
ان عمر رضي الله عنه قال لو فعلت حتى ننظر الى ما يصيرون فدعا
بالصحيفة وبعلي رضي الله عنه ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة
والعشي الدوام وقيل صلوة الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة
ههنا وفي الكهف يريدون وجهه حال من يدعون اي يدعون ربهم
مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر ورتب
النهي عليه اشعارا بانه يقتضي اكرامهم وينافي ابعادهم ما عليك
من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء اي ليس عليك حساب
ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله تعالى اعظم من ايمان من تطردهم
بسؤالهم طمعا في ايمانهم لو امنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم و
اخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي
كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك

المتقين

فاذا اتيتنا فاقعد معهم
معك ان شئت

عليك

كما ان حسابك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم
وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك
حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه فتطردهم
فتبعدهم وهو جواب النفي فتكون من الظالمين جواب النهي
وجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبيب وفيه نظر وكذلك
فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس
في امور الدنيا فتنا اي ابتلينا بعضهم ببعض في امور الدين فقدمنا
هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش بالسبق الى الايمان ليقولوا
اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي اهؤلاء من انعم الله تعالى
عليهم بالهداية والايمان والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن
الاكابر والرؤساء وهم المساكين وهم الضعفاء وهو انكار لان
يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم لو كان
خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة او للتعليل على ان فتنا
متضمن معنى خذلنا اليس الله باعلم بالشاكرين بمن يقع منه الايمان
والشكر فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله واذا جاءك الذين يؤمنون
باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الذين يؤمنون
هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقران واتباع الحجج
بعدما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره بان يبدأ بالتسليم او يبلغ
سلام الله اليهم ويبشرهم بسعة رحمته وفضله بعد نهيه عن

طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتى العلم والعمل ومن
كان كذلك ينبغى ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر
من الله بالسلامة فى الدنيا والرحمة فى الاخرة وقيل ان قوما جاؤا
الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد
عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت انه من عمل منكم سوءا استيناف تفسير
الرحمة وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها
بجهالة فى موضع الحال اى من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه
من المضار والمفاسد كعمر رضى الله عنه فيما اشار اليه او ملتبسا
بفعل الجهلة فان ارتكاب ما يؤدى الى الضرر من افعال اهل
السفه والجهل ثم تاب من بعده بعد العمل او السوء واصلح بالتدارك
والعزم على ان لا يعود اليه فانه غفور رحيم فتح من فتح الاول غير
نافع على اضمار مبتدا او خبر اى فامره او فله غفرانه وكذلك و
مثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الايات آيات القرآن فى صفة
المطيعين والمجرمين والمصرين منهم والاوابين ولتستبين
سبيل المجرمين قرأ نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى ولتستوضح
يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل
وابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب وحفص عن عاصم
برفعه على معنى ولتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على
تذكير السبيل فانه يذكر ويؤنث ويجوز ان يعطف على علة مقدرة

اى نفصل الايات ليظهر الحق وليستبين قل انى نهيت صرفت
وزجرت بما نصب لى من الادلة وانزل على من الآيات فى امر
التوحيد ان اعبد الذين تدعون من دون الله عن عبادة ما تعبدون
من دون الله او ما تدعونها آلهة اى عن متابعتهم واستجهالهم
وبيان لمبدأ ضلالهم وان ما هم عليه هوى وليس بهدى
وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد لانه مركوز
فى العقل ان من اتبع الهوى فهو ضال قد ضللت اذا اى ان اتبعت
اهواءكم قد ضللت وما انا من المهتدين اى فى شىء من الهدى
حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك قل انى على بينة
تنبيه على ما يجب اتباعه بعد ما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة
الدلالة الواضحة التى تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن
والوحى او الحجج العقلية او ما يعمها من ربى من معرفته وانه لا
معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة وكذبتم به الضمير
لربى اى كذبتم به حيث اشركتم به غيره او للبينة باعتبار
المعنى ما عندى ما تستعجلون به يعنى العذاب الذى استعجلوه بقولهم
تعالى فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ان
الحكم الا لله فى تعجيل العذاب وتاخيره يقص الحق اى القضاء الحق
او يصنع الحق ويدبره من قضى الدرع اذا صنعها فيما يقضى من
تعجيل او تاخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم

تسموها ملل لا اتبع
اهواءكم تاكيد لقطع
اطماعهم واشارة
الى الموجب
للنهى وعلة الامتناع
٢

من قولهم ٢

المنع فكانه منع الباطل وقراء ابن كثير ونافع وعاصم يقص من
قص الاثر او قص الخبر وهو خير الفاصلين القاضين قل لو ان
عندى اى في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب
لقضى الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي
وانقطع ما بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين في معنى الاستدراك
كانه قال ولكن الامر الى الله وهو اعلم بمن ينبغي ان يوخذ وبمن
ينبغي ان يمهل منهم وعنده مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم
وهو المخزن وما يتوصل به الى المغيبات مستعار من المفاتح
الذى هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده انه قرئ مفاتيح
والمعنى انه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها الا هو
فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها وتاخيرها من الحكم فيظهرها على
ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيته وفيه دليل على انه تعالى
يعلم الاشياء قبل وقوعها ويعلم ما في البر والبحر عطف للاخبار
عن تعلق علمه بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم
بالمغيبات به وما تسقط من ورقة الا يعلمها مبالغة في احاطة علمه
بالجزئيات ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس معطوف
على ورقة وقوله تعالى الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء
الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله تعالى او بدل الاشتمال
ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع على محل من ورقة او رفعا على الابتداء

بفتح م

للعطف م

والخبر

والخبر الا في كتاب مبين وهو الذى يتوفاكم بالليل ينيمكم فيه ويراكم
استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال
الاحساس والتمييز فان اصله قبض الشي بتمامه ويعلم ما جرحتم
بالنهار كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على
المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفي فيه في
النهار ليقضى اجل مسمى ليبلغ المتيقظ آخر اجله المسمى له في الدنيا
ثم اليه مرجعكم بالموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه
وقيل الاية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل
وكاسبون للاثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم
من القبور في شان ذلك الذى قطعتم به اعماركم من النوم
بالليل وكسب الاثام بالنهار ليقضى الاجل الذى سماه وضربه
لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب
ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل
عليكم حفظة ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة
فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس
الاشهاد كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق بلطف
سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من
خدمه المطلعين عليه حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا
ملك الموت واعوانه وقرا حمزة توفاه بالالف ممالة وهم لا يفرطون

المتيقظ

عليه م

ان م

بالتواني والتاخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم
بزيادة ولا نقصان ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم الذي
يتولى امرهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح
الا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين يحاسب الخلائق
في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب قل من ينجيكم من ظلمات
البر والبحر من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما
في الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم
ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقراءة يعقوب
ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين
او اعلانا واسرارا وقرئ خِفية بالكسر لئن انجيتنا من هذه لنكونن
من الشاكرين على ارادة القول اي تقولون لئن انجيتنا وقرا الكوفيون
لئن انجانا ليوافق قوله تعالى تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة
قل الله ينجيكم منها شدده الكوفيون وخففه الباقون ومن كل
كرب غم سواها ثم انتم تشركون تعودون الى الشرك ولا توفون
بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على ان
من اشرك في عبادة الله فكانه لم يعبده راسا قل هو القادر على
ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب
الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل
من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم و

او

من هذه

عبيدكم او يلبسكم يخلطكم شيعا فرقا مختلفين على اهواء شتى
فينشب القتال بينكم قال وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا
التبست نفضت لها يدي ويذيق بعضكم باس بعض يقتل
بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الايات بالوعد والوعيد لعلهم
يفقهون وكذب به قومك اي بالعذاب او بالقرآن وهو الحق
الواقع لا محالة او الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الى
امركم فامنعكم من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ
لكل نبأ خبر يريد انباء العذاب والايعاد به مستقر وقت استقرار
ووقوع وسوف تعلمون عند وقوعه في الدنيا او في الآخرة و
اذا رايت الذين يخوضون في آياتنا بالتكذيب والاستهزاء بها
والطعن فيها فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا
في حديث غيره اعاد الضمير على معنى الايات لانها القرآن واما
ينسينك الشيطان بان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهي
وقرا ابن عامر ينسّينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى
بعد ان تذكره مع القوم الظالمين اي معهم فوضع الظاهر موضعه
دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق
والاستعظام وما على الذين يتقون وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم
من حسابهم من شيء مما يحاسبون عليه من قبائح اعمالهم واقوالهم
ولكن ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن

الخوض وغيره من القبايح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب
على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على
محل من شى لان من حسابهم يأباه ولا على شى لذلك ولان من لا
تزاد فى الاثبات لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم
ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على
تقويهم ولا ينثلم بمجالستهم روى ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم
كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع ان نجلس فى المسجد ونطوف
فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اى بنوا امر دينهم على التشهي
وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الصنم وتحريم
البحاير والسوايب او اتخذوا دينهم الذى كلفوه لعبا ولهوا حيث
سخروا به وجعلوا عيدهم الذى جعل ميقات عبادتهم زمان لعب
ولهو والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز
ان يكون تهديدا لهم كقوله تعالى ذرنى ومن خلقت وحيدا ومن
جعله منسوخا باية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك
التعرض لهم وغرتهم الحيوة الدنيا حتى انكروا البعث وذكر به اى بالقرآن
ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلاك وترهن
بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان
فريسته لا تفلت منه والباسل للشجاع لامتناعه من قرنه وهذا
بسل عليك اى حرام ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع يدفع عنها

علمها

العذاب وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل
المفدي وههنا الفداء وكل نصب على المصدر لا يؤخذ منها الفعل مسند
الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى
به اوليك الذين ابسلوا بما كسبوا اى اسلموا الى العذاب بسبب
اعمالهم القبيحة وعقايدهم الزايغة لهم شراب من حميم وعذاب اليم
بما كانوا يكفرون تاكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلى
يتجرجر فى بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم قل اندعوا
نعبد من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ما لا يقدر على نفعنا وضرنا
ونرد على اعقابنا ونرجع الى الشرك بعد اذ هدانا الله فانقذنا ورزقنا
الاسلام كالذى استهوته الشياطين كالذى ذهبت به مردة
الجن فى المهامه استفعال من هوى يهوى هويا اذا ذهب وقرأ حمزة
استهويه بالالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل
نرد اى مشبهين الذى استهوته او على المصدر اى ردا مثل رد
الذي استهوته فى الارض حيران متحيرا ضالا عن الطريق له اصحاب
لهذا المستهوى رفقة يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق
المستقيم سماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ائتنا يقولون له ائتنا
قل ان هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال
وامرنا لنسلم لرب العالمين من جملة المقول عطف على ان هدى الله و
اللام لتعليل الامر اى امرنا بذلك لنسلم وقيل هى بمعنى الباء وقيل زايدة

العلا

منه م

هوي م

وان اقيموا الصلوة واتقوه عطف على لنسلم اى للاسلام ولاقامة الصلوة او على موقعه كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا روى ان عبد الرحمن بن ابى بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا القول اجابة عن الصديق تعظيما لشانه واظهارا للاتحاد الذى كان بينهما وهو الذى اليه تحشرون وهو الذى خلق السموات والارض بالحق قائما بالحق والحكمة ويوم يقول كن فيكون قوله الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر اى قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارض وقوله الحق نافذ فى الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او الهاء فى واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدا وخبر او فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اى لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء ويحدثها او حين تقوم القيمة فيكون التكوين حشر الاموات واحياؤها وله الملك يوم ينفخ فى الصور كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اى هو عالم الغيب وهو الحكيم الخبير كالفذلكة للاية واذ قال ابرهيم لابيه آزر هو عطف بيان لابيه وفى كتب التواريخ ان اسمه تارخ فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارخ وآزر وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمى حمل على موازنه او نعت مشتق من الازر او الوزر

رضي الله عنه م

يوم القيمة م

والاقرب

والاقرب انه علم اعجمى على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اى اتعبد آزر ثم قال تعالى اتتخذ اصناما الهة تفسيرا وتقريرا ويدل عليه ان قرئ ءازر تتخذ اصناما بفتح همزة آزر وكسرها وهو اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم انى اريك وقومك فى ضلال عن الحق مبين ظاهر الضلالة وكذلك نرى ابرهيم ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية ملكوت السموات والارض ربوبيتهما وملكهما وقيل عجائبهما وبدائعهما والملكوت اعظم من الملك والتاء فيه للمبالغة وليكون من الموقنين اى ليستدل وليكون او فعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربى تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابرهيم وكذلك نرى اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة او المشترى وقال هذا ربى على سبيل الفرض فان المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالافساد او على وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته او اول اوان بلوغه فلما افل

ان قرئ م

ترى م

الوضع

المواضع

اى غاب قال لا احب الافلين فضلا عن عبادتهم فان الانتقال و
الاحتجاب بالاستتار يقتضى الامكان والحدوث وينافى
الالوهية فلما راى القمر بازغا مبتدئا فى الطلوع قال هذا ربى
فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين استعجز
نفسه واستعان بربه تعالى فى درك الحق فانه لا يهتدى اليه الا
بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغير
حاله لا يصلح للالوهية وان من اتخذه الها فهو ضال فلما راى
الشمس بازغة قال هذا ربى ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة
للرب عن شبهة التانيث هذا اكبر كبره استدلالا واظهارا لشبهة
الخصم فلما افلت قال يا قوم انى برئ مما تشركون من الاجرام المحدثة
المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما يختص به
ثم لما تبرا عنه توجه الى موجدها ومبدعها الذى دلت هذه
الممكنات عليه فقال انى وجهت وجهى للذى فطر السموات و
الارض حنيفا وما انا من المشركين وانما احتج بالافول دون البزوغ
مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه راى الكوكب الذى
يعبدونه فى وسط السماء حين حاول الاستدلال وحاجه قومه
وخاصموه فى التوحيد قال اتحاجونى فى الله فى وحدانيته وقرا نافع
وابن عامر بتخفيف النون وقد هدان الى توحيده ولا اخاف ما تشركون
به اى لا اخاف معبوداتكم فى وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع الا ان

يشاء ربى شيئا اى الا ان يصيبنى بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم
اياه عن آلهتهم وتهديد لهم بعذاب الله وسع ربى كل شئ علما كانه علة
الاستثناء اى احاط به علما فلا يبعد ان يكون فى علمه ان يحيق
بى مكروه من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد و
القادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم ولا يتعلق به ضر ولا تخافون
انكم اشركتم بالله وهو حقيق بان يخاف منه كل الخوف لانه اشراك
للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز والقادر الضار
النافع ما لم ينزل به عليكم سلطانا ما لم ينزل باشراكه كتابا او لم
ينصب عليه دليلا فاى الفريقين احق بالامن اى الموحدون او المشركون
وانما لم يقل اينا انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه ان كنتم تعلمون
ما يحق ان يخاف منه الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك
لهم الامن وهم مهتدون منه او من الله تعالى بالجواب عما استفهم
عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روى ان الآية لما نزلت
شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال عليه الصلوة
والسلم ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمن لابنه يا بنى لا تشرك
بالله ان الشرك لظلم عظيم ولبس الايمان به ان يصدق بوجود
الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية
وتلك اشارة الى ما احتج به ابرهيم عليه الصلوة والسلم على قومه
من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله تعالى وهم مهتدون او

استيناف

من قوله اتحاجوني في الله وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم ارشدناه اليها و
علمناه اياها على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك او بمحذوف
ان جعل بدله اى آتيناها ابرهيم حجة على قومه نرفع درجات
من نشاء في العلم والحكمة وقرأ الكوفيون بالتنوين ان ربك حكيم
في رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه واستعداده له ووهبنا له
اسحق ويعقوب كلا هدينا اى كلا منهما ونوحا هدينا من قبل
ابرهيم عد هداه نعمة على ابرهيم عليه الصلوة والسلام من حيث
انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير
لابرهيم عليه الصلوة والسلام اذ الكلام فيه وقيل لنوح عليه
الصلوة والسلام لانه اقرب ولان يونس ولوطا عليهما الصلوة والسلام
ليسا من ذرية ابرهيم فلو كان لابرهيم عليه الصلوة والسلام
لاختص البيان بالمعدودين في تلك الآية والتي بعدها والمذكورون
في الآية الثالثة عطف على نوحا داود وسليمان وايوب بن اموص
من اسباط عيصا بن اسحق ويوسف وموسى وهرون وكذلك
نجزي المحسنين اى نجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابرهيم عليه
الصلوة والسلام برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم و
زكريا ويحيى وعيسى هو ابن مريم وفي ذكره دليل على ان الذرية
يتناول اولاد البنت والياس قيل هو ادريس جد نوح فيكون
البيان مخصوصا بمن في الآية الاولى وقيل هو من اسباط هرون

[الهامش: ويعقوب م — من قبل ابرهيم — اقرب م — ايوب — عيص — عيسى م]

اخي

اخي موسى كل من الصالحين الكاملين في الصلاح وهو الاتيان
بما ينبغي واسمعيل واليسع هو اليسع بن اخطوب وقرأ حمزة
والكسائي والليسع وعلى القراءتين علم اعجمي ادخل عليه اللام
كما ادخل على اليزيد في قوله رأيت الوليد بن اليزيد مباركا
شديدا باعباء الخلافة كاهله ويونس هو يونس بن متى ولوطا
هو ابن هاران بن اخي ابرهيم وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة
وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق ومن آبائهم وذرياتهم
واخوانهم عطف على كلا او نوحا اى فضلنا كلا منهم او هدينا
هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا
ولا مهتديا واجتبيناهم عطف على فضلنا او هدينا وهديناهم
الى صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى الله اشارة
الى ما دانوا به يهدي به من يشاء من عباده دليل على انه متفضل
بالهداية ولو اشركوا اى لو اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو
شانهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم
بسقوط ثوابها اولئك الذين آتيناهم الكتاب يريد به الجنس
والحكم الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة والرسالة
فان يكفر بها اى بهذه الثلثة هؤلاء يعني قريشا فقد وكلنا بها اى
بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين وهم الانبياء المذكورون ومتابعوهم
وقيل هم الانصار واصحاب النبي صلى الله عليه وسلم او كل

[الهامش: والتحرز عما لا ينبغي م — في موضع النصب م]

من آمن به او الفرس وقيل الملائكة اولئك الذين هدى الله
يريد الانبياء المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده فاختص طريقتهم
بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول
الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدًى مضافًا
الى الكل ولا يمكن التاسي بهم جميعا فليس فيه دليل على انه
عليه الصلوة والسلام متعبد بشرع من قبله والهاء في اقتده
للوقف ومن اثبتها في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابي عمرو
وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف واشبعها ابن عامر على انها
كناية المصدر قل لا اسئلكم عليه اي على التبليغ او القران اجرا
جعلا من جهتكم كما لم يسأل من قبلي من النبيين وهذا من جملة
ما امر بالاقتداء بهم فيه ان هو اي التبليغ او القران او الغرض
الا ذكرى للعالمين تذكيرا وعظة لهم وما قدروا الله حق قدره اي
وما عرفوه حق معرفته في الرحمة والانعام على العباد اذ قالوا ما
انزل الله على بشر من شيء حين انكروا الوحي وبعثة الرسل
وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته او في السخط على الكفار
وشدة البطش حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم
اليهود قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القران بدليل نقض
كلامهم والزامهم بقوله تعالى قل من انزل الكتاب الذي جاء
به موسى نورا وهدى للناس وقراءة الجمهور تجعلونه قراطيس

وبحذف الهاء في الوصل خاصة حمزة والكسائي

تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء وانما قرأ بالياء ابن كثير
وابو عمرو حملا على قالوا وما قدروا وتضمين ذلك
توبيخهم على سوء جهلهم للتورية وذمهم على تجزئتها بابداء
بعض انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه
روي ان مالك بن الصيف قاله لما اغضبه الرسول بقوله
انشدك بالذي انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض
الحبر السمين فانت الحبر السمين وقيل هم المشركون والزامهم
بانزال التورية لانه كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك
كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم
على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم زيادة
على ما في التورية وبيانا لما التبس عليكم وعلى ابائكم الذين
كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القران يقص على بني اسرائيل
اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش قل
الله اي انزله الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا بان
الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون
على الجواب ثم ذرهم في خوضهم في اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ
والزام الحجة يلعبون حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم او
يلعبون او حال من المفعول او فاعل يلعبون او من هم الثاني والظرف
متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه مبارك كثير الفائدة والنفع مصدق

الذی بین یدیه یعنی التوریة او الکتب التی قبله ولتنذر ام القری
عطف على ما دل علیه مبارک ای للبرکات ولتنذر او علة محذوف
ای ولتنذر اهل ام القری انزلناه وانما سمیت مکة بذلک لانها
قبلة اهل القری ومحجهم ومجتمعهم واعظم القری شانا وقیل
لان الارض دحیت من تحتها ولانها مکان اول بیت وضع للناس
وقرا ابو بکر عن عاصم بالیاء ای لینذر الکتاب ومن حولها
اهل الشرق والغرب والذین یؤمنون بالاخرة یؤمنون به وهم على
صلوتهم یحافظون فان من صدق بالاخرة خاف الاخرة ولا یزال الخوف
یحمله على النظر والتدبر حتى یؤمن بالنبی والکتاب والضمیر
یحتملهما ویحافظ على الطاعة وتخصیص الصلوة لانها عماد
الدین وعلم الایمان ومن اظلم ممن افترى على الله کذبا فزعم انه بعثه
نبیا کمسیلمة والاسود العنسی او اختلق علیه احکاما
کعمرو بن لحی ومتابعیه او قال اوحی الی ولم یوح الیه شیء کعبد الله
بن سعد بن ابی سرح کان یکتب لرسول الله صلى الله علیه وسلم
فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طین فلما بلغ قوله
ثم انشاناه خلقا آخر قال عبد الله تبارک الله احسن الخالقین
تعجبا من تفصیل خلق الانسان فقال علیه الصلوة والسلام
اکتبها فکذلک نزلت فشک عبد الله وقال لئن کان محمد
صادقا لقد اوحی الی ولئن کان کاذبا لقد قلت کما قال ومن قال

لحی

کما اوحی الیه

سانزل مثل ما انزل الله کالذین قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو
تری اذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف علیه ای ولو
تری الظالمین فی غمرات الموت شدایده من غمره الماء اذا غشیه
والملائکة باسطوا ایدیهم بقبض ارواحهم کالمتقاضی الملظ او
بالعذاب اخرجوا انفسکم ای یقولون لهم اخرجوها الینا تغلیظا
وتعنیفا علیهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ایدینا
الیوم یرید به وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا
نهایة له تجزون عذاب الهون ای الهوان یرید العذاب المتضمن
لشدة واهانة واضافته الى الهون لعراقته وتمکنه فیه بما کنتم
تقولون على الله غیر الحق کادعاء الولد والشریک له ودعوى النبوة
والوحی کاذبا وکنتم عن آیاته تستکبرون فلا تتاملون فیها ولا
تؤمنون ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى منفردین عن
الاموال والاولاد وسایر ما اثرتموه من الدنیا او عن الاعوان
والاوثان التی زعمتم انها شفعاؤکم وهو جمع فرد والالف
للتانیث ککسالى وقرئ فرادا کرخال وفراد کثلاث وفردى
کسکرى کما خلقناکم اول مرة بدل منه ای على الهیئة التی ولدتم
علیها فی الانفراد او حال ثانیة ان جوز التعدد فیها او حال من
الضمیر فی فرادى ای مشبهین ابتداء خلقکم عراة حفاة غرلا بهما
او صفة مصدر جئتمونا ای مجیئا کخلقنا لکم وترکتم ما خولناکم

المسلط
من اجسادکم

ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم
ما قدمتم منه شيئا ولم تحتملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم
الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اي شركاء الله في ربوبيتكم واستحقاق
عبادتكم لقد تقطع بينكم اي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم
والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل وقيل هو
الظرف اسند اليه الفعل على الاتساع والمعنى وقع التقطع
بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم
بالنصب على اضمار الفعل لدلالة ما قبله عليه او اقيم مقام موصوفه
واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به وضل عنكم ضاع وبطل
ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق
الحب والنوى بالنبات والشجر وقيل المراد به الانشقاق الذي
في الحنطة والنواة يخرج الحي يريد ما ينمو من الحيوان والنبات
ليطابق ما قبله من الميت مما لا ينمو كالنطف والحب ومخرج
الميت من الحي ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم
حملا على فالق الحب فان قوله تعالى يخرج الحي واقع موقع
البيان له ذلكم الله اي ذلكم المحيي المميت هو الذي يحق له
العبادة فانى تؤفكون تصرفون عنه الى غيره فالق الاصباح شاق عمود
الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار او شاق ظلمة الاصباح
وهو الغبش الذي يليه والاصباح في الاصل مصدر اصبح اذا

الفاعل

دخل

دخل في الصبح سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ
فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا يسكن اليه التعب
لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمان اليه استيناسا
به او يسكن فيه الخلق من قوله تعالى لتسكنوا فيه ونصبه بفعل
دل عليه جاعل لا به فانه في معنى الماضي ويدل عليه قراءة الكو
وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق
ولذلك قرئ به او به على ان المراد منه جعل مستمر في الازمنة
المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون والشمس والقمر عطفا
على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما
بجعل مقدرا وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي
مجعولان حسبانا اي على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات ويكونان
على الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان
بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان
ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسير بالحساب
المعلوم تقدير العزيز قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص
العليم بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما وهو الذي
جعل لكم النجوم خلقها لكم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر في
ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة او في
مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو

فيين

علمي

التسيير

الذي

افراد لبعض بينا فيها بالذكر بعدما اجملها بقوله تعالى لكم
قد فصلنا الايات بيناها فصلا فصلا لقوم يعلمون فانهم المنتفعون
وهو الذي انشأكم من نفس واحدة هو ادم عليه الصلوة والسلام
فمستقر ومستودع اى فلكم استقرار في الاصلاب او فوق
الارض واستيداع في الارحام او تحت الارض او موضع
استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريون بكسر القاف
على انه اسم فاعل والمستودع مفعول اى فمنكم قار ومنكم
مستودع لان الاستقرار منا دون الاستيداع قد فصلنا
الايات لقوم يفقهون ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها
ظاهر ومع ذكر تخليق بني ادم يفقهون لان انشاءهم من
نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج
الى استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذي انزل من السماء ماء
من السحاب او من جانب السماء فاخرجنا به على تلوين الخطاب
بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار
القدرة في انبات الانواع المفننة بماء واحد كما في قوله تعالى
يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا
منه من النبات او الماء خضرا شيئا اخضر يقال اخضر وخضر
كاعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب نخرج منه
من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان اى

واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او من النخل شيء من
طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها
بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق
جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب و
ذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية
الجمع المكسر دانية قريبة من المتناول او ملتفة قريب بعضها
من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه و
زيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف على نبات كل شيء وقرئ
بالرفع على الابتداء اى ولكم او ثم جنات او ومن الكرم جنات
ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل والزيتون
والرمان ايضا عطف على نبات او نصب على الاختصاص لعزة
هذين الصنفين عندهم مشتبها وغير متشابه حال من الرمان او
من الجميع اى بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه في الهيئة و
القدر واللون والطعم انظروا الى ثمره اى الى ثمر كل واحد من
ذلك وقرأ حمزة بضم الثاء والميم وهو جمع ثمرة كخشبة و
خشب او ثمار ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يثمر
ضئيلا لا يكاد ينتفع به وينعه والى حال نضجه كيف يعود ضخما
ذا نفع ولذة وهو في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل
يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه ان في ذلكم

والكسائي
جمع

لايات لقوم يؤمنون لايات على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المفننة من اصل واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما يقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه فقال تعالى وجعلوا لله شركاء الجن اى الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله تعالى او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق كل خير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو راى الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء او حال منه وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين وخلقهم حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم عطفا على الجن اى وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اى وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه وخرقوا له افتعلوا وافتروا له وقرئ بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرفوا اى وزوروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله بغير علم من غير ان يعلموا

حقيقة ما قالوا ويروا عليه دليلا وهو فى موضع الحال من الواو او المصدر اى خرقا بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون وهو ان له شريكا او ولدا بديع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدا محذوف او على الابتداء وخبره انى يكون له ولد اى من اين او كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منهما الولد وقرئ بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشان وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم لا يخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفى الاية استدلال على نفى الولد من وجوه الاول ان من مبدعاته السموات والارضون وهى مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبراة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بان يتعالى عنها او الثانى ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفو الوالد ولا كفو له لوجهين الاول ان كل ما عداه مخلوقة فلا يكافيه والثانى انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدا الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه

منهما

وطول

الصفات استحق العبادة **وهو على كل شيء وكيل** اى وهو مع تلك
الصفات متولي اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح
مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها **لا تدركه الابصار** جمع
بصر وهي حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها
واستدل بها المعتزلة على امتناع الروية وهو ضعيف لانه ليس
الادراك مطلق الروية ولا النفي في الآية عاما في الاوقات
فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا في الاشخاص فانه في قوة
قوله لا كل بصر يدركه مع ان النفي لا يوجب الامتناع **وهو يدرك
الابصار** يحيط علمه بها **وهو اللطيف الخبير** فيدرك ما لا يدركه
الابصار كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف اى لا يدركه
الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون
اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا
ينطبع فيها **قد جاءكم بصائر من ربكم** البصائر جمع بصيرة وهي للنفس
كالبصر للبدن سميت به الدلالة لانها تجلي لها الحق وتبصرها **فمن ابصر**
اى ابصر الحق وآمن به **فلنفسه** ابصر لان نفعه لها **ومن عمي** عن الحق
وضل **فعليها** وباله **وما انا عليكم بحفيظ** وانما انا منذر والله هو الحفيظ
عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان
الرسول صلى الله عليه وسلم **وكذلك نصرف الآيات** ومثل ذلك
التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من

لا يحيط به م

الصرف وهو نقل الشيء من حال الى حال **وليقولوا درست** اى صرفنا و
اللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو
دارست اى دارست اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر و
يعقوب درست من الدروس اى قدمت هذه الآيات وعفت
كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة في
درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت
ودارست بمعنى درست او دارست اليهود محمدا وجاز اضمارهم
بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن اى عفون ودرس اى
درس محمد صلى الله عليه وسلم ودارسات اى قديمات او
ذات درس كقوله عيشة راضية **ولنبينه** اللام على اصله لان
التبيين مقصود التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى
او للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر **لقوم يعلمون**
فانهم المنتفعون به **اتبع ما اوحي اليك من ربك** بالتدين به **لا اله الا
هو** اعتراض اكد به ايجاب الاتباع او حال مؤكدة من ربك بمعنى
منفردا في الالوهية **واعرض عن المشركين** ولا تحتفل باقوالهم
ولا تلتفت الى آرائهم ومن جعله منسوخا باية السيف حمل
الاعراض على ما يعم الكف عنهم **ولو شاء الله** توحيدهم وعدم
اشراكهم **ما اشركوا** وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر
فان مراده واجب الوقوع **وما جعلناك عليهم حفيظا** رقيبا **وما**

او ليقولوا درست م

لا تحتفل

انت عليهم بوكيل تقوم بامورهم ولا تسبوا الذين يدعون من
دون الله اي لا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبايح
فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بغير علم على جهالة
بالله وبما يجب ان يذكر به وقرا يعقوب عدوا يقال عدا
فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روي انه عليه الصلوة
والسلام كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا
او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها
فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله وفيه دليل على ان الطاعة
اذا ادت الى معصية راجحة وجبت تركها فان ما يودي الى الشر
شر كذلك زينا لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه
ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر
وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين الله تعالى
لهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة
عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال والداعي
لهم الى هذا القسم والتاكيد فيه التحكم على الرسول عليه الصلوة
والسلام في طلب الايات واستحقار ما راوا منها لئن جاءتهم آية من
مقترحاتهم ليومنن بها قل انما الايات عند الله هو قادر عليها يظهر
منها ما يشاء وليس شيء منها بقدرتي وارادتي وما يشعركم وما
يدريكم استفهام انكار انها اي الاية المقترحة اذا جاءت لا يومنون

تعالى ص

سب ص

التهكم

اي

اي لا تدرون انهم لا يومنون انكر السبب مبالغة في نفي المسبب
وفيه تنبيه على انه تعالى انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا
يومنون بها وقيل لا مزيدة وقيل ان بمعنى لعل اذ قرئ لعلها
وقرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم ويعقوب انها
بالكسر كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بما علم
منهم والخطاب للمومنين فانهم يتمنون مجيء الاية طمعا في
ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرا حمزة وابن عامر لا تومنون
بالتاء وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم فيكون انكارا
لهم على حلفهم اي وما يشعرهم ان قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة
كما كانت عند نزول القران وغيره من الايات فيومنون بها
ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يومنون وما يشعركم
انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم
فلا يبصرونه فلا يومنون بها كما لم يومنوا به اي بما انزل من الايات
اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون وندعهم متحيرين لا نهديهم
هداية المومنين وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على
البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما اقترحوا فقالوا لولا
انزل علينا الملائكة فاتوا بآبائنا او تاتي بالله والملائكة قبيلا
وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل اي كفلاء بما بشروا به وانذروا او

جمع قبيل الذى هو جمع قبيلة بمعنى جماعات او مصدر بمعنى
مقابلة كقبلا وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال
من كل وانما جاز ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم
القضاء بالكفر الا ان يشاء الله استثناء من اعم الاحوال اى لا يؤمنون
فى حال الا حال مشيئة ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على
المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون انهم لو اتوا بكل آية لا يؤمنون فيقسمون
بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى
اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم او لكن اكثر المسلمين يجهلون
انهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعا فى ايمانهم وكذلك
جعلنا لكل نبى عدوا اى كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبى سبقك
عدوا وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه
شياطين الانس والجن مردة الفريقين وهو بدل من عدوا او
اول مفعولى جعلنا وعدوا مفعوله الثانى ولكل متعلق به او
حال منه يوحى بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الانس الى شياطين
الجن الى بعض او بعض الانس الى بعض زخرف القول الاباطيل
المموهة من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول له او مصدر فى موضع
الحال ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه اى ما فعلوا ذلك يعنى معاداة
الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء او
الزخرف او الغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون

اللهم

الجن
الانس او بعض ص

وكفرهم ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على
غرورا ان جعل علة او متعلق بمحذوف اى وليكون ذلك جعلنا
لكل نبى عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة
او لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون او لام الامر وضعفه
اظهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير فى فعلوه وليرضوه
لانفسهم وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون من الآثام افغير الله
ابتغى حكما على ارادة القول اى قل لهم يا محمد افغير الله من يحكم
بينى وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغى و
حكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما ابلغ ولذلك لا يوصف به
غير العادل وهو الذى انزل اليكم الكتاب القرآن المعجز مفصلا
مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفى التخليط والالتباس و
فيه تنبيه على ان القرآن باعجازه وتقريره مغن عن سائر
الآيات والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق
تأييد لدلالة الاعجاز على ان القرآن حق منزل من عند الله تعالى
يعلم اهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع انه عليه الصلوة
والسلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم
بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بادنى تأمل
وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن
عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين فى انهم يعلمون ذلك

اطلب ص

من حاكم ص

تأكيد

نافع و ص

او في انه منزل بجحود اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج
كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين او خطاب الرسول خطاب
الامة وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة لما تعاضدت
على صحته فلا ينبغي لاحد ان يمترى فيه وتمت كلمات ربك
بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده صدقا في الاخبار
والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز
والحال والمفعول له لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا منها بما هو
اصدق او اعدل او لا احد يقدر ان يحرفها شائعا ذائعا كما فعل
بالتورية على ان المراد بها القرآن فيكون ضمانا لها من الله تعالى
بالحفظ لقوله تعالى وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها
ينسخها ويبدل احكامها وقراء الكوفيون ويعقوب كلمة ربك
اى ما تكلم به او القرآن وهو السميع لما يقولون العليم بما
يضمرون فلا يهملهم وان تطع اكثر من في الارض اى اكثر الناس
يريد الكفار او الجهال او اتباع الهوى وقيل الارض مكة يضلوك
عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه فان الضال في غالب الامر
لا يامر الا بما فيه ضلال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان آباءهم
كانوا على الحق وجهالاتهم وآراءهم الفاسدة فان الظن يطلق
على ما يقابل العلم وان هم الا يخرصون يكذبون على الله فيما ينسبون
اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل

فلا تمترن [margin]

ارض مكة [margin]

الميتة وتحريم البحائر او يقدرون انهم على شيء وحقيقة الخرص
ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو
اعلم بالمهتدين اى اعلم بالفريقين ومن موصولة او موصوفة
في محل النصب بفعل دل عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب
الظاهر في مثل ذلك او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر
يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر او مجرورة باضافة اعلم
اليه اى اعلم المضلين من قوله تعالى من يضلل الله او من اضللته
اذا وجدته ضالا والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه
التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا
مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون
الحلال ويحلون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا
مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف انفه ان كنتم بآياته مؤمنين
فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله واجتناب ما حرمه
وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه اى غرض لكم في ان تتحرجوا
عن اكله وما يمنعكم عنه وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله
حرمت عليكم الميتة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل على
البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرم على البناء للفاعل
الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة وان
كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال قرأ الكوفيون بضم

وقُرِئ من يُضَل اي يضله الله فتكون من منصوبة بالفعل المقدر [margin]

بها [margin]

الياء والباقون بالفتح باهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تعلق
بدليل يفيد العلم هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق الى الباطل و
الحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او ما
بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان
ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكسبون
ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية
عمدا او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد مثله وقال مالك
والشافعي بخلافه لقوله عليه الصلوة والسلم ذبيحة المسلم حلال
وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان
واوله بالميتة او بما ذكر غير اسم الله عليه لقوله تعالى وانه لفسق
فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذي دل
عليه لا تاكلوا وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم
من الكفار ليجادلوكم بقولهم تاكلون مما قتلتم انتم وجوارحكم
وتدعون ما قتله الله وهو يؤيد التاويل بالميتة وان اطعتموهم
في استحلال ما حرم انكم لمشركون فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره
واتبعه في دينه فقد اشرك وانما حسن حذف الفاء فيه لان
الشرط بلفظ الماضي اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا
يمشي به في الناس مثل به من هداه الله وانقذه من الضلال وجعل
له نور الحجج والآيات يتامل بها في الاشياء فيميز بين الحق والباطل

ان يكون م

الله م

والمحق والمبطل وقرأ نافع ويعقوب ميتا على الاصل كمن مثله صفته
وهو مبتدأ خبره في الظلمات وقوله تعالى ليس بخارج منها حال من
المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على
الضلالة لا يفارقها بحال كذلك كما زين للمؤمنين ايمانهم زين
للكافرين ما كانوا يعملون والآية نزلت في حمزة وابي جهل وقيل
في عمر او عمار وابي جهل وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر
مجرميها ليمكروا فيها اي كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها
وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول
الثاني او في كل قرية اكابر ومجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا
اليه ان فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه
الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وتخصيص الاكابر
لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم وما يمكرون الا بانفسهم
لان وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم آية قالوا لن
نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني كفار قريش لما روي ان
ابا جهل قال زاحمنا بني عبد مناف حتى اذا صرنا كفرسي رهان
قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان يأتينا وحي كما
يأتيه فنزلت الله اعلم حيث يجعل رسالته استئناف للرد عليهم بان
النبوة ليست بالنسب والمال وانما هي بفضائل نفسانية يخص الله
بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من علم انه يصلح لها وهو اعلم

جعلنا في كل قرية
اكابر مجرميها ليمكروا
فيها م
التفضيل

المكان الذي فيه يضعها وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته
سيصيب الذين اجرموا صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله
يوم القيمة وقيل تقديره من عند الله وعذاب شديد بما كانوا
يمكرون بسبب مكرهم او جزاء على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه
يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام
فيتسع له وينفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة
للحق مهياة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه
اشار عليه الصلوة والسلام حين سئل عنه فقيل نور يقذفه الله
في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة يعرف
بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور و
الاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا
حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرأ ابن كثير
ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر اي
شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء
شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان
صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان
الايمان يمتنع عنه كما يمتنع عنه الصعود وقيل معناه كانما
يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه واصل
يصعد وقد قرئ به وقرأ ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد

يفسح
امارة
الهرب
يتصعد م

يعني

يعني يتصاعد كذلك اي كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق
يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب او الخذلان عليهم
فوضع الظاهر موقع الضمير للتعليل وهذا اشارة الى البيان الذي
جاء به القران او الى الاسلام او الى ما سبق من التوفيق والخذلان
صراط ربك الطريق الذي ارتضيه او عادته وطريقه الذي
اقتضته حكمته مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال
مؤكدة كقوله تعالى وهو الحق مصدقا او مقيدة والعامل
فيها معنى الاشارة قد فصلنا الايات لقوم يذكرون فيعلمون ان
القادر هو الله وان كل ما يحدث من خير او شر فهو بقضائه وخلقه
وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام
دار اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من المكاره او
دار تحيتهم فيها عند ربهم في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره
وهو وليهم مواليهم او ناصرهم بما كانوا يعملون بسبب متوليهم
بجزائها فيتولى ايصاله اليهم ويوم نحشرهم جميعا نصب باضمار
اذكر او نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرأ حفص عن عاصم
وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن يعني الشياطين قد استكثرتم
من الانس اي من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم
فحشر معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وقال اولياؤهم من
الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس

موضع
الله م
سلام م
اعمالهم او م

بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها والجن بالانس
بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم
كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس
اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا
اي البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى
وتكذيب البعث وتحسر على حالهم قال النار مثويكم منزلكم او ذات ثواكم
خالدين فيها حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مكانا الا ما شاء الله الا

حملا مصدرا ومعنى الاستثناء ... م

الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل ما شاء قبل الدخول
كانه قيل النار مثويكم ابدا الا ما امهلكم ان ربك حكيم في افعاله عليم باعمال
الثقلين واحوالهم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا نكل بعضهم الى
بعض او يجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او اولياء بعض وقرناءهم

لكن م

كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي يا معشر الجن و
الانس الم ياتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة لما جمعوا مع الجن في
الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان يخرج من

واللؤلؤ والمرجان م

الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين
رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم لقوله تعالى
ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم اياتي وينذرونكم لقاء يومكم
هذا يعني يوم القيمة قالوا جوابا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان
وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب وغرتهم الحيوة الدنيا

اعا

وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذم لهم على سوء نظرهم
وخطا رايهم فانهم اغتروا بالحيوة الدنيوية واللذات المخدجة
واعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى
الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا

حالهم

للسامعين من مثل حالهم ذلك اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر
مبتدا محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها
غافلون تعليل الحكم وان مصدرية او مخففة من الثقيلة اي الامر
ذلك لانتفاء كون ربك او لان الشان لم يكن ربك مهلك اهل
القرى بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون
لم ينبهوا برسول او بدل من ذلك ولكل من المكلفين درجات

ينتبهوا

مراتب مما عملوا من اعمالهم او من جزائها او من اجلها وما ربك بغافل
عما يعملون فيخفى عليه عمل او قدر ما يستحق به من ثواب او عقاب
وقرا ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغني

ابن

عن العباد والعبادة ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم
ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما سبق ذكره من الارسال
ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتاسيس لما بعده وهو قوله تعالى
ان يشا يذهبكم اي ما به اليكم ان يشاء يذهبكم ايها العصاة ويستخلف

حاجة م

من بعدكم ما يشاء من الخلق كما انشاكم من ذرية قوم آخرين اي قرنا بعد
قرن لكنه ابقاكم ترحما عليكم انما توعدون من البعث واحواله لآت لكائن

لامحالة وما انتم بمعجزين طالبكم به قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم
واستطاعتكم يقال مكن مكانك اذا تمكن ابلغ التمكن او على ناحيتكم و
جهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرأ
ابو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع في كل القران وهو امر تهديد و
المعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم انى عامل ما كنت عليه من المصابرة
والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كان
المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يفضي اليه و
تسجيل بان المهدد لا يأتي منه الا الشر كالمأمور به لا يقدر ان يتقضى
عنه فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ان جعل من استفهامية
بمعنى اينا يكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله تعالى لها هذه الدار
فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعل خبرية فالنصب
بتعلمون اي فسوف تعرفون الذي يكون له العاقبة وفيه مع
الانذار انصاف في المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق
المنذر بانه محق وقرأ حمزة والكسائي يكون لان تأنيث العاقبة غير
حقيقي انه لا يفلح الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين لانه اعم
واكثر فائدة وجعلوا اي مشركوا العرب لله مما ذرأ اي خلق من الحرث و
الانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم
فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم روي انهم كانوا يعينون
شيئا من حرث ونتاج لله تعالى ويصرفونه الى الضيفان والمساكين

مكانة

عليه

بالياء ٢

وشيئا منهما لآلهتهم وينفقونها على سدنتها ويذبحون عندها ثم
ان رأوا ما عينوا لله ازكى بدلوه بما لآلهتهم وان رأوا ما عينوا لآلهتهم
ازكى تركوه حبا لآلهتهم وفي قوله تعالى مما ذرأ تنبيه على فرط
جهالتهم فانهم اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه
عليه بان جعلوا الزاكي له وفي قوله تعالى بزعمهم تنبيه على ان
ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله به وقرأ الكسائي بالضم في الموضعين
وهو لغة فيه وقد جاء الكسر فيه ايضا كالود ساء ما يحكمون حكمهم
هذا وكذلك ومثل ذلك التزيين في قسمة القربان زين لكثير من المشركين
قتل اولادهم بالوأد ونحرهم لآلهتهم شركاؤهم من الجن او من السدنة
وهو فاعل زين وقرأ ابن عامر زين على البناء للمفعول الذي هو
القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا
بينهما بمفعوله وهو ضعيف بالعربية معدود من ضرورات الشعر كقوله
فزججتها بمزجة زج القلوص ابي مزادة وقرئ بالبناء للمفعول
وجر اولادهم ورفع شركائهم باضمار فعل دل عليه زين ليردوهم
ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا ما كانوا عليه
من دين اسمعيل او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل
ان كان التزيين من الشيطان وللعاقبة ان كان من السدنة ولو
شاء الله ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم او الشركاء التزيين او
الفريقان جميع ذلك فذرهم وما يفترون افتراءهم او ما يفترونه

من الافك وقالوا هذه اشارة الى ما جعل للآلهة انعام وحرث حجر حجر بالضم وحرج اي ضيق لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء بزعمهم من غير حجة وانعام حرمت ظهورها يعني البحائر والسوائب والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل لا يحجون على ظهورها افتراء عليه نصب على المصدر لان ما قالوه تقول على الله والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة له او على المفعول له او الحال والجار متعلق به او بالمحذوف سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه او بدله وقالوا ما في بطون هذه الانعام يعني اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا حلال للذكور خاصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله تعالى وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والاناث فيه سواء وتانيث الخالصة للمعنى فان ما في معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم في رواية ابي بكر وابن عامر في تكن بالتاء وخالفه وهو ابن كثير في ميتة لغيرهم او التاء فيه للمبالغة كراوية الشعر وهو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في لذكورنا ولا من الذكور لانها لا تتقدم على العامل المعنوي ولا على صاحبه المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصه بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من

حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقرئ

الحال او

نصب

الخالص

الي

ماو

ما او مبتدأ ثان والمراد به ما ولد حيا والتذكير في فيه لان المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الذكر سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم والتحليل من قوله وتصف السنتهم الكذب انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون البنات مخافة السبي والفقر وقرأ ابن كثير وابن عامر قتّلوا بالتشديد بمعنى التكثير بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله رازق اولادهم لا هم ويجوز نصبه على الحال او المصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر ونحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه المذكورة في مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب وهو الذي انشأ جنات من الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات ما نبت في البراري والجبال والنخل والزرع مختلفا اكله ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية والضمير للزرع والثاني مقيس عليه او للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعض افرادهما في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك

ماكان

الباقي

من ثمره

يينع بعد وقيل فايدته رخصة المالك في الاكل قبل اداء حق الله
وآتوا حقه يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد
لا الزكوة المقدرة فانها فرضت بالمدينة والآية مكية وقيل
الزكوة والآية مدنية والامر باتيانها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ
حتى لا يوخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك
لا بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي حِصاد بكسر
الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا في التصدق كقوله تعالى ولا
تبسطها كل البسط انه لا يحب المسرفين لا يرتضي فعلهم ومن الانعام
حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشأ من الانعام ما يحمل الاثقال
وما يفرش للذبح او وما يفرش المنسوج من شعره وصوفه و
وبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض مثل
الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا ما احل لكم منها ولا
تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم
انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج بدل من حمولة و
فرشا او مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما او فعل دل عليه
او حال من ما بمعنى مختلفة او متعددة والزوج ما معه آخر من
جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول من الضان اثنين
زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان
على الابتداء والضان اسم جنس كالابل وجمعه ضئين او جمع ضائن

منه

كناجر

كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه ومن المعز اثنين
التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب
بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب او حارس وحرس وقرئ المعزى
قل آالذكرين ذكر الضان وذكر المعز حرم ام الانثيين ام انثييهما و
نصب الذكرين والانثيين بحرم اما اشتملت عليه ارحام الانثيين
او ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان او انثى نبئوني بعلم بامر معلوم
يدل على ان الله تعالى حرم شيئا ان كنتم صادقين في دعوى التحريم عليه
ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آالذكرين حرم ام الانثيين
اما اشتملت عليه ارحام الانثيين كما سبق والمعنى انكار ان الله
حرم من الاجناس الاربعة ذكرا او انثى او ما يحمل اناثها ردا عليهم
فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة زاعمين ان الله تعالى
حرمها ام كنتم شهداء بل اكنتم حاضرين شاهدين اذ وصيكم الله بهذا
حين وصيكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم
الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون
لذلك او عمرو بن لحي الموسوس له ليضل الناس بغير علم ان الله
لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحي الي اي في القرآن او فيما
اوحي الي مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى
محرما طعاما محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان يكون

وصحب م

وانا نهانا تارة واولادها كيف كانت تارة م

الموسوس

الطعام ميتة وقراءة ابن كثير وحمزة بالتاء لتانيث الخبر وقرأ
ابن عامر بالتاء ورفع ميتة على ان كان هي التامة وقوله تعالى
او دما مسفوحا عطف على انْ مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة
او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم لا كالكبد والطحال او لحم
خنزير فانه رجس فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة
او خبيث مُخبث او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل
اُهِلَّ لغير الله به صفة له موضحة وانما سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقا
لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له من اهل وهو
عطف على يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن
في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى تناول شيء من ذلك
غير باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم
لا يؤاخذه والآية محكمة لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحي اليه الى تلك
الغاية محرما غير هذه وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر
فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل
الاشياء غيرها الا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا حرمنا كل
ذي ظفر كل ما له اصبع كالابل والسباع والطيور وقيل كل ذي
مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم
التحريم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى
والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما الا ما علقت بظهورهما

تكون م
ابن
في العروق
على م

او الحوايا او ما اشتمل على الامعاء جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء
وقواصع او حوية كسفينة وسفائن وقيل هو عطف على شحومهما
واو بمعنى الواو او ما اختلط بعظم هو شحم الالية لاتصالها
بالعصعص ذلك التحريم او الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم
وانا لصادقون في الاخبار والوعد والوعيد فان كذبوك فقل
ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بامهاله فانه
لا يهمل ولا يرد باسه عن القوم المجرمين حين ينزل او ذو رحمة
واسعة للمطيعين وذو باس شديد للمجرمين فاقام مقامه ولا يرد
باسه لتضمنه التنبيه على انزال الباس عليهم مع الدلالة على انه
لازب بهم لا يملك رده عنهم سيقول الذين اشركوا اخبار عن
مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه لو شاء الله ما اشركنا و
لا آباؤنا ولا حرمنا من شيء اي لو شاء خلاف ذلك مشيئة
ارتضاء كقوله تعالى فلو شاء لهديكم اجمعين لما فعلنا نحن ولا اباؤنا
ارادوا بذلك انهم على الحق المشروع المرضي لا الاعتذار عن
ارتكاب هذه القبائح بارادة الله تعالى اياها منهم حتى ينهض
ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله تعالى كذلك كذب
الذين من قبلهم اي مثل هذا التكذيب لك في ان الله تعالى منع من الشرك
ولم يحرم ما حرموه كذب الذين من قبلهم الرسل وعطف اباؤنا على الضمير
في اشركنا من غير تاكيد للفصل بلا حتى ذاقوا باسنا الذي انزلنا

كقاصعاء
لعصعص
يكن
عند الله م

عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به
على ما زعمتم فتخرجوه لنا فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن
ما تتبعون في ذلك الا الظن وان انتم الا تخرصون تكذبون على
الله تعالى وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما في الاصول ولعل
ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الآية فيه قل فلله الحجة البالغة
البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات او
بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهي من الحج بمعنى القصد كانها تقصد
اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء لهداكم اجمعين بالتوفيق لها و
الحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين قل هلم شهداءكم
احضروهم وهلم اسم فعل لا يتصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث
ويجمع عند بني تميم واصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد
حذفت الالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين
هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها الى اللام وهو بعيد لان
هل لا يدخل الامر ويكون متعديا كما في الآية ولازما كقوله تعالى
هلم الينا الذين يشهدون ان الله حرم هذا يعني قدوتهم فيه
استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه
لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة و
وصفهم بما يقتضي العهد بهم فان شهدوا فلا تشهد معهم فلا تصدقهم
فيه وبين لهم فساده فان تسليمه موافقة لهم في الشهادة الباطلة

فيه

ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع المظهر للدلالة على ان
مكذب الآيات متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا
مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الاوثان وهم
بربهم يعدلون يجعلون له عديلا قل تعالوا امر من التعالي واصله
ان يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم اتل
اقرأ ما حرم ربكم منصوب باتل وما يحتمل الخبرية والمصدرية
ويجوز ان تكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول
اتل لانه بمعنى اقل اي شيء حرم ربكم عليكم متعلق بحرم او اتل
الا تشركوا به اي لا تشركوا ليصح عطف الامر عليه ولا يمنعه تعليق
المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى اضدادها
ومن جعل ان ناصبة فمحلها النصب بعليكم على انه للاغراء او
بالبدل من ما او من عائده المحذوف على ان لا زائدة او الجر بتقدير
اللام او الرفع على تقدير المتلو ان لا تشركوا او المحرم ان تشركوا
شيئا يحتمل المصدر والمفعول وبالوالدين احسانا اي احسنوا بهم
احسانا وضعه موضع النهي عن الاساءة اليهما للمبالغة والدلالة
على ان ترك الاساءة في شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا
اولادكم من املاق من اجل فقر ومن خشيته كقوله تعالى خشية
املاق نحن نرزقكم واياهم منع لموجبية ما كانوا يفعلون لاجله و
احتجاج عليه ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب او الزنا ما ظهر

المظهر موضع

الفعل

احتجاج

منها وما بطن بدل منه وهو مثل قوله تعالى ظاهر الاثم وباطنه ولا
تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق كالقود وقتل المرتد ورجم
المحصن ذلكم اشارة الى ما ذكره مفصلا وصيكم به بحفظه لعلكم
تعقلون ترشدون فان كمال العقل هو الرشد ولا تقربوا مال
اليتيم الا بالتي هي احسن الا بالفعلة التي هي احسن ما يفعل بماله
كحفظه وتثميره حتى يبلغ اشده حتى يصير بالغا وهو جمع شدة
كنعمة وانعم او شد كصر واصر وقيل مفرد كآنك واوفوا الكيل
والميزان بالقسط بالعدل والسوية لا نكلف نفسا الا وسعها
الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء
الحق عسر فعليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم في
حكومة ونحوها فاعدلوا فيه ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له
او عليه من ذوي قرابتكم وبعهد الله اوفوا يعني ما عهد اليكم من
ملازمة العدل وتأدية احكام الشرع ذلكم وصيكم به لعلكم تذكرون
تتعظون به وان هذا صراطي مستقيما الاشارة فيه الى ما ذكر
في السورة فانها باسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان
الشريعة وقرأ حمزة والكسائي ان بالكسر على الاستيناف وابن
عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف والباقون به مشددة بتقدير
اللام على انه علة لقوله تعالى فاتبعوه وقرأ ابن عامر صراطي بفتح
الياء وقرئ وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل

وقرأ حمزة وحفص والكسائي تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع اذا كان بالتاء والباقون بتشديدها

الاديان

الاديان المختلفة او الطرق التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد
ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات فتفرق بكم
فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله الذي هو اتباع الوحي واقتفاء
البرهان ذلكم الاتباع وصيكم به لعلكم تتقون الضلال والتفرق
عن الحق ثم آتينا موسى الكتاب عطف على وصيكم وثم للتراخي في
الاخبار او للتفاوت في الرتبة كانه قيل ذلكم وصيكم به قديما
وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب تماما للكرامة
والنعمة على الذي احسن على من احسن القيام به ويؤيده ان قرئ
على الذين احسنوا او على الذي احسن تبليغه وهو موسى عليه
الصلوة والسلام او تماما على ما احسنه اي اجاده من العلم والشرائع
اي زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف
اي على الذي هو احسن او على الوجه الذي هو احسن ما يكون
عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه
في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر
وهدى ورحمة لعلهم لعل بني اسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون اي بلقائه
للجزاء وهذا كتاب يعني القرآن انزلناه مبارك كثير النفع فاتبعوه
واتقوا لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه ان تقولوا
كراهة ان تقولوا علة لانزلناه انما انزل الكتاب على طائفتين من
قبلنا اليهود والنصارى ولعل الاختصاص في انما لان الباقي المشهور

حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وان كنا ان هي المخففة
ولذلك دخلت اللام الفارقة خبر كان اي وانه كنا عن دراستهم
قراءتهم لغافلين لا ندري ما هي او لا نعرف مثلها او عطف على الاول
تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم لحدة
اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلوم كالقصص
والاشعار والخطب على انا اميون فقد جاءكم بينة من ربكم
حجة واضحة تعرفونها وهدى ورحمة لمن تأمل فيه وعمل به فمن
اظلم ممن كذب بايات الله بعد ان عرف صحتها او تمكن من معرفتها
وصدف اعرض وصد عنها فضل واضل سنجزي الذين يصدفون
عن اياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون باعراضهم او
صدهم هل ينظرون اي ما ينتظرون يعني اهل مكة وهم ما كانوا
منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين
الا ان تاتيهم الملائكة ملائكة الموت او العذاب وقرأ حمزة والكسائي
بالياء هنا وفي النحل او ياتي ربك اي امره بالعذاب او كل اياته
يعني ايات القيمة والهلاك الكلي لقوله تعالى او ياتي بعض ايات
ربك يعني اشراط الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ما تذكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى
تروا قبلها عشر ايات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق و
خسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس

وعن حذيفة والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة

من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونار تخرج من عدن
يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذ صار
الامر عيانا والايمان برهاني وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان
الى ضمير المؤنث لم تكن امنت من قبل صفة نفسا او كسبت في ايمانها
خيرا عطف على امنت والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير
مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها غير كاسبة في ايمانها خيرا وهو
دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم
بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين على
معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى
لا ينفع نفسا ايمانها الذي احدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا
قل انتظروا انا منتظرون وعيد لهم اي انتظروا اتيان احد الثلثة
فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل ان الذين
فرقوا دينهم بددوه وامنوا ببعض وكفروا ببعض وافترقوا فيه قال
عليه الصلوة والسلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة
كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على اثنتين و
سبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي على ثلث
وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وقرأ حمزة والكسائي
فارقوا اي باينوا وكانوا شيعا فرقا تتبع كل فرقة اماما لست
منهم في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم او من عقابهم او انت

هنا وفي الروم

تشيع

برئ منهم وقيل هو نهى عن التعرض لهم وهو منسوخ باية السيف
انما امرهم الى الله يتولى جزاوهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون
بالعقاب من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اى عشر حسنات امثالها
فضلا من الله وقرا يعقوب عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف
وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين و
سبعماية وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون
العدد ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل وهم
لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هدانى ربي
الى صراط مستقيم بالوحي والارشاد الى ما نصب من الحجج دينا بدل
من محل الى صراط اذ المعنى هدانى صراطا كقوله تعالى ويهديكم
صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ قيما فيعل من
قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم
باعتبار الصيغة وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على
انه مصدر نعت به وكان قياسه قوما كعوض فاعل لاعلال فعله
كالقيام ملة ابرهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابرهيم وما
كان من المشركين عطف عليه قل ان صلوتي ونسكي عبادتي كلها
او قرباني او حجي ومحياى ومماتي وما انا عليه في حيوتي واموت عليه
من الايمان والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى
الممات كالوصية والتدبير او الحيات والممات انفسهما وقرا نافع

مستقيما

القايم

ومحياى

ومحياى باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين
لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيره وبذلك القول والاخلاص
امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته
قل اغير الله ابغى ربا فاشركه في عبادتي وهو جواب عن دعائهم
له الى عبادة آلهتهم وهو رب كل شئ حال في موقع العلة للانكار و
الدليل له اى وكل ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية ولا تكسب كل
نفس الا عليها فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك
ولا تزر وازرة وزر اخرى جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل
خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيمة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون
ببيين الرشد من الغى وتمييز المحق من المبطل وهو الذي جعلكم
خلايف الارض يخلف بعضكم بعضا او خلفاء الله في ارضه
تتصرفون فيها على ان الخطاب عام او خلفاء الامم السالفة على ان
الخطاب للمؤمنين ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف و
الغنى ليبلوكم فيما آتيكم من الجاه والمال ان ربك سريع العقاب لان ما هو
آت قريب او لانه يسرع اذا اراده وانه لغفور رحيم وصف العقاب
ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف
بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى غفور
رحيم بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة
مسامح فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت على سورة

ماسواه م

الانعام جملة واحدة ويشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح
والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون
الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مائتان وست آيات وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم المص سبق الكلام في مثله كتاب
خبر محذوف اي هو كتاب او خبر المص والمراد به السورة او القرآن
انزل اليك صفته فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك فان الشك
حرج الصدر او ضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر
في القيام بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا ارينك ههنا
والفاء يحتمل العطف والجواب فكانه قيل اذا انزل اليك لتنذر
فلا يحرج صدرك منه لتنذر به متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا
ايقن انه من عند الله جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم او علم انه موفق
بتبليغه وتعليم وذكرى للمؤمنين يحتمل النصب باضمار فعلها اي لتنذر
وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل لتنذر والرفع
عطفا على كتاب او خبر المحذوف اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم
يعم القرآن والسنة لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى
ولا تتبعوا من دونه اولياء يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير في

للقيام م

من دونه

من دونه لما انزل اي ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء و
لا تبتغوا قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون حيث
تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتأكيد القلة وان
جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرأ حمزة و
الكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر
يتذكرون على ان الخطاب بعد مع النبي صلى الله عليه وسلم
وكم من قرية وكثيرا من القرى قرية اهلكناها اردنا اهلاك اهلها
او اهلكناها بالخذلان فجاءها اهلها بأسنا عذابنا بياتا بائتين
كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال او هم قائلون عطف عليه
اي قائلين نصف النهار كقوم شعيب عليه السلام وانما حذفت واو الحال
لاجتماع حرفي عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير
فانه غير فصيح وفي التعبير مبالغة في غفلتهم وامنهم من العذاب
ولذلك خص الوقتين لانهما وقتا دعة واستراحة فيكون مجيء
العذاب فيهما افظع فما كان دعواهم اي دعاؤهم واستغاثتهم
او ما كانوا يدعونه من دينهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا
ظالمين الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه
فلنسألن الذين ارسل اليهم عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل
ولنسألن المرسلين عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ
الكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله تعالى ولا يسأل عن ذنوبهم

قرية م
قليلا م
استقلالا م
فانما واو عطف م
وتحزنا م

المجرمون سؤال الاستعلام او الاول في موقف الحساب و
الثاني عند حصولهم على العقوبة فلنقصن عليهم على الرسل
حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل و
المرسل اليهم ما كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم
او بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم فيخفى علينا شيء من احوالهم
والوزن اى القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء و
الجمهور على ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان
ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم
عن اعمالهم فتعترف بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده
ما روى ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون
سجلا كل سجل مد البصر فتخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة و
يوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات
وثقلت البطاقة وقيل يوزن الاشخاص لما روى عنه عليه الصلوة
والسلام انه ليأتي العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله تعالى
جناح بعوضة يومئذ خبر المبتداء الذى هو الوزن الحق صفته
او خبر محذوف ومعناه العدل السوي فمن ثقلت موازينه حسناته
او ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد
الوزن فهو جمع موزون او ميزان فاولئك هم المفلحون الفائزون
بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم

بتضييع الفطرة السليمة التى فطرت عليها واقتراف ما عرضها
للعذاب بما كانوا بآياتنا يظلمون فيكذبون بدل التصديق
ولقد مكناكم في الارض اى مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف
فيها وجعلنا لكم فيها معايش اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن
نافع انه همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف قليلا ما تشكرون
فيما صنعت اليكم ولقد خلقناكم ثم صورناكم اى خلقنا اباكم آدم
طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل
وتصويره او ابتدانا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا آدم ثم صورناه
ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وقيل ثم قلنا لتاخير الاخبار فسجدوا
الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لآدم عليه الصلوة والسلام
قال ما منعك ان لا تسجد اى ان تسجد ولا صلة مثلها في لئلا يعلم
موكدة معنى الفعل الذى دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه
ترك السجود وقيل الممنوع من الشيء مضطر الى خلافه فكانه
قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك دليل على ان مطلق الامر
للوجوب والفور قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استئناف
استبعاد لان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله كانه قال المانع
انى خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن
ان يؤمر به فهو الذى سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين
اولا خلقتني من نار وخلقته من طين وقد غلط في ذلك بان راى

عرضهم

بهاء

مصور

مثلها

الى

على

تعليل لفضله عليه

الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما
اشار اليه بقوله مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدى اى بغير
واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من
روحى فقعوا له ساجدين وهو باعتبار الغاية وهو ملاك ولذ
لك امر الملائكة بسجوده لما بين انه اعلم منهم وان له خواص
ليست لغيره والآية دليل الكون والفساد وان الشياطين اجسام
كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى
النار باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط منها من السماء او الجنة فما
يكون لك فما يصح لك ان تتكبر فيها وتعصى فانها مكان الخاشع المطيع
وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما
طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه فاخرج انك من الصاغرين
ممن اهانه الله تعالى لتكبره قال انظرني الى يوم يبعثون امهلنى الى
يوم القيمة فلا تمتنى او لا تعجل عقوبتى قال انك من المنظرين يقتضى
الاجابة الى ما ساله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله تعالى
الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت يعلم الله
تعالى انتهاء اجله فيه وفى اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم
بمخالفته قال فبما اغويتنى لاقعدن لهم اى بعد ان امهلتنى لاجتهدن
فى اغوائهم باى طريق يمكننى بسبب اغوائك اياى بواسطتهم
تسمية او حملا على الغى او تكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة

لهم م

فانها مكان الخاشع المطيع م

قال النبي صلى الله عليه وسلم من تواضع رفعه الله ومن تكبر وضعه الله م

للثواب م

بفعل القسم المحذوف لا بلاقعدن فان اللام يصد عنه وقيل الباء
للقسم لاقعدن لهم ترصدا لهم كما يقعد القطاع للسابلة صراطك
المستقيم طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله كما عسل
الطريق الثعلب وقيل تقديره على صراطك المستقيم كقولهم
ضرب زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم
وعن ايمانهم وعن شمائلهم اى من جميع الجهات مثل قصده اياهم
بالتسويل والاضلال من اى وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات
الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من
فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش
وعن ابن عباس رضى الله عنهما من بين ايديهم من قبل الاخرة ومن
خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وشمائلهم من جهة حسناتهم
وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث لا يعلمون ولا
يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا
ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى
الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الاخرين
بحرف المجاوزة فان الآتى منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره
قولهم جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين مطيعين وانما قاله
ظنا لقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما راى فيهم مبدأ
الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة قال اخرج

[illegible] العدو

من حيث يعلمون ويقدرون التحرز عنه ومن خلفهم م

منها مذءوما من ذأمه اذا ذمّه وقرئ مذوما كمسول فى مسئول او
كمكول فى مكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك
منهم واللام فيه لتوطية القسم وجوابه لاملأن جهنم منكم اجمعين
وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن بكسر اللام على انه خبر
لاملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملأن
جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب ويا
آدم اى وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث
شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذى وهو الاصل لتصغيره
والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين فتصيرا من الذين ظلموا
انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب
فوسوس لهما الشيطان اى فعل الوسوسة لاجلهما وهى فى الاصل
الصوت الخفى كالهينمة ومنه وسوس الحلى فقد سبق فى البقرة
كيفية وسوسته ليبدى لهما ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض
على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتهما
ولذلك عبر عنهما بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة فى
الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن فى الطباع ما ووري عنهما من سوآتهما
ما غطى عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما
من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة فى المشهور كما قلبت
فى اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف

الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو
الساكنة فيها وقال ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا
الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون
او يخلدون فى الجنة واستدل به على فضل الملائكة على الانبياء
وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما
فى ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء
عن الاكل والشرب وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا وقاسمهما انى لكما
لمن الناصحين اى اقسم لهما على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة
وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين
فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدليهما بغرور فنزلهما الى الاكل
من الشجرة نبه به على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى
رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشئ من اعلى الى
اسفل بغروره بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف
بالله كاذبا او ملتبسين بغروره فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما
اى فلما وجدا طعمها آخذين فى الاكل منها اخذتهما العقوبة
فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف فى
ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا
او حللا او ظفرا وطفقا يخصفان اخذا يرقعان ويلزقان ورقة
فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان

اى يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف ويخصّفان واصله

يختصفان وناديهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان

الشيطان لكما عدو مبين عتاب على مخالفة النهى وتوبيخ على

الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهى للتحريم قالا

ربنا ظلمنا انفسنا ضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج

عن الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين على دليل

ان الصغاير معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز العقوبة

عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة

المقربين فى استعظام الصغاير من السيآت واستحقار العظيم

من الحسنات قال اهبطوا الخطاب لآدم وحوا وذريتهما او لهما

ولابليس لانه كرر الامر له تبعًا ليعلم انهم قرناء ابدًا او اخبر عما قال لهم متفرقًا

بعضكم لبعض عدو فى موضع الحال اى متعادين ولكم فى الارض مستقر

استقرار او موضع استقرار ومتاع وتمتع الى حين الى ان تقضى

آجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء

يا بنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا اى خلقناه لكم بتدبيرات سماوية

واسباب نازلة ونظيره قوله تعالى وانزل لكم من الانعام وقوله

تعالى وانزلنا الحديد يوارى سوآتكم التى قصد الشيطان ابداءها

ويغنيكم عن خصف الورق ويغنيكم روى ان العرب كانوا يطوفون

بالبيت عراة ويقولون لا نطوف فى ثياب عصينا الله فيها فنزلت

الكبائر صح

كذا ح

قرا حمزة والكسائى وابن ذكوان وفيها تخرجون وفى الزخرف وكذلك تخرجون صح

ولعله ذكر قصة آدم عليه الصلوة والسلام تقدمة لذلك حتى

يعلم ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من الشيطان

وانه اغواهم فى ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا يتجملون

به والريش الجمال وقيل مالا ومنه ترّيش الرجل اذا تمول وقرى

رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى خشية الله

تعالى وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب و

رفعه بالابتداء وخبره ذلك خير او خبر وذلك صفته كانه قال

ولباس التقوى المشار اليه خير وقرا نافع وابن عامر والكسائى

ولباس بالنصب عطفا على لباسا ذلك اى انزال اللباس من آيات

الله الدالة على فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او

يتعظون فيتورعون عن القبايح يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان

لا يمتحننكم بان يمنعكم دخول الجنة باغوايكم كما اخرج ابويكم

من الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها والنهى فى اللفظ للشيطان

والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما

انه يريكم حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب

هو وقبيله من حيث لا ترونهم تعليل للنهى وتاكيد للتحذير من فتنته

وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم فى الجملة لا يقتضى

امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون

بما اوجدنا بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم

لعلهم

لباسهما صح

انه يريكم صح

وحملهم ما سولا لهم والاية مقصود القصة وفذلكة الحكاية
واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم و
كشف العورة في الطواف قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها
اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الاباء والافتراء على الله تع
فاعرض عن الاول لظهور فساده ورد الثاني بقوله تعالى قل
ان الله لا يامر بالفحشاء لان عادته جرت على الامر بمحاسن الافعا
والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى
ترتب الذم عليه اجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه
الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا
سوالين مترتبين كانه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا
عليه اباءنا فقيل ومن اين اخذ اباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى
الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا اتقولون
على الله ما لا تعلمون انكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله تعالى قل
امر ربي بالقسط بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافي عن طرفي
الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين
غير عادلين الى غيرها واقيموها نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت
سجود او مكانه وهو الصلوة اي في اي مسجد حضرتكم الصلوة لا
توخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين
له الدين اي الطاعة فان اليه مصيركم كما بداكم كما انشاكم ابتداء تعودون

علي ما سولوا

ل

عليها

اعراف

بالاعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا
لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بداكم حفاة عراة غرلا تعودون اليه
وقيل كما بداكم مومنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم
للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه
بفعل يفسره ما بعده اي وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء
من دون الله تعليل لخذلانهم او تحقيق لضلالتهم ويحسبون انهم
مهتدون يدل على ان الكافر المخطي والمعاند سواء في استحقاق الذم
وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر يابني ادم خذوا زينتكم
ثيابكم لمواراة عورتكم عند كل مسجد لطواف او صلوة ومن
السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئة للصلوة وفيه دليل على وجوب
ستر العورة في الصلوة وكلوا واشربوا ما طاب لكم روي ان بني
عامر في ايام حجهم لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما
يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم
الحلال او بالتعدي الى الحرام او بافراط الطعام والشره عليه وعن
ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك
خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد جمع الله تع
الطب في نصف اية كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين
اي لا يرتضي فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وسائر ما يتجمل به
التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير

من التراب تعودون اليه وقيل كما بداكم م

لا المخطي م

فقال م

الحيوان

والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق المستلذات
من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس
وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في من للانكار قل هي
للذين آمنوا في الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع
خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرأ
نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون اي
كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم قل انما حرم ربي الفواحش
ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن جهرها
وسرها والاثم وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر
~~والاثم وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر~~ والبغي
الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة بغير الحق متعلق بالبغي مؤكد
له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين و
تنبيه على تحريم ما لم يدل عليه برهان وان تقولوا ما لا تعلمون
بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم الله امرنا بها ولكل
امة اجل مدة او وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة
فاذا جاء اجلهم انقرضت مدتهم او حان وقتهم لا يستأخرون ساعة
ولا يستقدمون اي لا يتأخرون ولا يتقدمون اقصر وقت او لا
يطلبون التأخر والتقدم لشدة الهول يا بني آدم اما يأتينكم
رسل منكم يقصون عليكم آياتي شرط ذكر حرف الشك للتنبيه على

تهكم

على الله م

ان

اعراف

ان اتيان الزكوة امر جائز غير واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت
اليها ما لتأكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه فمن
اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا
واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والمعنى
فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم والذين كذبوا بآياتنا منكم و
وادخال الفاء في الخبر الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد و
المسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته
ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من
الكتاب مما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح
المحفوظ اي مما اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم اي
يتوفون ارواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية نيلهم وهي
التي يبتدأ بعدها الكلام قالوا جواب اذا اين ما كنتم تدعون من دون الله
اين الآلهة الذين كنتم تعبدونها وما وصلت باين في خط المصحف
وحقها الفصل لانها موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا
على انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا ضالون فيما كانوا عليه
قال ادخلوا اي قال الله لهم يوم القيمة او احد من الملائكة بامره
في امم قد خلت من قبلكم اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم من
الجن والانس يعني كفار الامم الماضية من النوعين في النار متعلق
بادخلوا كلما دخلت امة اي في النار لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء

الرسل

ايما

موصولة

بانهم كانوا ضالين م

يوم القيمة م

بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اى تداركوا وتلاحقوا فى النار
قالت اخريهم دخولا او منزلة وهو الاتباع لاوليهم اى لاجل
اوليهم اذ الخطاب مع الله تعالى لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنّوا
لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم
ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم
واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون ما لكم او ما لكل فريق
وقرأ عاصم بالياء على الانفصال وقالت اوليهم لاخريهم فما كان
لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله تعالى لاخراهم
ورتبوه عليه اى فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم
متساوون فى الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم
تكسبون من قول القادة او من قول الفريقين ان الذين كذبوا
باياتنا واستكبروا عنها اى عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء
لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم كما تفتح لاعمال وارواح المؤمنين
وارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء فى تفتح لتانيث الابواب
والتشديد لكثرتها وقرأ ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائى
به وبالياء لان التانيث غير حقيقى والفعل مقدم وقرئ على البناء
للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل للايات وبالياء على
ان الفعل لله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط
اى حتى يدخل ما هو مثل فى عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل فى

بروايه ابى بكر

قرأ نافع بالتاء

ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف
عليه وقرئ الجمّل كالقمّل والجمل كالنغر والجمل كالنصب
والجمل كالحبل وهى الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة
وسم بالضم والكسر وفى سم المخيط وهو والخياط ما يخاط به كالحزام
والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزى المجرمين
لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية والتنوين فيه
للبدل عن الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواشٌ
على الغاء المحذوف وكذلك نجزى الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة
وبالظالمين تارة اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الايات اتصفوا
بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم
مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام والذين آمنوا
وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة
هم فيها خالدون على عادته سبحانه وتعالى فى ان يشفع الوعد
بالوعيد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدا والخبر
للترغيب فى اكتساب النعيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم و
قرئ لا تكلف نفس ونزعنا ما فى صدورهم من غل اى نخرج من قلوبهم
اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد و
عن على رضى الله عنه انى لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة
والزبير منهم تجرى من تحتهم الانهار زيادة فى لذتهم وسرورهم

والجمل كالقفل
هو

مع

جرى

المقيم

وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي
لولا ان هدانا الله لولا هداية الله وتوفيقه وقرأ ابن عامر ما كنا
بغير واو على انها مبينة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا
بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه يقينا في
الدنيا صار لهم عين اليقين في الآخرة ونودوا ان تلكم الجنة
اذا راوها من بعيد او بعد دخولها والمنادي له بالذات اورثتموها
بما كنتم تعملون اي اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة
والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم وان في المواقع
الخمسة هي المخففة او المفسرة لان المناداة والتأذين من القول
ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا
حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا انما قالوا تبجحا بحالهم وشماتة
باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا
لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا وعده بهم كالبعث
والحساب ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقرأ الكسائي بكسر العين وهما
لغتان فاذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم بين الفريقين ان لعنة
الله على الظالمين وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي انّ لعنة الله
بالتشديد والنصب وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء اذّن
مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة للظالمين مقررة او
ذم مرفوع او منصوب ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما هو عليه

واللام لتوكيد النفي وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله

والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم تكن منتصبة وبالفتح
في المنتصبة كالحائط والرمح وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب
اي بين الفريقين لقوله تعالى فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار
ليمنع وصول اثر احديهما الى الاخرى وعلى الاعراف اي وعلى اعراف
الحجاب اي اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار
من عرف الفرس وقيل العُرْفُ ما ارتفع من الشيء فانه يكون بظهوره
اعرف من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون
بين الجنة والنار حتى يقضي الله تعالى فيهم ما يشاء وقيل قوم
علت درجاتهم كالانبياء والشهداء او خيار المؤمنين وعلمائهم او
ملائكة يُرَوْنَ في صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة والنار
بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجه وسواده
فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم على القلب
كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة
ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي اذا نظروا اليهم سلموا عليهم
لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو على الوجه الاول ومن الاصحاب
على الوجوه واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا نعوذ بالله
ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار ونادى اصحاب الاعراف
رجالا يَعْرِفُونَهُم بسيماهُمْ من رؤساء الكفرة قالوا ما اغنى عنكم
جمعكم كثرتكم او جمعكم المال وما كنتم تستكبرون عن الحق او على الخلق

وقرئ تستكثرون من الكثرة اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة
من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت
الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون ان الله تعالى لا يدخلهم الجنة
ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون اى فالتفتوا الى اصحاب
الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو اوفق للوجوه الاخيرة او فقيل لاصحاب
الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين
وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا بعض الملائكة اهؤلاء الذين اقسمتم
وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستيناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا
لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء
اى صبوه وهو دليل على ان الجنة فوق النار ~~من الماء~~ او مما
رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الطعام كقوله
علفتها تبنا وماء باردا قالوا ان الله حرمهما على الكافرين منعهما
عنهم منع المحرم عن المكلف الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم
البحيرة والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف
به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به وغرتهم الحيوة الدنيا
فاليوم ننسيهم نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار كما نسوا لقاء
يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم ولم يعدوا له وما كانوا بآياتنا يجحدون وكما
كانوا منكرين انها من عند الله ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم
بيّنا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة على علم عالمين

وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله او م

يستعدوا

بوجه

بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلمه او
مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضّلناه اى على ساير
الكتب عالمين بانه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال
من الهاء هل ينظرون هل ينتظرون الا تاويله الا ما يؤول اليه
امره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يوم يأتي
تاويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي قد جاءت رسل
ربنا بالحق اى قد تبين انهم جاؤا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا
لنا اليوم او نرد او هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على
فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسئول احد الامرين
وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد وهو
الرد فنعمل غير الذي كنا نعمل جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع
اى فنحن نعمل قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم في الكفر وضل عنهم
ما كانوا يفترون بطل عنهم ولم ينفعهم ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام اى في ستة اوقات كقوله تعالى ومن يولهم
يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف لليوم زمان طلوع
الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع
القدرة على ايجاده دفعة دليل الاختيار واعتبار للنظار وحث
على التأني في الامور ثم استوى على العرش استوى امره او استولى
وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف والمعنى انه

له تعالى الاستواء على الوجه الذى عناه منزها عن الاستقرار و
التمكن والعرش الجسم المحيط بساير الاجسام سمى به لارتفاعه
او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه و
قيل الملك يغشي الليل النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم
به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرى يغشى الليلُ النهارَ برفع
النهار ونصب الليل وقرا حمزة والكسايى ويعقوب وابو بكر
عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة على التكرير يطلبه
حثيثا يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شئ والحثيث
فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى
حاثا او المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات
بامره بقضايه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب
مسخرات على الحال وقرا ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر
الا له الخلق والامر فانه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين
تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق
الاية والله تعالى اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم
ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذى له
الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير
حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله تع
فقضيهن سبع سموات في يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية

فخلق

فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيات المختلفة ثم قسمها
بصور نوعية متضادة الاثار والافعال واشار اليه بقوله
خلق الارض في يومين ثم انشا انواع المواليد الثلثة بتركيب
موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله تعالى خلق
الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها
وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام ثم لما تم له عالم الملك عمد الى
تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من
السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير
الليالى والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقدير ونتيجته فقال
تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه
لا يحب المعتدين المجاوزين ما امروا به في الدعاء وغيره نبه على ان
الداعي ينبغي ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود
الى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي
صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء
ان يقول اللهم انى اسالك الجنة وما قرب اليها واعوذ بك من النار
وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرا انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا
في الارض بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبياء عليهم الصلوة
والسلام وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا ذوى خوف من الرد
لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع في اجابته تفضلا واحسانا

لفرط رحمته **ان رحمة الله قريب من المحسنين** ترجيح للطمع وتنبيه على
ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه
صفة محذوف اى امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذى بمعنى
مفعول او الذى هو مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب من
النسب والقريب من غيره **وهو الذى يرسل الرياح** وقرا ابن كثير
وحمزة والكسائى الريح على الوحدة **نشرا** جمع نشور بمعنى ناشر
وقرا ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائى نَشرا
بفتح النون حيث وقع على انه مصدر فى موقع الحال بمعنى ناشرات
او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا
وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرى به وبَشرا بفتح الباء
مصدر بشره بمعنى باشرات او للبشارة وبشرى **بين يدى رحمته**
قدام رحمته يعنى المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه
والجنوب تدره والدبور تفرقه **حتى اذا اقلت** اى حملت واشتقاقه
من القلة فان المقل للشئ يستقله **سحابا ثقالا** بالماء جمعه لان
السحاب بمعنى السحائب **سقناه** اى السحاب وافراد الضمير باعتبار
اللفظ **لبلد ميت** لاجله او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت **فانزلنا به
الماء** بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح وكذلك **فاخرجنا به**
يحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق فى الاول
والظرفية فى الثانى واذا كان لغيره فهى للسببية **من كل الثمرات**

الترحم
والضغيب آواز حمار
ناشرات
ابن كثير وابن عامر وابو بكر
فيهما

من كل انواعها **كذلك نخرج الموتى** الاشارة فيه الى اخراج الثمرات
او الى احياء البلد الميت اى كما نحييه باحداث القوة النامية
فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث
ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى
والحواس **لعلكم تذكرون** فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا
والبلد الطيب الارض الكريمة التربة **يخرج نباته باذن ربه** بمشيئته
وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه
لانه اوقعه فى مقابلة **والذى خبث** اى كالحرة والسبخة **لا يخرج
الا نكدا** قليلا عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام والبلد
الذى خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يُخرِج اى يُخرج البلد
فيكون الا نكدا ونكدا بالاسكان للتخفيف **كذلك نصرف
الآيات** نرددها ونكررها **لقوم يشكرون** نعمة الله تعالى فيتفكرون
فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع
اليها راسا ولم يتاثر بها **لقد ارسلنا نوحا الى قومه** جواب قسم
محذوف ولا يكاد يطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع
فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح بن
لملك بن متوشلخ بن ادريس اول نبى بعده بعث وهو ابن
خمسين سنة او اربعين **فقال يا قوم اعبدوا الله** اى اعبدوه

الحرة
مفعولا او نكدا على المصدر اى ذا نكد
لمك

وحده لقوله تعالى ما لكم من اله غيره وقرا الكسائي غيره بالكسر على
اللفظ وقرئ بالنصب على الاستثناء انى اخاف عليكم عذاب يوم
عظيم ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعي الى عبادته واليوم
يوم القيمة او يوم نزول الطوفان قال الملأ من قومه اى الاشراف
فانهم يملئون العيون رواء انا لنريك فى ضلال زوال عن الحق
مبين بين قال يا قوم ليس بى ضلالة اى شيء من الضلال بالغ فى
النفى كما بالغوا فى الاثبات وعرض لهم به ولكنى رسول من رب
العالمين استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى كانه
قال ولكنى على هدى فى الغاية لانى رسول من الله ابلغكم رسالات
ربى وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون صفات لرسولا او استيناف
ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرا ابو عمرو ابلغكم
بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها
كالعقايد والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحى اليه والى
الانبياء قبله كصحف شيث وادريس وزيادة اللام فى لكم
للدلالة على امحاض النصح لهم وفى اعلم من الله تقريب لما اوعدهم
به فان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه او من جهته بالوحى
اشياء لا علم لكم بها اوعجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على
محذوف اى اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم ذكر من ربكم
رسالة او موعظة على رجل على لسان رجل منكم من جملتكم او من جنسكم

فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله
لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى اباينا الاولين لينذركم
عاقبة الكفر والمعاصى ولتتقوا منهما بسبب الانذار ولعلكم
ترحمون بالتقوى وفايدة حرف الترجى التنبيه على ان التقوى
غير موجب والترحم من الله تعالى تفضل وان المتقى ينبغى ان لا يعتمد
على تقواه ولا يامن من عذاب الله تعالى فكذبوه فانجيناه والذين
معه وهم من آمن به وكانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل
تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به فى الفلك متعلق
بمعه او بانجينا او حال من الموصول او الضمير فى معه واغرقنا الذين
كذبوا باياتنا بالطوفان انهم كانوا قوما عمين عمى القلوب غير
مستبصرين واصله عميين فخفف وقرئ عامين والاول ابلغ
لدلالته على الثبات والى عاد اخاهم عطف على نوحا الى قومه هودا
عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب فانه
هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن
سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام ابن عم ابى
عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله وارغب فى
اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره استانف به ولم
يعطف كانه جواب سائل قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك
جوابهم افلا تتقون عذاب الله تعالى وكان قومه كانوا اقرب

بن نوح ٣

من قوم نوح ولذلك قال الملاء الذين كفروا من قومه انكار من اشرافهم من آمن به لمرثد بن سعد انا لنريك في سفاهة متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين قومك وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم به سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين واذكروا اذ جعلكم خلفاء اي في مساكنهم او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك الارض من رمل عالج الى بحر عمان خوفهم من عقاب الله تعالى ثم ذكرهم بانعامه من بعد قوم نوح قامة وقوة وزادكم في الخلق بسطة وهو تعميم بعد تخصيص فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكرها الى شكرها المودي الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا استبعدوا اختصاص الله تعالى بالعبادة والاعراض عما اشرك به آباؤهم انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه ومعنى المجيء في اجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل فيه عن قومه او من السماء على التهكم او القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبني فاتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله تعالى افلا تتقون ان كنت من الصادقين

فيه قال قد وقع عليكم قد وجب او حق عليكم او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب ارادة انتقام اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان اي في اشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية او نصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقيق المسمى واسناد الاطلاق الى من لا يؤبه به بقوله اظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على ان الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله تعالى بها سلطانا وضعفهما ظاهر فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد نزول العذاب اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين برحمة منا عليهم وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا اي استاصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض بمن آمن منهم وتنبيه على ان الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان روي انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله تعالى اليهم هودا عليه الصلوة والسلام فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله تعالى القطر عنهم ثلث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله تعالى

الفرج فجهز واليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين من اعيانهم
وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم
معاوية بن بكر فلما قدموا اليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم
وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر و
تغنيهم الجرادتان قينتان له فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا
له اهمه ذلك واستحيى ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل
مقامهم فعلم القينتين الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا
غماما فيسقي ارض عاد قد امسوا ما يبينون الكلاما حتى غنتا به
فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن
ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه
عنا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم
دخلوا مكة فقال القيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله تعالى
سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا
قيل اختر لنفسك وقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن
ماء فخرجت على عاد من وادي المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا
عارض ممطرنا فجاءهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون
معه فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا **والى ثمود** قبيلة اخرى من العرب
سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل سموا به لقلة
مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتأويل الحي وباعتبار

[هامش: ان عاد ارم — اسق م — عاد ثمود م]

[هامش: اعراف]

الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى **اخاهم**
صالحا صالح بن عبيد بن آسف بن ماشخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم
معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي وقوله تعالى **هذه ناقة الله**
لكم آية استيناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى
الاشارة ولكم بيان لمن هي آية له ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا
او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها
ولانها جاءت من عند الله بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك
كانت آية **فذروها تاكل في ارض الله** العشب **ولا تمسوها بسوء** نهي
عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة
في الامر وازاحة للعذر **فياخذكم عذاب اليم** جواب للنهي **واذكروا اذ**
جعلكم خلفاء من بعد عاد وبواكم في الارض ارض الحجر **تتخذون من سهولها**
قصورا اي تبنون في سهولها او من سهولة الارض بما تعملون منها
كاللبن والآجر **وتنحتون الجبال بيوتا** وقرئ تنحتون بالفتح و
تنحاتون بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة او المفعول
على ان التقدير بيوتا من الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون **فاذكروا**
آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا
من قومه عن الايمان **للذين استضعفوا** اي للذين استضعفوهم و
استذلوهم **لمن آمن منهم** بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان

المضمر لقوهه وبدل البعض ان كان للذين وقراء ابن عامر وقال الملاء
اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على الاستهزاء قالوا انا بما ارسل
به مومنون عدلوا به عن الجواب السوى الذى هو نعم تنبيها على
ان ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذى راى و
انما الكلام فيمن آمن به ومن كفر ولذلك قال قال الذين استكبروا انا
بالذى آمنتم به كافرون على المقابلة ووضعوا آمنتم به موضع ارسل به
رد الما جعلوه معلوما مسلما فعقروا الناقة فنحروها اسند الى جميعهم
فعل بعضهم للملابسة او لانه كان برضاهم وعتوا عن امر ربهم
واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح بقوله تعالى فذروها و
قالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة
فاصبحوا فى دارهم جاثمين خامدين ميتين لا يتحركون موتى روى انهم
بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفى
بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا فى خصب وسعة فعتوا
وافسدوا فى الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم
فانذرهم وسالوه اية فقال اية اية تريدون قالوا اخرج معنا
الى عيدنا فتدعو الهك وندعو الهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم
فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة
منفردة يقال لها الكاثبة وقال له اخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة
جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت

بالواو م

الزلزلة م

اخرج

عشراء

ذلك

ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض
النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما
وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها فى العظم فآمن به جندع
فى جماعة ومنع من الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب
اوثانهم ورباب بن كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر
وترد الماء غبا فما ترفع راسها من البير حتى تشرب كل ما فيها ثم
تتفحج فيحلبون ما شاءوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون
وكانت تصيف بظهر الوادى فتهرب منها انعامهم الى بطنه
وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم و
زينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار بعد ما
فذبحها فقال صالح يصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة
واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات
طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة
اليوم الرابع تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من
السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم
رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ظاهره ان توليه
عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما
خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر وقال انا
وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على

ولتصدقن م

صمعن وكان م

اى تنفرج من جلبها م

تنتج

فعقروها واقتسموا
لحمها فرقى سقبها
جبلا اسمه قارة
فرغا ثلثا فقال
صالح لهم ادركوا
الفصيل عسى ان
يدفع عنكم العذاب
فلم تقدروا عليه
اذ نفجت الصخرة

سبيل التحسر عليهم ولوطا اى وارسلنا لوطا اذ قال لقومه وقت قوله
لهم او واذكر لوطا واذ بدل منهم أتأتون الفاحشة توبيخ وتقريع
على تلك الفعلة المتمادية فى القبح ما سبقكم بها من احد من العالمين
ما فعلها قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن الاولى لتاكيد النفى و
الاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استيناف مقررة للانكار
كانه وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوء إئنكم
لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله تعالى أتأتون
الفاحشة وهو ابلغ فى الانكار والتوبيخ وقرأ نافع وحفص إنكم
على الاستيناف وشهوة مفعول له او مصدر فى موقع الحال وفى
التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغى ان
يكون الداعى له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر
بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التى
ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهى اعتياد الاسراف فى كل شئ او عن الانكار
عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه
بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم
من قريتكم اى ما جاؤا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه بالامر
باخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم انهم اناس
يتطهرون اى من الفواحش فانجيناه واهله اى من آمن به الا امرأته
واهله فانها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين من الذين بقوا فى ديارهم

فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا عليهم مطرا اى نوعا من المطر
عجيبا وهو مبين بقوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر
كيف كان عاقبة المجرمين روى ان لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر
مع عمه ابرهيم الى الشام نزل بالاردن فارسله الله تعالى الى اهل
سدوم ليدعوهم الى الله تعالى وينهيهم عما اخترعوه من الفاحشة
ولم ينتهوا عنه فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين
منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم والى مدين اخاهم شعيبا اى وارسلنا
اليهم وهم اولاد مدين بن ابرهيم وشعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين
وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم يريد المعجزة التى كانت له و
ليس فى القرآن انها ما هى وما روى من محاربة عصا موسى التنين وولادة الغنم
التى دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع
عصا آدم على يده فى المرات ويحتمل ان يكون كرامة لموسى عليه السلام
او ارهاصا لنبوته فاوفوا الكيل اى آلة الكيل لقوله تعالى والميزان كما
قال فى سورة هود على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش
على المعاش او الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان مصدرا
كالميعاد ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم وانما
قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير
والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه ولا

تفسدوا في الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها او اهلها الانبياء واتباعهم بالشرايع او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة في بل مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط توعدون بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا راوا احدا يسعى في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتننك عن دينك ويوعدون من آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله من آمن به اي بالله تعالى او بكل صراط على الاول ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه في موقع الحال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم او عُددكم فكثركم بالبركة في النسل او المال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم قبلكم واعتبروا بهم وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا

اي ما يتحدث به الناس صح

فتربصوا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم من القرية او عودكم في الكفر وشعيب لم يكن في ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجري الجواب في قوله تع قال اولو كنا كارهين اي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او اتعيدوننا في حال كراهتنا قد افترينا على الله كذبا قد اختلقنا عليه كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه من الحال اي قد افترينا الآن ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل انه جواب قسم وتقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا وما يصح لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر بمشيئة الله تعالى وقيل اراد به حسم اطماعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل شيء علما اي احاط علمه بكل شيء مما كان ومما يكون منا ومنكم على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم بيننا

والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف
ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت
خير الفاتحين على المعنيين وقال الملاء الذين كفروا لئن اتبعتم شعيبا
وتركتم دينكم انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم ضلالته بهداكم او
لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد جواب
الشرط والقسم الموطأ باللام فاخذتهم الرجفة الزلزلة وفي سورة
الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت في مباديها فاصبحوا في دارهم
جاثمين اي في مدينتهم الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كان لم
يغنوا فيها اي استؤصلوا كان لم يقيموا والمغنى المنزل الذين كذبوا
شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما
زعموا فانهم الرابحون في الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه
كرر الموصول واستانف بالجملتين واتى بهما اسميتين فتولى عنهم
وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله تاسفا بهم
لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف آسى على قوم كافرين
ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا
عن عدم حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت
وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى وقرئ
فكيف ايسى بامالتين وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء
والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون كي يتضرعوا ويتذللوا

ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء
والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين حتى عفوا كثروا
عددا وعددا يقال عفا النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحى وقالوا
قد مس آباءنا الضراء والسراء كفرانا لنعمة الله تعالى ونسيانا لذكره
واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء
وقد مس اباءنا منه مثل ما مسنا فاخذناهم بغتة فجاة وهم لا يشعرون
بنزول العذاب ولو ان اهل القرى يعني القرى المدلول عليه بقوله
وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها آمنوا واتقوا مكان
كفرهم وعصيانهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا
عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات و
قرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا
يكسبون من الكفر والمعاصي افامن اهل القرى عطف على قوله فاخذناهم
بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك
امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا تبييتا او وقت بيات او
مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجي
بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم
البارز او المستتر في بياتا او امن اهل القرى وقرأ ابن كثير ونافع
وابن عامر بالسكون على الترديد ان ياتيهم باسنا ضحى يلهون
ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشيء اذا ارتفعت وهم يلعبون

من فرط الغفلة او لا يشتغلون بما لا ينفعهم افأمنوا مكر الله اي أمن
اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث
لا يحتسب فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون الذين خسروا
بالكفر وترك النظر والاعتبار اولم يهد للذين يرثون الارض
من بعد اهلها اي يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدي
يهد باللام لانه بمعنى يتبين ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم اي ان
الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبناهم بجزاء ذنوبهم
كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرأه بالنون جعله مفعولا
ونطبع على قلوبهم عطف على ما دل عليه اولم يهد اي يغفلون عن
الهداية او منقطع عنه بمعنى وطبعنا لانه في سياق جواب لولا
لافضائه الى نفي الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار
تلك القرى يعني القرى الامم المار ذكرهم نقص عليك من انبائها حال
ان جعل القرى خبرا ويكون افادته بالتقييد بها وخبر ان جعلت صفة
ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اي نقص بعض انبائها
ولها انباء غيرها لا نقصها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات
فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل بما كذبوه من قبل
الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا مدة
عمرهم المتطاولة والايات المتتابعة واللام لتأكيد النفي والدلالة
على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر والطبع

يسمعون صح

قبلهم

ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم

على قلوبهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فلا تلين شكيمتهم
بالايات والنذر وما وجدنا لاكثرهم لاكثر الناس والاية اعتراض او
لاكثر الامم المذكورين من عهد وفاء عهد فان اكثرهم نقضوا ما
عهد الله اليهم في الايمان والتقوى بانزال الايات ونصب الحجج او ما
عهدوا اليه حين كانوا في ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه
لنكونن من الشاكرين وان وجدنا اكثرهم اي علمناهم لفاسقين من
وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة و
ذلك لا يجوز الا في المبتدأ والخبر والافعال الداخلة عليهما وعند
الكوفيين ان للنفي واللام بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير
للرسل في قوله تعالى ولقد جاءتهم رسلهم او للامم باياتنا يعني المعجزات
الى فرعون وملائه فظلموا بها بان كفروا بها مكان الايمان الذي هو
من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون
لقب لمن ملك مصر ككسرى لملك فارس وكان اسمه قابوس و
قيل الوليد بن مصعب بن ريان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين و
قال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين اليك وقوله تعالى حقيق
على ان لا اقول على الله الا الحق لعله جواب لتكذيبه اياه في دعوى الرسالة
وانما لم يذكره لدلالة قوله تعالى فظلموا بها عليها وكان اصله حقيق علي
ان لا اقول كما قرأ نافع فقلب لامن الالباس كقوله وتشقى الرماح
بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف

نصب صح

صفة رسول او خبر بعد خبر اي انا عليه

بالصدق والمعنى على انه حق واجب على القول الحق ان اكون
انا قائله لا يرضى الا مثلى ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او
وضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس
وجيت على حالة حسناء ويويده قراءة ابى بالباء وقرى حقيق
على ان لا اقول قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معى بنى اسرائيل
فخلهم حتى يرجعوا الى الارض المقدسة التى هى وطن آبايهم وكان
قد استعبدهم واستخدمهم فى الاعمال قال ان كنت جئت بآية
من عند من ارسلك فات بها فاحضرها عندى ليثبت بها صدقك
ان كنت من الصادقين فى الدعوى فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين
ظاهر امره لا يشك فى انه ثعبان وهو الحية العظيمة روى انه
لما القيها صار ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع
لحيه الاسفل والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون
فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم
خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون يا موسى انشدك بالذى
ارسلك خذه وانا اومن بك فارسل معك بنى اسرائيل فاخذه فعاد
عصا ونزع يده من جيبه او من تحت ابطه فاذا هى بيضاء للناظرين اى
بيضاء بياضا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظارة او بيضاء
للنظار لا انها كانت بيضاء فى جبلتها روى انه آدم شديد الادمة
فادخل يده فى جيبه او تحت ابطه فاذا هى بيضاء نورانية غلب

معي

على الارض م

كان م
ثم نزعها

شعاعها شعاع الشمس قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم
قيل قاله هو واشراف قومه على سبيل التشاور فى امره فحكى
عنه فى سورة الشعراء وعنهم ههنا يريد ان يخرجكم من ارضكم
فماذا تأمرون تشيرون فى ان نفعل قالوا ارجه واخاه وارسل فى
المداين حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم كانه اتفقت عليه آراؤهم
فاشاروا به الى فرعون والارجاء التاخير اى اخر امره واصله ارجئه
كما قرا ابو عمرو وابو بكر ويعقوب من ارجأت وكذلك ارجئهو
على قراءة ابن كثير على الاصل فى الضمير او ارجهى من ارجيت كما قرأه
نافع فى رواية ورش واسمعيل والكسائى واما قراءته فى رواية
قالون ارجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها واما قراءة حمزة و
حفص ارجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل رجه
كابل فى اسكان وسطه واما قراءة ابن عامر ارجئه بالهمز وكسر الهاء
فلا يرتضيه النحاة فان الهاء لا يكسر الا اذا كان قبلها كسرة او ياء ساكنة
ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت مجريها وقرأ حمزة
والكسائى بكل سحار فيه وفى يونس ويويده اتفاقهم عليه فى الشعراء
وجاء السحرة فرعون بعد ما ارسل الشرط فى طلبهم قالوا ان لنا لاجرا
ان كنا نحن الغالبين استانف به كانه جواب سايل قال ما قالوا اذ جاءوا
وقرا ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم ان لنا على الاخبار وايجاب
الاجر كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم قال نعم ان لكم لاجرا

وهشام عن ابن عامر

عاصم

وانكم لمن المقربين عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم
قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين خيروا موسى مراعاة
للادب او اظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم في ان يلقوا قبله فنبهوا
عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل
او تاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل ولذلك قال القوا كرما وتسامحا
او ازدراء بهم ووثوقا على شانه فلما القوا سحروا اعين الناس بان خيلوا
اليها ما الحقيقة بخلافه واسترهبوهم اى وارهبوهم ارهابا شديدا
كانهم طلبوا رهبتهم وجاؤا بسحر عظيم في فنه روى انهم القوا حبالا
غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملات الوادي وركب بعضها بعضا
واوحينا الى موسى ان الق عصاك فالقاها فصارت حية فاذا هي تلقف ما
يافكون اى ما يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه
ويجوز ان يكون ما مصدرية وهو مع الفعل بمعنى المفعول روى انها لما
تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا
وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت
فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا وقرا حفص
تلقف هنا وفي طه والشعراء فوقع الحق فثبت لظهور امره وبطل ما كانوا
يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين صاروا مبهوتين
او رجعوا الى المدينة مقهورين والضمير لفرعون وقومه والقى السحرة
ساجدين جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم

الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او ان الله تعالى الهمهم ذلك و
حملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين اراد بهم كسر موسى وينقلب
الامر عليه او مبالغة في سرعة خرورهم وشدته قالوا امنا برب
العالمين رب موسى وهرون ابدل الثاني من الاول لئلا يتوهم انهم
ارادوا به فرعون قال فرعون آمنتم به بالله تعالى او بموسى عليه الصلوة
والسلام والاستفهام فيه للانكار وقرا حمزة والكسائي وابو بكر عن
عاصم وروح عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرا حفص
امنتم به على الاخبار وقرا قنبل قال فرعون وامنتم يبدل في حال
الوصل من همزة الاستفهام واوا مفتوحة ويمد بعدها مدة في تقدير
الفين وقرا في طه على الخبر بهمزة والف وقرا في الشعراء على الاستفهام
بهمزة ومدة مطولة على تقدير الفين وقرا الباقون بتحقيق الهمزة
الاولى وتليين الثانية قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه اى ان هذا
الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسى في المدينة في مصر قبل ان تخرجوا
للميعاد لتخرجوا منها اهلها يعني القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل فسوف
تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم
قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله تعالى للقطاع تعظيما لجرمهم و
لذلك سماه محاربة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولكن على التعاقب لفرط
رحمته قالوا انا الى ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك او

انا المنقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه شوقا الى
لقاء الله تعالى او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما تنكر
منا الا ان آمنا بايات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس
مما يتاتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله تعالى فقالوا ربنا
افرغ علينا صبرا افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا
من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على
الاسلام قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله
تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى
وقومه ليفسدوا في الارض بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك
ويذرك عطف على يفسدوا او جواب للاستفهام بالواو كقول الحطيئة
الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء على معنى ايكون منك
ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على اتذر او
استئناف او حال وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله
تعالى فاصدق واكن وآلهتك معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب و
قيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا
ربكم الاعلى وقرئ الاهتك اي عبادتك قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي
نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا
يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده و
قرأ ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون غالبون وهم

تفرغا علي

عند م

على صورته م

قاهرون

مقهورون

اعراف

مقهورون تحت ايدينا قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا لما
سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم وتقرير للامر بالاستعانة
بالله والتثبت في الامر ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين وعدلهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم
ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام
في الارض يحتمل العهد والجنس قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا من قبل ان تاتينا
بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا باعادته قال عسى ربكم ان يهلك
عدوكم ويستخلفكم في الارض تصريحا لما كنى عنه اولا لما روي انهم لم
يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون
باعيانهم او اولادهم وقد روي ان مصر انما فتح لهم في زمن داود عليه
الصلوة والسلام فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون من شكر وكفران و
طاعة وعصيان ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم ولقد اخذنا آل فرعون
بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام القحط
لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنتت القوم اذا قحطوا
ونقص من الثمرات بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا على ان ذلك
بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا او يرق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا
الى الله ويرغبوا فيما عنده فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة
قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها وان تصبهم سيئة جدب وبلاء
يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا بهم ويقولون ما اصابتنا الا بشؤمهم

تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة بالله والتثبت في الامر م

اسنت

وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة وان الشدائد ترقق
القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الايات
ولم يؤثر فيهم بل زادوا عندها عتوا وانهماكا في الغي وانما عرف
الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة
باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم
القصد بها الا بالتبع الا انما طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم
عنده فانها التي ساقت اليهم ما يسوؤهم وقرئ انما طيرهم وهو اسم الجمع
وقيل هو جمع ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما يصيبهم من الله تعالى او من
شوم اعمالهم وقالوا مهما اصلها ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة
للتاكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذي
يصوت بها الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء او النصب
بفعل يفسره تاتنا به اي اي شيء تحضرنا تاتنا به من آية بيان لمهما وانما
سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا
بها فما نحن لك بمؤمنين اي لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا والضمير
في به وبها لما ذكر قبل التبيين باعتبار اللفظ وانث بعده باعتبار
المعنى فارسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من
مطر وسيل وقيل الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل
قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع
والدم روي انهم مطروا ثلثة ايام في ظلمة شديدة ولا يقدر احد ان يخرج من

لتنكير م

وهو حكمه ومشيته

او سبب شومهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده م

استثقالا لاه م

ثمانية

بيته

بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت
بني اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم تدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم
فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا
لموسى ادع يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت
لهم من الكلاء والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله تعالى عليهم
الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذ تاكل الابواب والسقوف
والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا فخرج الى الصحراء واشار بعصاه
نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها ولم يؤمنوا
فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه وكان يقع في اطعمتهم ويدخل
بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا
تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله تعالى عليهم الضفادع
بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلي منها
مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي وافواههم عند التكلم
ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم
فنقضوا العهد ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى
يجتمع القبطي مع الاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي
ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط عليهم الرعاف
آيات نصب على الحال مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله
ونقمته عليهم او مفصلات لامتحان احوالهم اذ كان بين كل آيتين منها

لنا ربك م

فاقاموا شهرا م

فلم

الجراد م

شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل ان موسى لبث فيهم بعدما غلب
السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا عن الايمان وكانوا
قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز يعني العذاب المفصل او الطاعون ارسله الله
عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك بعهده عندك و
هو النبوة او بالذي عهده اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك في آياتك
وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما
عهد عندك او قسم مجاب بقوله تعالى لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك و
لنرسلن معك بني اسرائيل اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الرجز لنؤمنن
ولنرسلن فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه
فمعذبون فيه او مهلكون وهو وقت الغرق او الموت وقيل الى اجل عينوه
لايمانهم اذا هم ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكث من غير
توقف وتامل فيه فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم في اليم
اي البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجته بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين
اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا
كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله تعالى فانتقمنا
واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بالاستبعاد وذبح الابناء
من مستضعفيهم مشارق الارض ومغاربها يعني ارض الشام ملكها بنو اسرائيل
بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها التي باركنا فيها بالخصب و
سعة العيش وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل ومضت عليهم واتصلت

او متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما طلبت منك بحق ما عهد عندك

وقيل قلزم

بالانجاز عدته اياهم بالنصرة والتمكين وهو قوله تعالى ونريد ان نمن
الى قوله تعالى ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد
بما صبروا بسبب صبرهم على الشدائد ودمرنا وخربنا ما كان يصنع فرعون
وقومه من القصور والعمارات وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا
يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون بالضم
وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله تعالى وجاوزنا ببني اسرائيل
البحر وما بعده ذكر ما احدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعد ان من الله
تعالى عليهم بالنعم الجسام واراهم من الآيات العظام تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم مما راى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن
محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روي ان موسى عليه الصلوة والسلام
عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا فاتوا
على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يقيمون على عبادتها قيل
كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين امر
موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرأ حمزة والكسائي يعكفون بالكسر قالوا
يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة مثالا نعبده كما لهم الهة يعبدونها وما كافة للكاف
قال انكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد ما صدر عنهم بعد
ما راوا من الآيات الكبرى عن العقل ان هؤلاء متبر اشارة الى القوم مكسر مدمر
ما هم فيه وباطل مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها وان قصدوا بها التقرب
الى الله تعالى وانما بالغ في هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عما هم

فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين
خبرا لان للتنبيه على ان الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وانه لاحاط
الكلي لازب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال اغير الله ابغيكم
الها اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين والحال انه خصكم بنعم لم
يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله
اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به اخس
شي من مخلوقاته واذ انجيناكم من آل فرعون واذكروا صنيعه معكم في
هذا الوقت وقرا ابن عامر انجيكم يسومونكم سوء العذاب استيناف لبيان
ما انجاهم او حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما يقتلون ابناءكم
ويستحيون نساءكم بدل منه مبين وقرا نافع يقتلون بفتح الياء واسكان
وضم التاء مخففا وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الانجاء او العذاب
نعمة او محنة عظيمة وواعدنا موسى ثلثين ليلة ذا القعدة وقرا ابو عمرو
ويعقوب ووعدنا واتممناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات ربه اربعين
ليلة بالغا اربعين روي انه عليه الصلوة والسلم وعد بني اسرائيل بمصر ان
ياتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما
هلك سال ربه فامره بصوم ثلثين فلما اتم انكر خلوف فمه فتسوك
فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله
تعالى ان يزيد عليها عشرا وقيل امره بان يتخلى ثلثين بالصوم والعبادة
ثم انزل عليه التورية في العشر وكلمه فيها وقال موسى لاخيه هرون

القاف

من الله م

اخلفني

اعراب

اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب ان يصلح من امورهم
او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك الافساد
ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتنا
واللام للاختصاص اي اختص مجيئه لميقاتنا وكلمه ربه من غير وسط
كما يكلم الملائكة وفيما روي ان موسى كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة
تنبيها على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام المحدثين قال رب
ارني انظر اليك ارني نفسك بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر
اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى جايزة في الجملة لان طلب
المستحيل من الانبياء محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك
رده بقوله تعالى لن تراني دون لن ارى ولن اريك ولن تنظر الي
تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي لم يوجد فيه
بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطاء
اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل
بهم حين قالوا اجعل لنا الها ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال
بالجواب على استحالتها اشد خطاء اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته
اياه على ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على
استحالته ودعوى الضرورة مكابرة او جهالة بحقيقة الرؤية قال
لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني استدراك
يريد ان يبين به انه لا يطيقه وفي تعليق الرؤية بالاستقرار ايضا دليل على الجواز

تنبيه م

سماع م

وان لا يتبع
كما لا يخيه م

فيه م

ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل جبل زبير فلما تجلى ربه
للجبل ظهر له عظمته تعالى وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى له
حيوة ورؤية حتى رآه جعله دكا اى مستوية ومنه ناقة دكا للتى
لا سنام لها وقرئ دكا اى قطعا دكا جمع دكاء وخر موسى صعقا مغشيا
عليه من هول ما رأى فلما افاق قال تعظيما لما رأى سبحانك تبت
اليك من الجرأة والاقدام على السوال بغير اذن وانا اول المؤمنين
مر تفسيره وقيل معناه انا اول من آمن بانك لا ترى فى الدنيا قال يا
موسى انى اصطفيتك اخترتك على الناس اى الموجودين فى زمانك
وهرون عليه السلام وان كان نبيا كان مامورا باتباعه ولم يكن كليما
ولا صاحب شرع برسالاتى يعنى اسفار التورية وقرأ ابن كثير ونافع برسالتى
وبكلامى وبتكليمى اياك فخذ ما آتيتك اعطيتك من الرسالة وكن من
الشاكرين على النعمة فيه روى ان سوال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التورية
يوم النحر وكتبنا له فى الالواح من كل شىء مما يحتاجون اليه من امر الدين
موعظة وتفصيلا لكل شىء بدل من الجار والمجرور اى كتبنا كل شىء من المواعظ
وتفصيل الاحكام واختلف فى ان الالواح كانت عشرة او سبعة وكا
نت من زمرد او زبرجد او ياقوت احمر او صخرة صماء لينها الله لموسى
فقطعها بيده او شققها باصابعه وكان فيها التورية او غيرها فخذها
على اضمار القول عطفا على كتبنا او بدل من قوله تعالى فخذ ما آتيتك و
الهاء للالواح او لكل شىء فانه بمعنى الاشياء او للرسالات بقوة بجد وعزيمة

وأمر قومك يأخذوا باحسنها اى باحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة
الى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الافضل
لقوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم او بواجباتها فان الواجب
احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ فى الحسن مطلقا لا
بالاضافة وهو المامور به كقولهم الصيف احر من الشتاء ساريكم
دار الفاسقين دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها او منازل
عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم فى الآخرة و
هى جهنم وقرئ ساوريكم بمعنى سابين لكم من اوريت الزند وسأورثكم
ويؤيده قوله تعالى واورثنا القوم سأصرف عن آياتى المنصوبة فى
الآفاق والانفس الذين يتكبرون فى الارض بالطبع على قلوبهم فلا
يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا
كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون
اى يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل او حال من فاعله وان يروا
كل آية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم او لاختلال عقلهم بسبب
انهماكهم فى الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول وان يروا سبيل
الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرأ حمزة و
الكسائى الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم و
السقم والسقام وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا
باياتنا وكانوا عنها غافلين اى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم

زبير

لموسى

ومواظبة

اعراف

بواجباتها

للآيات ويجوز أن ينصب ذلك على المصدر أي صرف ذلك الصرف
بسببهما والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة أي ولقائهم الدار الآخرة
أو ما وعد الله في الآخرة حبطت أعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون
إلا ما كانوا يعملون إلا جزاء أعمالهم واتخذ قوم موسى من بعده من بعد
ذهابه للميقات من حليهم التي استعاروا من القبط حين هموا بالخروج
من مصر وإضافتها إليهم لأنها كانت في أيديهم أو ملكوها بعد هلاكهم
وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرأ حمزة والكسائي بالكسر بالإتباع كدلي
ويعقوب على الإفراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم أو جسدا من الذهب
خاليا من الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روي أن السامري
لما صاغ العجل ألقى في فمه من تراب أثر فرس جبريل عليه السلام فصار
حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه ويصوت وإنما نسب
الاتخاذ إليهم وهو فعله إما لأنهم رضوا به أو لأن المراد اتخاذهم إياه
إلها وقرئ جؤار أي صياح ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا
تقريع على فرط ضلالتهم وإخلالهم بالنظر والمعنى ألم يروا حين اتخذوه
إلها أنه لا يقدر على كلام ولا على إرشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا
أنه خالق الأجسام والقوى والقدر اتخذوه تكرير للذم أي اتخذوه إلها
وكانوا ظالمين واضعين الأشياء في غير موضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا
منهم ولما سقط في أيديهم كناية عن اشتداد ندمهم فإن النادم المتحسر
يعض يده غما فيصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على بناء الفاعل بمعنى

عن اشتداد
يعض

وقع

العض

وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم في أنفسهم ورأوا وعلموا أنهم قد
ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بإنزال التوبة ويغفر لنا بالتجاوز
عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين وقرأهما حمزة والكسائي بالتاء وربنا
على النداء ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا شديد الغضب وقيل حزينا
قال بئسما خلفتموني من بعدي فعلتم بعدي حيث عبدتم العجل والخطاب
للعبدة أو قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة والخطاب لهرون عليه السلام و
المؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم
محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي
من بعد انطلاقي أو من بعد ما رأيتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليهما
والكف عما ينافيه أعجلتم أمر ربكم أتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق
فعدي تعديته أو أعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الأربعين و
قدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم وألقى الألواح طرحها
من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية للدين روي أن التوراة كانت
سبعة أسباع في سبعة ألواح فلما ألقاها انكسرت فرفع ستة أسباعها
وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والأحكام وأخذ برأس
أخيه بشعر رأسه يجره إليه توهما بأنه قصر في كفهم وهرون كان أكبر
منه بثلاث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان أحب إلى بني إسرائيل قال
ابن أم ذكر الأم ليرققه عليه وكانا من أب وأم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي
وأبو بكر عن عاصم هنا وفي طه يا ابن أم بالكسر وأصله يا ابن أمي فحذفت الياء

عليه

اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء والباقون بالفتح زيادة
في التخفيف لطوله او تشبيها بخمسة عشر ان القوم استضعفوني
وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي
في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت
بي الاعداء فلا تفعل بي ما يشمتون بي لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين
معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او نسبة التقصير الي قال رب اغفر لي ما صنعت
باخي ولاخي ان فرط في كفهم ضمه الى نفسه في الاستغفار ترضية له
ودفعا للشماتة عنه وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام علينا وانت
ارحم الراحمين فارحم بنا منا على انفسنا ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب
من ربهم وهو ما امرهم به من قتل انفسهم وذلة في الحيوة الدنيا وهي خروجهم
من ديارهم وقيل الجزية وكذلك نجزي المفترين على الله ولا فرية اعظم
من فريتهم هذا الهكم واله موسى ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم
والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات
وآمنوا واشتغلوا بالايمان وما هو مقتضاه من الاعمال الصالحة ان
ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم وان عظم الذنب كجريمة عبدة
العجل وكثر كجرايم بني اسرائيل ولما سكت سكن وقد قرئ به عن موسى
الغضب باعتذار هرون او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة
من حيث انه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغري عليه حتى
عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ سكت واسكت على ان المسكت هو الله

تعالى

كفهم

اعراف

تعالى واخذه او الذين تابوا اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما
نسخ فيها اي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي
من الالواح المكسرة هدى بيان للحق ورحمة ارشاد الى الصلاح والخير
للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام المفعول لضعف الفعل بالتأخير
او حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي الله لربهم
واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل اليه سبعين
رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة روي انه تعالى امره ان ياتيه في
سبعين من بني اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال
ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد
كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل
موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يامره وينهيه ثم انكشف
الغمام فاقبلوا اليه فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم
الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها قال رب لو شئت
اهلكتهم من قبل واياي تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى ما رأى او بسبب
آخر او عنى به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على
اهلاكهم وباغراقهم في البحر وغيرها فرحمت عليهم بالانقاذ منها فان رحمت
عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك اتهلكنا بما فعل السفهاء منا من
العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما
فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم

المنكرة

اثنان

التجاسر

عليه السلام

هيبة فلقوا عنها ورجعوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك
نخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله تعالى عنهم ان هي الا فتنتك
ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية او اوجدت في
العجل خوارا فزاغوا به تضل بها من تشاء ضلاله بالتجاوز عن حده او باتباع
المخايل وتهدي من تشاء هداه فتقوى بها ايمانه انت ولينا القائم بامرنا
فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا وارحمنا وانت خير الغافرين تغفر السيئة و
تبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة حسن معيشة وتوفيق
طاعة وفي الآخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع
وقرئ بالكسر من هاده يهيده اذا اماله ويحتمل ان يكون المضموم ايضا
مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض قال عذابي اصيب به
من اشاء تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف
وغيره فساكتبها فساثبتها في الآخرة او فساكتبها كتبة خاصة منكم يا بني
اسرائيل للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكوة خصها بالذكر
لانافتها ولانها كانت اشق عليهم والذين هم بآياتنا يؤمنون فلا يكفرون
بشيء منها الذين يتبعون الرسول النبي مبتدا خبره يامرهم او خبر مبتدا
تقديره هم الذين او بدل من الذين يتقون بدل البعض او الكل والمراد
من آمن منهم بمحمد عليه الصلوة والسلم وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله
تعالى ونبيا بالاضافة الى العباد الامي الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها
على ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته الذي يجدونه مكتوبا عندهم في

التورية

منها

اي انتهت م

مبنيا للفاعل او المفعول يعني املنا انفسنا او املنا اليك ويجوز ان يكون والرباعي م

التورية والانجيل اسما وصفة يامرهم بالمعروف وينهيهم عن المنكر ويحل
لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم
الخنزير او كالربوا والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت
عليهم ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في
العمد والخطاء وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصله
الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وقرأ
ابن عامر آصارهم فالذين آمنوا به وعزروه وعظموه بالتقوية وقرئ
بالتخفيف واصله المنع واتبعوا النور الذي انزل معه اي مع نبوته يعني
القرآن وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف
الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا النور
المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة اولئك
هم المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الآية جواب دعاء موسى
عليه الصلوة والسلم قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم الخطاب عام
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر
الرسل الى اقوامهم جميعا الذي حال من اليكم الذي له ملك السموات والارض
صفة لله تعالى وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف اليه لانه كالمتقدم
عليه او مدح منصوب او مرفوع او مبتدا خبره لا اله الا هو وهو
على الوجه الاول بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره
وفي يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية فآمنوا بالله ورسوله

اعزر

ومنه التعزير والنصر وبه م

صفة

النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ما انزل عليه وعلى سائر الرسل
من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القرآن او عيسى
تعريضا باليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما
عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان
والاتباع له واتبعوه لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين
تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد في خطط الضلالة
ومن قوم موسى يعني بني اسرائيل امة يهدون بالحق يهدون الناس
محقين او بكلمة الحق وبه وبالحق يعدلون بينهم في الحكم والمراد الثابتون
على الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم
على ما هو عادة القرآن تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل
الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين
رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فآمنوا به وقطعناهم
وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض اثنتي عشرة مفعول ثان لقطع
فانه متضمن معنى صير او حال وتانيثه للحمل على الامة او القطعة اسباطا
بدل منه ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحد من اثنتي عشرة اسباط وكانه
قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها امما على الاول بدل
بعد بدل او نعت لاسباطا وعلى الثاني بدل من اسباطا واوحينا الى موسى
اذ استسقاه قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست اي فضرب به
فانبجست وحذفه للايماء على ان موسى لم يتوقف في الامتثال وان ضربه

اثنتي عشرة

اعراف

لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس
كل سبط مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن
والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم
يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية
باضمار اذكر والقرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة
وادخلوا الباب سجدا مثل ما في البقرة معنى غير ان قوله فكلوا فيها بالفاء
افاد تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له ههنا اكتفاء بذكره
ثمة او بدلالة الحال عليه واما تقديم قولوا على وادخلوا فلا اثر له
في المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما نغفر لكم
خطاياكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانما
اخرج الثاني مخرج الاستئناف للدلالة على انه تفضل محض ليس
في مقابلة ما امروا به وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء
للمفعول وخطيئاتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحده وقرأ ابو عمرو
خطاياكم فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا
من السماء بما كانوا يظلمون مضى تفسيره فيها واسألهم للتقرير والتقريع
بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التي لا تعلم الا بتعليم
او وحي ليكون ذلك معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع باهلها
التي كانت حاضرة البحر قريبة منه وهي ايلة قرية بين مدين والطور
على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية اذ يعدون في السبت يتجاوزون

اى وقلنا لهم كلوا

حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف
المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال **اذ تاتيهم حيتانهم** ظرف ليعدون
او بدل بعد بدل وقرى يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد
اى يعدون الآت الصيد يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير
العبادة **يوم سبتهم شرعا** يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود
اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم
باحكام فيه ويويد الاول ان قرى ويوم اسباتهم وقوله تعالى **ويوم
لا يسبتون** وقرى لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء
للمفعول بمعنى لا يدخلون فى السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه
ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذا دنا واشرف **لا تاتيهم كذلك
نبلوهم بما كانوا يفسقون** مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب
فسقهم وقيل ذلك متصل بما قبله اى لا تاتيهم مثل اتيانهم يوم السبت
واذ قالت عطف على اذ يعدون **امة منهم** جماعة من اهل القرية يعنى صلحاءهم
الذين اجتهدوا فى موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم **لم تعظون قوما الله
مهلكهم** مخترمهم **او معذبهم عذابا شديدا** فى الآخرة لتماديهم فى العصيان قالوه
مبالغة فى ان الوعظ لا ينفع فيهم او سوالا عن علة الوعظ ونفعه وكانه
تقاول بينهم او قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل
المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم
قالوا معذرة الى ربكم جواب للسوال اى موعظتنا انهاء عذر الى الله

[هامش: لا تاتيهم م — عن]

حتى

حتى لا ننسب الى تفريط فى النهى عن المنكر وقرا حفص معذرة بالنصب
على المصدر او العلة اى اعتذرنا معذرة او وعظناهم معذرة **و
لعلهم يتقون** اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك **فلما نسوا** تركوا ترك الناسى
ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم **انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا
الذين ظلموا** بالاعتداء ومخالفة امر الله تعالى **بعذاب بئيس** شديد
فعيل من بوس يبوس باسا اذا اشتد وقرا بيس على فيعل كضيغم وابن
عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة على انه بئس كحذر كما قرى كبد
عينه بنقل حركتها الى الفاء ككبد فى كبد ونافع بيس على قلب الهمزة كما
قلبت فى ذيب او على انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرى بيس كريس
على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس على التخفيف كهين وبايس **بما كانوا
يفسقون** بسبب فسقهم **فلما عتوا عما نهوا عنه** تكبروا عن ترك ما نهوا
عنه كقوله تعالى وعتوا عن امر ربهم **قلنا لهم كونوا قردة خاسئين**
كقوله تعالى انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والظاهر يقتضى
ان الله تعالى عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم
ويجوز ان يكون الاية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى روى ان الناهين لما ايسوا
عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه مطرق
فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم شانا فدخلوا
عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباءهم ولكن القرود تعرفهم فجعلت
تاتى انسباءهم وتشم ثيابهم وتدمع باكية فحولهم ثم ماتوا بعد ثلث

[هامش: اعراف — ابو بكر م — ياء م — قولنا — لما ايسوا م — باب م]

عن

مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تاذن ربك اى اعلم ربك تفعل من
الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم على الشيء يوذن
نفسه بفعله واجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك
اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى يوم القيمة والمعنى واذ اوجب ربك
على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب
الجزية بعث الله عليهم بعد سليمن عليه الصلوة والسلام بخت نصر فخرب
ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من
بقى منهم وكانوا يودونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا عليه الصلوة و
السلام ففعل ما فعل بهم ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر
ان ربك لسريع العقاب عاقبهم فى الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن و
قطعناهم فى الارض امما وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة
لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان او حال منهم
الصالحون صفة او بدل منهم وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم ومنهم
دون ذلك تقديره ومنهم ناس دون ذلك اى منحطون عن الصلاح
وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم
لعلهم يرجعون ينتهون فيرجعون عما كانوا عليه فخلف من بعدهم من
بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد
والجمع وقيل جمع وهو شائع فى الشر وخلف بالفتح فى الخير والمراد به الذين
كانوا فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب التورية من

اسلافهم

من اسلافهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها ياخذون عرض هذا الادنى
حطام هذا الشيء الادنى يعنى الدنيا وهو من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا
ياخذون من الرشى فى الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال من الواو
ويقولون سيغفر لنا لا يواخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه ويحتمل العطف
والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر ياخذون وان ياتهم
عرض مثله ياخذوه حال من الضمير فى لنا اى يرجون المغفرة مصرين
على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب
اى فى الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به
اى بان لا يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة و
الدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه
عطف على الم يوخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض
والدار الآخرة خير للذين يتقون مما ياخذ هؤلاء افلا يعقلون فيعلموا
ذلك ولا يستبدلوا الادنى الذى المودى الى العقاب بالنعيم المخلد
وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين والذين
يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة عطف على الذين يتقون وقوله تعالى
افلا تعقلون اعتراض او مبتدأ خبره انا لا نضيع اجر المصلحين منهم وضع
الظاهر موضع الضمير تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقرأ
ابو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها على سائر انواع
التمسكات واذ نتقنا الجبل فوقهم اى قلعناه ورفعناه فوقهم واصل

النتق الجذب كانه ظلة سقيفة وهي كل ما اظلك وظنوا انه واقع بهم
ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق الظن
لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها
فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا
على اضمار القول اي وقلنا خذوا او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة
بجد وعزيمة على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به
ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون فضايح الاعمال ورذايل الاخلاق و
اذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم اي اخرج من اصلابهم نسلهم
على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض
وقرا نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم واشهدهم على انفسهم
اي ونصب لهم دلايل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار
بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من
العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل
عليه قوله تعالى قالوا بلى شهدنا ان تقولوا اي كراهة ان تقولوا انا كنا عن
هذا غافلين لم تنبه عليه بدليل او تقولوا عطف على ان تقولوا وقرا
ابو عمرو كليهما بالياء لان اول الكلام على الغيبة انما اشرك آباؤنا من قبل
وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن
من العلم به لا يصلح عذرا افتهلكنا بما فعل المبطلون يعني آباءهم المبطلين
بتاسيس الشرك وقيل لما خلق الله تعالى آدم اخرج من ظهره ذرية كالذر

تباع

الست بربكم

يوم القيمة

واحياهم وجعل لهم العقل والنطق والهمهم ذلك لحديث رواه عمر
رضي الله عنه وقد حققنا الكلام فيه في شرح المصابيح والمقصود
من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعدما الزمهم
بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية
ومنعهم من التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال تعالى و
كذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون اي عن التقليد واتباع الباطل
واتل عليهم اي على اليهود نبأ الذي آتيناه هو احد علماء بني اسرائيل او
امية بن ابي الصلت فانه كان قد قرا الكتب وعلم ان الله مرسل رسولا
في ذلك الزمان ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد عليه الصلوة والسلام
حسده وكفر به او بلعم بن باعوراء من الكنعانيين اوتي علم بعض كتاب
الله فانسلخ منها من الآيات بان كفر بها واعرض عنها فاتبعه الشيطان
حتى لحقه وقيل استتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين روي ان
قومه سالوه ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف ادعو على من معه
من الملائكة فالحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا في التيه ولو شئنا لرفعناه
بها الى منازل الابرار من العلماء ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا او الى
السفالة واتبع هواه في ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى
الآيات وانما علق رفعه بمشية الله ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها
على ان المشية سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدمها
دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي هو المشية

شرح كتاب المصابيح

آياتنا

بها بسبب تلك الآيات وملازمتها

وان ما نشاهده من الاسباب وسايط معتبرة في حصول المسبب من
حيث ان المشية تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض
عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على
ما حمله عليه وان حب الدنيا راس كل خطيئة فمثله فصفته التي هي مثل في
الخسة كمثل الكلب كصفته في اخس احواله وهو ان تحمل عليه يلهث او
تتركه يلهث اي يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد او ترك ولم
يتعرض له بخلاف ساير الحيوانات لضعف فؤاده واللهث ادلاع اللسان
من النفس الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالين
والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة
للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى عليه السلام خرج لسانه فوقع على
صدره وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص
القصص المذكورة على اليهود فانها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون تفكرا
يؤدي بهم الى الاتعاظ ساء مثلا القوم اي مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم
على حذف المخصوص بالذم الذين كذبوا باياتنا بعد قيام الحجة عليها والعلم
بها وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون داخلا في الصلة معطوفا على
كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الايات وظلم انفسهم او منقطعا عنها
بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها ولذلك
قدم المفعول من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون
تصريح بان الهدى والضلال من الله تعالى وان هداية الله تعالى تختص

عليه

الرفعة

احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم ان الذين تدعون
من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم الهة عباد امثالكم من حيث انها
مملوكة مسخرة فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين انهم الهة و
يحتمل انهم لما نحتوها بصور الاناسي قال لهم ان قصارى امرهم ان
يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم
عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد
يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها وقرئ ان
الذين بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم
يثبت مثله ويبطشون بالضم ههنا وفي القصص والدخان قل ادعوا شركاءكم
واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون فبالغوا فيما تقدرون عليه من
مكروه انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فلا تمهلون فاني لا ابالي بكم
لوثوقي على ولاية الله وحفظه ان وليي الله الذي نزل الكتاب القرآن
وهو يتولى الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه والذين تدعون من دونه
لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون من تمام التعليل لعدم
مبالاته بهم وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك
وهم لا يبصرون يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا بصورة من
ينظر الى من يواجهه خذ العفو اي خذ ما عفا لك من افعال
الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد
او خذ العفو عن المذنبين او الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك

علي
اي ومن عادته تعالى
ان يتولى الصالحين

قبل وجوب الزكوة وأمر بالعرف المعروف المستحسن من الافعال واعرض
عن الجاهلين فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل افعالهم وهذه الآية جامعة
لمكارم الاخلاق آمرة للرسول باستجماعها واما ينزغنك من الشيطان
نزغ ينخسنك منه نخس اى وسوسة تحملك على خلاف ما امرت به
كاعتراء غضب وفكر والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته
للناس اغراء لهم على المعاصى وازعاجا بغرز السائق ما يسوقه فاستعذ
بالله انه سميع يسمع استعاذتك عليم يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك
عليه او سميع باقوال من آذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك
عن الانتقام ومتابعة الشيطان ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان
لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانها طافت بهم ودارت
حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرأ
ابن كثير وابو عمرو والكسائى ويعقوب طيف على انه مصدر او تخفيف
طيف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره تذكروا
ما امر الله به ونهى عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطأ و
مكائد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها والآية تأكيد وتقرير
لما قبلها وكذا قوله واخوانهم يمدونهم اى واخوان الشياطين الذين لم
يتقوا يمدهم الشياطين فى الغى بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم
من امد ويمادونهم كأنهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم
بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم

الغرز
بغرز

اعراف

بحيث لا يخفى على ناظر اولم ينظروا نظر استدلال فى ملكوت السموات والارض
وما خلق الله من شىء مما يقع عليه اسم الشىء من الاجناس التى لا يمكن حصرها
ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شان مالكها و
متولى امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم
عطف على ملكوت وان مصدرية او مخففة من الثقيلة واسمها ضمير
الشان وكذا اسم يكون والمعنى اولم ينظروا فى اقتراب آجالهم وتوقع
حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مغافصة الموت
ونزول العذاب فبأى حديث بعده بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا
به وهو النهاية فى البيان كانه اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر
بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى ان
يكون كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الى الايمان بالقرآن
وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به فبأى حديث احق
منه يريدون ان يؤمنوا به وقوله من يضلل الله فلا هادى له كالتقرير
والتعليل له ويذرهم فى طغيانهم بالرفع على الاستئناف وقرأه ابو عمرو
وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائى به و
بالجزم عطفا على محل فلا هادى له كانه قيل لا يهده احد غيره ويذرهم
يعمهون حال من هم يسألونك عن الساعة عن القيمة وهى من الاسماء الغالبة
واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها
عند الله كساعة ايان مرسيها متى ارساؤها اى اثباتها ومرسى الشىء ما به

معافصة
الاخذ بغتة

واستقراره ومنه رسى الجبل وارسى السفينة واشتقاق ايان
من اي لان معناه اي وقت وهو من اويت لان البعض آوى الى الكل
قل انما علمها عند ربي استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا
مرسلا لا يجليها لوقتها لا يظهر امرها في وقتها الا هو والمعنى ان الخفاء بها
مستمر على غيره الى وقت وقوعها واللام للتاقيت كاللام في قوله
اقم الصلوة لدلوك الشمس ثقلت في السموات والارض عظمت على
اهلها من الملائكة والثقلين هولها وكانه اشارة الى الحكمة في اخفائها
لا تأتيكم الا بغتة فجاءة على غفلة كما قال عليه السلام ان الساعة تهيج
بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته
في السوق والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسئلونك كأنك حفي عنها عالم
بها فعيل من حفي عن الشيء اذا سأل عنه فان من بالغ في السؤال عن الشيء
والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدي بعن وقيل هي صلة يسئلونك
وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك
قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسئلونك عنها كأنك حفي تتحفى بهم
فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كأنك حفي بالسؤال
عنها تحبه اي تكرهه لانه من الغيب الذي استأثر الله بعلمه قل انما
علمها عند الله كرره لتكرير يسئلونك لما نيط به من هذه الزيادة و
للمبالغة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان علمها عند الله لم يؤته احدا من
خلقه قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار

آن م
اي م
كالام
نقل
من حفي بالشي اذا فرح بالسؤال عنه الام

للعبو

اعراف

للعبودية والتبري عن ادعاء العلم بالغيوب الا ما شاء الله من ذلك فيلهمني
اياه ويوفقني له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء
ولو كنت اعلمه لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع واجتناب
المضار حتى لا يمسني سوء ان انا الا نذير وبشير وما انا الا عبد مرسل
للانذار والبشارة لقوم يؤمنون فانهم المنتفعون بهما ويجوز
ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوفا هو الذي خلقكم
من نفس واحدة هو آدم وجعل منها من جسدها من ضلع من اضلاعها
او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا زوجها حواء ليسكن
اليها ليأنس بها ويطمئن اليها اطمئنان الشيء الى جنسه او جزئه
وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب فلما تغشيها اي جامعها حملت
حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما يلقى منه الحوامل غالبا من الاذى
او محمولا خفيفا وهو النطفة فمرت به فاستمرت وقامت وقعدت
وقرئ فمرت بالتخفيف وفاستمرت وفمارت من المور والمجيء والذهاب
او من المرية اي فظنت الحمل وارتابت به فلما اثقلت صارت ذات
ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء للمفعول اي اثقلها حملها
دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين
لك على هذه النعمة المجددة فلما آتيهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتيهما
اي جعل اولادهما له شركاء فيما آتى اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف
على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله فتعالى الله

ولو
عليه السلام م
هو م
فظنت
لئن اعطيتنا م

عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون يعني الاصنام وقيل
لما حملت حواء اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك
لعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرته
لآدم فهما منه ثم عاد اليها وقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان
يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحرث وكان اسمه
حارثا في الملائكة فتقبلت فلما ولدت سماه عبد الحرث وامثال ذلك
لا يليق بالانبياء ويحتمل ان يكون الخطاب لآل قصي من قريش فانهم
خلقوا من قصي وكان له زوج من جنسها عربية قرشية وطلبا من
الله الولد فاعطاهما اربع بنين فسماهم عبد مناف وعبد شمس وعبد
قصي وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما
المقتدين بهما وقرأ نافع وابو بكر شركا اي شركة بان اشركا فيه غيره
او ذوي شرك وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام جيء به على تسميتهم
اياها آلهة ولا يستطيعون لهم نصرا اي لعبدتهم ولا انفسهم ينصرون
فيدفعون عنها ما يعتريها وان تدعوهم اي المشركين الى الهدى الى الاسلام
لا يتبعوكم وقرأ نافع بالتخفيف وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير
الاصنام اي ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم
كما يجيبكم الله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وانما لم يقل ام صمتم
للمبالغة في عدم افادة الدعاء من حيث انه مسوى بالثبات على
الصمات او لانهم لما كانوا لا يدعونها لحوائجهم فكانه قيل سواء عليكم

او خنزير م
عليه السلام م
في خلقكم م
نفس
اربعة
وفتح الباء م
لم م

اعراف

ببعض دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء والافراد في الاول و
الجمع في الثاني لاعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد
لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار عمن هداه الله بالمهتدي
تعظيم لشان الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع
عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة
والعنوان لها ولقد ذرأنا خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والانس يعني المصرين
على الكفر في علمه تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق
والنظر في دلائله ولهم اعين لا يبصرون بها اي لا ينظرون الى ما خلق الله
نظر اعتبار ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ سماع تأمل
وتذكر اولئك كالانعام في عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع
للتدبر او في ان مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش
مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك ما يمكن لها ان تدرك من المنافع و
المضار وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل
اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار اولئك هم الغافلون الكاملون
في الغفلة ولله الاسماء الحسنى لانها دالة على معاني هي احسن المعاني والمراد
بها الالفاظ وقيل الصفات فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا
الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا
توقيف فيه اذ ربما توهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه
او لا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف الا رحمن اليمامة

في الاخبار م
يعني
التعيش

او يعدلون بهم ويلحدهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها
منها كاللات من الله تعالى والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليها او اعرضوا
عنهم فان الله تعالى مجازيهم كما قال تعالى سيجزون ما كانوا يعملون وقرأ
حمزة يلحدون بالفتح يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وممن خلقنا
امة يهدون بالحق وبه يعدلون ذكر ذلك بعد ما بين انه خلق للنار
طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على انه خلق للجنة امة هادين بالحق
عادلين في الامر واستدل به على صحة الاجماع لان المراد منه ان في كل
قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عليه الصلوة والسلم لا يزال من امتي
طائفة على الحق الى ان ياتي امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول او غيره
لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم
سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد
والاستنزال درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون ما نريد بهم وذلك
ان يتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله تعالى بهم فيزدادوا بطرا
وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب واملي لهم وامهلهم عطف على
سنستدرجهم ان كيدي متين اي اخذي شديد وانما سماه كيدا لان
ظاهره احسان وباطنه خذلان اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة يعني
محمدا عليه الصلوة والسلم من جنون روي انه عليه الصلوة والسلم علا
الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم باس الله فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون
بات يهوت الى الصباح فنزلت ان هو الا نذير مبين موضح انذاره بحيث

ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اي لا يكفون عن الغي فلا يقصرون
كالمتقين ويجوز ان يكون الضمير للاخوان ويراد بالاخوان الشياطين
ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له واذا لم تاتهم باية
من القران او مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها تقولا من
نفسك كسائر ما تقرأه او هلا طلبتها من الله قل انما اتبع ما يوحى الي من
ربي لست بمختلق للايات او لست بمقترح لها هذا بصائر من
ربكم هذا القران بصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب وهدى
ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره واذا قرئ القران فاستمعوا له و
انصتوا لعلكم ترحمون نزلت في الصلوة كانوا يتكلمون فيها فامروا
باستماع قراءة الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما
حيث يقرأ القران مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلوة
واحتج به من لا يرى القراءة على الماموم وهو ضعيف واذكر ربك في نفسك
عام في الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما او امر للماموم بالقراءة سرا بعد
فراغ الامام عن قراءته كما هو مذهب الشافعي رحمه الله تضرعا وخيفة
متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول ومتكلما كلاما فوق السر ودون
الجهر فانه ادخل في الخشوع والاخلاص بالغدو والاصال باوقات
الغدو والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اذا دخل
في الاصيل مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله ان الذين عند
ربك يعني ملائكة الملأ الاعلى لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله

وينزهونه وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره
وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن
النبي عليه السلام اذا قرا ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي
فيقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود
فعصيت فلي النار وعنه عليه السلام من قرا سورة الاعراف جعل
الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان ادم شفيعا له يوم القيمة

سورة الانفال خمس وسبعون اية وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم يسئلونك عن الانفال الغنائم يعني
حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله وفضل كما سمي به
ما يشرطه الامام للمقتحم خطرا عطية له وزيادة له على سهمه قل الانفال
لله والرسول اي امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يامره الله وسبب
نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون
منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله عليه السلام لمن كان له غناء ان ينفله
فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان
المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة
تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم
على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو قول الشافعي رحمه
الله وعن سعد بن ابي وقاص قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت

سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول الله صلى الله عليه
وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في
القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي
فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم سالتني السيف وليس لي وانه قد صار لي
فاذهب فخذه وقرئ يسلونك علنفال بحذف الهمزة والقاء
حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسالونك الانفال اي يسالك
الشبان ما شرطت لهم فاتقوا الله في الاختلاف والمشاجرة واصلحوا
ذات بينكم الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم
امره الى الله والرسول واطيعوا الله ورسوله فيه ان كنتم مؤمنين فان
الايمان يقتضي ذلك او ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلثة
طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل
والاحسان انما المؤمنون اي الكاملون في الايمان الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو
الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنه خوفا من عقابه وقرئ
وجلت بالفتح وهي لغة وفرقت اي خافت واذا تليت عليهم اياته زادتهم
ايمانا لزيادة المؤمن به او لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة
او بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية
بناء على ان العمل داخل فيه وعلى ربهم يتوكلون يفوضون اليه امورهم ولا

لا يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم
المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب
من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التي هي العيار
عليها الصلوة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف او مصدر مؤكد
كقوله هو عبد الله حقا لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو منزلة وقيل
درجات الجنة يرتقونها باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم اعد
لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده كما اخرجك ربك من بيتك
بالحق خبر مبتدا محذوف تقديره هذه الحال في كراهتهم اياها كحال اخراجك
للحرب في كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر في قوله لله والرسول
اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك
من بيتك يعني المدينة لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم
وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موقع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم
وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا
منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر
جبرئيل رسول الله صلى الله فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال و
قلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل
مكة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد عليه السلام
لم تفلحوا بعدها ابدا وقد رات قبل ذلك عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من
السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شيء منها

فحدث

فحدثت به العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال اما ترضى رجالهم ان يتنبؤا حتى
تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء
كانت العرب تجتمع لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلى الله عليه و
سلم بوادي ذفران فنزل عليه جبرئيل بالوعد باحدى الطائفتين اما
العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال
حتى نتاهب له انا خرجنا للعير فردد عليهم وقال ان العير مضت على
ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع
العدو فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام ابو بكر وعمر فاحسنا المقالة
ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن
ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك فانا
معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك
فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون
فتبسم رسول الله ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا
عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم براء من ذمامه حتى [illegible]
لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت
به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض
يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته
لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند
الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة

الله

رضي الله عنهما

احببت

يصل الى دارهم فتخوف
ان لا يروا نصرته
على عدو دهمه بالمدينة
فقال سعد بن

فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين
والله لكأني انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه السلام لما فرغ من بدر قيل له
عليك بالعير فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال لان الله
وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله يجادلونك
في الحق في ايثارك الجهاد اظهارا للحق لايثارهم تلقي العير عليه بعد ما تبين انهم
ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون
اي يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك
لقلة عددهم وعدم تأهبهم اذ روي انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان
وفيه ايماء الى ان مجادلتهم كان لفرط فزعهم ورعبهم واذ يعدكم الله احدى
الطائفتين على اضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل عنها انها لكم
بدل الاشتمال وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير فانه لم يكن فيها
الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم و
عددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق
ان يثبته ويعليه بكلماته الموحى بها في هذه الحال او باوامره للملائكة بالامداد و
قرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين ويستأصلهم والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا
مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم
فوز الدارين ليحق الحق ويبطل الباطل اي فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول
لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل
الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ولو كره المجرمون ذلك اذ تستغيثون

عليه السلام صح

عليه

ربكم بدل من اذ يعدكم الله او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكر و
استغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون اي رب انصرنا
على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر انه عليه السلام نظر الى
المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه
يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في
الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبي الله كفاك منا
شدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم اني ممدكم باني ممدكم
فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ ابو بكر بالكسر على ارادة القول او
اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول بالف من الملائكة مردفين
متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم
بعض المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرأ نافع مردفين
بفتح الدال اي متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين
بكسر الراء وضمها واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في
الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع
وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين
المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم
واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل
عليها وما جعله الله اي الامداد الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم
فيزول ما بها من الوجل وذلكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم وامداد

ويعقوب صح
اي متبعين صح
ع
والظفر صح
لقلقكم صح

الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوها وسائط لا تاثير لها فلا تحسبوا
النصر منها ولا تياسوا منه بفقدها اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم
لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بجعل
او باضمار اذكر وقرأ نافع بالتخفيف من اغشيته الشيء اذا غشيته اياه والفاعل
على القراءتين هو الله تعالى وقرأ ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع
امنة منه امنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم النعاس
متضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله ويجوز ان يراد
بها الايمان فتكون فعل المغشي وان تجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على
المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما
غشيهم فكانه حصلت له امنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله يهاب النوم
ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود وقرئ امنة كرحمة وينزل عليكم
من السماء ماء ليطهركم به من الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني
الجنابة لانه من تخييله او وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي انهم
نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم و
قد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون
وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله
وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا
الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي
بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة وليربط على

يغشيكم م

وهي اللغة م

قلوبكم بالوثوق على لطف الله بكم ويثبت به الاقدام اي بالمطر حتى لا تسوخ
في الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة اذ يوحي ربك بدل
ثالث او متعلق بيثبت الى الملائكة اني معكم في اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول
يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحي مجراه فثبتوا الذين آمنوا
بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله سالقي في
قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم
قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب
او على ان قوله سالقي الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين
به كانه قال قولوا لهم قولي هذا فاضربوا فوق الاعناق اعاليها التي هي
المذابح او الرؤوس واضربوا منهم كل بنان اي حزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم
ذلك اشارة الى الضرب او الامر به والخطاب للرسول او لكل احد من المخاطبين
قبل بانهم شاقوا الله ورسوله بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق
لان كلا من المتعاندين في شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة
من الخصم وهو الجانب ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير
للتعليل او وعيد بما اعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب
فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم واقع او
نصب بفعل دل عليه فذوقوه او غيره مثل باشروا او عليكم ليكون الفاء عاطفة
وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا
ما عجل لكم مع ما اجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان

اصابع م

الكفر بسبب العذاب الآجل او الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستيناف
يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم
يزحفون وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا
سمي به وجمع على زحوف فلا تولوهم الادبار بالانهزام فضلا ان يكونوا
مثلكم او اقل منكم والاظهر انها محكمة لكنها مخصوصة بقوله حرض المؤمنين
الآية ويجوز ان ينتصب زحفا من الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم
متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل وحده و
يكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر
الفا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال يريد الكر بعد الفر وتغرير
العدو فانه من مكايد الحرب او متحيزا الى فئة او منحازا الى فئة اخرى
من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روي
ابن عمر انه كان في سرية بعثهم رسول الله عليه السلام ففروا الى المدينة
فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم
وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل لها او الاستثناء من
المولين اي الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا
لكان متحوزا لانه من حاز يحوز فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس
المصير هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله الآن خفف الله عنكم الآية
وقيل الآية مخصوصة باهل بيته والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم
بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم

روي انه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه السلام هذه قريش جاءت
بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسالك ما وعدتني فاتاه جبريل
وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من
الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل
بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما
انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت والفاء
جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم
وما رميت يا محمد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه اذ رميت اي اتيت
بصورة الرمي ولكن الله رمى اتى بما هو غاية الرمي ولكن الله رمى اتى بما هو غاية
الرمي فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد
عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه وقيل معناه
ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم وقيل
انه نزل في طعنة طعن بها ابي بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور
حتى مات او رمية سهم رماه يوم حنين نحو الحصن فاصاب كنانة بن
الحقيق على فراشه والجمهور على الاول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي و
لكن بالتخفيف ورفع ما بعده في الموضعين وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا
ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات ان الله سميع
لاستغاثتهم ودعائهم عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن
او القتل او الرمي ومحله الرفع اي المقصود او الامر ذلكم وقوله وان الله موهن

كيد الكافرين معطوف عليه اي المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد
الكافرين وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو موهن بالتشديد
وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيض ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا
باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم
الحزبين وان تنتهوا عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير لكم لتضمنه سلامة
الدارين وخير المنزلين وان تعودوا لمحاربته نعد لنصره ولن تغني
ولن تدفع عنكم فئتكم جماعتكم شيئا من الاغناء او المضار ولو كثرت فئتكم
وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وان
بالفتح على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب المؤمنين
والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل في القتال
والرغبة عما يستاثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار
او تهييج العدو ولن تغني ح كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين في
ايمانهم ويؤكد يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اي ولا تتولوا
عن الرسول فان المراد من الآية الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر
طاعة الله للتوطئة والتنبيه على ان طاعة الله في طاعة الرسول كقوله من
يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد او للامر الذي دل عليه الطاعة
وانتم تسمعون القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا
سمعنا كالكفرة او المنافقين الذين ادعوا السماع وهم لا يسمعون سماعا

ابطال
التخفيف
التهكم
يؤيد ذلك
المواعظ القرآن

ينتفعون به فكانهم لا يسمعون راسا ان شر الدواب عند الله شر ما يدب على
الارض او شر البهائم الصم عن الحق البكم الذين لا يعقلون اياه عدهم من
البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا لاجله ولو علم الله فيهم
خيرا سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالآيات لاسمعهم سماع تفهم ولو اسمعهم
وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به او ارتدوا بعد التصديق والقبول
وهم معرضون لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي احي لنا قصيا فانه
كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصي يا ايها
الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم وحد الضمير فيه لما سبق
ولان دعوة الله تسمع من الرسول وروي انه عليه السلام مر على ابي وهو
يصلي فدعاه فعجل في صلوته ثم جاء فقال عليه السلام ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي
قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا
لان اجابته لا يقطع الصلوة فان الصلوة ايضا اجابة وقيل ان دعاءه
كان لامر لا يحتمل التاخير وللمصلي ان يقطع الصلوة لمثله وظاهر الحديث
يناسب الاول لما يحييكم من العلوم الدينية فانها حيوة القلب والجهل
موته قال لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن او مما يورثكم الحيوة
الابدية في النعيم الدائم من العقائد والاعمال او من الجهاد فانه سبب بقائكم
اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم
واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله ونحن
اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب مما عسى

يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل
ان يحول الله بينه وبين قلبه بالموت او غيره او تصوير وتخييل لتملكه
على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان
اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين المر بالتشديد
على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من
يشدد فيه **وانه اليه تحشرون** فيجازيكم باعمالكم **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة** اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر والمداهنة في الامر بالمعروف
وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن
اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة وفيه ان جواب
الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه
كقوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ
لان النون لا تدخل المنفي في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقوله حتى اذا جن
الظلام واختلط جاؤا بمذق هل رايت الذئب قط واما جواب قسم محذوف
كقراءة من قرا لتصيبن وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر
باتقاء الذنب عن الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته
التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم **واعلموا ان الله شديد العقاب**
واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض ارض مكة يستضعفكم قريش
والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم
تخافون ان يتخطفكم الناس كفار قريش او من عداهم فانهم كانوا جميعا معادين

مضادين لهم **فآواكم** الى المدينة او جعل لكم ماوى تتحصنون به عن اعاديكم
وايدكم بنصره على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم
بدر **ورزقكم من الطيبات** من الغنائم **لعلكم تشكرون** هذه النعم **يا ايها
الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول** بتعطيل الفرائض والسنن او بان تضمروا
خلاف ما تظهرون او بالغلول في المغانم روي انه عليه السلم حاصر
بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير
على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا من الشام فابى الا ان ينزلوا
على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا
لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم
سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى
علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية المسجد
وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث
سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب
عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى رسول الله هو الذي
يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي
التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلم يجزيك الثلث
ان تتصدق به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله
في ضد الامانة لتضمنه اياه **وتخونوا اماناتكم** فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف
على الاول او منصوب على الجواب بالواو **وانتم تعلمون** انكم تخونون او

وانتم علماء تميزون الحسن عن القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة
لانهم سبب الوقوع في الاثم والعقاب او محنة من الله ليبلوكم فيهم فانيطوا
هممكم بما يوديكم اليه يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا
هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق
والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات
او نجاة عما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم
من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم
سيئاتكم ويسترها ويغفر لكم بالتجاوز والعفو عنها وقيل السيئات الصغائر
والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تاخر لانها في اهل بدر وقد
غفرهما الله لهم والله ذو الفضل العظيم تنبيه على ان ما وعده لهم على
التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه
كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا تذكار لما مكر
قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه
عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك ليثبتوك بالوثاق والحبس او الاثخان
بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك
بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك او يقتلوك بسيوفهم
او يخرجوك من مكة وذلك لانهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم
فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في
صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن

تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت و
تسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال
الشيخ بئس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم
فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا
يضركم ما صنع فقال بئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال
ابو جهل انا اري ان ناخذ من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه
ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب
قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا
على رايه فاتى جبريل النبي عليهما السلام واخبره الخبر وامره بالهجرة
فبيت عليا كرم الله وجهه على مضجعه وخرج مع ابي بكر رضي الله عنه
الى الغار ويمكرون الله ويمكر الله برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او
بمعاملة الماكرين معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى
حملوا عليهم فقتلوا والله خير الماكرين اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره
واسناد امثال هذا انما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه
من ايهام الذم واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هو
قول النضر بن الحارث واسناده الى الجمع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم
فانه كان قاصهم او قول الذين ائتمروا في امره عليه السلام وهذا غاية مكابرتهم
وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاؤوا وقد تحداهم
وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سواه مع انفتهم

وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصاً فی باب البیان ان هذا الا اساطیر
الاولین ما سطره الاولون من القصص واذ قالوا اللهم ان کان هذا هو الحق
من عندك فامطر علینا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب الیم هذا ایضا من
کلام ذلك القایل ابلغ فی الجحود روی انه لما قال النضر ان هذا الا اساطیر
الاولین قال له النبی علیه السلام ویلك انه کلام الله فقال ذلك والمعنی
ان کان القرآن حقا منزلا فامطر الحجارة علینا عقوبة علی انکاره او ائتنا
بعذاب الیم سواه والمراد منه التهکم واظهار الیقین والجزم التام علی کونه باطلا
وقرئ الحق بالرفع علی ان هو مبتدأ غیر فصل وفایدة التعریف فیه الدلالة
علی ان المعلق به کونه حقا بالوجه الذی یدعیه النبی صلی الله علیه وسلم و
هو تنزیله لا الحق مطلقا لتجویزهم ان یکون مطابقا للواقع غیر منزل کاساطیر
الاولین وما کان الله لیعذبهم وانت فیهم وما کان الله معذبهم وهم یستغفرون
بیان لما کان الموجب لامهالهم والتوقف فی اجابة دعائهم واللام لتاکید
النفی والدلالة علی ان تعذیبهم عذاب استیصال والنبی بین اظهرهم خارج
عن عادته غیر مستقیم فی قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار
من بقی فیهم من المؤمنین او قولهم اللهم غفرانك او فرضه علی معنی لو
استغفروا لم یعذبوا کقوله وما کان ربك لیهلك القری بظلم واهلها
مصلحون وما لهم الا یعذبهم الله وما لهم مما یمنع تعذیبهم متی زال ذلك و
کیف لا یعذبون وهم یصدون عن المسجد الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم
عنه الجاء رسول الله والمؤمنین الی الهجرة واحصارهم عام الحدیبیة

وما کانوا اولیاءه مستحقین ولایة امره مع شرکهم وهو رد لما کانوا یقولون
نحن ولاة البیت والحرم فنصد من نشاء ان اولیاؤه الا المتقون من
الشرك الذین لا یعبدون فیه غیره وقیل الضمیران لله ولکن اکثرهم
لا یعلمون ان لا ولایة لهم علیه کانه نبه بالاکثر ان منهم من یعلم ویعاند
او اراد به الکل کما یراد بالقلة العدم وما کان صلوتهم عند البیت ای
دعاؤهم او ما یسمونه صلوة او ما یضعون موضعها الا مکاء صفیرا فعال
من مکا یمکو اذا صفر وقرئ بالقصر کالبکا وتصدیة تصفیقا تفعلة من
الصدد او من الصد علی ابدال احد حرفی التضعیف بالیاء وقرئ صلوتهم
بالنصب علی انه الخبر المقدم ومساق الکلام لتقریر استحقاقهم العذاب
... عراة الرجال والنساء مشبکین بین اصابعهم یصفرون فیها ویصفقون
وقیل کانوا یفعلون ذلك اذا اراد النبی علیه السلام ان یصلی یخلطون علیه ویرون
انهم یصلون ایضا فذوقوا العذاب یعنی القتل یوم بدر وقیل عذاب
الآخرة واللام یحتمل ان یکون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب بما کنتم تکفرون
اعتقادا وعملا ان الذین کفروا ینفقون اموالهم لیصدوا عن سبیل الله
نزلت فی المطعمین یوم بدر وکانوا اثنی عشر رجلا من قریش یطعم کل
واحد منهم کل یوم عشر جزر او فی ابی سفیان استاجر لیوم احد الفین
من العرب سوی من استجاش من العرب وانفق علیهم اربعین اوقیة او فی اصحاب
العیر فانه لما اصیب قریش ببدر قیل لهم اعینوا بهذا المال علی حرب محمد
لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبیل الله دینه واتباع رسوله

فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم فى تلك الحال وهو
انفاق بدر والثانى اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد
وهو يحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق
ومساق الثانى لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما
وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهى عاقبة انفاقها
مبالغة ثم يغلبون آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين
كفروا اى الذين ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم بعضهم الى جهنم يحشرون
يساقون ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر من المؤمن او الفساد من
الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون
فى عداوة رسول الله مما انفقه المسلمون فى نصرته واللام متعلقة بقوله
ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب ليميز وهو
ابلغ من الميز ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا ويضم بعضه الى بعض
حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه
كمال الكانزين فيجعله فى جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق
الخبيث او الى المنفقين هم الخاسرون الكاملون فى الخسران لانهم خسروا
انفسهم واموالهم قل للذين كفروا يعنى ابا سفين واصحابه والمعنى قل لاجلهم
ان ينتهوا عن معاداة الرسول بالدخول فى الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من
ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على انه خاطبهم ويغفر على البناء للفاعل وهو الله
وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما

جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة لا يوجد فيهم
شرك ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم الاديان الباطلة فان انتهوا عن الكفر
فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب
تعملون بالتاء على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام
والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير يجازيكم ويكون تعليقه
بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعى اثابتهم للمباشرة يستدعى اثابة مقاتليهم
للتسبب وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به
ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من
نصره واعلموا انما غنمتم اى الذى اخذتموه من الكفار قهرا من شئ مما يقع عليه
اسم الشئ حتى الخيط فان لله خمسه مبتدأ خبره محذوف اى فحق ان لله خمسه
وقرئ فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما فى قوله والله ورسوله
احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على المعطوفين وللرسول ولذى
القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فكانه قال فان لله خمسه يصرف
الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير ان سهم الرسول عليه السلام
يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان و
قيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة رحمه الله سقط
سهمه وسهم ذوى القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلثة الباقية
وعن مالك الامر فيه مفوض الى رأى الامام يصرفه الى ما يراه اهم وذهب
ابو العالية الى ظاهر الآية وقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله الى

الكعبة لما روى انه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقى على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل مضموم الى سهم الرسول ولذى القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روى انه عليه السلام قسم سهم ذوى القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء اخوتك بنو هاشم ارايت اخواننا من بنى المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا اسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحده وقيل جميع قريش والغنى والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والاية نزلت ببدر وقيل كان الخمس فى غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة ان كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملى اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل وما انزلنا على عبدنا محمد من الآيات والملائكة والنصر وقرئ عُبُدنا بضمتين اى الرسول والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان المسلمون والكفار والله على كل شئ قدير فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلث شط الوادى وقد قرئ بها

والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابى عمرو ويعقوب وهم بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تانيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب اى العير او قوادها اسفل منكم فى مكان اسفل من مكانكم يعنى الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد اى لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم فى الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ولكن جمع بينهم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضى الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة او ليصدر

كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك و
الحيوة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك
والحيوة او من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ
ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من حيي بفك الادغام للحمل على
المستقبل وان الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن و
ثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد
اذ يريكهم الله في منامك قليلا مقدر باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان او
متعلق بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو
تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اريكهم
كثيرا لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم في الامر امر القتال وتفرقت آراؤكم بين
الثبات والفرار ولكن الله سلم انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه
عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها وما يغير احوالها واذ يريكموهم
اذ التقيتم في اعينكم قليلا الضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثاني
انما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود لمن الى جنبه اتراهم سبعين
فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول ويقللكم في اعينهم
حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة جزور وقللهم في اعينهم قبل التحام
القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم
لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم آيات تلك
الوقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا

وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك
فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا
انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اني
اخافه ان يصيبني بمكروه من الملائكة او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت
الموعود اذ رأى فيه ما لم ير قبله والاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر
والله شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستأنفا اذ يقول
المنافقون والذين في قلوبهم مرض والذين لم يطمئنوا الى الايمان بعد وبقي
في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين
غر هؤلاء يعنون المؤمنين دينهم حتى تعرضوا لما لا يدي لهم به فخرجوا وهم
ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ومن يتوكل على الله جواب لهم فان الله عزيز
غالب لا يذل من استجار به وان قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل
ويعجز عن ادراكه ولو ترى ولو رأيت فان لو يجعل المضارع ماضيا عكس ان
اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ببدر واذ ظرف ترى والمفعول محذوف اي
ولو ترى الكفرة او حالهم والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة
ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدأ خبره
يضربون وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغني فيه بالضمير
عن الواو وهو على الاول حال منهم او من الملائكة او منهما لاشتماله
الضميرين وادبارهم ظهورهم واستاههم ولعل المراد تعميم الضرب اي يضربون
ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا عذاب الحريق عطف على يضربون باضمار القول

ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من
حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر
وتهويله ذلك الضرب والعذاب بما قدمت ايديكم بسبب ما كسبتم من الكفر
والمعاصي وهو خبر لذلك وان الله ليس بظلام للعبيد عطف عليه للدلالة
على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم
لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا و
لا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد
كدأب آل فرعون اي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون كفروا بآيات الله تفسير
لدأبهم وهو عملهم وطريقتهم الذي دأبوا فيه اي داموا عليه والذين من قبلهم
من قبل آل فرعون كفروا بآيات الله تفسير لدأبهم فأخذهم الله بذنوبهم كما
اخذ هؤلاء ان الله قوي شديد العقاب لا يغلبه في دفعه شيء ذلك اشارة الى ما حل بهم
بان الله بسبب ان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم مبدلا اياها بالنقمة حتى
يغيروا ما بانفسهم يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوأ كتغيير قريش حالهم في صلة الرحم
والكف عن تعرض الآيات والرسل بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم والسعي في
اراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما احدثوه
بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم و
لم يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون
لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا وان الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون
كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا

الوجه ولا الى هذا الحد وانما تيسر ذلك بصد الله الابصار عن ابصار
بعض دون بعض مع التساوي في الشرط ليقضي الله امرا كان مفعولا
كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد الالتقاء على الوجه المحكي و
ههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه والى الله ترجع
الامور يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها لان المؤمنين
ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا للقائهم
واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره متر
ره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه
على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد
ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في شيء
من الاحوال واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا باختلاف الآراء كما
فعلتم ببدر واحد فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك قرئ
وتذهب ريحكم بالجزم والريح مستعارة للدولة في تمشي امرها ونفاذه مشبهة
بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا
بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا
ان الله مع الصابرين بالكلاءة والنصر ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم
يعني اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير بطرا فخرا واشرا ورئاء الناس
ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة واتاهم رسول
ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا و

بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها
ولكن سقوا كاس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين ان يكونوا
امثالهم بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا اهل تقوى واخلاص من
حيث ان النهي عن الشئ امر بضده ويصدون عن سبيل الله معطوف على
بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تاويل
المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيكم عليه واذ زين لهم الشيطان مقدر
باذكر اعمالهم في معاداة الرسول وغيرها وقال لا غالب لكم اليوم من الناس و
اني جار لكم مقالة نفسانية والمعنى انه القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا
يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما
يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل
الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب كقولك
لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه
رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم و
قال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرا منهم وخاف عليهم
وايس من حالهم لما راى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش
على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل
لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم
من بني كنانة فلما راى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث ابن هشام
فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحال فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر

آل فرعون تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم
وبيان ما اخذ به آل فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني
للتشبيه التغيير في النعمة بسبب تغييرهم ما بانفسهم وكل من الفرق
المكذبة او من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي
ان شر الدواب عند الله الذين كفروا اصروا على الكفر ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون
فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم لا يؤمنون
والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق
المعطوف وقوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة بدل من الذين
كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول
الله ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم
فنكثوا ومالئوهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم
ومن لتضمين المعاهدة او المحاربة وهم لا يتقون سبة الغدر ومغبته او
لا يتقون الله فيه او نصره للمؤمنين وتسليطه عليهم فاما تثقفنهم في
فاما تصادفنهم وتظفرن في الحرب فشرد بهم ففرق عن مناصبتك ونكل
عنها بقتلهم والنكاية فيهم من خلفهم من وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق
على اضطراب وقرئ شرذ بالذال المعجمة وكانه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى
واحد فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء لعلهم يذكرون
لعل المشردين يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة نقض عهد
بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم عهدهم على سواء على عدل وطريق قصد

ن العداوة ولا تناجزهم الحرب فانه يكون خيانة منك او على سواء في الخوف
والعلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الاول
ي نابذا على طريق سوي او منه او من المنبوذ اليهم او منهما على غيره و
وله ان الله لا يحب الخائنين تعليل بالامر بالنبذ والنهي عن مناجزة
لقتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستيناف ولا تحسبن خطاب
لنبي وقوله الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرا ابن عامر وحمزة وحفص بالياء
على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم او الذين كفروا والمفعول الاول
نفسهم فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية
الموصول فلا يحذف او على ايقاع الفعل على انهم لا يعجزون بالفتح على قراءة
ن عامر وان لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين اى مفلتين والاظهر انه
تعليل للنهي اى لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يعجزون الله او لا
يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان الا انه تعليل على سبيل
الاستيناف ولعل الاية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو
وقيل نزلت فيمن افلت من قتل المشركين واعدوا ايها المؤمنون لهم لناقضي
العهد او للكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة
بن عامر سمعته عليه السلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلثا ولعله
عليه السلام خصه بالذكر لانه اقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل التي تربط
في سبيل الله فعال بمعنى مفعول او مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورباطا
ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء

وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على
الملائكة ترهبون به تخوفون به وعن يعقوب ترهبون بالتشديد و
الضمير لما استطعتم او للاعداد عدو الله وعدوكم يعني كفار مكة وآخرين
من دونهم من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل
الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من
شيء في سبيل الله يوف اليكم جزاؤه وانتم لا تظلمون بتضييع العمل
او نقص الثواب وان جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام و
الى للسلم للصلح والاستسلام وقرا ابو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد
معهم وتانيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال السلم تاخذ منها
ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بالضم
وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك من
مكرهم ويحيقه بهم انه هو السميع لاقوالهم العليم بنياتهم والاية
مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها اية السيف
وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله فان محسبك الله وكافيك قال
جرير اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا
هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين جميعا والف بين قلوبهم مع ما فيهم
من العصبية والضغينة في ادنى شيء والتهالك على الانتقام بحيث
لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته
عليه السلام وبيانه لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اى

تناهي عداوتهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض
من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح ولكن الله الف بينهم بقدرته
البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء انه عزيز تام القدرة و
الغلبة لا يعصي عليه ما يريده حكيم يعلم انه كيف ينبغي ان يفعل ما يريده
وقيل الآية في الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد لها ووقائع
هلكت فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك والف بينهم بالاسلام حتى
تصافوا وصاروا انصارا يا ايها النبي حسبك الله كافيك ومن اتبعك من
المؤمنين اما في محل النصب على المفعول معه كقوله اذا كانت الهيجاء و
اشتجر القنا فحسبك والضحاك سيف مهند او الجر عطفا على المكني
عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله اي كفاك الله والمؤمنون و
الآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل اسلم مع النبي صلى الله عليه و
سلم ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله عنه فنزلت
ولذلك قال ابن عباس نزلت في اسلامه يا ايها النبي حرض المؤمنين على
القتال بالغ في حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى
يشفي على الموت وقرئ حرص من الحرص ان يكن منكم عشرون صابرون
يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا شرط في معنى الامر
بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتأييده
وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الآيتين ووافقهم البصريون
في وان تكن منكم مائة بانهم قوم لا يفقهون بسبب انهم جهلة بالله واليوم الآخر

لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا او
قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان الآن خفف الله عنكم
وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف
يغلبوا الفين باذن الله لما اوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم
وثقل ذلك عليهم خفف الله عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان
فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر
الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف
ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان
الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين والله مع
الصابرين بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون ما كان لنبي وقرئ للنبي
على العهد ان يكون له اسرى وقرئ البصريون حتى يثخن في الارض يكثر
القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي
اهله من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة بالتشديد للمبالغة
تريدون عرض الدنيا حطامها باخذكم الفداء والله يريد الآخرة يريد لكم
ثواب الآخرة او سبب نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ
بجر الآخرة على اضمار المضاف كقوله اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا
والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها
كما امر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير
بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي انه عليه

السلام اتي يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب
فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله
يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر اضرب
اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكني من فلان
لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم
يهو ذلك رسول الله وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى يكون الين
من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى يكون اشد من الحجارة وان
مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني
فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من
الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول
الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك
في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة
قريبة والآية دليل على ان الانبياء يجتهدون وانه قد يكون خطأ
ولكن لا يقرون عليه لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله سبق اثباته
في اللوح وهو ان لا يعاقب المخطي في اجتهاده او ان لا يعذب اهل
بدر او قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه او ان الفدية التي اخذوها
ستحل لهم لمسكم لنالكم فيما اخذتم من الفدا عذاب عظيم روي انه عليه السلام
قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان

فكلوا مما غنمتم من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم
فنزلت والفاء للتسبيب والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم
فكلوا وبنحوه تشبث من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة
حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفايدته ازاحة
ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها على الاولين
ولذلك وصفه بقوله طيبا واتقوا الله في مخالفته ان الله غفور غفر
لكم ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى
وقرا ابو عمرو من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا ايمانا واخلاصا
يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفدا روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله
ان يفدي نفسه وابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث فقال
يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال فاين الذهب الذي دفعته
الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في
وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل
وقثم فقال وما يدريك قال اخبرني ربي تعالى قال فاشهد انك صادق
وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته
اليها في سواد الليل قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن
عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم
ما احب ان لي بها جميع اموال مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود
بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا يعني الاسرى خيانتك نقض

ما عاهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقكم المأخوذ بالعقل من قبل
فامكن منهم اي فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك
منهم والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا هم المهاجرون هاجروا اوطانهم
حبا لله ولرسوله وجاهدوا باموالهم فصرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها
على المحاويج وانفسهم في سبيل الله بمباشرة القتال والذين آووا ونصروا
هم الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم اولئك
بعضهم اولياء بعض في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون
بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض او بالنصرة والمظاهرة والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من
ولايتهم من شيء حتى يهاجروا اي من توليتهم في الميراث وقرأ حمزة ولايتهم
بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كانه بتوليه صاحبه
يزاول عملا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم و
بينهم ميثاق فلا يجب عليكم ان تنصروهم عليهم والله بما تعملون بصير والذين
كفروا بعضهم اولياء بعض في الميراث والموازرة وهو بمفهومه يدل على
منع التوارث او الموازرة بينهم وبين المسلمين الا تفعلوه ان لا تفعلوا ما
امرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع
العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض تحصل فتنة فيها عظيمة وهي
ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدين وقرئ كثير والذين آمنوا
وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا

لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان منهم هم
الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة
الحق ووعدهم الموعد الامرين من يلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين
آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون
والانصار واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في التوارث من الاجانب
في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم من المواريث والحكمة في اناطتها بنسبة
الاسلام اولا والمظاهرة واعتبار القرابة ثانيا عن النبي عليه السلام
من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه
بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان
العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته سورة براءة مدنية وقيل
الا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهي آخر ما نزلت ولها اسماء اخر
التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة
والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من
التوبة للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهي التبري منه والبحث عن
حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم
ويشرد بهم ويدمدم عليهم وآيها مائة وثلثون وقيل تسع وعشرون
وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل
كان النبي عليه السلم اذا نزلت عليه سورة او آية بين موضعها و
توفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها لان

الكريم لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه ثم الحق بهم في

والمخزية

في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلفت الصحابة
في انهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال او سورتان تركت بينهما
فرجة ولم يكتب بسم الله **براءة من الله ورسوله** اي هذه براءة ومن ابتدائية
متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز ان يكون براءة
مبتدا لتخصيصها بصفتها والخبر **الى الذين عاهدتم من المشركين** وقرئ بنصبها
على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله بريا من العهد الذي عاهدتم المشركين
وانما علقت البراءة بالله وبرسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه
يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله واتفاق
الرسول فانهما بريا منها وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا اناسا
منهم بني ضمرة وبني كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين
اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا فقال **فسيحوا في الارض اربعة اشهر** شوال
وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لانها نزلت في شوال وقيل هي عشرون من
ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الاخر لان التبليغ كان
يوم النحر لما روي انها لما نزلت ارسل رسول الله عليه السلم عليا راكب العضباء
ليقراها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر اميرا على الموسم فقيل لو بعثت
بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء
فوقف فقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه
قال امير او مامور فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم
وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله

قال مامور

اليكم فقالوا بماذا فقرا عليهم ثلثين او اربعين آية ثم قال امرت باربع ان
لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل
الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده ولعل قوله لا يؤدي
عني الا رجل مني ليس على العموم فانه عليه السلم بعث لان يؤدي عنه
كثيرا لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان لا
يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه في بعض الروايات
لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي **واعلموا انكم غير معجزي الله**
لا تفوتونه وان امهلكم **وان الله مخزي الكافرين** بالقتل والاسر في الدنيا و
العذاب في الاخرة **واذان من الله ورسوله الى الناس** اي اعلام فعال بمعنى
الافعال كالامان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين **يوم الحج الاكبر**
يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي
انه عليه السلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم
الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلم الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر
لان العمرة يسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله
فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون
ووافق عيده اعياد اهل الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين
ان الله اي بان الله **بريء من المشركين** اي من عهودهم **ورسوله** عطف على
المستكن في بريء او على محل ان واسمها في قراءة من كسرها اجراء للاذان
مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع ولا

تكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار
بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين فان
تبتم من الكفر والغدر فهو فالتوب خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على
التولي عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه
طلبا ولا تعجزونه هربا في الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب اليم في الآخرة
الا الذين عاهدتم من المشركين استثناء من المشركين او استدراك وكانه قيل
لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم
ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد ولم ينكثوه او لم يقتلوا منكم ولم
يضروكم قط ولم يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى
مدتهم الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين ان الله يحب المتقين تعليل
وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى فاذا انسلخ انقضى واصل
الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة الاشهر الحرم التي ابيح
للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم
وهذا مخل بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم
اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فاقتلوا المشركين الناكثين حيث وجدتموهم
من حل وحرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم واحبسوهم
او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر لئلا يتبسطوا
في البلاد وانتصابه على الظرف فان تابوا عن الشرك بالايمان واقاموا الصلوة
وآتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا

لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى سبيله
ان الله غفور رحيم تعليل للامر اي فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر
لهم ما سلف ووعد لهم الثواب بالتوبة وان احد من المشركين المامور
بالتعرض لهم استجارك استامنك وطلب منك جوارك فاجره فامنه
حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه مامنه موضع امنه
ان لم يسلم واحد مرتفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل
الفعل ذلك الامن والامر بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة
ما تدعوهم اليه فلا بد من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون كيف يكون
للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد
لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم او لان يفي الله ورسوله
بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين
او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف
على الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين الا الذين
عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء
او الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء منقطع اي ولكن الذين عاهدتم
منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اي فتربصوا امرهم
فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله فاتموا اليهم
عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما تحتمل الشرطية والمصدرية ان الله
يحب المتقين سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء

لا بالابتداء

حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله وخبرتماني
انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب اى فكيف مات وان
يظهروا عليكم اى وحالهم انهم ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم الا
حلفا وقيل قرابة قال حسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من
رال النعام وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجؤار لانهم
كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها
تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل
اشتقاقه من ال الشيء اذا حدده او من ال البرق اذا لمع وقيل انه عبري
بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرال وجبرئيل ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على
اغفاله يرضونكم بافواههم استيناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد
المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم
بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان
والطاعة والوفاء بالعهد في الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان
ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه وتابى قلوبهم ما تتفوه به افواههم
واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروءة تردعهم وتخصيص
الاكثر لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر الى احدوثة
السوء اشتروا بآيات الله استبدلوا بالقرآن ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو
اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر
الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشتراءهم اداهم الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون

عملهم هذا او ما دل عليه قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة فهو تفسير لا تكرير
وقيل الاول عام في المناقضين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود او الاعراب
الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون في الشرارة فان
تابوا عن الكفر واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين
لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الآيات لقوم يعلمون اعتراض للحث على
تامل ما فصل من احكام المعاهدين او خصال التائبين وان نكثوا ايمانهم من
بعد عهدهم وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان او الوفاء بالعهود وطعنوا
في دينكم بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اى فقاتلوهم
فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوي الرياسة
والتقدم في الكفر احقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص
اما لان قتلهم اهم وهم احق به او للمنع من مراقبتهم وقرا عاصم وابن عامر و
حمزة والكسائي وروح عن يعقوب ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل
والتصريح بالياء لحن انهم لا ايمان لهم اى لا ايمان لهم على الحقيقة والا
لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن في الاسلام فقد
نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان يمين الكافر ليس يمينا وهو ضعيف
لان المراد نفي الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله وان نكثوا ايمانهم
وقرا ابن عامر لا ايمان بمعنى لا امان او لا اسلام وتشبث به من لم يقبل
توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار
عن قوم معينين او ليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله لعلهم ينتهون

متعلق بقاتلوا اى ليكن غرضكم فى المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال
الاذية بهم كما هو طريقة الموذين الا تقاتلون قوما تحريض على القتال لان
الهمزة دخلت على النفى للانكار فافادت المبالغة فى الفعل نكثوا ايمانهم
التى حلفوها مع الرسول والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا
بنى بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا فى امره بدار الندوة
على ما مر ذكره فى قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا
عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة وهم بدؤكم اول مرة بالمعاداة
والمقاتلة لانه عليه السلام بدأهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدى
به فعدلوا عن معارضته الى المعادات والمقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوهم
وتصادموهم اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه
منهم فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره ان كنتم مؤمنين
فان قضية الايمان ان لا يخشى الا منه قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان موجبه
بعد التوبيخ على تركه والتوعد عليه يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم
عليهم وعدهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم ويشف
صدور قوم مؤمنين يعنى بنى خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا
فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد اوفى
الله بما وعدهم والاية من المعجزات ويتوب الله على من يشاء ابتداء اخبار بان
بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان

مكة

ان على

على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم
تسبب لتوبة قوم آخرين والله عليم بما كان وما سيكون حكيم لا يفعل و
لا يحكم الا على وفق الحكمة ام حسبتم خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم
القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى همزتها التوبيخ على الحسبان
ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين
جاهدوا من غيرهم نفى العلم واراد نفى المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان
عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف على
جاهدوا داخل فى الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة
بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما فى لما من معنى التوقع منبه
على ان تبين ذلك متوقع والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما
يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا
مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما
جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير
وابى عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر باظهار الشرك
وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا
بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره روى انه لما اسر العباس
عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له على رضى الله عنه فى القول
تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة
ونسقى الحجيج ونفك العانى فنزلت اولئك حبطت اعمالهم التى

ومعنى الهمزة فيها التوبيخ

متوقع

فقال الكم

يفتخرون بها

وثقي

بما فيها من الشرك وفي النار هم خالدون لاجله انما يعمر مساجد الله من
آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة واتى الزكوة اى انما يستقيم عمارتها
لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها
الجامعين وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم منها
وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال
الله ان بيوتي في الارض المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد
تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زايره وانما لم يذكر
الايمان بالرسول لما علم ان الايمان بالله قرينته وتمامه الايمان به و
لدلالة قوله واقام الصلوة واتى الزكوة عليه ولم يخش الا الله اى في ابواب
الدين فان الخشية على المحاذير جبلية لا يكاد الرجل العاقل يتمالك عنها فعسى
اولئك ان يكونوا من المهتدين ذكره بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين
في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم مهتدون فان
هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم داير بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم
ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها اجعلتم سقاية الحاج
وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله السقاية
والعمارة مصدرا سقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من اضمار تقديره
اجعلتم اهل سقاية الحاج كمن آمن او اجعلتم سقاية الحاج كايمان من آمن و
يؤيد الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان
يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك

(هامش: تزيينها بالفرش)

بقوله

بقوله لا يستوون عند الله وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم
الظالمين اى الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول منهمكين في الضلالة
فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد
بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين الذين آمنوا وهاجروا
وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله اعلى رتبة
واكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات او من اهل السقاية والعمارة عندكم
واولئك هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله تعالى دونكم يبشرهم
ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها في الجنات نعيم مقيم دايم وقرأ
حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف
خالدين فيها ابدا اكد الخلود بالتابيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل ان الله
عنده اجر عظيم يستحقر دونه ما استوجبوه لاجله او نعم الدنيا يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا
بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا اباءنا وابناءنا وعشايرنا وذهبت تجاراتنا
وبقينا ضايعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا
بمكة والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله
ان استحبوا الكفر على الايمان اختاروه وحرصوا عليه ومن يتولهم منكم فاولئك
هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير محلها قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم
وازواجكم وعشيرتكم اقرباؤكم ماخوذ من العشرة وقيل من العشرة فان العشيرة
جماعة ترجع الى عقد كالعشرة وقرأ ابو بكر وعشيراتكم وقرئ وعشايركم

واموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات وقت نفاقها
ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله الحب
الاختياري دون الاضطراري فانه لا يدخل تحت التكليف والتحفظ عنه
فتربصوا حتى ياتي الله بامره جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة او آجلة
وقيل فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يرشدهم وفي الاية تشديد
عظيم وقل من يتخلص عنه لقد نصركم الله في مواطن كثيرة يعني مواطن الحرب
وهي مواقعها ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم وموطن يوم حنين ويجوز
ان يقدر في ايام مواطن او يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين
رضي الله عنه ولا يمنع ابدال قوله اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا منه
ان يعطف على موضع في مواطن فانه لا يقتضي تشاركهما فيما اضيف
اليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم واعجابها اياهم في جميع المواطن
وحنين واد بين مكة والطائف حارب فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكانوا اثني عشر الفا العشرة الذين حضروا فتح مكة والفان انضموا
اليهم من الطلقاء هوازن وثقيف وكانوا اربعة آلاف فلما التقوا
قال النبي صلى الله عليه وسلم او ابو بكر رضي الله عنه او غيره من
المسلمين لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا
فادرك المسلمون اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى
بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركزه ليس
معه الا عمه العباس آخذا بلجامه وابن عمه ابو سفيان بن الحرث و

يوم حنين

والمسلمون

فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم

فلهم

وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتا
صح بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة
البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة
فالتقوا مع المشركين فقال هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب
فرماهم فقال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم اي الكثرة شيئا
من الاغناء او من امر العدو وضاقت عليكم الارض بما رحبت برحبها اي بسعتها
لا تجدون فيها مقرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب او لا تثبتون
فيه كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم مدبرين الكفار ظهوركم منهزمين والادبار
الذهاب الى خلف خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا
بها وآمنوا على رسوله وعلى المؤمنين واعاد الجار للتنبيه على اختلاف
حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول عليه السلام ولم يفروا وانزل جنودا لم تروها
باعينكم يعني الملائكة وكانوا خمسة آلاف او ثمانية او ستة عشر على اختلاف
الاقوال وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين
اي ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم
بالتوفيق للاسلام والله غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي
ان ناسا منهم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلموا وقالوا يا
رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت
اموالنا وقد سبي يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى
فقال اختاروا اما سباياكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب

عليه السلام

فلم تغن عنكم

الذين انهزموا

عليه السلام

شيئا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين
وانا خيرتهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا
فمن كان بيده شيء وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن
قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا
فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا
فرفعوا انهم قد رضوا **يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس** لخبث باطنهم
او لانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس او لانهم لا يتطهرون
ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل
على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وقرئ نجس بالسكون وكسر
النون وهو ككبد في كبد واكثر ما جاء تابعا لرجس **فلا يقربوا المسجد
الحرام** لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول
الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه
ذهب ابو حنيفة رضي الله عنه وقاس مالك سائر المساجد على المسجد
الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع **بعد عامهم هذا**
يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة الوداع **وان خفتم
عيلة** فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من
المكاسب والارفاق **فسوف يغنيكم الله من فضله** من عطائه او تفضله بوجه آخر
وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل تبالة و

وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه
اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية
او حال **ان شاء** قيده بالمشيئة لينقطع الآمال الى الله ولينبه على انه
متفضل في ذلك وان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي
عام دون عام **ان الله عليم** باحوالكم **حكيم** فيما يعطي ويمنع **قاتلوا الذين لا
يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر** اي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه
في اول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان **ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله** ما ثبت
تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذي يزعمون اتباعه و
المعنى انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا **ولا يدينون
دين الحق** الثابت الذي هو ناسخ الاديان ومبطلها **من الذين اوتوا الكتاب**
بيان للذين لا يؤمنون **حتى يعطوا الجزية** ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق
من جزى دينه اذا قضاه **عن يد** حال من الضمير اي عن يد مواتية بمعنى منقا
او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم ولذلك
منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك قيل لا يؤخذ من الفقير او عن يد
قاهرة عليهم بمعنى عاجزين اذلاء او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن
يد الى يد او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة **وهم
صاغرون** اذلاء وعن ابن عباس تؤخذ الجزية من الذمي وتوجأ عنقه
ومفهوم الآية يقتضي تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان عمر رضي
الله عنه لم يكن ياخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف رضي

انه عليه السلم اخذها من مجوس هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب
وذلك لان لهم شبهة كتاب فالحقوا بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا
يؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابي حنيفة تؤخذ منهم الا من مشركي العرب
لما روى الزهري انه عليه السلم صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند
مالك يؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة دينار سواء فيه الغني
والفقير وقال ابو حنيفة على الغني ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط
نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شيء على فقير غير كسوب وقالت
اليهود عزير ابن الله انما قاله بعضهم من متقدميهم او ممن كانوا في المدينة
وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بختنصر من يحفظ التورية و
هو لما احياه الله تعالى بعد مائة عام املى عليهم التورية حفظا فتعجبوا من
ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا القول كان فيهم
ان الاية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقراءة عاصم و
الكسائي ويعقوب عزير بالتنوين على انه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف
به وحذفه في القراءة الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف او لالتقاء
الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين او لان الابن وصف والخبر محذوف
مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف لانه يؤدي الى تسليم النسب و
انكار الخبر المقدر وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم و
انما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب او لان يفعل ما فعله من ابراء
الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك قولهم بافواههم اما تأكيد

حفظا

لنسبة

لنسبة هذا القول اليهم ونفي التجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان و
تحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان
يضاهون قول الذين كفروا اي يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه من قبل اي من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى
ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله او اليهود
على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمزة لغة فيه وقد قرأ
به عاصم ومنه قولهم امرأة ضهيأ على فعيل للتي شابهت الرجال في انها
لا تحيض قاتلهم الله دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او
تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق الى الباطل
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احل
الله وتحليل ما حرم الله او بالسجود لهم والمسيح ابن مريم بان جعلوه ابنا لله
وما امروا اي وما امر المتخذون او المتخذون اربابا فيكون كالدليل على
بطلان الاتخاذ الا ليعبدوا ليطيعوا الها واحدا وهو الله تعالى واما طاعة
الرسول وسائر من امر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله لا اله الا هو صفة
ثانية او استيناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون تنزيه له عن ان يكون
له شريك يريدون ان يطفئوا يخمدوا نور الله حجته الدالة على وحدانيته و
تقدسه عن الولد او القرآن او نبوة محمد عليه الصلوة والسلام بافواههم
بشركهم او تكذيبهم ويأبى الله لا يرضى الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد واعزاز
الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد عليه الصلوة والسلام بالتكذيب

ولا يوجد م

عادٍ من طلب اطفاء نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله ان يزيده
بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي
ولو كره الكافرون محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه هو الذي ارسل
رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله كالبيان لقوله
ويأبى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر ولو كره المشركون غير انه وضع
المشركون الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك
بالله والضمير في ليظهره للدين الحق او للرسول واللام في الدين
للجنس اي على سائر الاديان فينسخها او على اهلها فيخذلهم يا ايها
الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل
يأخذونها بالرشى في الاحكام سمي اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم
منه ويصدون عن سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان
فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن بها وان يراد المسلمون
الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه فيكون اقترانه
بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل كبر على
المسلمين فذكر عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ان الله لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله
عليه الصلوة والسلام ما ادي زكوته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه
فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله تعالى ان ينفق فيه

المفرغ

واما

واما قوله من ترك صفراء او بيضاء كوي بها ونحوها فالمراد منها ما لم
يؤد حقها لقوله عليه الصلوة والسلم فيما اورده الشيخان مرويا
عن ابي هريرة رضي الله عنه ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي
منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فكوي
بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم هو الكي بهما يوم يحمى
عليها في نار جهنم اي يوم توقد النار ذات حمي شديد عليها واصله تحمى
بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار
والمجرور تنبيها على المقصود وانتقل من صيغة التأنيث الى صيغة
التذكير وانما قال عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم
كثيرة كما قال علي اربعة الاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا
قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز او للاموال فان الحكم عام
وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها
ودلالة حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم و
جنوبهم وظهورهم لان جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى
والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن
السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء
الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب و
الكبد او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخره
وجنباه هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها وكان عين

مضرتها او بسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اى وبال كنزكم
او ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون ان عدة الشهور اى مبلغ عددها
عند الله معمول عدة لانها مصدر اثنا عشر شهرا فى كتاب الله فى اللوح
المحفوظ او فى حكمه وهو صفة لاثنا عشر وقوله يوم خلق السموات
والارض متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا
والمعنى ان هذا امر ثابت فى نفس الامر منذ خلق الله الاجرام والازمنة
منها اربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلثة سرد ذو القعدة وذو
الحجة والمحرم ذلك الدين القيم اى تحريم الاشهر الاربعة هو الدين
القويم دين ابرهيم واسمعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما فلا
تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان
حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصى فيهن
فانه اعظم وزرا كارتكابها فى الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه لا يحل
للناس ان يغزوا فى الحرم والاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول
ما روى انه عليه الصلوة والسلام حاصر الطايف وغزا هوازن بحنين فى
شوال وذى القعده وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا وهى
مصدر كف عن الشئ فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال
بشارة وضمان لهم بالنصر بسبب تقويهم واعلموا ان الله مع المتقين انما
النسئ اى تاخير حرمة الشهر الى شهر اخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم
محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر

حال

واعتبروا

واعتبروا مجرد العدد وعن نافع برواية ورش انما النسى بقلب الهمزة
ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسى بحذفها والنسى والنساء وثلثتها مصادر
نسأه اذا اخره زيادة فى الكفر لانه تحريم ما احله الله وتحليل ما حرمه الله
فهو كفر آخر ضموه الى كفرهم يضل به الذين كفروا ضلالا زايدا وقرأ حمزة
والكسائى وحفص يضل على بناء المفعول وعن يعقوب يضل على ان الفاعل
الله يحلونه عاما يحلون النسئ من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا
آخر ويحرمونه عاما فيتركونه على حرمته قيل اول من احدث ذلك جنادة بن
عوف الكنانى كان يقوم على جمل فى الموسم فينادى ان آلهتكم قد احلت
لكم المحرم فاحلوه ثم ينادى فى القابل ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه
والجملتان تفسير للضلال او حال ليواطئوا عدة ما حرم الله اى ليوافقوا
عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين
فيحلوا ما حرم الله بمواطأة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت زين لهم
سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى والمعنى خذلهم واضلهم حتى
حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله لا يهدى القوم الكافرين هداية موصلة
الى الاهتداء يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم
تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل واثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ الى
الارض متعلق به كأنه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدى بالى وكان ذلك
فى غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطايف فى وقت عسرة وقيظ
مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها

من الآخرة بدل الآخرة وعوضها فما متاع الحيوة الدنيا فما التمتع بها في الآخرة
في جنب الآخرة الا قليل مستحقر الا تنفروا ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه
يعذبكم عذابا اليما بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو ويستبدل
قوما غيركم ويستبدل بكم آخرين مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس
ولا تضروه شيئا اذ لا يقدح تثاقلكم في نصر دينه شيئا فانه الغني عن كل
شيء وفي كل امر وقيل الضمير للرسول اي ولا تضروه فان الله وعد له
بالعصمة والنصرة ووعده حق والله على كل شيء قدير فيقدر على التبديل
وتغيير الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال الا تنصروه فقد نصره الله اي ان
لم تنصروه فسينصره الله كما نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ولم يكن
معه الا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه او ان لم تنصروه
فقد اوجب الله له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره
واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه او قتله تسبب لاذن الله تعالى
له بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من يجري المنقوص مجرى
المقصور في الاعراب ونصبه على الحال اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض
اذ المراد به زمان متسع والغار نقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة
على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلثا اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه
وهو ابو بكر رضي الله عنه لا تحزن ان الله معنا بالعصمة والمعونة روي ان
المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رضي على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما

فسينصره

بدل منه

فاعما

فاعماهم عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار
بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه فانزل الله سكينته
امنته التي تسكن عندها القلوب عليه على الرسول على النبي عليه الصلوة و
السلم او على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا وايده بجنود لم تروها
يعني الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار وليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب
وحنين فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى
يعني الشرك او دعوة الكفر وكلمة الله هي العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام
والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدأ
له او بتأييده اياه بالملائكة في هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث حضر
وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من
الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه
ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل والله عزيز حكيم في امره وتدبيره انفروا
خفافا لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها او
ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك
لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي ان انفر قال نعم
حتى نزل ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله بما امكن
لكم منهما كليهما او احدهما ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه
خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله تعالى به صدق فبادروا اليه لو كان
عرضا قريبا اي لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل المأخذ وسفرا قاصدا

العنكبوت

الله

معا

لكم

متوسطا لاتبعوك لوافقوك ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة التي تقطع
بمشقة وقرئ بكسر العين والشين وسيحلفون بالله اي المتخلفون اذا
رجعت من تبوك معتذرين لو استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة
العدة او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير
في قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط وهذا
من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه يهلكون انفسهم بايقاعها في
العذاب وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع النفس في
الهلاك او حال من فاعله والله يعلم انهم لكاذبون في ذلك لانهم كانوا مستطيعين
الخروج عفا الله عنك كناية عن خطائه في الاذن فان العفو من روادفه لم اذنت
لهم بيان لما كني عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاي شيء اذنت لهم في
القعود حين استاذنوك واعتلوا بالاكاذيب وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين
صدقوا في الاعتذار وتعلم الكاذبين فيه قيل انما فعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اخذه للفداء واذنه للمنافقين فعاتبه
الله تعالى عليهما لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا
باموالهم وانفسهم اي ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا
وان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه على الاذن فيه فضلا ان
يستاذنوك في التخلف عنه او ان يستاذنوك في التخلف كراهة ان
يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه انما
يستاذنك في التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر في الموضعين

تخصيص الايمان بالله واليوم الاخر

للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدمه الايمان بهما وارتابت قلوبهم
فهم في ريبهم يترددون يتحيرون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له للخروج عدة
اهبة وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي
وعدوا وعدة بكسر العين باضافة وغيرها ولكن كره الله انبعاثهم استدراك
عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج كانه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه
تعالى كره انبعاثهم اي نهوضهم للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل
وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم او وسوسة
الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول
لهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم
لو خرجوا فيكم ما زادوكم بخروجهم شيئا الا خبالا فسادا وشرا ولا يستلزم
ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار اعم
العام الذي وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا
وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا ولاوضعوا خلالكم ولاسرعوا ركائبهم
بينكم بالنميمة والتضريب او الهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا
اذا اسرع يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم او
الرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في اوضعوا وفيكم سماعون لهم ضعفة
يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم
والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يتاتى منهم لقد ابتغوا الفتنة من قبل
تشتيت امرك وتفريق اصحابك من قبل يعني يوم احد فان ابن ابي واصحابه

اهبة

انبعاثهم

كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرج مع الرسول الى ذي جدة اسفل من ثنية
الوداع انصرفوا يوم احد وقلبوا لك الامور ودبروا لك المكايد والحيل
ودوروا الآراء في ابطال امرك حتى جاء الحق النصر والتاييد الالهي وظهر
امر الله علا دينه وهم كارهون اى على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول
والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم وهتك استارهم
وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوته الرسول
بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه ومنهم من يقول ائذن لى في
القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة اى العصيان والمخالفة بان
لا تاذن لى وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن او لم ياذن او في الفتنة
بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدى او في الفتنة بنساء
الروم لما روى ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار انى مولع
بالنساء فلا تفتنى ببنات الاصفر ولكنى اعينك بمالى فاتركنى الا
في الفتنة سقطوا اى ان الفتنة هى التى سقطوا فيها وهى فتنة التخلف
او ظهور النفاق لا ما احترزوا عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة لهم
يوم القيمة او الآن لاحاطة اسبابها بهم ان تصبك في بعض غزواتك حسنة
ظفر وغنيمة تسوءهم لفرط حسدهم وان تصبك في بعضها مصيبة كسر
وشدة كما اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل تبجحوا بانصرافهم
واستحمدوا ارائهم في التخلف ويتولوا عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم له او عن
الرسول وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا ما اختصنا

وعلا

ما ثبطهم
لما فوته

تفتني

وايجابه باثباته من النصرة او الشهادة او ما كتب لاجلنا في اللوح المحفوظ اى قضى لا يتغير
ولا بمخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهل يصيّبنا وهو من فيعل لا من فعّل لانه
من بنات الواو كقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه
وقوع الشيء فيما قصد به وقيل من الصوب هو مولانا ناصرنا ومتولي امرنا وعلى
الله فليتوكل المؤمنون لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره قل هل تربصون بنا تنتظرون
بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب
النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم ايضا احدى سوأيين ان يصيبكم الله
بعذاب من عنده بقارعة من السماء او بايدينا او بعذاب بايدينا وهو القتل على
الكفر فتربصوا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا
او كرها لن يتقبل منكم امر في معنى الخبر اى لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها
وفايدته المبالغة في تساوى الانفاقين في عدم القبول كانهم امروا بان
يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب لقول جد بن
قيس واعينك بمالى ونفي التقبل يحتمل امرين ان لا يوخذ منهم وان لا يثابوا
عليه وقوله انكم كنتم قوما فاسقين تعليل على سبيل الاستيناف وما بعده
وتقرير له وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم اى وما منعهم قبول نفقاتهم الا
انهم كفروا بالله وبرسوله الا كفرهم وقرا حمزة والكسائى ان يقبل بالياء
لان تانيث النفقات غير حقيقى وقرئ يقبل على ان الفعل لله ولا ياتون
الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بها
ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك

بموافقتكم

بيان م

وقرئ

استدراج ووبال لهم كما قال انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا بسبب
بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد و
المصائب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع
عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج
بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم
لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون
بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية لو يجدون ملجا حصنا يلجئون اليه او
مغارات غيرانا او مدخلا نفقا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول وقرا يعقوب
مدخلا من دخل يدخل وقرئ مدخلا اي مكانا يدخلون فيه انفسهم ومتدخلا
او مندخلا من تدخل واندخل لولوا اليه لاقبلوا نحوه وهم يجمحون يسرعون
اسراعا لا يردهم شيء كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ومنهم
من يلمزك يعيبك وقرا يعقوب يلمزك بالضم وابن كثير يلامزك في الصدقات
في قسمتها فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قيل نزلت
في ابي الجواظ المنافق قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في
في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وابن ذي الخويصرة راس الخوارج كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل
مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك يا رسول
فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل فاذا للمفاجاة نائب مناب الفاء
الجزائية ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله رضوا بما اعطاهم الرسول من

وقيل

الغنيمة

الغنيمة والصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول
كان بامره وقالوا حسبنا الله كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله صدقة او
غنيمة اخرى ورسوله فيؤتينا اكثر مما اتانا انا الى الله راغبون
في ان يغنينا من فضله والاية باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف تقديره
لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما
فعله الرسول فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين اي الزكوة لهؤلاء
المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم في قسمة
الزكوة دون الغنائم والفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من
حاجته من الفقار كانه اصيب فقاره والمسكين من له مال او كسب
لا يكفيه من السكون كان العجز اسكنه ويدل عليه قوله تعالى اما السفينة
فكانت لمساكين وانه عليه الصلوة والسلم يسال المسكنة ويتعوذ من
الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى او مسكينا ذا متربة والعاملين عليها
الساعين في تحصيلها وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة
فيه فيستالف قلوبهم او اشراف يترقب باعطائهم مراعاتهم
اسلام نظرائهم وقد اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة
بن حصين والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل اشراف
يستالفون على ان يسلموا فانه عليه الصلوة والسلم كان يعطيهم
والاصح انه كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خالص ماله وقد عد
منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكوة وقيل

يعملون في البحر

وكان سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله واكثر اهله سقط
وفي الرقاب وللصرف في فك الرقاب بان يعاون المكاتب بشيء منها
على اداء النجوم وقيل بان يبتاع الرقاب فيعتق وبه قال مالك
واحمد او بان يفدى الاسارى والعدول عن اللام الى في للدلالة على
ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان على انهم احق بها
والغارمين المديونين لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء
او لاصلاح ذات البين وان كانوا اغنياء لقوله عليه الصلوة والسلم
لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لغارم او رجل
اشتراها بماله او رجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين
للغني او لعامل عليها وفي سبيل الله وللصرف في الجهاد بالانفاق على المتطوعة
وابتياع الكراع والسلاح وقيل في بناء القناطر والمصانع وابن السبيل
المسافر المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه الآية اي فرض
لهم الصدقات فريضة او حال من الضمير المستكن في الفقراء وقرئ بالرفع
على تلك فريضة والله عليم حكيم يضع الاشياء في مواضعها وظاهر الآية
يقتضي تخصيص استحقاق الزكوة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف
الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه
ذهب الشافعي وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين
وابي حنيفة رضي الله عنهم جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال الائمة
الثلثة واختاره بعض اصحابنا وبه كان يفتي شيخي ووالدي رحمة الله عليه

على ان الآية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب قسمها عليهم ومنهم
الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه
سمي بالجارحة للمبالغة كانه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع
كما سمي الجاسوس عينا لذلك او اشتق له فعل من اذن اذنا اذا استمع
كانف وشلل روي انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول ما شئنا ثم
ناتيه فيصدقنا بما نقول قل اذن خير لكم تصديق لهم بانه اذن ولكن
لا على الوجه الذي ذموا به بل من حيث انه يسمع الخير ثم يقبله ثم فسر
ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين
ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق
فانه بمعنى التسليم وايمان الامان ورحمة اي وهو رحمة للذين آمنوا منكم
لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس
يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة
بالجر عطفا على خير وقرئت بالنصب على انها علة لفعل دل عليه اذن خير
اي ياذن لكم رحمة وقرأ نافع واذن بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير على
ان خير صفة له او خبر ثان والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم
يحلفون بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا او تخلفوا ليرضوكم لترضوا
عنهم والخطاب للمؤمنين والله ورسوله احق ان يرضوه احق بالارضاء
بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضائين او لان الكلام
في ايذاء الرسول وارضائه او لان التقدير والله احق ان يرضوه والرسول

كذلك انه كانوا اتقوا شيئا صدقا الم يعلموا انه ان الشان وقرئ بالتاء من يحادد
الله ورسوله يشاقق مفاعلة من الحد فان له نار جهنم خالدا فيها على حذف
الخبر اي فحق ان له او على تكرير ان للتاكيد ويحتمل ان يكون معطوفا
على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك
وقرئ فان بالكسر ذلك الخزي العظيم يعني الهلاك الدائم يحذر المنافقون
ان تنزل عليهم على المؤمنين سورة تنبئهم بما في قلوبهم تهتك عليهم استارهم
ويجوز ان يكون الضماير للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث
انه مقروء ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم ايضا في كفرهم وانهم
لم يكونوا على بت في امر الرسول بشيء وقيل انه خبر في معنى الامر وقيل انهم
كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله قل استهزءوا ان الله مخرج مبرز
او مظهر ما تحذرون اي ما تحذرونه من انزال السورة فيكم او ما تحذرون
اظهاره من مساويكم ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روي ان
ركب المنافقين مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك
فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات
هيهات فاخبر الله به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا و
الله ما كنا في شيء من امرك وامر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه
الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون
توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم ولا تعبأ
باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة

الهلاك

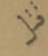
الكذب قد كفرتم قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول والطعن فيه
فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم و
اخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء نعذب طائفة بانهم كانوا
مجرمين مصرين على النفاق او مقدمين على الايذاء والاستهزاء وقرأ عاصم
بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وان تعف بالتاء
والبناء للمفعول ذهابا الى المعنى كانه قال ان ترحم طائفة المنافقون والمنافقات
بعضهم من بعض اي متشابهة في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشيء
الواحد وقيل انه تكذيب لهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم
منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين
وهو قوله تعالى يامرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف
عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم عن المبار وقبض اليد كناية عن
الشح نسوا الله اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم من لطفه
وفضله ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفسوق و
التجرد عن دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم
خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم
عذابها ولعنهم الله ابعدهم من رحمته واهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع
والمراد به ما وعدهم او ما يقاسونه من تعب النفاق كالذين من قبلكم
اي انتم مثل الذين او فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر
اموالا واولادا بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم

نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر
لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم
الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية
والتهائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ
الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء اثرهم
وخضتم ودخلتم في الباطل كالذي خاضوا كالذين خاضوا او كالفوج الذي
خاضوا او كالخوض الذي خاضوه اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة
لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين واولئك هم الخاسرون الذين خسروا
الدنيا والآخرة الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان
وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابرهيم اهلك نمرود
ببعوض واهلك اصحابه واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب
اهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت بهم
اي انقلبت فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقرى
قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى
الشر اتتهم رسلهم بالبينات يعني الكل فما كان الله ليظلمهم اي لم يكن من عادته
ما يشابه ظلم كالعقوبة بلا جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عرضوها
للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء
بعض في مقابلة قوله والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون

الله

الله ورسوله في سائر الامور اولئك سيرحمهم الله لا محالة فان السين
مؤكدة للوقوع ان الله عزيز غالب على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريده
حكيم يضع الاشياء مواضعها وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة يستطيبها النفس
او يطيب فيها العيش وفي الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد
والياقوت الاحمر في جنات عدن اقامة وخلود وعنه عليه الصلوة
والسلام عدن دار الله التي لم ترها عين ولا تخطر على قلب بشر لا يسكنها
غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن
دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل
واحد او للجميع على سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه فكانه وصفه اولا
بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن التي يعرفونها ليميل اليه طباعهم اول
ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن
شوائب الكدورات التي لا تخلو عن شيء منها اماكن الدنيا وفيها
ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في
جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من
ذلك فقال ورضوان من الله اكبر لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة و
المؤدي الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه عليه السلم ان الله
تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا
ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي

شیٔ افضل من ذلك قال احل علیکم رضوانی فلا اسخط علیکم ابدا ذلك
ای الرضوان او جمیع ما تقدم هو الفوز العظیم الذی یستحقر دونه
الدنیا وما فیها یا ایها النبی جاهد الکفار بالسیف والمنافقین بالزام
الحجة واقامة الحدود واغلظ علیهم فی ذلك ولا تحابهم ومأویهم جهنم
وبئس المصیر مصیرهم یحلفون بالله ما قالوا روی انه علیه الصلوة و
السلم اقام فی غزوة تبوك شهرین ینزل علیه القران ویعیب المتخلفین
فقال الجلاس بن سوید لین کان ما یقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر
من الحمیر فبلغ ذلك رسول الله صلی الله علیه وسلم فاستحضره فحلف
بالله ما قال فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا کلمة
الکفر وکفروا بعد اسلامهم واظهروا الکفر بعد اظهار الاسلام وهموا
بما لم ینالوا من قتل الرسول وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه
من تبوك ان یدفعوه عن راحلته الی الوادی اذا تسنم العقبة باللیل
فاخذ عمار بن یاسر بخطام راحلته یقودها وحذیفة خلفها یسوقها
فبینما هما کذلك اذ سمع حذیفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح
فقال الیکم الیکم یا اعداء الله فهربوا او اخراجه واخراج المؤمنین من
المدینة او بان یتوجوا عبد الله بن ابی وان لم یرض رسول الله صلی الله
علیه وسلم وما نقموا وما انکروا او ما وجدوا ما یورث نقمتهم الا ان
اغناهم الله ورسوله من فضله فان اکثر اهل المدینة کانوا محاویج فی ضنك
عن العیش فلما قدمهم رسول الله صلی الله علیه وسلم اثروا بالغنایم و



قتل للجلاس مولی فامر رسول الله صلی الله بدیته اثنی عشر الف
الف درهم فاستغنی والاستثناء مفرغ ای اعم المفاعیل او العلل
فان یتوبوا یك خیرا لهم هو الذی حمل الجلاس علی التوبة الضمیر فی
یك للتوبة وان یتولوا بالاصرار علی النفاق یعذبهم الله عذابا الیما فی
الدنیا والاخرة والقتل والنار وما لهم فی الارض من ولی ولا نصیر فینجیهم
من العذاب ومنهم من عاهد الله لین اتینا من فضله لنصدقن ولنکونن من
الصالحین نزلت فی ثعلبة بن حاطب اتی النبی صلی الله علیه وسلم و
قال ادع الله ان یرزقنی مالا فقال علیه الصلوة والسلم یا ثعلبة
قلیل یؤدی شکره خیر من کثیر لا تطیقه فراجعه وقال والذی بعثك
بالحق لان رزقنی مالا لاعطین کل ذی حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت
کما ینمی الدود حتی ضاقت بها المدینة فنزل وادیا وانقطع عن الجمعة و
الجماعة فسال عنه رسول الله صلی الله علیه وسلم فقیل کثر ماله حتی
لا یسعه واد فقال یا ویح ثعلبة فبعث مصدقین لاخذ الصدقات
فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة
واقراه الکتاب الذی فیه الفرایض فقال ما هذه الا جزیة ما هذه الا
اخت الجزیة فارجعا حتی اری رای فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال
ان الله منعنی ان اقبل منك فجعل التراب یحثو علی راسه فقال یا نفس
هذا عملك قد امرتك فلم تطعنی فقبض رسول الله صلی الله علیه وسلم
فجاء بها الی ابی بکر رضی الله عنه فلم یقبلها ثم جاء بها الی عمر فی خلافته

فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان رضي الله عنه فلما آتيهم من فضله بخلوا به
منعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون وهم قوم عادتهم
الاعراض عنها فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا
وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم
البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه يلقون الله بالموت او يلقون
عمله اي جزاءه وهو يوم القيمة بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب اخلافهم
ما وعدوه من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين
فيه فان خلف الوعد متضمن الكذب مستقبح من الوجهين او المقال
مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد الم يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله
وقرئ بالتاء على الالتفات ان الله يعلم سرهم ما اسروه في انفسهم من النفاق
او العزم على الاخلاف ونجويهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن
او تسمية الزكوة جزية وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه ذلك الذين
يلمزون ذم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون
بالضم المطوعين المتطوعين من المؤمنين في الصدقات روي انه عليه الصلوة
والسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم
وقال كان لي ثمانية آلاف درهم فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي
اربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله تعالى لك فيما اعطيت
وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن
على ثمانين الف درهم وتصدق عاصم بن عدي بماية وسق تمر وجاء ابو عقيل

الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت
صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله عليه السلم ان ينثره
على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن و
عاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه
احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم
الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه فيسخرون
منهم يستهزؤن بهم سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم كقوله الله يستهزئ
بهم ولهم عذاب اليم على كفرهم استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد به التساوي
بين الامرين في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله ان تستغفر لهم سبعين
مرة فلن يغفر الله لهم روي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين
سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر الله له ففعل
فنزلت فقال عليه الصلوة والسلم لازيدن على سبعين فنزلت سواء عليهم
استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم الاية وذلك لانه عليه
الصلوة والسلم فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز
ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير دون
التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعماية ونحوها في التكثير
لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكانه العدد باسره فلن يغفر الله لهم
ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله اشارة الى ان اليأس من المغفرة وعدم قبول
استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصا

عنها والله لا يهدي القوم الفاسقين المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على
الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق
والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر
الرسول في استغفاره وهو عدم يأسه عن ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون
على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله ما كان للنبي
والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد
ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله
بقعودهم عن الغزو خلفه يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ويجوز
ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة او الحال وكرهوا ان
يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله ايثارا للدعة والخفض على
طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين الذين اثروا عليها تحصيل رضاه
ببذل الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا في الحر اي قاله بعضهم لبعض او قالوه
للمؤمنين تثبيطا قل نار جهنم اشد حرا وقد اثرتموها بهذه المخالفة لو كانوا
يفقهون ان مآبهم اليها او انها كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة على
الطاعة فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اخبار عما
يؤول اليهم حالهم في الدنيا والاخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه
حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم
والمراد من القلة العدم فان رجعك الله الى طائفة منهم فان ردك الى المؤمنين
وفيها طائفة من المخلفين يعني منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين او من

بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا فاستأذنوك للخروج الى غزوة
اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى
النهي للمبالغة انكم رضيتم بالقعود اول مرة تعليل له وكان اسقاطهم عن
ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك
فاقعدوا مع الخالفين اي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء
والصبيان وقرئ مع الخلفين ولا تصل على احد منهم مات ابدا روي ان
ابن ابي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه فلما دخل عليه سأله ان
يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات
ارسل قميصه ليكفن فيه فذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم
نزلت وانما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلوة عليه لان الضنة
بالقميص مخلة بالكرم ولانه كان مكافاة لالباسه العباس قميصه حين
اسر ببدر والمراد من الصلوة الدعاء للميت والاستغفار له وهو ممنوع
في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله مات ابدا يعني الموت على الكفر
فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكأنه لم يحي ولا تقم على قبره ولا
تقف على قبره للدفن او الزيارة انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم
فاسقون تعليل للنهي او لتأبيد الموت ولا تعجبك اموالهم واولادهم
انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون تكرير
للتأكيد والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد و
النفوس مغتبطة عليها ويجوز ان تكون هذه في فريق غير الاول واذا انزلت

سورة من القران ويجوز ان يراد بها بعضها ان آمنوا بالله بان امنوا ويجوز
ان يكون ان المفسرة وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم
ذوو الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا لعذر رضوا
بان يكونوا مع الخوالف مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذى
لاخير فيه وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما فى الجهاد وموافقة الرسول
من السعادة وما فى التخلف عنه من الشقاوة لكن الرسول والذين امنوا معه
جاهدوا باموالهم وانفسهم اى ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد
من هو خير منهم اولئك لهم الخيرات منافع الدارين النصر والغنيمة فى الدنيا
والجنة والكرامة فى الاخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان و
هى جمع خيرة تخفيف خيرة واولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب اعد الله
لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم
من الخيرات الاخروية وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم يعنى اسد وغطفان
استاذنوا فى التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن
الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طى على اهالينا ومواشينا والمعذر اما من
عذر فى الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا
مهد العذر بادغام التاء فى الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين
لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرا بهما وقرا يعقوب المعذرون
من اعذر اذا اجتهد فى العذر وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال على
انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم فى العين وقد اختلف فى

كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله
فى غيرهم وهم منافقوا الاعراب كذبوا الله فى ادعاء الايمان وكانوا هم الاولين
فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب او من المعذرين
فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والنار ليس على الضعفاء
ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم
كجهينة ومزينة وبنى عذرة حرج اثم فى التاخر اذا نصحوا لله ورسوله
بالايمان والطاعة فى السر والعلانية كما يفعل الموالى الناصح او بما قدروا
عليه فعلا او قولا يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح ما على
المحسنين من سبيل اى ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل
وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون فى
سلك المحسنين غير معاتبين بذلك والله غفور رحيم لهم او للمسئ
فكيف المحسن ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء
او على المحسنين ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم وهم البكاؤون سبعة
من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وسالم بن عمير وثعلبة
بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعبد الله بن كعب وعلية بن زيد اتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا نذرنا الخروج فاحملنا على
الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال لا اجد ما احملكم
فتولوا وهم يبكون وقيل بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل
ابو موسى واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف فى اتوك

باضمار قد تولوا جواب اذا واعينهم تفيض من الدمع اى دمعها فان من للبيان وهى مع المجرور فى محل النصب على التمييز وهو ابلغ من تفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا اى لان لا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون فى مغزاهم انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستاذنونك وهم اغنياء واجدون للاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف استيناف ببيان ما هو السبب لاستيذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام فى جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون اليكم فى التخلف اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لانه لن نؤمن لكم لن نصدقكم لانه قد نبانا الله من اخباركم اعلمنا بالوحى الى نبيه بعض اخباركم وهو ما فى ضمايركم من الشر والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله اتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه وكانه استتابة به وامهال للتوبة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اى اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شى من ضمايرهم واعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم انهم رجس لا ينفع فيهم التانيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا يقبل التطهير فهو علة الاعراض وترك

المعاتبة ومأويهم جهنم من تمام التعليل وكانه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ فى الدنيا والاخرة او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة يحلفون لكم لترضوا عنهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اى فان رضاكم لا يستلزم رضا الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا فى سخط الله وبصدد عقابه او ان امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم على الله تعالى فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الاية النهى عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم الكتاب والسنة واجدر ان لا يعلموا واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله من الشرايع فرايضها وسننها والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن الاعراب من يتخذ يعد ما ينفق يصرفه فى سبيل الله ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق رياء وتقيه ويتربص بكم الدواير دواير الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق عليهم دايرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه او الاخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدايرة

اهل مصدرا واسم فاعل من دار يدور سمى به عقبه الزمان والسوء
بالضم مصدر صيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق والله سميع
لما يقولون عند الانفاق والله سميع عليم بما يضمرون ومن الاعراب من
يومن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله سبب قربات وهى
ثانى مفعولى يتخذ وعند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول
وسبب صلواته لانه عليه الصلوة والسلم كان يدعو للمتصدقين و يستغفر
ولذلك سن للمصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له
ان يصلى عليه كما قال عليه الصلوة والسلم اللهم صل على ال ابى اوفى
لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره الا انها قربة لهم شهادة من الله بصحة
معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستيناف مع حرف التنبيه و الضمير
لنفقتهم سيدخلهم الله فى رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم و السين
لتحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم لتقريره قيل الاولى فى اسد و
غطفان وبنى تميم والثانية فى عبد الله ذى البجادين وقومه والسابقون
الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين
اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل
العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين اسلموا حين قدم عليهم ابو زرارة
مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان
اللاحقون بالسابقين من القبيلين او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى
يوم القيمة رضى الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا

من نعم الدينية والدنيوية واعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار وقرأ
ابن كثير من تحتها كما هو فى ساير المواضع خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم
وممن حولكم ممن حول بلدتكم يعنى المدينة من الاعراب منافقون وهم جهينة
ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف
على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق ونظيره فى حذف
الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله شعر انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى
اضع العمامة تعرفونى وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف
على الخبر او كلام مبتدا لبيان غلوهم وتمهرهم فى النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم
باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم فى تحامى مواقع التهم الى
حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك نحن نعلمهم و
نطلع على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا
سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب القبر او باخذ
الزكوة ونهك الابدان ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار واخرون
اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من
المتخلفين اوثقوا انفسهم على سوارى المسجد لما بلغهم ما نزل فى المتخلفين
فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين
فراهم فسال عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال
وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا صالحا
واخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذى هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب

باخر سيء هو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم
بعت الشاء شاة ودرهما او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالآخر
عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم وهو مدلول عليها بقوله اعترفوا
بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه خذ من اموالهم
صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا فتصدق
بها وطهرنا فقال ما امرت ان اخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم عن الذنوب
او حب المال المودي بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم
بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها وتنمي حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين
وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلوتك سكن
لهم تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم
وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد والله سميع باعترافهم عليم
بندامتهم الم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول
والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به التحضيض عليهما ان الله هو يقبل
التوبة عن عباده اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ
الصدقات يقبلها قبول من ياخذ شيئا ليؤدي بدله وان الله هو التواب الرحيم
وان من شانه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا ما شئتم فسيرى الله
عملكم فانه لا يخفى عليه خيرا كان او شرا ورسوله والمؤمنون فانه تعالى لا يخفى
عنهم كما رأيتم وتبين لكم وستردون الى عالم الغيب والشهادة بالموت فينبئكم
بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وآخرون من المتخلفين مرجون موخرون اي

موقوف امرهم من ارجأته اذا اخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون
بالواو وهما لغتان لامر الله في شانهم اما يعذبهم ان اصروا على النفاق واما
يتوب عليهم ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين بارادة الله
تعالى والله عليم باحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد
بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما راوا ذلك اخلصوا
نياتهم وفوضوا امرهم الى الله فرحمهم الله والذين اتخذوا مسجدا عطف على و
آخرون مرجون او مبتدأ خبره محذوف اي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا
او منصوب على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بغير واو ضرارا
مضارة للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدهم
اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر
الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا انا قد بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية
فصل فيه حتى نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك
بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا
الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة
وكفرا وتقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين يريد الذين
كانوا يجتمعون للصلوة في مسجد قباء وارصادا ترقبا لمن حارب الله ورسوله

يعني الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد
لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين انهزم
مع هوازن وهرب الى الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله
ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما
انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحارب او باتخذوا مسجدا من
قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما روي انه بني قبل غزوة تبوك فسألوا
رسول الله ان يأتيه فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله
صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن ان اردنا الا الحسنى
ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى وهي الصلوة والذكر والتوسعة على
المصلين والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم لا تقم فيه ابدا للصلوة لمسجد
اسس على التقوى يعني مسجد قباء اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصلى فيه ايام مقامه بقباء من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة او
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسئل عنه فقال هو مسجدكم هذا
مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده ومن يعم الزمان والمكان كقوله
شعر لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن دهر احق ان تقوم فيه
اولى بان تصلي فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال
المذمومة طلبا لمرضاة الله تعالى وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب
المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه وقيل لما نزلت
مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب

مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال ـــــ امؤمنون انتم
فسكتوا فاعادها فقال عمر رضي الله عنه انهم مؤمنون وانا معهم فقال
عليه الصلوة والسلام اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء
قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه الصلوة والسلام
مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله تعالى قد اثنى
عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع
الغائط الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رجال يحبون ان يتطهروا
افمن اسس بنيانه بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان خير على قاعدة محكمة
هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار
على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها فانهار به في نار جهنم فادى به لخوره
وقلة استمساكه الى السقوط في النار وانما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه
الوادي الهائر في مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان
وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره به في النار ووضعه في مقابلة الرضوان
تنبيها على ان تأسيس ذلك على امر يحفظه عن النار ويوصله الى رضوان الله
ومقتضاياته التي الجنة ادناها وتأسيس هذا على ما هم بسببه على
صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لا محالة وقرأ
نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول وقرئ اساس بنيانه واس بنيانه
على الاضافة واسس واساس بالكسر وثلثتها جمع اس وتقوى بالتنوين
على ان الالف للالحاق لا للتأنيث كتترى وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر

جرف بالتحقيق والله لا يهدي القوم الظالمين الى ما فيه صلاح ونجاة لا يزال
بنيانهم الذي بنوا بناءهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول وليس بجمع ولذلك
قد يدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة في قلوبهم اى شكا و
نفاقا والمعنى ان بناءهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم
على ذلك ثم لما هدمه الرسول رسخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول
وسمه على قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك و
الاضمار وهو في غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد
بالتقطيع ما هو كائن بالقتل او في القبر او في النار وقيل التقطع بالتوبة
ندما واسفا وقرا يعقوب الى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع
وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف
وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب ولو قطعت على البناء
للفاعل والمفعول والله عليم بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بنيانهم ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة على
بذل انفسهم واموالهم في سبيله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استئناف
ببيان ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون في معنى الامر وقرا حمزة والكسائي
بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا يوجب الترتيب وان فعل البعض
قد يسند الى الكل وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى فانه في معنى
الوعد في التورية والانجيل والقران مذكورا فيهما كما اثبت في القران ومن
اوفى بعهده من الله مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم الذي

بايعتم

بايعتم فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظائم المطالب كما قال وذلك
هو الفوز العظيم التائبون رفع على المدح اى هم التائبون والمراد بهم المؤمنون
المذكورون ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من اهل
الجنة وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى او خبره ما بعده اى
التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء
نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين العابدون الذين عبدوا الله مخلصين
له الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله
عليه الصلوة والسلم سياحة امتي الصوم شبه بها لانه يعوق عن
الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا
الملك والملكوت او السائحون للجهاد او لطلب العلم الراكعون الساجدون
في الصلوة الامرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك
والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة
كانه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله والحافظون لحدود الله اى
فيما بينه وعينه من الحقائق والشرايع للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل
وهذا مجملها وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان
السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد اخر معطوف عليه ولذلك
سمي واو الثمانية وبشر المؤمنين يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل
ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك و
ان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم

عما يحل عن احاطة الافهام وتغيير الكلام ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا
للمشركين روي انه عليه الصلوة والسلم قال لابي طالب لما حضره الوفاة قل كلمة
احاج لك بها عند الله تعالى فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه
فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا
فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي فاستاذنته في
الاستغفار فلم ياذن لي فانزل علي الايتين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين
لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم
فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض لاستغفار ابرهيم لابيه
الكافر فقال وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه وعدها
ابرهيم اياه بقوله لاستغفرن لك اي لاطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان
فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرا اباه او وعدها ابرهيم ابوه وهي
الوعد بالايمان فلما تبين له انه عدو لله بان مات على الكفر او اوحي اليه
بانه لن يؤمن تبرأ منه قطع استغفاره ان ابرهيم لاواه لكثير التاوه وهو
كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه حليم صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله
على الاستغفار له مع شكاسته عليه وما كان الله ليضل قوما اي ليسميهم
ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم ما يتقون
حتى يبين لهم حظر ما يجب اتقاؤه وكانه بيان عذر الرسول في قوله لعمه
او لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه في قوم مضوا على الامر
الاول في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف ان الله

بكل شيء عليم فيعلم امرهم في الحالين ان الله له ملك السموات والارض يحيي و
يميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم عن الاستغفار للمشركين
وان كانوا اولي قربى وتضمن ذلك وجوب التبرء عنهم راسا بين لهم
ان الله مالك كل موجود ومتولي امرهم والغالب عليهم ولا يتاتى لهم ولاية
ولا نصرة الا منه ليتوجهوا بشراشرهم اليه ويتبرؤا عما عداه حتى
لا يبقى لهم مقصود فيما ياتون ويذرون سواه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار من اذن المنافقين في التخلف او براهم عن علقة الذنوب
كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل هو بعث على
التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرين
والانصار كقوله وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص
دونه ما هو فيه والترقي اليه توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها
بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده الذين اتبعوه في ساعة العسرة
في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة الظهر يعتقب العشرة
على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء
حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على
الايمان او عن اتباع الرسول وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم
والعائد عليه الضمير في منهم وقرا حمزة وحفص يزيغ بالياء لان
تانيث القلوب غير حقيقي وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق
منهم يعني المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على انه تاب

عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة او المراد انه تاب عليهم لكبد
ودتهم انه بهم رءوف رحيم وعلى الثلثة تاب على الثلثة كعب بن مالك
وهلال بن امية ومرارة بن الربيع الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو او
خلف امرهم فانهم المرجئون حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت
اى برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت
عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم لا يسعها انس ولا سرور
وظنوا وعلموا ان لا ملجأ من الله من سخط الله الا اليه الا الى استغفاره
ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا او انزل عليهم قبول التوبة ليعدوا فى
جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا
على توبتهم ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد فى اليوم مائة مرة الرحيم
المتفضل عليه بالنعم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا
مع الصادقين فى ايمانهم وعهودهم او فى دين الله نية وقولا وعملا
وقرئ من الصادقين اى فى توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء
الثلثة واضرابهم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا
عن رسول الله نهى عبر عنه بصيغة النفى للمبالغة ولا يرغبوا بانفسهم
عن نفسه لا يصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه
ما يكابده من الاهوال روى ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امرأة
حسناء فرشت له فى الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب
والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة

حسناء

حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى الضح والريح ما هذا بخير
فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال
كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر
له وفى لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله
ما كان من النهى عن التخلف او وجوب المشايعة بانهم بسبب انهم
لا يصيبهم ظمأ شئ من العطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة
فى سبيل الله ولا يطؤن موطئا لا يدوسون مكانا يغيظ الكفار يغضبهم
وطؤه ولا ينالون من عدو نيلا كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم به
عمل صالح الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المشايعة ان الله
لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على ان الجهاد
احسان اما فى حق الكفار فلانه سعى فى تكميلهم باقصى ما يمكن
كضرب المداوى للمجنون واما فى حق المؤمنين فلانه صيانة لهم عن
سطوة الكفار واستيلائهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة
ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رضى الله عنه فى جيش العسرة ولا يقطعون
واديا فى مسيرهم وهو كل منعرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا
سال فشاع بمعنى الارض الا كتب لهم اثبت لهم ذلك ليجزيهم بذلك
احسن ما كانوا يعملون جزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم
وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو

وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان ينفروا جميعا فانه يخلوا بامر المعاش فلولا
نفر من كل فرقة منهم فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة
قليلة ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا في تحصيلها
ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم
من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه
دليل على ان التفقه والتذكير من فروض الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض
المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد
لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان
اخبار الاحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلثة تفردوا
بقرية طايفة الى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم
يعتبر اخبارها لم يتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا
واعتراضا في كتاب المرصاد وقد قيل للاية معنى اخر وهو انه لما نزل
في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنين الى النفير وانقطعوا عن التفقه فامروا
ان ينفر من كل فرقة طايفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع
التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجهاد بالحجة هو الاصل والمقصود من
البعثة فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا لبواقي الفرق بعد الطوايف
النافرة للغزو وفي رجعوا للطوايف اي ولينذر البواقي قومهم النافرين
اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين آمنوا
قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما

امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا بانذار عشيرته فان الاقرب
احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالي المدينة
كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام
وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا على القتال
وقرى بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع
المتقين بالحراسة والاعانة واذا ما انزلت سورة فمنهم من المنافقين
من يقول انكارا واستهزاء ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرى ايكم
بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا
بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى
ايمانهم وهم يستبشرون بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع
درجاتهم واما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم
كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك
فيهم حتى ماتوا عليه اولا يرون يعني المنافقين وقرى بالتاء انهم
يفتنون يبتلون باصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيعاينون ما يظهر عليه من الايات في كل
عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون لا ينتبهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم
يذكرون ولا يعتبرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا
بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم هل يريكم من احد
اي تقولون هل يريكم احد ان قمتم من حضرة الرسول فان لم يرهم احد قاموا

وان يرهم احد قاموا ثم انصرفوا عن حضرته مخافة الوقيعة صرف الله
قلوبهم عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء بانهم بسبب انهم قوم
لا يفقهون لسوء فهمهم او عدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من انفسكم من
جنسكم عربي مثلكم وقرئ من انفسكم اى اشرفكم عزيز عليه شديد شاق
ما عنتم عنتكم ولقاءكم المكروه حريص عليكم اى على ايمانكم وصلاح
شانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رءوف رحيم قدم الابلغ منهما وهو الرؤف
لان الرافة شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا عن الايمان
بك فقل حسبي الله فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو
كالدليل عليه عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش
العظيم الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام
والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي ان اخر ما نزل هاتان الايتان
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القران علي الا اية اية وحرفا حرفا
ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون
الف صف من الملائكة سورة يونس مكية وهي مائة وتسع ايات بسم الله
الرحمن الرحيم الر فخمها ابن كثير ونافع وحفص وامالها الباقون اجراء
لالف الراء مجرى المنقلبة من الياء تلك ايات الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنه
السورة او القران من الاي والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم
لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم اياته لم ينسخ شيء منها اكان للناس
عجبا استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمها ان اوحينا وقرئ

بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا بدل من
عجبا واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهون نحوه انكارهم
واستهزاءهم الى رجل منهم من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم
قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس
الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور
العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وانه عليه الصلوة و
السلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا في المال وخفة الحال
اعون شيء في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء قبله كذلك
وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الانعام
ان انذر الناس ان هي المفسرة او المخففة من الثقيلة فيكون في موضع
مفعول اوحينا وبشر الذين امنوا عمهم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه
ما ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة اذ ليس للكفار ما يصح ان
يبشروا به ان لهم بان لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة
سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد
واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم انما ينالونها بصدق
القول والنية قال الكافرون ان هذا يعنون الكتاب وما جاء به الرسول
لسحر مبين وقرا ابن كثير والكوفيون رحمهم الله تعالى لساحر على ان
الاشارة الى الرسول وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول امورا
خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ ما هذا الا سحر مبين

ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض التي هي اصول الممكنات في
ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر يقدر امر الكائنات على
ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريك اسبابها وينزلها
منه والتدبير النظر في ادبار الامور لتجئ محمودة العاقبة ما من شفيع
الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان الهتهم
تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله اي
الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ربكم
لا غير اذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة
افلا تذكرون تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية
والعبادة لا ما تعبدونه اليه مرجعكم جميعا بالموت او النشور لا الى غيره
فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم
وعد من الله حقا مصدر اخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله انه
يبدؤ الخلق ثم يعيده بعد بدئه واهلاكه ليجزي الذين امنوا وعملوا
الصالحات بالقسط اي بعدله او بعدالتهم وقيامهم على العدل في امورهم
او بايمانهم لان العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة
قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون
فان معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم
لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود
بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى

يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما
عقاب الكفرة فكانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم
والاية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود
من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع
الجميع اليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ انه يبدأ بالفتح اي لانه
ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد الله او بما نصب حقا
هو الذي جعل الشمس ضياء اي ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء
كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير برواية قنبل
ضئاء بهمزتين في كل القران على القلب بتقديم اللام على العين والقمر
نورا اي ذا نور وسمي نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت
وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه بذلك على
انه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب
منها وقدره منازل الضمير لكل واحد اي قدر مسير كل واحد منهما منازل
او قدره ذا منازل او للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة
منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين
والحساب وحساب الاوقات من الاشهر والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم
ما خلق الله ذلك الا بالحق الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة
البالغة نفصل الايات لقوم يعلمون فانهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ
ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء ان في اختلاف الليل والنهار

وما خلق الله في السموات والارض من انواع الكائنات لايات على وجود
الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون العواقب فانه يحملهم
على التفكر والتدبر ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يرجونه لانكارهم للبعث
وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها ورضوا بالحيوة الدنيا من الاخرة
لغفلتهم عنها واطمأنوا بها وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذائذها
وزخارفها او سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها والذين هم عن اياتنا
غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين
والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الايات راسا والانهماك
في الشهوات وبحيث لا تخطر الاخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين
والمراد بالاولين من انكر البعث ولم ير الا الحيوة الدنيا وبالاخرين من
الهاه حب العاجل عن التامل في الاجل والاعداد له اولئك مأويهم النار
بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل
يؤدي الى الجنة او لادراك الحقايق كما قال عليه السلم من عمل بما
علم ورثه الله علم ما لم يعلم او لما يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب وان
دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله
بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة و
الرديف له تجري من تحتهم الانهار استيناف او خبر ثان او حال من الضمير
المنصوب على المعنى وقوله في جنات النعيم حال اخرى منه او من الانهار او

متعلق بتجري او بيهدي دعويهم فيها اي دعاؤهم سبحانك اللهم اللهم
انا نسبحك تسبيحا وتحيتهم ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة
اياهم فيها سلام واخر دعويهم واخر دعائهم ان الحمد لله رب العالمين اي
ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله
وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة
عن الافات والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه
بصفات الاكرام وان هي المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد
ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرعه اليهم استعجالهم بالخير وضع موضع
تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم في الخير حتى كأن استعجالهم به
تعجيل لهم والمراد شر استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء
وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم للخير حين استعجلوه
استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه
لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرى ابن عامر ويعقوب لقضى على
البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرى لقضينا فنذر الذين لا يرجون لقاءنا
في طغيانهم يعمهون عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كانه قيل
ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم امهالا لهم واستدراجا واذا مس الانسان
الضر دعانا لازالته مخلصا فيه لجنبه ملقيا لجنبه اي مضطجعا او قاعدا
او قائما وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف المضار فلما
كشفنا عنه ضره مر مضى على طريقته واستمر على كفره او مر عن موقف الدعاء

لا يرجع اليه كأن لم يدعنا كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن كما قال
ونحر مشرق اللون كأن ثدياه حقان الى ضر مسه الى كشف ضر كذلك
مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الانهماك في الشهوات
والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا
حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي وجاءتهم
رسلهم بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد او
عطف على ظلموا وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد
استعدادهم وخذلان الله تعالى لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم
واللام لتاكيد النفي كذلك مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب
تكذيبهم الرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة في امهالهم
نجزي القوم المجرمين نجزي كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير
للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه ثم جعلناكم خلائف في الارض من
بعدهم استخلفناكم فيها بعد القرون التي اهلكناها استخلاف من يختبر
لننظر كيف تعملون اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف
معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله وفائدته الدلالة
على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها
ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال
الذين لا يرجون لقاءنا يعني المشركين ائت بقران غير هذا بكتاب اخر نقرؤه
ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت او ما نكرهه

من معايب الهتنا او بدله بان تجعل مكان الاية المشتملة على ذلك اية اخرى
ولعلهم سألوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه قل ما يكون لي ما يصح لي
ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وانما
اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقران
اخر ان اتبع الا ما يوحى الي تعليل لما يكون فان المتبع لغيره في امر لم يستبد
بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الايات ببعض ورد
لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القران كلامه واختراعه ولذلك
قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال اني اخاف ان عصيت ربي
اي بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب
بهذا الاقتراح قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادريكم به ولا اعلمكم
به على لساني وعن ابن كثير ولادريكم بلام التاكيد اي لو شاء الله ما تلوته
عليكم ولاعلمكم به على لسان غيري والمعنى انه الحق الذي لا محيص عنه
لو لم ارسل به لارسل به غيري وقرئ ولا ادراتكم ولا ادرأكم بالهمزة فيهما على
لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى
الدفع اي ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال والمعنى ان الامر
بمشيئة الله لا بمشيئتي حتى اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله
فقد لبثت فيكم عمرا مقدار عمر اربعين سنة من قبله من قبل القران لا اتلوه
ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القران معجز خارق للعادة فان من عاش
من اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ

قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل
منطيق وعلى كل منظوم ومنثور واحتوى على قواعد علمي الاصول و
الفروع واعرب عن اقاصيص الاولين واحاديث الاخرين على ما هي عليه
علم انه معلم به من الله تعالى افلا تعقلون اي افلا تستعملون عقولكم
بالتدبر والتفكر لتعلموا انه ليس الا من الله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
تفاد مما اضافوا اليه كناية او تظليم للمشركين بافترائهم على الله في قولهم
انه لذو شريك وذو ولد او كذب باياته فكفر بها انه لا يفلح المجرمون
ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم لانه جماد لا يقدر على نفع
ولا ضر والمعبود ينبغي ان يكون مثيبا ومعاقبا يعني حتى يعود عابده
بجلب نفع او دفع ضر ويقولون هؤلاء الاوثان شفعاؤنا عند الله
تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا او في الاخرة ان يكن بعث وكا
كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموحد
الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه
ربما يشفع لهم عنده قل اتنبئون الله اتخبرونه بما لا يعلم وهو ان له
شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم او هؤلاء شفعاؤهم عنده وما لا يعلمه
العالم بجميع المعلومات لا يكون متحققا في السموات ولا في الارض حال
من العائد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على ان ما تعبدون من دون الله
اما سماوي او ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور
مثلهم لا يليق ان يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركاء

الذين يشركونهم به وما كان الناس الا امة واحدة موحدين على الفطرة او
متفقين على الحق وذلك في عهد ادم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل
او بعد الطوفان او على الضلال في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع
الهوى والاباطيل او ببعثة الرسل فتبعهم طائفة واصرت اخرى ولولا
كلمة سبقت من ربك بتاخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى
يوم القيمة فانه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون
باهلاك المبطل وابقاء المحق ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه
اي من الايات التي اقترحوها فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم
في انزال الايات المقترحة مفاسد تصرف عن انزالها فانتظروا لنزول
ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لجحودكم ما نزل عليه
من الايات العظام واقتراحكم غيره واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة
من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض اذا لهم مكر في اياتنا بالطعن فيها و
الاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون
ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يقدحون في ايات الله ويكيدون رسوله قل الله
اسرع مكرا منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم
المفضل عليها كلمة المفاجاة الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء
الكيد وهو من الله اما الاستدراج او الجزاء على المكر ان رسلنا يكتبون
ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه لم يخف على
الحفظة فضلا ان يخفى على الله وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق

ما قبله هو الذي يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم منه في البر والبحر حتى اذا
كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة
للمبالغة كانه يذكر لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة
لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب لاذا والضمير للفلك
او للريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب
وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج منه وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا
وسدت عليهم مسالك الخلاص لمن احاطت به العدو دعوا الله مخلصين
له الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف
وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا
من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول او مفعول دعوا لانه من جملة
القول فلما انجيهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجاءوا الفساد
فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز
عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم فانها
افساد بحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فانه وباله عليكم او انه على امثالكم
وابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها
ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر محذوف تقديره ذلك
متاع الحيوة وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد
اي تتمتعون متاع الحيوة الدنيا او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار
من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحيوة الدنيا محذور او ضلال او

مفعول

مفعول فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم خبر ثم الينا مرجعكم
في القيمة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا
حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس
بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه
حتى خالط بعضه بعضا مما ياكل الناس والانعام من الزروع والبقول
والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها زينتها باصناف النبات
واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب
والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على
الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات
زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون
من حصدها ورفع غلتها اتيها امرنا ضرب زرعها ما يجتاحه ليلا او نهارا
فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن
كان لم تغن زرعها اي لم يلبث والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة
وقرئ بالياء على الاصل بالامس فيما قبله وهو مثل في الوقت القريب والممثل
به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجاءة وذهابه
حطاما بعد ما كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله
وظنوا انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه
من التشبيه المركب كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون
والله يدعو الى دار السلام دار السلامة من التقضي والآفة او دار الله وتخصيص

هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله والملائكة فيها على
من يدخلها والمراد الجنة **ويهدى من يشاء** بالتوفيق **الى صراط مستقيم**
هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة
وتخصيص الهداية بالمشية دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر
على الضلالة لم يرد الله رشده **للذين احسنوا الحسنى** المثوبة الحسنى
وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا كقوله ويزيدهم من فضله وقيل
الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف و
اكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة و
الزيادة هو اللقاء **ولا يرهق وجوههم قتر** فيها سواد **ولا ذلة** هوان والمعنى
لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن
وسوء حال **اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون** دائمون لا زوال فيها
ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها **والذين كسبوا السيئات**
جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب
من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو او الذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة
على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اي ان
يجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة
هي الفضل او التضعيف كانما اغشيت واولئك اصحاب النار وما بينهما
اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ خبره محذوف اي فجزاء سيئة بمثلها واقع او
بمثلها على زيادة الباء او تقدير مقدر بمثلها **وترهقهم ذلة** وقرئ بالياء **ما لهم**

من الله من عاصم ما من احد يعصمهم من سخط الله او من جهة الله او من عنده
كما يكون للمؤمنين **كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما** لفرط سوادها
وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل في قطعا
وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة
او معنى الفعل في من الليل وقرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا
بالسكون وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه **اولئك**
اصحاب النار هم فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الاية
في الكفار لاشتمال السيئات على الشرك والكفر ولان الذين احسنوا
يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه **ويوم**
نحشرهم جميعا يعني الفريقين جميعا **ثم نقول للذين اشركوا مكانكم** انتم الزموا
مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم **انتم** تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله **و**
شركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه **فزيلنا** ففرقنا
بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم **وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون**
مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم وانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم
لانها الامرة بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم
بذلك مكان الشفاعة التي توقعوا منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة
والمسيح وقيل الشياطين **فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم** فانه العالم بكنه الحال
ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
هنالك في ذلك المقام **تبلو كل نفس ما اسلفت** تختبر ما قدمت من عمل

فتعاين نفعه وضره وقرا حمزة والكسائي تتلوا من التلاوة اى تقرا ذكر
ما قدمت من التلو اى تتبع عمله فيقوده الى الجنة او الى النار وقرئ نبلو
بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اى نفعل بها فعل
المختبر بحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها ما اسلفت من اعمالها و
يجوز ان يراد نصيب بالبلاء اى العذاب كل نفس عاصية بسبب
ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبا بنزع الخافض وردوا الى الله
الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم ومتولى امرهم على الحقيقة
لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد
وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان الهتهم تشفع لهم او ما كانوا
يدعون انها الهة قل من يرزقكم من السماء والارض منهما جميعا فان الارزاق
تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهما توسعة
عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اى من اهل السماء والارض
امن يملك السمع والابصار ام من يستطيع خلقهما وتسويتهما او من
يحفظهما من الافات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من ادق شى ومن
يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يحيى ويميت او من ينشى
الحيوان من النطفة والنطفة منه ومن يدبر الامر ومن يلى تدبير امر
العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون الله اذ لا يقدرون على المكابرة
والعناد فى ذلك لفرط وضوحه فقل افلا تتقون انفسكم عقابه باشراككم
اياه ما لا يشاركه فى شى من ذلك فذلكم الله ربكم الحق اى المتولى لهذه الامور

المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذى انشاكم واحياكم
ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذى
هو عبادة الله وقع فى الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال كذلك
حقت كلمة ربك اى كما حقت الربوبية لله او ان الحق بعده الضلال او
انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه على الذين فسقوا تمردوا
فى كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او
تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم من يبدؤ
الخلق ثم يعيده جعل الاعادة كالابداء فى الالزام بها لظهور برهانها و
ان لم يساعد عليها ولذلك امر الرسول صلى الله عليه وسلم بان ينوب
عنهم فى الجواب فقال قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم
ان يعترفوا بها فانى تؤفكون تصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم
من يهدى الى الحق بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر
وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على
ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى
بها ما اسند الى الله تعالى قل الله يهدى للحق افمن يهدى الى الحق احق ان يتبع
امن لا يهدى الا ان يهدى ام الذى لا يهتدى الا ان يهدى من قولهم هدى
بنفسه اذا اهتدى او لا يهدى غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم
كالملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام وقرا ابن كثير وورش عن نافع وابن
عامر يهدى بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد

والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء
الساكنين وروى ابو بكر يهدي باتباع الياء الهاء وقرا ابو عمرو
بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم في حكم المتحرك
وعن نافع مثله وقرئ الا ان يهدى على المبالغة فما لكم كيف تحكمون
بما يقتضي صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدون الا ظنا
مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد
والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع او
من ينتمي منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ان الظن لا يغني
من الحق من العلم والاعتقاد الحق شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا
به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول واجب
والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز ان الله عليم بما يفعلون وعيد على
اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان وما كان هذا القران ان يفترى من
دون الله افتراء من الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه مطابقا لما تقدمه
من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه
معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدرا
وعلة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الذي وقرئ بالرفع
على تقدير ولكن هو تصديق وتفصيل الكتاب وتفصيل ما حقق واثبت من
العقايد والشرايع لا ريب فيه منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل في حكم
ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول في المعنى وان يكون استينافا

من رب العالمين خبر اخر تقديره كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق او
تفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا
من الكتاب او الضمير في فيه ومساق الاية بعد المنع عن اتباع الظن
لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه ام يقولون بل ايقولون افتريه
محمد ومعنى الهمزة فيه للانكار قل فاتوا بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم
وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد
تمرنا في النظم والعبارة وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا بمن
امكنكم ان تستعينوا به من دون الله سوى الله تعالى فانه وحده قادر على
ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بما لم
يحيطوا بعلمه بالقران اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا اياته ويحيطوا بالعلم
بشانه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وساير ما يخالف
دينهم ولما ياتهم تاويله ولم يقفوا بعد على تاويله ولم يبلغ اذهانهم معانيه
او ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم
انه صدق ام كذب والمعنى ان القران معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم
انهم فاجؤا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع
في لما انه قد ظهر لهم بالاخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم
في معارضته فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره
مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم
انبياهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من

قبلهم ومنهم ومن المكذبين من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن
يعاند او من سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم من لا يؤمن به لفرط غباوته
وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين
بالمعاندين او بالمصرين وان كذبوك وان اصروا على تكذيبك بعد الزام
الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لي جزاء
عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما
تعملون لا تؤاخذون بعملي ولا اواخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم
وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ باية السيف ومنهم من يستمعون اليك
اذا قرات القران وعلمت الشرايع ولكن لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع
اصلا افانت تسمع الصم تقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم
الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى
المقصود منه ولذلك لا يوصف به البهايم وهو لا يتاتى الا باستعمال
العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مأوفة بمعارضة الوهم ومتابعة
الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد
الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهايم من كلام الناعق ومنهم من ينظر اليك
يعاينون دلايل نبوتك ولكن لا يصدقون افانت تهدي العمي تقدر على هدايتهم
ولو كانوا لا يبصرون وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من
الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس
الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق والاية كالتعليل

للامر بالتبري والاعراض ان الله لا يظلم الناس شيئا بسلب عقولهم
وحواسهم ولكن الناس انفسهم يظلمون بافسادها وتفويت منافعها
عليهم وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب الاختيار
بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان ما يحل بهم
يوم القيمة من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم
باقتراف اسبابه ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون
مدة لبثهم في الدنيا او القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية في موقع
الحال اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعايد
محذوف تقديره كان لم يلبثوا قبله او لمصدر محذوف اي حشرا كان
لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كان لم يتعارفوا الا قليلا
وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهي حال اخرى
مقدرة او بيان لقوله كان لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون
يوم يحشرهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة على خسرانهم والتعجب
منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير في يتعارفون على ارادة القول
وما كانوا مهتدين لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في تحصيل المعارف
فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب الدايم واما
نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب في حياتك كما اراه يوم بدر
او نتوفينك قبل ان نريك فالينا مرجعهم فنريكه في الاخرة وهو جواب
نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون

مجاز عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على
الرجوع بثم او مؤد شهادته على افعالهم يوم القيمة ولكل امة من الامم
الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات
فكذبوه قضى بينهم بالحق بين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجى
الرسول واهلك المكذبون وهم لا يظلمون وقيل معناه لكل امة يوم القيمة
رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان
قضى بينهم بانجاء المؤمن وعقاب الكافر لقوله وجيء بالنبيين والشهداء
وقضى بينهم ويقولون متى هذا الوعد استبعادا له واستهزاء به ان
كنتم صادقين خطاب منهم للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين قل
لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل في جلب العذاب
اليكم الا ما شاء الله ان املكه او ولكن ما شاء الله من ذلك كائن لكل
امة اجل مضروب لهلاكهم اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة
ولا يستقدمون لا يتأخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم
وينجز وعدكم قل ارايتم ان اتاكم عذابه الذي تستعجلون به بياتا وقت
بيات واشتغال بالنوم او نهارا حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم
ماذا يستعجل منه المجرمون اي شيء من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لا
يلائم الاستعجال وهو متعلق بارايتم لانه بمعنى اخبروني والمجرمون وضع
موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من مجيء الوعيد
لا ان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او

عرضا

تعرفوا خطاءه ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا
تعطيني ويكون الجملة متعلق بارايتم او بقوله اثم اذا ما وقع آمنتم به
بمعنى ان اتيكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وماذا
يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التاخير آلآن
على ارادة القول اي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب الآن آمنتم به
وعن نافع آلان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقد كنتم به
تستعجلون تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر
ذوقوا عذاب الخلد المؤلم على الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون
من الكفر والمعاصي ويستنبئونك ويستخبرونك احق هو احق ما
تقول من الوعد او ادعاء النبوة تقوله بجد ام باطل تهزل به قاله حيي
ابن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام فيه على اصله لقوله
ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ الحق هو فان فيه
تعريضا بانه باطل واحق مبتدا والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر
مقدم والجملة في موضع النصب يستنبئونك قل اي وربي انه لحق ان
العذاب لكائن او ما ادعيه لثابت وقيل كلا الضميرين للقران واي
بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه في التصديق
فيقال اي والله ولا يقال اي وحده وما انتم بمعجزين فايتين العذاب
ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك او التعدي على الغير ما في الارض من
خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم

افتداه بمعنى فداه واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا
بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان
ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها
او لانه يقال سر الشي لخالصه من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل
اظهروها من قولهم اسر الشي واشره اذا اظهره وقضي بينهم
بالقسط وهم لا يظلمون ليس تكريرا لان الاول قضاء بين الانبياء
ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين
والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم عليه الا ان لله
ما في السموات والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقابة
الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب كاين لا خلف
فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهم لا يعلمون لقصور عقلهم الا ظاهرا
من الحيوة الدنيا هو يحيي ويميت في الدنيا فهو يقدر عليهما في
العقبى لان القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات
للحيوة والموت قابلة لهما ابدا واليه ترجعون بالموت او النشور
يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى
ورحمة للمومنين اي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن
محاسن الاعمال ومقابحها والمرغبة في المحاسن والزاجرة عن المقابح
والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد
وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمومنين حيث انزلت عليهم فنجوا بها

من ظلمات

من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات
النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله
وبرحمته بانزال القران والباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك
فليفرحوا فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته
فليعتنوا او فليفرحوا فبذلك فليفرحوا وفايدة ذلك التكرير
التاكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة
بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدره اي فبمجيئها فليفرحوا
والفاء بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشي فبهما ليفرحوا او للربط
بما قبلها والدلالة على ان مجي الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب
للفرح وتكريرها للتاكيد كقوله شعر واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي
وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض وقد روي مرفوعا
ويؤيده انه قرئ فافرحوا هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فانها
الى الزوال وهو ضمير ذلك وقرا ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح
المومنون فهو خير مما تجمعونه ايها المخاطبون قل ارايتم ما انزل الله لكم
من رزق جعل الرزق منزلا لانه مقدر في السماء محصل باسباب منها
وما في موضع النصب بانزل او بارايتم فانه بمعنى اخبروني ولكم دل على
ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه حراما
وحلالا مثل هذه انعام وحرث حجر ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا
ومحرم على ازواجنا قل الله اذن لكم في التحريم والتحليل فيقولون ذلك

بحكمه ام على الله تفترون في نسبة ذلك اليه ويجوز ان تكون المنفصلة
متصلة بارايتم وقل مكرر للتاكيد ويجوز ان يكون الاستفهام للانكار
وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على الله وما ظن الذين
يفترون على الله الكذب اى شيء ظنهم يوم القيمة أيحسبون ان لا يجازوا عليه
وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن وفي
ابهام الوعيد تهديد عظيم ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم
بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب ولكن اكثرهم لا يشكرون
هذه النعمة وما تكون في شان ولا تكون في امر واصله الهمزة من شانت شانه
اذا قصدت قصده والضمير في وما تتلو منه له لان تلاوة القران معظم
شان الرسول او لان القراءة تكون لشان فيكون التقدير من اجله ومفعول
تتلو من قران على ان من تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفي او للقران و
اضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ولا تعملون من عمل تعميم
للخطاب بعد تخصيصه بمن هو راسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة
وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا رقباء مطلعين
عليه اذ تفيضون فيه تخوضون فيه وتندفعون وما يعزب عن ربك
ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرا الكسائي بكسر الزاء من مثقال ذرة
في الارض ولا في السماء موازن نملة صغيرة او هباء اى في الوجود والامكان
فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم
الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود منه البرهان على احاطة

علمه

علمه بها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام برأسه مقرر
لما قبله ولا نافية واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب
بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل
الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء
منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله لا خوف
الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق مكروه
ولا هم يحزنون بفوات مأمول والآية مجملة فسرها قوله الذين آمنوا وكانوا
يتقون وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم له لهم البشرى
في الحيوة الدنيا وفي الآخرة وهو ما بشر به المتقين في كتابه وعلى لسان
نبيه وما يريهم من الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى
الملائكة عند النزع وفي الآخرة بتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز
والكرامة بيان لتوليه لهم ومحل الذين آمنوا النصب او الرفع على المدح
او على وصف الاولياء على الابتداء وخبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله
لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده ذلك اشارة الى كونهم مبشرين
في الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به
وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله ولا
يحزنك قولهم اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من احزنه
وكلاهما بمعنى ان العزة لله جميعا استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه
القراءة بالفتح كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة لله جميعا

لا يملك غيره شيا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم هو السميع لاقوالهم
العليم بعزماتهم فيكافيهم عليها الا ان لله من في السموات ومن في الارض
من الملايكة والثقلين واذا كان هولاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا
لا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل منها احق ان لا يكون له ندا او
شريكا فهو كالدليل على قوله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء
اى شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون
شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه ان يتبعون
الا الظن اى ما يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انهم شركاء ويجوز
ان يكون ما استفهامية منصوبة بيتبع وموصولة معطوفة على من
وقرى تدعون بالتاء والمعنى اى شى يتبع الذين تدعونهم شركاء من
الملايكة والنبيين اى انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم
لا تتبعونهم فيه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم
ومنشاء رايهم وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون الى الله او
يحزرون ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا هو الذى جعل لكم
الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته
المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا
ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذى هو سبب
ان فى ذلك لايات لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا

اى تبناه سبحانه تنزيه على التبنى فا لا يصح الا ممن يتصور له الولد
وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغنى علة لتنزيهه فان اتخاذ الولد مسبب
عن الحاجة له ما فى السموات وما فى الارض تقرير لغناه ان عندكم من سلطان
بهذا نفى لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة فى تجهيلهم وتحقيقا
لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان او نعت له او بعندكم كانه
قيل ان عندكم فى هذا سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع
على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو
جهالة وان العقايد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سايغ قل ان
الذين يفترون على الله الكذب باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه لا يفلحون
لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع بالدنيا خبر مبتدا محذوف
اى افتراؤهم متاع فى الدنيا يقيمون به رياستهم فى الكفر او حياتهم
او تقلبهم متاع او مبتدا خبره محذوف اى لهم تمتع فى الدنيا ثم الينا مرجعهم
بالموت فيلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون
بسبب كفرهم واتل عليهم نبا نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان
كبر عليكم اى عظم عليكم وشق مقامى نفسى كقولك فعلت كذا لمكان
فلان او كونى واقامتى بينكم مدة مديدة او قيامى على الدعوة وتذكيرى
اياكم بايات الله فعلى الله توكلت وثقت به فاجمعوا امركم فاعزموا عليه وشركاءكم
اى مع شركايكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من
غير ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف اى

وامر شركايكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا
شركايكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجتماع
على قصده والسعي في اهلاكه على اى وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم
ثم لا يكن امركم في قصدي عليكم غمة مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من
غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني وتخلصتم عن
ثقل مقامي وتذكيري ثم اقضوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي
وقرئ ثم افضوا بالفاء اي انتهوا الى بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا
خرج الى الفضاء ولا تنظرون ولا تمهلوني فان توليتم اعرضتم عن تذكيري
فما سألتكم من اجر يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم اياي لاجله او يفوتني
لتوليكم ان اجري ما ثوابي على الدعوة والتذكير الا على الله لا تعلق له بكم يثيبني
به آمنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف
امره ولا ارجو غيره فكذبوه فاصروا على تكذيبه بعد ما الزمهم الحجة وبين ان
توليهم ليس الا لعنادهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق
ومن معه في الفلك وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين به
واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول وتسلية له ثم بعثنا ارسلنا
من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم كل رسول قومه فجاؤهم بالبينات
المعجزات الواضحة المبينة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان يؤمنوا
لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله اياهم بما كذبوا به من قبل اي بسبب

تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك نطبع على
قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم في الضلال واتباع المألوف
وفي امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى او كسب العبد
وقد مر تحقيق ذلك ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى وهرون
الى فرعون وملائه بآياتنا بالآيات التسع عن اتباعها وكانوا قوما مجرمين
معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤوا على ردها فلما
جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بتظاهر المعجزات القاهرة المزيحة للشك
قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر او فائق في فنه واضح
فيما بين اخوانه قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف المحكي
القول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون أسحر هذا لانهم بتوا القول
بل هو استئناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير
والمحكي مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى أتقولون للحق أتعيبونه
من قولهم فلان يخاف القالة كقوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم فيستغني
عن المفعول ولا يفلح الساحرون من تمام كلام موسى عليه السلام للدلالة
على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم
بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل أسحر هذا محكيا
كأنهم قالوا أجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون قالوا
أجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما وجدنا عليه آباءنا
من عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك فيها سمي بها

لاتصاف الملوك بالكبرياء والتكبر على الناس باستتباعهم وما نحن
لكما بمؤمنين مصدقين فيما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر
وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة قال
لهم موسى ألقوا ما انتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر اي
الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو آ
السحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها وآ
السحر بدل منه او خبر مبتدأ محذوف تقديره اهو السحر او مبتدأ خبره
محذوف اي السحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده
تقديره اي شيء اتيتم ان الله سيبطله سيمحقه او سيظهر بطلانه
ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على
ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق ويثبته بكلماته
باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك فما آمن لموسى
في مبدإ امره الا ذرية من قومه الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل
وحدهم دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبانهم وقيل
الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به او مؤمن آل فرعون
وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته على خوف من فرعون
وملئهم اي مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في
ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية
اي للقوم ان يفتنهم ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف

وافراده

وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملأ كان بسبب وان فرعون
لعال في الارض لغالب فيها وانه لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى
الربوبية واسترق اسباط الانبياء وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين
به يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فثقوا به واعتمدوا عليه
ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق
الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضي له و
المشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك
زيد فاجبه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين
مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا
فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم علينا فيفتنونا
ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشؤم مشاهدتهم وفي
في تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب
دعوته واوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ ان اتخذا مباءة لقومكما
بمصر بيوتا تسكنون فيها او ترجعون اليها للعبادة واجعلوا بيوتكم تلك البيوت
قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى يصلي
اليها واقيموا الصلوة فيها امروا بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة
فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا والجنة في
العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوؤ للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه
رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة مما ينبغي ان

يفعله كل احد ثم وجد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة وقال
موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة ما يتزين به من اللباس و
المراكب ونحوهما واموالا في الحيوة الدنيا وانواعا من المال ربنا ليضلوا
عن سبيلك دعا عليهم بلفظ الامر بما علم ممارسته احوالهم لا يكون غيره
كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة باتيت ويحتمل
ان يكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال
ولانهم لما جعلوها سببا في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا
تكريرا للاول تاكيدا او تنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم و
كفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم اهلكها والطمس المحق
وقرئ واطمس بالضم واشدد على قلوبهم واقسها واطبع عليها حتى لا
تنشرح للايمان فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم جواب للدعاء او
دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض قال قد اجيبت
دعوتكما يعني موسى وهرون لانه كان يؤمن فاستقيما فاثبتا على ما
انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن ولكن
في وقته روى انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل
الذين لا يعلمون طريق الجهلة في الاستعجال او عدم الوثوق والاطمئنان
بوعد الله وقرا ابن عامر ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين
ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي جوزناهم
في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف

لفاعل كضعف وضاعف فاتبعهم فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته
فرعون وجنوده بغيا وعدوا باغين وعادين اي للبغي والعدو وقرئ
وعدوا حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال آمنت انه لا اله اي بانه لا اله الا الذي
آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين وقرا حمزة والكسائي انه بالكسر على
اضمار القول او الاستئناف بدلا وتفسيرا لآمنت فنكب عن الايمان
اوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل الآن اتؤمن الآن وقد ايست
من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل قبل ذلك مدة عمرك
وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن الايمان فاليوم ننجيك نبعدك
مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من
الارض ليراك بنو اسرائيل وقرا يعقوب ننجيك من انجى وقرئ ننحيك
بالحاء اي نلقيك بناحية الساحل ببدنك في موضع الحال اي ببدنك عاريا
عن الروح او كاملا سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له
درع من ذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزاء البدن كلها كقولهم
هوى باجرامه او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك آية لمن
وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم
انه لا يهلك حتى كذبوا موسى حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على
ممرهم من الساحل او لمن ياتي بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك
ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان
على ما كان عليه من عظم الشان وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد

عن سلطان الربوبية وقرئ لمن خلفك اي لخالقك آية كسائر الآيات فان
افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك
واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته و
هذا الوجه ايضا محتمل على المشهور وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون
لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق
منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات من اللذائذ
فما اختلفوا حتى جاءهم العلم فما اختلفوا في امر دينهم الا من بعد ما قرؤا
التورية وعلموا احكامها او في امر محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد
ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة
فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق من المبطل بالانجاء والاهلاك فان كنت في
شك مما انزلنا اليك من القصص على سبيل الفرض والتقدير فسئل
الذين يقرؤن الكتاب من قبلك فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما
القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القرآن
مصداق لما فيه او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل اليه
او تهييج الرسول وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال
عليه السلم لا اشك ولا اسئل وقيل الخطاب للنبي والمراد به امته او
لكل من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما نزلنا على لسان نبينا اليك
وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع
الى اهل العلم لقد جاءك الحق من ربك واضحا انه لا مدخل للمرية فيه بالآيات

القاطعة ولا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين
ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ايضا من باب
التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين
ان الذين حقت عليهم كلمة ربك بانهم يموتون على الكفر او يخلدون في
العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه ولو جاءتهم
كل آية فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله تعالى به مفقود
حتى يروا العذاب الاليم وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون فلولا كانت
قرية آمنت فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها آمنت من قبل
معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها ايمانها بان يقبله الله
منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس لكن قوم يونس عليه السلم لما
آمنوا اول ما رأوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم عذاب
الخزي في الحيوة الدنيا ويجوز ان الجملة في معنى النفي لتضمن حرف
التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهاليها
كأنه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم
يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل ومتعناهم الى حين الى آجالهم روي
ان يونس عليه السلم بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه
فوعدهم بالعذاب الى ثلث وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد اغامت السماء
غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم فهابوا وطلبوا
يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد

بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها
فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج فاخلصوا التوبة و
اظهروا الايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشورا
يوم الجمعة ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم
احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية
في انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين وان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة و
التقييد بمشيئة الالجاء خلاف الظاهر افانت تكره الناس بما لم يشأ الله
منهم حتى يكونوا مؤمنين وترتيب الاكراه على المشيئة بالفاء وايلاؤها
حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف
المشيئة مستحيل فلا يمكن تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض
عليه اذ روي انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت
ولذلك قرره بقوله وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله الا بارادته و
الطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله ويجعل
الرجس العذاب والخذلان فانه سببه وقرئ بالزاي وقرأ ابو بكر ونجعل
بالنون على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات
او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله
قل انظروا تفكروا ماذا في السموات والارض من عجائب صنعه لتدلكم على
وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل
وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون في علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية

في موضع النصب فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل
وقايعهم ونزول باس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام
العرب لوقايعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا
اهلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا عطف
على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي
رسلنا ومن امن بهم على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا ننج المؤمنين
كذلك الانجاء او انجاء كذلك ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين
وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك قل
يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته فلا اعبد
الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم فهذا خلاصة
ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين
الانصاف لتعلموا صحتها وهو اني لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن
اعبد خالقكم الذي هو يوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفي بالذكر
للتهديد وامرت ان اكون من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحي
وحذف الجار من ان يكون من المطرد مع ان وان يكون من غيره كقوله
شعر امرتك الخير فافعل ما امرت به ... فقد تركتك ذا مال وذا نشب وان اقم
وجهك للدين عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا
فرق بينهما في الغرض لان المقصود وصلها بما تضمن معنى المصدر لتدل
معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى و

أمرت بالاستقامة في الدين والسداد فيه بأداء الفرائض والانتهاء عن
القبائح أو في الصلوة باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين أو الوجه ولا
تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك بنفسه إن
دعوته أو خذلته فإن فعلت فإن دعوته فإنك إذا من الظالمين جزاء للشرط
وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء وإن يمسسك الله بضر وإن يصبك
به فلا كاشف له يرفعه إلا هو إلا الله وإن يردك بخير فلا راد دافع
لفضله الذي أرادك به ولعله ذكر الإرادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم
الأمرين للتنبيه على أن الخير مراد بالذات وأن الضر إنما مسهم لا بالقصد
الأول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على أنه متفضل بما يريد بهم من
الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لأن مراد الله لا يمكن رده يصيب
به بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا لرحمته بالطاعة
ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم
رسوله أو القرآن ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالإيمان والمتابعة فإنما
يهتدي لنفسه لأن نفعه لها ومن ضل بالكفر بهما فإنما يضل عليها لأن وبال الضلال
عليها وما أنا عليكم بوكيل بحفيظ موكول إلي أمركم وإنما أنا بشير ونذير واتبع
ما يوحى إليك بالامتثال والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل أذيتهم
حتى يحكم الله بالنصر أو بالأمر بالقتال وهو خير الحاكمين إذ لا يمكن الخطأ
حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة يونس أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق

سورة هود

بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون سورة هود مكية وهي مائة
وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب مبتدأ أو خبر أو كتاب
خبر محذوف أحكمت آياته نظمت نظما محكما لا يعتريه إخلال من جهة
اللفظ والمعنى أو منعت من الفساد والنسخ فإن المراد آيات السورة
ليس فيها منسوخ أو أحكمت بالحجج والدلائل أو جعلت حكيمة منقول
من حكم بالضم إذا صار حكيما مشتملا على أمهات الحكم النظرية و
العملية ثم فصلت بالفوائد من العقائد والأحكام والمواعظ والأخبار
أو بجعلها سورا أو بالإنزال نجما نجما أو فصل فيها ولخص ما يحتاج إليه
وقرئ ثم فصلت أي فرقت بين الحق والباطل وأحكمت آياته ثم فصلت
على البناء للمتكلم وثم للتفاوت بالحكم أو للتراخي في الإخبار من لدن
حكيم خبير صفة أخرى لكتاب أو خبر بعد خبر أو صلة لأحكمت أو فصلت
وهو تقرير لإحكامها وتفصيلها على أكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر أمره
وما خفي ألا تعبدوا إلا الله لأن لا تعبدوا وقيل أن مفسرة لأن في تفصيل
الآيات معنى القول ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ للإغراء على التوحيد أو
الأمر بالتبري عن عبادة الغير كأنه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى
الزموه أو اتركوها تركا إنني لكم منه من الله نذير وبشير بالعقاب على
الشرك والثواب على التوحيد وأن استغفروا ربكم عطف على أن لا
تعبدوا ثم توبوا إليه ثم توسلوا إلى مطلوبكم بالتوبة فإن المعرض عن طريق
الحق لا بد له من رجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا إلى الله بالطاعة

ويجوز أن يكون ثم لتفاوت ما بين الأمرين يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم في أمن
ودعة إلى أجل مسمى هو آخر أعماركم المقدرة ولا يهلككم بعذاب الاستئصال
والأرزاق والآجال وإن تعلقت بالأعمال لكنها مسماة بالإضافة
إلى كل أحد فلا تتغير ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط كل ذي فضل
في دينه جزاء فضله في الدنيا والآخرة وهو وعد للموحد التائب بخير
الدارين وإن تولوا فإن تتولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيمة
وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى أكلوا الجيف وقرئ وإن تولوا
من ولي إلى الله مرجعكم رجوعكم في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس وهو
على كل شيء قدير فيقدر على تعذيبهم أشد عذاب وكأنه تقرير لكبر اليوم
ألا إنهم يثنون صدورهم يثنونها عن الحق وينحرفون عنه أو يعطفونها
على الكفر وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم أو يولون ظهورهم وقرئ
تثنوني بالتاء والياء من اثنوني وهو بناء المبالغة وتثنون وأصله
تثنونن من الثن وهو الكلأ الضعيف أراد به ضعف قلوبهم أو مطاوعة
صدورهم للثني وتثنئن من اثنأن كابياض بالهمز ليستخفوا منه من
الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل إنها نزلت في طائفة من
المشركين قالوا إذا أرخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا
على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم كيف يعلم وقيل نزلت في المنافقين و
فيه نظر إذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة ألا حين يستغشون ثيابهم
الأحين يأوون إلى فراشهم ويتغطون بثيابهم يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون

بأفواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليهم ما عسى يظهرونه
إنه عليم بذات الصدور بالأسرار ذات الصدور أو بالقلوب وأحوالها
وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله إياه تفضلا
ورحمة إنما أتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل
فيه ويعلم مستقرها ومستودعها أماكنها في الحيات والممات أو
الأصلاب والأرحام أو مساكنها من الأرض حين وجدت بالفعل
ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة كل كل واحد من
الدواب وأحوالها في كتاب مبين مذكور في اللوح المحفوظ وكأنه أريد
بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا
على الممكنات بأسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد
وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام أي خلقهما وما فيهما
كما مر بيانه في الأعراف أو ما في جهة العلو والسفل وجمع السموات دون
الأرض لاختلاف العلويات بالأصل والذات دون السفليات
وكان عرشه على الماء قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لا أنه كان موضوعا على متن
الماء واستدل به على إمكان الخلاء وأن الماء أول حادث بعد العرش من
أجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله أعلم بذلك ليبلوكم
أيكم أحسن عملا متعلق بخلق أي خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة
المبتلي لأحوالكم كيف تعملون فإن جملة ذلك أسباب ومواد لوجودكم
ومعاشكم وما يحتاج إليه أعمالكم ودلائل وأمارات تستدلون بها و

يستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث
انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار
الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبيح للتحريض على احاسن
المحاسن والتحضيض على الترقي دائما في مراتب العلم والعمل فان المراد
بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبي صلى الله
عليه وسلم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله
والمعنى ايكم اكمل علما وعملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت
ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اى ما البعث او القول او القرآن
المتضمن لذكره الا كالسحر في الخديعة او البطلان وقرأ حمزة والكسائي
الا ساحر على ان الاشارة الى القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمن قلت
معنى ذكرت او ان يكون ان بمعنى على اى ولئن قلت علكم
مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل ما لا حقيقة
له مبالغة في انكاره ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة الى
جماعة من الاوقات قليلة ليقولن ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع الا يوم يأتيهم
كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب
بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها وحاق بهم
واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد
ما كانوا به يستهزءون اى العذاب الذى كانوا يستعجلون فوضع يستهزءون
موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء ولئن اذقنا الناس

منا رحمة ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه ثم سلبنا
تلك النعمة منه انه ليؤس قطوع رجاءه من فضل الله لقلة صبره وعدم
ثقته به كفور مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة ولئن اذقناه من
من بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين
نكتة لا تخفى ليقولن ذهب السيئات عني اى المصائب التي ساءتني انه
لفرح بطر بالنعم مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر و
القيام بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان
في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده في الاخرة وانه يقع في
الكفران والبطر بادنى شيء لان الذوق ادراك الطعم والمس مبدأ الوصول
الا الذين صبروا على الضراء ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات
شكرا لالائه سابقها ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير
اقله الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان
محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم
جعل الاستثناء منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك تترك تبليغ بعض
ما يوحى اليك وهو ما يخالف راى المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به
ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف
عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ ها هنا
وضائق به صدرك وعارض لك احيانا ضيق صدر بان تتلوه عليهم
مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز ينفقه في الاستتباع كالملوك او جاء

معه ملك يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره ان يقولوا **انما انت نذير**
ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك ولا عليك ردوا او اقترحوا فما لك
يضيق به صدرك **والله على كل شيء وكيل** فتوكل عليه فانه عالم بحالهم
وفاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم **ام يقولون افتريه** ام منقطعة والهاء
لما يوحى **قل فاتوا بعشر سور مثله** في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر
سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل
باعتبار كل واحد **مفتريات** مختلقات من عند انفسكم ان صح اني اختلقته
من عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما اقدر عليه
بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم
وادعوا من استطعتم من دون الله الى المعاونة على المعارضة **ان كنتم صادقين**
انه مفترى **فان لم يستجيبوا لكم** باتيان ما دعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم
الرسول او لان المؤمنين ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول متناولا
لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر الا ما خصه الدليل وللتنبيه
على ان التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه
ولذلك رتب عليه قوله **فاعلموا انما انزل بعلم الله** ملتبسا بما لا يعلمه الا الله
ولا يقدر عليه سواه **وان لا اله الا هو** واعلموا ان لا اله الا الله لانه
القادر العالم بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز الهتهم **فهل انتم
مسلمون** ثابتون على الاسلام راسخون مخلصون فيه اذا تحقق عندكم
اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا

لمن

لمن استطعتم اي فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم
من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله و
انه منزل من عنده وان ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون
في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب
لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر
من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها باحسانه وبره **نوف اليهم اعمالهم
فيها** نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة
الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء اي يوف الله وتوف
على البناء للمفعول ونوفي بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله
شعر وان اتاه خليل يوم مسغبة ، يقول لا غائب مالي ولا حرم **وهم فيها
لا يبخسون** لا ينقصون شيئا من اجورهم والاية في اهل الرياء وقيل في المنافقين
وقيل في الكفرة وبرهم **اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار** مطلقا
في مقابلة ما عملوا لانهم استوفوا ما تقتضيه صور اعمالهم الحسنة
وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة **وحبط ما صنعوا فيها** لانه لم يبق لهم
ثواب في الاخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة في اقتضاء
ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا
وباطل نفسه **ما كانوا يعملون** لانه لم يعمل على ما ينبغي وكان كل واحدة من
الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية
او في معنى المصدر كقوله **شعر** ولا خارجا من في زور كلام وبطل

على الفعل افمن كان على بينة من ربه برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما ياتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شانه هولاء المقصرين همهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم فى المنزلة وهو الذى اغنى من ذكر الخبر وتقديره افمن كان على بينة كمن كان يريد الحيوة الدنيا وهو حكم يعم كل مومن مخلص وقيل المراد به النبى وقيل مومنوا اهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذى هو دليل العقل شاهد منه شاهد من الله يشهد بصحته وهو القران ومن قبله ومن قبل القران كتاب موسى يعنى التورية فانها ايضا تتلوه فى التصديق وقيل البينة القران ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل او لسان الرسول عليهما الصلوة والسلم على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير فى يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قوله كتاب موسى جملة مبتداة وقرى كتاب بالنصب عطفا على الضمير فى يتلوه اى يتلو القران شاهد ممن كان على بينة دالة على انه حق كعبد الله بن سلام وشهد شاهد من بنى اسرائيل ويقراء من قبل القران التورية اماما كتابا موتما به فى الدين ورحمة على المنزل عليهم لانها الوصلة الى الفوز بخير الدارين اوليك اشارة الى من كان على بينة يومنون به بالقران ومن يكفر به من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنار موعده يردها لامحالة فلا تك فى مرية منه من الموعد او القران وقرى مرية بالضم وهما الشك انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يومنون لقلة نظرهم

واختلال فكرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كان اسند اليه ما لم ينزله او نفى عنه ما انزله اولئك يعرضون على ربهم فى الموقف بان يحبسوا او يعرض اعمالهم ويقول الاشهاد من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف هولاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين تهويل عظيم مما يحيق بهم ح لظلمهم والكذب على الله تعالى الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه ويبغونها عوجا ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة وهم بالاخرة هم كافرون والحال انهم كافرون بالاخرة وتكريرهم لتاكيد كفرهم واختصاصهم به اوليك لم يكونوا معجزين فى الارض اى ما كانوا معجزين الله فى الدنيا ان يعاقبهم وما كان لهم من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم يضاعف لهم العذاب استيناف وقراء ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن ايات الله فكانه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية الالهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء وان ما لا يسمع ولا يبصر ولا يصلح للولاية وقوله يضاعف له العذاب اعتراض اوليك الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الالهة بعبادة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها او خسروا بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا

فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون
لا احد ابين واكثر خسرانا منهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات و
اخبتوا الى ربهم اطمانوا اليه وخشعوا له من الخبت وهو الارض
المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين الكافرين
والمؤمنين كالاعمى والاصم والبصير والسميع يجوز ان يراد به تشبيه
الكافر بالاعمى لتعاميه عن ايات الله وبالاصم لتصامه عن استماع
كلام الله وتأبيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير
لان امره بالضد فيكون كل منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين او
تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما
والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله شعر الصابح فالغانم
فالايب وهذا من باب اللف والطباق هل يستويان هل يستوى
الفريقان مثلا تمثيلا او صفة وحالا افلا تذكرون بضرب الامثال و
التامل فيها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم باني لكم وقرا نافع وعاصم
وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول نذير مبين ابين لكم موجبات
العذاب ووجه الخلاص ان لا تعبدوا الا الله بدل من اني لكم او مفعول
مبين ويجوز ان يكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير اني اخاف
عليكم عذاب يوم اليم مولم وهو في الحقيقة صفة العذاب لكن يوصف
به العذاب وزمانه على طريقة جد جده ونهاره صائم للمبالغة فقال الملأ
الذين كفروا من قومه ما نريك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة

ووجوب الطاعة وما نريك اتبعك الا الذين هم اراذلنا اخساءنا جمع
ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر او ارذل جمع رذل بادى
الراى ظاهر الراى من غير تعمق من البدو او اول الراى من البدء والياء
مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرا ابو عمرو بالهمزة وانتصابه
بالظرف على حذف المضاف اى وقت حدوث بادى الراى والعامل
فيه اتبعوك وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا
الا ظاهرا من الحيوة كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل
وما نرى لكم لك ولمتبعيك علينا من فضل يؤهلكم للنبوة واستحقاق
المتابعة بل نظنكم كاذبين انت في دعوى النبوة وهم في دعوى العلم
بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين قال يا قوم ارايتم اخبروني ان كنت
على بينة من ربي شاهدة بصحة دعواى واتاني رحمة من عنده بايتاء
البينة او النبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة
في نفسها هي الرحمة او لان خفاءها يوجب خفاء النبوة او على تقدير
فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار او لانه لكل واحدة منهما
وقرا حمزة والكسائي وحفص فعميت اى اخفيت وقرئ فعماها على ان
الفعل لله تعالى انلزمكموها انلزمكم على الاهتداء بها وانتم لها كارهون لا
تختارونها ولا تتاملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا
وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل ويا قوم لا اسالكم
عليه على التبليغ وهو وان لم يذكر معلوم مما ذكر مالا جعلا ان اجرى

الا على الله فانه المأمول منه وما انا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين سألوا
طردهم انهم ملاقوا ربهم فيخاصمون طاردهم عنده او انهم يلاقونه
ويفوزون بقربه فكيف اطردهم ولكني اراكم قوما تجهلون بلقاء
ربكم او باقدارهم او في التماس طردهم او تتسفهون عليهم بان
تدعوهم اراذل ويا قوم من ينصرني من الله يدفع انتقامه ان طردتهم
وهم بتلك الصفة والمثابة افلا تذكرون لتعرفوا ان التماس طردهم
وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب ولا اقول لكم عندي خزائن الله خزائن
رزقه امواله حتى جحدتم فضلي ولا اعلم الغيب عطف على عندي خزائن
الله اي ولا اقول انا اعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا او حتى اعلم
ان هؤلاء اتبعوني بادي الراي من غير بصيرة وعقد قلب وعلى
الثاني يجوز عطفه على يقول ولا اقول اني ملك حين تقول ما انت الا
بشر مثلنا ولا اقول للذين تزدري اعينكم ولا اقول في شان من استرذلتموهم
لفقرهم لن يؤتيهم الله خيرا فان ما اعد الله لهم في الآخرة خير مما آتيكم
في الدنيا الله اعلم بما في انفسكم اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك
والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس
الزاي في الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم
استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية وبما عاينوا من رثاثة حالهم
وقلة منالهم دون تامل في معانيهم وكمالاتهم قالوا يا نوح قد جادلتنا
خاصمتنا فاكثرت جدالنا فاطلته او اتيت بانواعه فأتنا بما تعدنا ان

ان كنت من الصادقين في الدعوى والوعيد فان مناظرتك لا تؤثر
فينا قال انما يأتيكم به الله ان شاء عاجلا او آجلا وما انتم بمعجزين بدفع
العذاب او الهرب منه ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم
شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان
يغويكم وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح
لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك نقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت
الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا
من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله يصح تعلقها
بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من
غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم
وفق ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه قل ان
افتريته فعلي اجرامي وباله وقرئ اجرامي على الجمع وانا بريء مما تجرمون
من اجرامكم في اسناد الافتراء الي واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك
الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اقنطه الله من ايمانهم ونهاه
ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء واصنع الفلك باعيننا ملتبسا
باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذي به يحفظ الشيء ويراعى عن الاختلال
والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على ووحينا اليك كيف تصنعها
ولا تخاطبني في الذين ظلموا فلا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب
عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه ويصنع

الفلك حكاية ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزؤا
به لعمله السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة من الماء اوان عزة فكانوا
يضحكون منه ويقولون له صرت نجارا بعد ما كنت نبيا قال ان تسخروا
منا فانا نسخر منكم كما تسخرون اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في
الاخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال فسوف تعلمون من ياتيه عذاب
يخزيه يعني به اياهم وبالعذاب الغرق ويحل عليه حلول الدين الذي
لا انفكاك عنه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية
لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى هي التي
يبتدأ بعدها الكلام وفار التنور نبع الماء فيه وارتفع كالقدر تفور
والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة
في موضع مسجدها او في الهند او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل
التنور وجه الارض او اشرف موضع فيها قلنا احمل فيها في السفينة من كل
نوع من الحيوانات المنتفع بها زوجين اثنين ذكرا وانثى هذا على قراءة
حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين اي من كل
صنف ذكر وصنف انثى واهلك عطف على زوجين او اثنين والمراد امرأته
وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان
وامه واعلة فانهما كانا كافرين ومن امن والمؤمنين من غيرهم وما امن معه الا قليل
قيل كانوا تسعة وتسعين زوجته المسلمة وبنوه الثلثة سام وحام ويافث
واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم روي انه عليه السلام اتخذ السفينة

في سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين و
ثلثين وجعل لها ثلثة بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي
اوسطها الانس وفي اعلاها الطير وقال اركبوا فيها اي صيروا فيها
وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب في الارض بسم الله مجريها و
مرسيها متصل باركبوا حال من الواو اي اركبوا فيها مسمين الله او قائلين
بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت
او المكان او المصدر والمضاف محذوف كقولهم اتيتك خفوق النجم وانتصابهما
بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما ببسم الله على ان المراد بهما المصدر او جملة
من مبتدأ وخبر اي اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبرها او صلته
والخبر محذوف وهي اما جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها او حال مقدرة
من الواو والهاء روي انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت
واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما
كقوله ثم اسم السلام عليكما وقرأ حمزة والكسائي وعاصم مجراها
بالفتح من جرى وقرئ مرسيها ايضا من رسا وكلاهما يحتمل الثلثة و
مجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله ان ربي لغفور رحيم اي لولا
مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم وهي تجري بهم متصل بمحذوف دل
عليه اركبوا اي فركبوا مسمين وهي تجري وهم فيها في موج كالجبال في
موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها
كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض

وكانت السفينة تجري في جوفه وليس بثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال
خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل ذلك قبل التطبيق ونادى نوح ابنه
كنعان وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان
ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله فخانتاهما وهو خطأ اذ الانبياء
عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة
ولكونها حكاية حذف الحرف وكان في معزل عزل فيه نفسه عن ابيه او عن
دينه مفعل للمكان حكاية عن عزله عنه اذ البعد يا بني اركب معنا في
السفينة والجمهور كسروا الياء ليدل على كسرة الاضافة في جميع القرآن غير
ابن كثير فانه وقف عليها في لقمان في الموضع الاول باتفاق الرواة
وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم فانه فتح هاهنا اقتصارا على الفتح
من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلف الرواية عنه في سائر المواضع
وقد ادغم الياء في الميم ابو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما ولا
تكن مع الكافرين في الدين او الاعتزال قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء ان
يغرقني قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وهو الله تعالى او الا مكان من
رحمهم الله وهم المؤمنين رد بذلك ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم
اللائذ به الا معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة
كقوله عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من رحمه الله يعصمه
وحال بينهما الموج بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل فكان من المغرقين فصار
من المهلكين بالماء وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي نوديا بما ينادى

به اولوا العلم وامرا بما يؤمرون تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما
يشاء تكوينه فيهما بالآمر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال
امره مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع
الامساك وغيض الماء نقص وقضي الامر وانجز ما وعد من اهلاك
الكافرين وانجاء المؤمنين واستوت واستقرت السفينة على الجودي
جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل روي انه ركب السفينة عاشر
رجب ونزل عاشر المحرم فصام ذلك اليوم وصار سنة وقيل بعدا للقوم
الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث
لا يرجى عوده ثم استعير للهالك وخص بدعاء السوء والآية في غاية
الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع
الايجاز الخالي عن الاخلال وايراد الاخبار على البناء للمفعول
دلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين في نفسه مستغنى عن ذكره اذ
لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليه سوى
الواحد القهار ونادى نوح ربه واراد نداءه بدليل عطف قوله
فقال رب ان ابني من اهلي فانه النداء وان وعدك الحق وان كل وعد
تعده حق لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجي اهلي فما حاله
او فما له لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه وانت احكم
الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان
الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع قال يا نوح انه ليس من اهلك

لقطع الولاية بين المؤمن والكافر واشار بقوله انه عمل غير صالح فانه
تعليل لنفي كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات
العمل للمبالغة كقول الخنساء شعر ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت
فانما هي اقبال وادبار ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين
صفتيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرأ الكسائي
ويعقوب انه عمل عملا غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم
ما لم تعلم اصواب ام ليس وانما سمى نداءه سؤالا لتضمن ذكر الموعد بنجاة
اهله استنجازه في شان ولده او استفسار المانع للانجاز في حقه
وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين لان
استثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن
السؤال لكن اشغله حب الولد حتى اشتبه الامر عليه وقرأ ابن كثير بفتح
اللام والنون الشديدة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على
ان اصله تسألنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرة
الشديدة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع اثباتها في الوصل
قال رب اني اعوذ بك ان اسألك فيما يستقبل ما ليس لي به علم بصحته
والا تغفر لي وان لم تغفر لي ما فرط مني من السؤال وترحمني بالتوبة و
التفضل علي اكن من الخاسرين اعمالا قيل يا نوح اهبط بسلام منا انزل من
السفينة سلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك وبركات عليك ومباركا
عليك او زيادات في نسلك حتى تصير آدما ثانيا وقرئ اهبط بالضم

بركة على التوحيد وهو الخبر الثاني وعلى امم ممن معك وعلى امم هم الذين
معك سموا امما لتحزبهم او لتشعب الامم منهم او على امم ناشئة ممن معك
والمراد بهم المؤمنون لقوله وامم سنمتعهم اي وممن معك امم سنمتعهم
في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب اليم في الاخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من
معه وقيل قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام والعذاب ما نزل بهم
تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها من انباء الغيب
اي بعضها نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها اي موحاة اليك او حال
من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق به او حال من الهاء ما كنت تعلمها
انت ولا قومك من قبل هذا خبر اخر اي مجهولة عندك وعند قومك و
قومك بها اي في ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم
مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف بواحد منهم فاصبر على مشاق الرسالة و
اذية القوم كما صبر نوح فاصبر ان العاقبة في الدنيا بالظفر وفي الاخرة
بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصي والى عاد اخاهم هودا عطف
على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله
وحده ما لكم من اله غيره وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده ان انتم الا مفترون
على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء يا قوم لا اسالكم عليه اجرا
ان اجري الا على الذي فطرني خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة
للنصيحة فانها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع افلا تعقلون افلا
تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطاء

ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا مغفرة الله تعالى ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبرؤ عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده يرسل السماء عليكم مدرارا كثير الدر ويزدكم قوة الى قوتكم ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلث سنين فوعدهم هود عليه السلم على الايمان والتوبة كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات وما نحن بتاركي الهتنا عبادتهم عن قولك صادرين عن قولك حال من الضمير في تاركي وما نحن لك بمؤمنين اقناط له من الاجابة والتصديق ان نقول الا اعتراك ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك من عراه يعروه اذا اصابه بعض الهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والجملة مفعول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اجاب عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالى على براءته من الهتهم وفراغه عن اضرارهم تاكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على

الكيد في اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه وراوا انهم عجزوا عن اخرهم وهؤلاء اقوياء الاشداء ان يضروه لم يبق لهم شبهة ان الهتهم التي هي جماد لا تضر ولا تنفع لا تتمكن من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا بعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله اني توكلت على الله ربي وربكم تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم غاية وسعكم لم تضروني فاني متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها اي الا وهو مالك لها قادر عليها ويصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم اي انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم فان تولوا فان تتولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم فقد اديت ما علي من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم استئناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما اخرين في ديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع كانه قيل وان تتولوا يعذبني ويستخلف ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون منه ان ربي على كل شيء حفيظ رقيب فلا يخفى عليه اعمالكم ولا

بجاز انكم او حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شي ولما جاء امرنا عذابنا
او امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا وكانوا اربعة
الاف ونجيناهم من عذاب غليظ تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم
كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم او المراد
تنجيتهم من عذاب الاخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في
الدنيا بالسموم فهم معذبون بالاخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد
انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان اسم الاشارة الى قبورهم
واثارهم جحدوا بايات ربهم كفروا بها وعصوا رسله لانهم عصوا
رسولهم ومن عصى رسولا فكانما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل
رسول واتبعوا امر كل جبار عنيد يعني كبراءهم الطاغين وعنيد من عند
عندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم
واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم واتبعوا في هذه الدنيا لعنة و
يوم القيمة اي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب الا ان
عادا كفروا ربهم جحدوه او كفروا نعمه فحذف الجار الا بعدا لعاد دعاء عليهم
بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم
بسبب ما حكي عنهم وانما كرر واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على
الاعتبار بحالهم قوم هود عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد
الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين
هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو

انشاكم

انشاكم من الارض هو كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم ومواد النطف
التي خلق نسله منها من التراب واستعمركم فيها عمركم فيها واستبقاكم
من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى
اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين
دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا
اليه ان ربي قريب قريب الرحمة مجيب لداعيه قالوا يا صالح قد كنت
فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون
سيدا او مستشارا في الامور وان توافقنا في الدين فلما سمعنا
هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا
على حكاية الحال الماضية واننا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد
والتبري عن الاوثان مريب موقع في الريبة من اراب او ذي ريبة على الاسناد
المجازي من راب في الامر قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي بيان وبصيرة
وحرف الشك باعتبار المخاطبين واتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني
من الله فمن يمنعني من عذابه ان عصيته في تبليغ رسالته والمنع عن
الاشراك به فما تزيدونني اذن باستتباعكم اياي غير تخسير غير ان
تخسروني بابطال ما منحني الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدونني
بما تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله
لكم اية نصب على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها
تقدمت عليها لتنكيرها فذروها تاكل في ارض الله ترع نباتها وتشرب

ماوتها ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى عن
مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلثة ايام فعقروها فقال تمتعوا
في داركم عيشوا في منازلكم او في داركم الدنيا ثلثة ايام الاربعاء والخميس
والجمعة ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه
فاتسع في اجرائه مجرى المفعول به كقوله شعر ويوم شهدناه سليما وعامرا
او غير مكذوب على المجاز وكان الوعد اذا اوفي به فقد صدق وكان
الواعد قال له اوفي بك فان وفى به صدقه والا كذبه او وعد غير
كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا نجينا صالحا و
الذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي يومئذ
وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة وعن نافع
يومئذ بالفتح على اكتساء المضاف البناء من المضاف اليه ان ربك هو
القوي العزيز القادر على كل شي والغالب عليه واخذ الذين ظلموا
الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها قد سبق تفسيره
في الاعراف الا ان ثمود كفروا ربهم نونه ابو بكر ههنا وفي النجم والكسائي
في جميع القران ونافع وابن عامر وابو عمرو في قوله الا بعدا لثمود ذهابا
الى الحي او الاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا ابرهيم يعني الملائكة قيل كانوا
تسعة وقيل ثلثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل بالبشرى ببشارة الولد
وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه
بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال سلام اي امركم او جوابي سلام او عليكم

سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرأ حمزة والكسائي سلم وكذلك
في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث
ان جاء بعجل حنيذ فما ابطأ مجيئه به او فما ابطأ في المجيء به او فما اخر
عنه والجار مقدر او محذوف والحنيذ المشوي بالرضف وقيل
الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله بعجل
سمين فلما رأى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم نكرهم واوجس
منهم خيفة انكر منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر
بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار قالوا له لما احسوا منه
اثر الخوف لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب
وانما لم نمد اليهم ايدينا لانا لا ناكل وامراته قائمة وراء الستر تسمع
محاورتهم او على رؤوسهم للخدمة فضحكت سرورا بزوال الخيفة
او بهلاك اهل الفساد او باصابة رايها فانها كانت تقول لابرهيم
اسلم اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب ينزل بهذا القوم وقيل
فضحكت فحاضت قال وعهدي بسلمى ضاحكا لباني ولم يعد
حقا يدها ان تحلما ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح
الحاء فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب نصبه ابن عامر
وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها
من وراء اسحق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع باسحق او على
لفظ اسحق وفتحته للجر فانه غير مصروف ورد للفصل بينه وبين

ماعطف عليه بالظرف وقراءة الباقون بالرفع على انه مبتدا خبره
الظرف اى ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد و
لعله سمى به لانه بعد الولد وعلى هذا يكون اضافته الى اسحق ليس من
حيث ان يعقوب وراءه من حيث انه وراء ابرهيم من جهته وفيه
نظر والاسمان يحتمل وقوعهما فى البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما
فى الحكاية بعد ان ولد فسميا به وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان
الولد المبشر به منها ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد قالت
يا ويلتى يا عجبا واصله فى الشر فاطلق فى كل امر فظيع وقرئ بالياء على
الاصل أألد وانا عجوز ابنة تسعين او تسع وتسعين وهذا بعلى زوجى
واصله القائم بالامر شيخا ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه على الحال
والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اى
هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلى بدل ان هذا لشئ عجيب يعنى
الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك
قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت منكرين عليها
فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات و
تخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغربه
عاقل فضلا عمن نشأت وشابت فى ملاحظة الايات واهل البيت
نصب على المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها
العصابة انه حميد كثير الخير والاحسان فلما ذهب عن ابرهيم الروع ما اوجس

من الخيفة واطمان قلبه بعرفانهم وجاءته البشرى بدل الروع يجادلنا
فى قوم لوط يجادل رسلنا فى شأنهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا
وهو اما جواب لما جئ به مضارعا على حكاية الحال لانه فى سياق الجواب
بمعنى الماضى كجواب لو او دليل جوابه المحذوف مثل اجترى على خطابنا
او شرع فى جدالنا او متعلق به اقيم مقامه مثل اخذ او اقبل يجادلنا
ان ابرهيم لحليم غير عجول على الانتقام من المسئ اليه اواه كثير التأوه
من الذنوب والتاسف على الناس منيب راجع الى الله والمقصود من
ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه يا ابرهيم
اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك قدره بمقتضى قضائه الازلى
بعذابهم وهو اعلم بحالهم وانهم اتيهم عذاب غير مردود مصروف بجدال
ولا دعاء ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سيئ بهم ساءه مجيئهم
لانهم جاؤا فى صورة غلمان فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم
قومهم فيعجز عن مدافعتهم وضاق بهم ذرعا وضاق بمكانهم صدره
وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه
وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون
اليه يسرعون اليه كانهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه
ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا
بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين قال يا قوم هؤلاء
بناتى فدى بهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتى فتزوجوهن

فكانوا يطلبونهن فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات
على الكفار فانه شرع طارئ او مبالغة في تناهي خبث ما يرومون حتى
ان ذلك اهون منه او اظهار الشدة امتعاضه من ذلك كي يرقوا له
وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابو امته من حيث الشفقة
والتربية وفي حرف ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم
هن اطهر لكم انظف فعلا واقل فحشا كقولك الميتة اطيب من المغصوب
واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على الحال على ان هن خبر بناتي كقولك هذا
اخي هو ولا فصل فانه لا يقع بين الحال وصاحبها فاتقوا الله بترك
الفواحش او بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحون من الخزي او
ولا تخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء في ضيفي في شانهم فان اخزاء ضيف
الرجل اخزاؤه اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق ويرعوي عن القبيح
قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق حاجة وانك لتعلم ما نريد وهو
اتيان الذكران قال لو ان لي بكم قوة لو قويت بنفسي على دفعكم او اوي
الى ركن شديد الى قوي امتنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن
النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد
وقرئ او اوي بالنصب باضمار ان كانه قال لو ان لي بكم قوة او اوايا
وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روي انه صلى الله عليه وسلم
اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا
الجدار فلما رات الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك

لن يصلوا

لن يصلوا اليك لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا
واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبريل عليه السلام بجناحه وجوههم
وطمس اعينهم فخرجوا يقولون النجا النجا فان في بيت لوط سحرة
فاسر باهلك بالقطع من الاسراء وقرا ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع
في القرآن من السري بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم احد
ولا يتخلف او لا ينظر الى ورائه والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى
للوط الا امراتك استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ
فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك وهذا انما يصح على تاويل الالتفات
بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الوراء في الذهاب ناقض ذلك قراءة
ابن كثير وابي عمرو بالرفع على البدل من احد ولا يجوز حمل القراءتين
على الروايتين في انه خلفها مع قومها او اخرجها فلما سمعت صوت
العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها لان القواطع
لا يصح حملها على المعاني المتناقضة والاولى جعل الاستثناء في القراءتين
عن قوله لا يلتفت مثله في قوله ما فعلوه الا قليل ولا يبعد ان يكون
اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم
نهيها استصلاحا ولذلك علله على طريق الاستئناف بقوله
انه مصيبها ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة
الرفع ان موعدهم الصبح كانه علة الامر بالاسراء اليس الصبح بقريب
جواب لاستعجال لوط عليه السلام واستبطائه العذاب فلما جاء امرنا

عذابنا او امرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله **جعلنا**
عاليها سافلها فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها اي الملائكة
المامورون به فاسنده الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر
فانه روي ان جبرئيل عليه السلام ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها
الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها
عليهم **وامطرنا عليها** على المدن او على شذاذها **حجارة من سجيل** من طين
متحجر كقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل انه من اسجله
اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل او من مثل العطية
في الادرار او من السجل اي مما كتب الله ان يعذبهم به وقيل اصله من
سجين اي من جهنم فابدلت لامه نونا **منضود** نضد معد العذاب بهم
او نضد في الارسال يتابع بعضه بعضا كقطار الامطار او نضد بعضه
على بعض والصق به **مسومة** معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة
او بسيما تتميز عن حجارة الارض او باسم من يرمى به **عند ربك** في
خزائنه **وما هي من الظالمين ببعيد** فانهم بظلمهم حقيق بان يمطر عليهم
وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه السلام انه سال جبرئيل فقال يعني
ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة
الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في
اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تاويل الحجر او المكان **والى مدين اخاهم**
شعيبا اراد اولاد مدين بن ابرهيم عليه السلام او اهل مدين وهو بلد بناه

فسمي باسمه **قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان**
امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي
للعدل المخل بحكمة التعاوض **اني اريكم بخير** بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة
حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة
فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو في الجملة علة للنهي **اني اخاف عليكم عذاب يوم**
محيط لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد
عذاب يوم القيمة او عذاب الاستيصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهي
صفة العذاب لاشتماله عليه **ويا قوم اوفوا المكيال والميزان** صرح بالامر
بالايفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد
التطفيف بل يلزمهم السعي في الايفاء ولو بزيادة لا يتاتى دونها **بالقسط**
بالعدل والسوية من غير زيادة ونقصان فان الازدياد وهو مندوب
غير مامور به وقد يكون محظورا **ولا تبخسوا الناس اشياءهم** تعميم
بعد تخصيص فانه اعم من ان تكون في المقدار او في غيره وكذا قوله **ولا**
تعثوا في الارض مفسدين فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع
الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ العشور من المعاملات والعثو
السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح
كما فعله الخضر عليه السلام وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر دينكم
ومصالح اخرتكم **بقيت الله** ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم
خير لكم مما تجمعون بالتطفيف **ان كنتم مؤمنين** بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها

باستجماع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان او ان كنتم مصدقين
لي في قولي لكم وقيل البقية الطاعة لقوله والباقيات الصالحات وقرئ
تقية الله وهي تقواه التي تكف عن المعاصي **وما انا عليكم بحفيظ** احفظكم
عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ
وقد اعذرت حين انذرت او لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا
سوء صنيعكم **قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا**
من الاصنام اجابوا به امرهم بالتوحيد على الاستهزاء والتهكم بصلوته
والاشعار بان مثله لا يدعو اليه داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات و
وساوس من جنس ما تواظب عليه وكان كثير الصلوة ولذلك جمعوا و
خصوا بالذكر وقرأ حمزة والكسائي وحفص على الافراد والمعنى اصلوتك
تامرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره
او ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف على ما اي وان نترك فعلنا ما نشاء في
اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان نترك وهو جواب النهي
عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم
والدنانير فارادوا به ذلك **انك لانت الحليم الرشيد** تهكموا به وقصدوا
وصفه بضد ذلك او عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم
بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى امثال ذلك **قال يا قوم ارأيتم ان
كنت على بينة من ربي** اشارة الى ما آتاه الله من العلم والنبوة **ورزقني منه
رزقا حسنا** اشارة الى ما آتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط محذوف

تقديره

هود

تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية و
الجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار
عما انكروه عليه من تغيير المألوف والنهي عن دين الآباء والضمير
في منه لله اي من عنده وباعانته بلا كد مني في تحصيله **وما اريد ان اخالفكم
الى ما انهيكم عنه** اي وما اريد ان آتي بما انهاكم عنه لاستبد به فلو كان
صوابا لآثرته ولم اعرض عنه فضلا ان انهاه عنه يقال خالفت زيدا
الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس
ان اريد الا الاصلاح ما استطعت ما اريد الا ان اصلحكم بامري
بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح
فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلثة على هذا النسق
شان وهو تنبيه على ان العاقل يجب ان يراعي في كل ما يأتيه ويذره
احد حقوق ثلثة اهمها واعلاها حق الله وثانيها حق النفس وثالثها
حق الناس وكل ذلك يقتضي ان آمركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم وما
مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح اي
المقدار الذي استطعته فحذف المضاف **وما توفيقي الا بالله** وما توفيقي
لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته **عليه توكلت** فانه القادر
المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة
الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ
واليه انيب اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة

على الله وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما ياتي ويذر من الله
والاستعانة به في مجامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع الكفار
واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع
الى الله للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي معاداتي ان يصيبكم
مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح
من الرجفة وان بصلتها ثاني مفعولي جرم فانه يعدى الى واحد والى اثنين
ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدي الى
مفعول واحد والاول افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء و
قرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبني كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت
حمامة في غصون ذات اوقال وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا ومكانا فان
لم يعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم او ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوي
فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم او وما هي
بشيء بعيد ولا يبعد ان يسوى في امثاله بين المذكر والمؤنث لانها على
زنة المصادر كالصهيل والشهيق واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه عما
انتم عليه ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود فاعل بهم من اللطف و
الاحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد
على الاصرار قالوا يا شعيب ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول كوجوب التوحيد
وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم
وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم

عنه

عنه وانا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوءا
او مهينا لا عز لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته
يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا
على القضاء والشهادة والفرق بين ولولا رهطك قومك وعزتهم
عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلاثة الى
العشرة وقيل الى التسعة لرجمناك لقتلناك برمي الاحجار او باصعب
وجه وما انت علينا بعزيز فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا ديدن السفيه
المحجوج يقابل الحجج والايات بالسب والتهديد وفي ايلاء ضميره حرف
النفي تنبيه على ان الكلام فيه لا في ثبوت العزة وان المانع لهم عن ايذائه
عزة قومه ولذلك قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم
ظهريا وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة
برسوله فلا تتقون الله وتتقون رهطي وهو يحتمل الانكار
والتوبيخ والرد والتكذيب فظهري منسوب الى الظهر والكسر من
تغييرات النسب ان ربي بما تعملون محيط فلا يخفى منها شيء فيجازي عليها
ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه
سبق مثله في سورة الانعام والفاء في فسوف تعلمون ثمة للتصريح
بان الاصرار والتمكن فيما عليه سبب لذلك وحذفها هاهنا لانه
جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل ومن هو
كاذب عطف على من ياتيه لا لانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب و

الصادق بل لانهم لما اوعدوه كذبوه قال سوف تعلمون من العذاب
والكاذب منى ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف
الاول اليهم والثانى اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو
كاذب على زعمهم وارتقبوا وانتظروا ما اقول لكم انى معكم رقيب منتظر
فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع
ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا انما ذكره بالواو
كما فى قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجرى مجرى السبب له بخلاف
قصتى صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب
وقوله ان موعدهم الصبح ولذلك جاء بفاء السببية واخذت الذين
ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبرئيل فهلكوا فاصبحوا فى ديارهم جاثمين
ميتين واصل الجثوم اللزوم فى المكان كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا
فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة
غير ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ
بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب
الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور ولقد ارسلنا
موسى باياتنا بالتورية او بالمعجزات وسلطان مبين وهو المعجزات القاهرة
او العصا وافرادها لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد اى ولقد
ارسلنا بالجامع بين كونه اياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا فى نفسه
او موضحا اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الآية

تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص القاطع والمبين يخص
ما فيه جلاء الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون
فاتبعوا امره بالكفر بموسى او فاتبعوا امره بالكفر بموسى او فما اتبعوا
موسى الهادى الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة
فرعون المنهمك فى الضلال والطغيان الداعى الى ما يخفى فساده
على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما
امر فرعون برشيد مرشد او ذى رشد وانما هو غى محض وضلال صريح
يقدم قومه يوم القيمة الى النار كما كان يقدمهم فى الدنيا الى الضلال
يقال قدم بمعنى تقدم فاوردهم النار ذكره بلفظ الماضى مبالغة فى
تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا ثم قال و
بئس الورد المورود اى بئس المورد الذى وردوه فانه يراد لتبريد
الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والاية كالدليل على قوله
وما امر فرعون برشيد فان من هذا عاقبته لم يكن فى امره رشد او تفسير
له على ان المراد بالرشيد ما يكون مأمون العاقبة حميدها واتبعوا فى
هذه لعنة ويوم القيمة اى يلعنون فى الدنيا والآخرة بئس الرفد المرفود
بئس العون المعان وهو اللعنة فى الدارين ذلك النبأ من انباء القرى
المهلكة نقصه عليك منها قائم مقصوص عليك منها قائم من تلك القرى
باق كالزرع القائم وحصيد ومنها عافى الاثر كالزرع المحصود والجملة
مستانفة وقيل حال من الهاء فى نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا

ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بان عرضوها
له بارتكاب ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم ولا قدرت ان يدفع عنهم
الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك حين جاءهم عذابه
ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك او تخسير وكذلك ومثل ذلك
الاخذ اخذ ربك وقرئ اخذ ربك بالفعل ويكون محل الكاف النصب
على المصدر اذا اخذ القرى اي اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضي
وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه
اجريت عليها وفايدتها الاشعار بانهم اخذوا بظلمهم وانذار كل ظالم
ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة ان اخذه اليم شديد وجيع غير مرجو
الخلاص عنه وهو مبالغة في التهديد والتحذير ان في ذلك اي فيما نزل
بالامم الهالكة او فيما قصه الله من قصصهم لاية لعبرة لمن خاف عذاب الاخرة
يعتبر به عظته لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما اعد الله للمجرمين في
الاخرة او ينزجر به عن موجباته لعلمه بانه من اله مختار يعذب من يشاء
فان من انكر الاخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل
تلك الوقايع لاسباب فلكية اتفقت في تلك الايام لا لذنوب المهلكين
بها ذلك اشارة الى يوم القيمة وعذاب الاخرة دل عليه يوم مجموع له
الناس اي يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم و
انه من شانه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم
يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة

وذلك

وذلك يوم مشهود اي مشهود فيه اهل السموات والارضين فاتسع
فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله في محفل من نواصي الناس
مشهود اي كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل
الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان ساير الايام كذلك وما نؤخره
اي اليوم الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف
المضاف واراد مدة التاجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانه غير معدود
يوم يات اي الجزاء او اليوم كقوله ان تاتيهم الساعة على ان يوم بمعنى
حين والله عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله ونحوه وقرا
ابن عامر وعاصم وحمزة يات بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة لا تكلم نفس
لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل
نصبه باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف الا باذنه الا باذن الله كقوله
لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا يوم لا
ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف اخر والماذون فيه
هي الجوابات الحقة والممنوع عنه هي الاعذار الباطلة فمنهم شقي وجبت
له النار بمقتضى الوعيد وسعيد وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير
لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس او
للناس فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج
النفس والشهيق رده واستعمالها في اول النهيق وآخره والمراد بهما
الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة

على قلبه او الحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ
شقوا بالضم خالدين فيها مادامت السموات والارض ليس لارتباط دوامهم
في النار بدوامها فان النصوص دالة على تأبيد دوامهم وانقطاع
دوامها بل للتعبير عن التأبيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به على
سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات و
الارض زوال عذابهم ولا من دوامه دوامها الا من قبيل المفهوم لان دوامها
كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد
سموات الآخرة وارضها ويدل عليها قوله يوم تبدل الارض غير الارض
والسموات وان اهل الآخرة لابد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه
بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل
على دوام الثواب والعقاب فلا يجدي له التشبيه الا ما شاء ربك استثناء
من الخلود في النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك
كاف في صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض
وهم المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم
بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم
شقي وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان يكون صفة كل قسم منتفية
عن قسيمه لان ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي او مانع من
الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم
لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين في شخص

عنه صح

فان التأبيد من مبداء معين ينقض باعتبار الابتداء كما ينقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا صح

باعتبارين

باعتبارين او لان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب
احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب
القدس والفوز برضوان الله ولقائه او من اهل الحكم والمستثنى
توقيفهم في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضي ان يكونوا في النار
حين يأتي اليوم او مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا
غير مقيد باليوم وعلى هذا التأويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود
على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا ههنا
بمعنى سوى كقولك علي الف الا الفان القديمان والمعنى سوى ما شاء
ربك من الزيادة التي لا آخر لها على مدة بقاء السموات والارض ان ربك
فعال لما يريد من غير اعتراض واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما
دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ غير مقطوع
وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء
في الثواب ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب في
التأبيد وقرأ حمزة والكسائي وحفص رحمهم الله تعالى سعدوا على
البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر
المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من الجنة فلا تك في مرية شك بعد
ما انزل اليك من مآل الناس مما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء المشركين
في انها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة
عبادتهم او من حال ما يعبدونه في انه يضر ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد

آباؤهم من قبل استئناف معناه تعليل النهي عن المرية اي هم وآباؤهم
سواء في الشرك ما يعبدون عبادة الا كعبادتهم او ما يعبدون شيئا
الا مثل ما عبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق آباءهم من ذلك فسيلحقهم
مثله لان التماثل في الاسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى
كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه **وانا لموفوهم نصيبهم**
حظهم من العذاب كآبائهم او من الرزق فيكون عذرا لتاخر العذاب
عنهم مع قيام ما يوجبه **غير منقوص** حال من النصيب لتقييد التوفية فانك
تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا **ولقد آتينا موسى
الكتاب فاختلف فيه** فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في
القرآن **ولولا كلمة سبقت من ربك** يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة **لقضي بينهم**
بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق **وانهم** وان كفار قومك **لفي
شك منه** من القرآن **مريب** موقع للريبة **وان كلا** وان كل المختلفين
المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل المضاف اليه وقرأ ابن كثير و
نافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل **لما ليوفينهم ربك
اعمالهم** اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتاكيد او بالعكس و
ما مزيدة بينهما للفصل وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد
على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلث
ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزاء اعمالهم
وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية

ولما بمعنى الا وقد قرئ به **انه بما يعملون خبير** فلا يفوته شيء منه وان
خفي **فاستقم كما امرت** لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب
في شرح الوعد والوعيد امر رسوله بالاستقامة مثل ما امر بها وهي
شاملة للاستقامة في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل
بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان
الشرائع كما انزل والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط
مفوت للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال عليه الصلوة
والسلام شيبتني سورة هود **ومن تاب معك** اي تاب من الشرك و
الكفر وآمن معك فهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل
لقيام الفاصل مقامه **ولا تطغوا** ولا تخرجوا عما حد لكم **انه بما تعملون بصير**
فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي وفي الآية دليل على
وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان
ولا تركنوا الى الذين ظلموا ولا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير
كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم **فتمسكم النار** بركونكم اليهم واذا كان
الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين
اي الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك
فيه ولعل الآية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه و
خطاب الرسول ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي
هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفي افراط وتفريط فانه

ظلم على نفسه او غيره بل ظلم على نفسه وقرئ تركنوا فتمسكم بكسر التاء
على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه **وما لكم من دون الله من اولياء**
من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال **ثم لا تنصرون** ثم لا ينصركم الله
اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقى عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد
اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء
بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لا يقدر نصرهم انتج
ذلك انهم لا ينصرون اصلا **واقم الصلوة طرفي النهار** غدوة وعشية
على الظرف لانه مضاف اليه **وزلفا من الليل** وساعات منه قريبة من النهار
فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلوة الغداة صلوة الصبح لانها
اقرب الصلوات من اول النهار وصلوة العشية العصر وقيل الظهر و
العصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا
بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر في بسرة وزلفا بمعنى زلفة كقربى و
قربة **ان الحسنات يذهبن السيئات** يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى
الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنب الكبائر وفي سبب النزول ان رجلا
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني قد اصبت من امراة غير اني
لم اتها فنزلت **ذلك** اشارة الى قوله فاستقم فما بعده وقيل الى القران
ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين **واصبر** على الطاعات وعن المعاصي
فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدول عن المضمر ليكون كالبرهان على المقصود
ودليلا على ان الصلوة والصبر احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون

الاخلاص **فلولا كان** فهلا كان **من القرون من قبلكم اولوا بقية** من الرأي
والعقل واولوا فضل وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه
منه ويقال فلان من بقية اى من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا
كالتقية اى ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده
انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه **ينهون عن الفساد
في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم** لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك
ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض **واتبع
الذين ظلموا ما اترفوا فيه** ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل
اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك **وكانوا مجرمين** كافرين كانه اراد ان
يبين ما كان السبب لاستئصال الامم السالفة وهو فشو الظلم
فيهم واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله
واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد
واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع او اعتراض و
قرئ واتبع اى واتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز
ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء **وما كان ربك
ليهلك القرى بظلم** بشرك **واهلها مصلحون** فيما بينهم لا يضمون
الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته في
حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل
الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم **ولو شاء ربك لجعل الناس امة**

واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى
لم يرد الايمان من كل احد وان ما اراده يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين
بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان
مطلقا الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على
ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه ولذلك خلقهم ان كان الضمير
للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة او اليه والى
الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة وتمت كلمة ربك وعيده او قوله للملائكة
لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين اى من عصاتهما اجمعين او
منهما اجمعين لا من احدهما وكلا اى وكل نبأ نقص عليك من انباء
الرسل نخبرك به ما نثبت به فؤادك بيان لكلا او بدل منه وفائدته
التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمانينة قلبه
وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار او مفعول وكلا
منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك
ما نثبت به فؤادك من انباء الرسل وجاءك في هذه السورة او الانباء
المقتصة عليك الحق ما هو حق وموعظة وذكرى للمؤمنين اشارة الى
سائر فوائده العامة وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم على حالكم
انا عاملون على حالنا وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو
ما نزل على امثالكم ولله غيب السموات والارض خاصة لا يخفى عليه خافية
مما فيهما واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرهم وامرك فاعبده وتوكل عليه

فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع
العابد وما ربك بغافل عما تعملون انت وهم فيجازي كلا بما يستحقه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات
بعدد من صدق الله بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط
وابرهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء ان شاء الله تعالى سورة يوسف
عليه السلم مكية مائة واحدى عشرة بسم الله الرحمن الرحيم
الر تلك ايات الكتاب المبين اشارة الى ايات السورة وهي المراد بالكتاب
اى تلك الايات ايات السورة الظاهر امرها في الاعجاز الواضحة معانيها
او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود ما سالوا اذ روي ان
علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل ال يعقوب من الشام الى
مصر وعن قصة يوسف فنزلت انا انزلناه اى الكتاب قرانا عربيا سمي
البعض قرانا لانه في الاصل اسم الجنس يقع على الكل والبعض وصار علما بالغلبة
ونصبه على الحال وهو في نفسه اما توطئة للحال التي هي عربيا او حال
لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال من الضمير فيه او حال بعد
حال وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة اى
انزلناه مجموعا او مقروا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه وتستعملوا
فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا
يتصور الا بالايحاء نحن نقص عليك احسن القصص احسن الاقتصاص لانه
اقتص على ابدع الاساليب او احسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم و

الايات والقصص بمعنى مفعول كالنقض والسلب واشتقاقه من قص اثره
اذا اتبعه بما اوحينا بايحائنا اليك هذا القرآن يعني السورة ويجوز ان يجعل
هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر وان كنت من قبله لمن
الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل
لكونه موحى وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة اذ قال يوسف
بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او منصوب باذكر
اذكر ويوسف عبري ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها
على التلعب به لا على انه مضارع بني للمفعول او الفاعل من آسف لان
المشهورة شهدت بعجمته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلم
وعنه عليه السلم الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف
بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التانيث
لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة
اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم
يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وانما لم يسكن كاصلها لانها
حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رايت
من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك وقوله هذا تاويل
رؤياي احد عشر كوكبا والشمس والقمر روي عن جابر ان يهوديا جاء الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي راهن

تخطر صح

وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المونثة بالتاء من غير اعتبار التعويض صح

فهو موسى

يوسف فسكت فنزل جبريل عليه السلم فاخبره بذلك فقال اذا اخبرتك
هل تسلم قال نعم جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان و
الفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها
يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي
اي والله انها لاسماؤها رايتهم لي ساجدين استيناف لبيان حالهم
التي راهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها
بصفاتهم قال يا بني تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان
ابن اثنتي عشرة سنة لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا
فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلم من رؤياه ان الله تعالى
يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم
والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم فرق بينهما بحرفي التانيث
كالقربة والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة
الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت
لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فيتصور
بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هنالك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة
تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة
المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية
استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه وانما عدي كاد باللام
وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يتعدى به تاكيدا ولذلك اكد

قال صح

لاهلاكك صح

لتضمنه صح

بالمصدر وعلل بقوله ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة لما
فعل بادم وحواء فلا يالو جهدا في تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم
على الكيد وكذلك اي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز
وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام والاجتباء من
جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك ويعلمك كلام مبتدا خارج عن التشبيه
كانه قيل ويعلمك من تاويل الاحاديث من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك
ان كانت صادقة واحاديث النفس او الشيطان ان كانت كاذبة او من تا
غوامض كتب الله وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث
كاباطيل اسم جمع للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا
بنعمة الاخرة وعلى ال يعقوب يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم
بضوء الكواكب او نسله كما اتمها على ابويك بالرسالة وقيل على ابرهيم بالخلة
والانجاء من النار وعلى اسحاق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم من قبل
من قبلك او من قبل هذا الوقت ابرهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك
عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم يفعل الاشياء على ما ينبغي لقد كان في يوسف و
اخوته اي في قصتهم ايات دلايل قدرة الله وحكمته او علامات نبوتك
للسائلين لمن سال عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهوذا ورو
وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينة من خالته ليا تزوجها يعقوب
اولا فلما توفيت تزوج اختها راحيل وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما
واربعة اخرون وهم دان ونفتالي وجاد واشر من سريتين زلفة وبلهة

اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه
بالاخوة من الطرفين احب الى ابينا منا وحده لان افعل من لا يفرق فيه
بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف اخويه فان الفرق
واجب في المحلى جائز في المضاف ونحن عصبة والحال انا جماعة اقوياء
احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة
فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا لفي ضلال مبين لتفضيله
المفضول عليه او لتركه التعديل في المحبة روى انه كان احب اليه لما
يرى من المخايل وكانت اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة
بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض اقتلوا يوسف
من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الا من قال لا
تقتلوا وقيل انما قاله شمعون او دان ورضي به الاخرون او اطرحوه
ارضا منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك
نصب كالظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم جواب الامر والمعنى يصف لكم
وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته
احد وتكونوا جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار ان من بعده بعد يوسف
او الفراغ من امره او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله عما جنيتم
او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امر
دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل منهم يعني يهوذا وكان
احسنهم رايا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه في

غيابة الجب في قعره سمي به لغيبوبته عن عين الناظر وقرأ نافع في غيابات
على الجمع كأنه كان لذلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيّابات بالتشديد
يلتقطه بعض السيارة بعض الذين يسيرون في الارض ان كنتم فاعلين
بمشورتي او ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه قالوا يا ابانا
ما لك لا تأمنا على يوسف لم تخافنا عليه وانا له لناصحون ونحن نشفق
عليه ونريد له الخير اراد به استنزاله عن رأيه في حفظه منهم لما
تنسم من حسدهم والمشهور تأمنا بالادغام باشمام وعن نافع ترك الاشمام
ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء ارسله
معنا غدا الى الصحراء يرتع يتسع في اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهي
الخصب ويلعب بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين
على انه من ارتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرأ الكوفيون و
يعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من ارتع
ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء وانا له لحافظون
ان يناله مكروه قال اني ليحزنني ان تذهبوا به لشدة مفارقته وقلة صبري
عنه واخاف ان يأكله الذئب لان الارض كانت مذأبة وقيل رأى في المنام
ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره وقد همزها على الاصل ابن
كثير ونافع في رواية ابي عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا واشتقاقه
من تذاءبت الريح اذا هبت من كل جهة وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع
واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اللام موطئة

القسم

للقسم وجوابه انا اذا لخاسرون ضعفاء مغبونون او مستحقون لان يدعى
عليهم بالخسارة والواو في ونحن للحال فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في
غيابت الجب وعزموا على القائه فيها والبير بير بيت المقدس او بير
بارض الاردن او بير بين مصر ومدين او على ثلثة فراسخ من مقام يعقوب
صلى الله عليه وسلم وجواب لما محذوف لما فعلوا به ما فعلوا من الاذى
فقد روي انهم لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى
كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتموني
لا تقتلوه فاتوا به الى البير فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا
قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم وقال ردوا علي قميصي
اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك
فلما بلغ نصفها القوه وكان فيها ماء فسقط ثم اوى الى صخرة كانت فيها
فقام عليها يبكي فجاءه جبريل بالوحي كما قال واوحينا اليه وكان ابن سبع
عشرة سنة وقيل كان مراهقا اوحي اليه في صغره كما اوحي الى يحيى وعيسى
عليهم السلام وفي القصص ان ابرهيم حين القي الى النار جرد عن ثيابه
فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق
واسحق الى يعقوب فجعله في تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبريل فالبسه
لتنبئنهم بامرهم هذا لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف
لعلو شانك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك
اشارة الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون

بشره بما يؤول اليه امره ايناسا له وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون
ذلك وجاؤوا اباهم عشاء آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي و
عشاء بالضم والكسر جمع اعشى اي عشوا من البكاء يبكون متباكين
روي انه لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا يا
ابانا انا ذهبنا نستبق نتسابق في العدو او في الرمي وقد يشترك الافتعال
والتفاعل كالانتضال والتناضل وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما
انت بمؤمن لنا بمصدق ولو كنا صادقين لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف
وجاؤوا على قميصه بدم كذب اي ذي كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون
وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اي جاؤوا كاذبين
وكدب بالدال غير المعجمة اي كدر او طري وقيل اصله البياض الخارج
على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه
في موضع النصب على الظرف اي فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوز
تقديمها على المجرور روي انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسأل قميصه فاخذه
والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رأيت
كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال بل
سولت لكم انفسكم امرا اي سهلت لكم وهونت في اعينكم امرا عظيما من
السول وهو الاسترخاء فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل
اجمل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه الى الخلق والله المستعان
على ما تصفون على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت

قبل

قبل استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة يسيرون من مدين الى مصر
فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلث من القائه فيه فارسلوا واردهم
الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي فادلى دلوه فارسلها
في الجب ليملأها فتدلى بها يوسف فلما راه قال يا بشرى هذا غلام نادى البشرى
بشارة كأنه قال تعالي فهذا اوانك وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه
على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي بالاضافة وقرئ يا بشريّ
بالادغام وهو لغة وبشرى بالسكون على قصد الوقف واسروه اي الوارد و
اصحابه من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه
لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان يأتيه كل يوم
بالطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا
غلامنا ابق منا فاشتروه فسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب
على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع فانه ما بضع من
المال للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف
بابيهم واخيهم وشروه وباعوه وفي مرجع الضمير الوجهان او اشتروه من
اخوته بثمن بخس مبخوس لزيفه او نقصانه دراهم بدل من الثمن معدودة قليلة
فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها قيل كان عشرين درهما
وقيل اثنين وعشرين وكانوا فيه في يوسف من الزاهدين الراغبين والضمير في
وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بائعين فزهدهم لانهم
التقطوه والملتقط للشيء متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل في بيعه وان

يستسقي

لنفسه او لقومه

كانوا مشتبهين فيه لانهم اعتقدوا انه آبق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهد لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر واسمه قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف ومات في حيوته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء روي انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلثين وآتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلث وثلثين وتوفي وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما اشتراه به من جعل شراه غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملؤه فضة وقيل ذهبا لامرأته راعيل او زليخا اكرمي مثواه اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكما مكنا محبته في قلب العزيز او كما مكناه في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه من تاويل الاحاديث عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اي كان القصد في انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس

ويعلم معاني كتب الله واحكامه فينفذها او تعبير المنامات المنبهة على الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل لسنيه والله غالب على امره لا يرده شيء ولا ينازعه فيما يشاء او على امر يوسف اراد به اخوة يوسف شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ اشده منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبداه بلوغ الحلم آتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وعلما يعني علم تاويل الاحاديث وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه تعالى انما آتاه ذلك جزاء على احسانه في عمله واتقانه في عنفوان امره وراودته التي هو في بيتها عن نفسه طلبت منه وتمحلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة في الايثاق وقالت هيت لك اي اقبل وبادر او تهيات والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كاين واللام للتبيين كالتي في سقيا لك وقرا ابن كثير بالضم تشبيها له بحيث وقرا نافع وابن عامر بفتح الهاء وكسرها كعيط وهي لغة فيه وقرئ هيت كجير وهئت كجئت من هاء يهيء اذا تهيا وعلى هذا فاللام من صلته قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ربي احسن مثواي ان الشان سيدي قطفير احسن تعهدي اذ قال لك في اكرمي فما جزاؤه ان اخونه في اهله او ان الله تعالى ربي احسن مثواي بان عطف على قلبه فلا اعصيه انه لا يفلح الظالمون المجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة فان الزاني ظالم على نفسه او على المزني باهله ولقد همت به

وهم بها قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده والعزم عليه
ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشيء امضاه والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة
الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق
بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم
او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله لولا ان راى برهان ربه في قبح
الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم
بها جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب
محذوف يدل عليه وقيل راى جبريل وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله
وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف انت مكتوب في الانبياء وتعمل عمل
السفهاء كذلك اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه
السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصهم الله
لطاعته وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القران
اي الذين اخلصوا دينهم لله تعالى واستبقا الباب اي تسابقا الى الباب فحذف
الجار او ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك ان يوسف عليه السلم فر منها
ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج وقدت قميصه من دبر اجتذبته
من ورائه فانقد قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا والفيا
سيدها وصادفا زوجها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا
الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما بانها فرت منه لتبرئة ساحتها عند زوجها
وتغييره على يوسف واغرائه انتقاما منه وما نافية او استفهامية بمعنى

اذا كان في اوله الف ولام صح

فرت صح

بره

اى

اي شيء جزاؤه الا السجن قال هي راودتني عن نفسي طالبتني بالمواتاة و
انما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن والعذاب ولو لم تكذب عليه
لما قاله وشهد شاهد من اهلها قيل ابن عمها وقيل ابن خال لها صبيا في
المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة
فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى عليه السلم وانما
القى الله الشهادة على لسان اهلها ليكون الزم عليها ان كان قميصه قد من
قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانه يدل على انها قدت قميصه من قدامه
بالدفع عن نفسها او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه وان كان
قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت
ثوبه فقدته والشرطية محكية على ارادة القول او على ان فعل الشهادة
من القول وتسميتها شهادة لانها ادت مؤداها والجمع بين ان وكان
على تاويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان احسنت الي فقد
احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن علي باحسانك امنن عليك بالاحسان
السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد
وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين
فلما راى قميصه قد من دبر قال ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا
او ان السوء او ان هذا الامر من كيدكن من حيلتكن والخطاب لها ولامثالها
او لسائر النساء ان كيدكن عظيم فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد
تاثيرا في النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة

ذلك

انها صح

الي صح

انه صح

يوسف حذف منه حرف الندا لقربه وتفطنه الحديث اعرض عن هذا اكتمه
ولا تذكره واستغفري لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين
من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة هي اسم لجمع امراة
وتانيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون لغة
فيها في المدينة ظرف لقال اى اشعن الحكاية في مصر او صفة نسوة وكن
خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب الدواب
امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز
بلسان العرب الملك واصل فتى فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة
قد شغفها حبا شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فوادها
حبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرى شعفها من شعف
البعير اذا هناه بالقطران فاحرقه انا لنريها في ضلال مبين في ضلال
عن الرشد وبعد عن الصواب فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما
سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفي الماكر مكره او قلن ذلك لتريهن يوسف
او لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن
قيل دعت اربعين امراة فيهن الخمس واعتدت لهن متكئا واتت كل واحدة
منهن سكينا ما يتكئن عليه من الوسائد حتى يتكئن والسكاكين بايديهن
فاذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على
ايديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة او يهاب يوسف من مكرها اذا خرج
وحده على اربعين نسوة في ايديهن الخناجر وقيل متكا طعاما او مجلس

استكتمتهن سرها

طعام لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب تترفا ولذلك نهي عنه قال جميل
فظللنا بنعمة واتكانا وشربنا الحلال من قلله وقيل المتكا طعام يحز حزا كان
القاطع يتكي عليه بالسكين وقرى متكا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع الفتحة
كمنتزاح ومتكا وهو الاترج او ما يقطع من متك الشي اذا بتكه ومتكا من
تكي يتكا اذا اتكى وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه عظمنه وهبن
حسنه الفائق وعن النبي صلى الله عليه وسلم رايت يوسف ليلة المعراج
كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلالو وجهه على الجدران وقيل اكبرن
حضن له من اكبرت المراة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء
ضمير للمصدر او ليوسف على حذف اللام اى حضن له من شدة الشبق
كما قال المتنبي خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور
العواتق وقطعن ايديهن جرحنها بالسكين من فرط الدهشة وقلن حاش
لله تنزيها له من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا
كما قراه ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد
معنى التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام لبيان كما
في قولك سقيا لك وقرى حاش الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا لله بالتنوين على
تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله
ضمير يوسف اى صار في ناحية الله مما يتوهم فيه ما هذا بشرا لان هذا
الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز في اعمال ما عمل ليس لمشاركتها
في نفي الحال وقرى بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى اى بعبد مشترى لئيم ان هذا الا ملك

قلله جمع قلة وهي الجرة

يقطع

بالسكاكين

باب

وحاشا لله

وبشرى

كريم فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة او لان جماله فوق جمال البشر ولا يفوقه فيه الا الملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اي هو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني في الافتتان به قبل ان تتصورنه حق تصوره ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني او فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طالبا للعصمة اقرت لهن حين عرفت انهن يعذرنها كي يعاونها على الانة عريكته ولئن لم يفعل ما آمره اي ما آمر به فحذف الجار او امري اياه بمعنى موجب امري فيكون الضمير ليوسف ليسجنن وليكونا من الصاغرين الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ ليكونن وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كنسفعا على حكم الوقف وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين قال رب السجن وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر احب الي مما يدعونني اليه اي آثر عندي من مؤاتاتها زنا نظرا الى العاقبة وان كان مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها او دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلي بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسأل الله العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر والا تصرف عني وان لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك الي وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة اصب اليهن اميل الى اجابتهن او الى انفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي والصبوة الميل الى

الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل اليها وقرئ أَصَبُّ من الصبابة وهي الشوق واكن من الجاهلين من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا يعملون بما يعلمون فانهم والجهال سواء فاستجاب له ربه فاجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف فصرف عنه كيدهن فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان انه هو السميع لدعاء الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ثم ظهر للعزيز واهله من بعد ما رأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه حتى حين وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه او يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وعتى بلغة هذيل ودخل معه السجن فتيان اي ادخل يوسف السجن واتفق ان ادخل آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه قال احدهما يعني الشرابي اني اراني اي في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا اي عنبا سماه بما يؤول اليه وقال الآخر اي الخباز اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين من الذين يحسنون تأويل الرؤيا او من العالمين وانما قالا ذلك لانهما رأياه في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بتأويل ما رأينا ان كنت تعرفه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما

بتأويله اي بتأويل ما قصصتما علي او بتأويل الطعام يعني بيان ماهيته وكيفيته
فانه يشبه تفسير المشكل كانه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما
الطريق القويم قبل ان يسعف الى ما سألاه منه كما هو طريقة الانبياء والنازلين
منازلهم من العلماء في الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب
ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير قبل ان ياتيكما اي ذلك التأويل ذلكما
مما علمني ربي بالالهام والوحي وليس من قبيل التكهن والتنجيم اني تركت ملة
قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله اي علمني ذلك لاني
تركت ملة اولئك واتبعت ملة آبائي ابرهيم واسحق ويعقوب او كلام
مبتداء لتمهيد الدعوة واظهار انه يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير
الضمير للدلالة على اختصاصهم وتأكيد كفرهم بالآخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر
الانبياء ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان ذلك اي التوحيد من فضل الله علينا
بالوحي وعلى الناس وعلى سائر الناس ببعثنا لارشادهم وتثبيتهم عليه ولكن
اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون
او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا
ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها يا صاحبي
السجن اي يا ساكنيه او يا صاحبي فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله شعر
يا سارق الليلة اهل الدار ءارباب متفرقون شتى متعددة متساوية الاقدام خير
ام الله الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب لا يعادله ولا يقاومه غيره
ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم

الى صدر

بيت النبوة لتقوى رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل ان

الذي

واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان اي الا اشياء باعتبار اسام اطلقتم عليها من غير
حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى
انكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الالهية عقل ولا نقل الهة ثم اخذتم تعبدونها
باعتبار ما تطلقون عليها ان الحكم في امر العبادة الا لله لانه المستحق لها بالذات
من حيث انه الواجب لنفسه الموجد للكل والمالك لامره امر على لسان انبيائه
ان لا تعبدوا الا اياه الذي دل عليه الحجج ذلك الدين القيم الحق وانتم لا تميزون
المعوج عن القويم وهذا من التدريج في الدعوة والزام الحجة بين لهم اولا رجحان
التوحيد على اتخاذ الالهة على طريق الخطابة ثم برهن على ان ما تسمونها الهة
وتعبدونها لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات واما
بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم
الذي لا يقتضي الحق غيره ولا يرتضي العلم دونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون
فيخبطون في جهالاتهم يا صاحبي السجن اما احدكما يعني الشرابي فيسقي ربه خمرا
كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه واما الآخر يريد به الخباز فيصلب
فتأكل الطير من رأسه فقالا كذبنا فقال قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي قطع
الامر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما
وان استفتيا في امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي
ظن انه ناج منهما الظان يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحي
فهو الناجي الا ان يؤول الظن باليقين اذكرني عند ربك اذكر حالي عند الملك كي يخلصني
فانساه الشيطان ذكر ربه فانسى الشرابي ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته

له على تقدير ذكره اخبار ربه او انسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره و
يؤيده قوله عليه الصلوة والسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند
ربك لما لبث في السجن بعد الخمس والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد
وان كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء فلبث في السجن بضع
سنين البضع ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع وقال الملك اني
ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف لما دنا فرجه راى الملك سبع
بقرات سمان وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان وسبع سنبلات
خضر قد انعقد حبها واخر يابسات وسبعا اخر يابسات قد ادركت فالتوت
اليابسات حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال
البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها مجردا عن
الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على
سمان لانه نقيضه يا ايها الملأ افتوني في رؤياي عبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون
ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية
التي هي مثالها من العبور وهي المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها
تعبيرا واللام للبيان او لتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف
فقوي باللام كاسم الفاعل او لتضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل
ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا قالوا اضغاث احلام اي هي اضغاث احلام
وهي تخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير
للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحكم بالبطلان كقولهم فلان يركب

الخيل او لتضمنه اشياء مختلفة وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين يريدون بالاحلام
المنامات الباطلة خاصة اي ليس لها تأويل عندنا وانما التأويل للمنامات
الصادقة كانه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بتأويله وقال الذي نجا منهما
من صاحبي السجن وهو الشرابي وادكر بعد امة وتذكر يوسف بعد جماعة
من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة وقرئ امة بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما انعم
الله عليه بالنجاة وامه اي نسيان يقال امه يأمه امها اذا نسي والجملة
اعتراض ومفعول القول انا انبئكم بتأويله فارسلون اي الى من عنده
علمه او الى السجن يوسف ايها الصديق اي فارسل الى يوسف فجاء فقال
يا يوسف وانما وصفه بالصديق وهو المبالغ في الصدق لانه جرب
احواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه افتنا في سبع بقرات
سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات اي
في رؤيا ذلك لعلي ارجع الى الناس اعود الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد
ان قيل ان السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون تأويلها او فضلك ومكانك وانما
لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن جازما من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من
علمهم قال تزرعون سبع سنين دأبا اي على عادتكم المستمرة وانتصابه
على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله اي تدأبون دأبا وتكون الجملة
حالا وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب في العمل وقيل
تزرعون امر اخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم فذروه في
سنبله لئلا يأكله السوس وهي على الاول نصيحة خارجة عن العبارة الا

كيلا

قليلا مما تأكلون في تلك السنين ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن
ما قدمتم لهن أي يأكل أهلهن ما ادخرتم لأجلهن فأسند إليهن على المجاز تطبيقا
بين المعبر والمعبر به إلا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذر الزراعة ثم يأتي
من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب والزيتون
لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة والكسائي بالتاء
على تغليب المستفتي وقرئ على بناء المفعول من عصره إذا أنجاه ويحتمل أن
يكون المبني للفاعل منه أي يغيثهم الله تعالى ويغيث بعضهم بعضا أو
من أعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض أو بتضمينه معنى المطر وهذه
بشارة بشرهم بها بعد أن أول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين
مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان بأكل
ما جمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحي أو
بأن انتهاء الجدب بالخصب أو بأن السنة الإلهية على أن يوسع على
عباده بعد ما ضيق عليهم وقال الملك ائتوني به بعد ما جاء الرسول بالتعبير
فلما جاءه الرسول ليخرجه قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن
أيديهن إنما تأنى في الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حاله لتظهر براءة ساحته
ويعلم أنه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد أن يتوسل به إلى تقبيح أمره وفيه دليل
على أنه ينبغي أن يجتهد في نفي التهم ويتقي مواضعها وعن النبي صلى الله عليه
وسلم لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لأسرعت الإجابة وإنما قال
فاسأله ما بال النسوة ولم يقل فاسأله أن يفتش عن حالهن تهييجا له على

البحث

البحث وتحقيق الحال وإنما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما
ومراعاة للأدب وقرئ النسوة بضم النون إن ربي بكيدهن عليم حين قلن
لي أطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى أنه بريء
مما قرف به والوعيد لهن قال ما خطبكن قال الملك لهن ما شأنكن والخطب
أمر يحق أن يخاطب فيه صاحبه إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله
تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء من
ذنب قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص
البعير إذا ألقى مباركه ليناخ قال شعر فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء
بسلمى نوءة ثم صمما أو ذهب أو ظهر من حص شعره إذا استأصله بحيث
ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول أنا راودته عن نفسه وإنه لمن
الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك ليعلم قال يوسف لما
عاد إليه الرسول وأخبره بكلامهن أي ذلك التثبت ليعلم العزيز أني لم أخنه
بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل أو المفعول أي لم أخنه وأنا غائب
عنه أو وهو غائب عني أو ظرف أي بمكان الغيب وراء الأستار والأبواب
المغلقة وأن الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده أو لا يهدي الخائنين
بكيدهم فأوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها
وتوكيد لأمانته ولذلك عقبه بقوله وما أبرئ نفسي أي لا أنزهها تنبيها
على أنه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل إظهار ما أنعم الله عليه من
العصمة والتوفيق وعن ابن عباس رضي الله عنه لما قال ليعلم أني لم أخنه قال له جبرئيل

ولا حين هممت فقال ذلك ان النفس لامارة بالسوء من حيث انها بالطبع مائلة
الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح في اثرها كل الاوقات الا
ما رحم ربي الا وقت رحمة ربي او الا ما رحمه الله من النفوس فعصمه عن ذلك
وقيل الاستثناء منقطع اى لكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل
الاية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرابه وعن ابن كثير ونافع
بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام ان ربي غفور رحيم يغفر هم النفس
ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه
ويرحم ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه وقال الملك ائتوني به استخلصه
لنفسي اجعله خالصا لنفسي فلما كلمه اى فلما اتوا به وكلمه وشاهد منه الرشد
والدهاء قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روي
انه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك
قال اللهم اني اسالك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه
ودعا له بالعبرية فقال ما هذا اللسان قال هذا لسان ابائي وكان الملك يعرف
سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع
رؤياي منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما راها
فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي قطفير في ليلته وزوج
منه راعيل فوجدها عذراء وولد منها افرايم وميشا قال اجعلني على خزائن الارض
ولني امرها والارض ارض مصر اني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف
فيها ولعله عليه السلم لما راى انه يستعمله في امره لا محالة اثر ما تعم فوائده وتجل

كل الاوقات

ربي

قول

عوايده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها
والتولي من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق وسياسة
الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد رح ان الملك اسلم على يده و
كذلك مكنا ليوسف في الارض ارض مصر يتبوأ منها حيث يشاء ينزل من
بلادها وقرا ابن كثير نشاء نصيب برحمتنا من نشاء في الدنيا والاخرة ولا
نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجورهم عاجلا واجلا ولاجر الاخرة خير للذين
امنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش لعظمه ودوامه وجاء اخوة يوسف
روي انه لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط
الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما
وتوجه الناس اليه فباعهم اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شيء
منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى
استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الراي رايك فاعتقهم ورد
عليهم اموالهم وكان قد اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب
عليه السلم بنيه غير بنيامين اليه للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون اى
عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه في سن الحداثة ونسيانهم
اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله حين فارقوه وقلة تاملهم في حلاه من التهيب
والاستعظام ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركائبهم بما جاؤا لاجله
والجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما
تزف به المراة وقرئ بجهازهم بالكسر قال ائتوني باخ لكم من ابيكم روي انهم لما

الي زوجها

دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب
واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا
كنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية وهلك فقال كم انتم ههنا
قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك
قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا ههنا من يشهد لنا قال فدعوا بعضكم
عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت
شمعون وقيل كان يوسف عليه السلم يعطي لكل نفر حملا فسألوا حملا زائدا لاخ لهم
من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان ياتوه به ليعلم صدقهم الا ترون اني اوفي
الكيل اتمه وانا خير المنزلين للضيف والمضيف لهم وكان احسن انزالهم و
ضيافتهم فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون اي لا تقربوني ولا
تدخلوا دياري وهو اما نهي او نفي معطوف على الجزاء قالوا سنراود عنه اباه
سنجتهد في طلبه من ابيه وانا لفاعلون ذلك لا نتوانى فيه وقال لفتيانه
لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرا حمزة والكسائي وحفص لفتيانه على جمع
الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رحل واحدا يعبي
فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعل ذلك
توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان ياخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان
لا يكون عند ابيه ما يرجعون به لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها او
لكي يعرفوها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم ذلك
تدعوهم الى الرجوع فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا

ان لم نذهب ببنيامين فارسل معنا اخانا نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج
اليه وقرأ حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ اي يكتل لنفسه
فينضم اكتياله الى اكتيالنا وانا له لحافظون من ان يناله مكروه قال هل امنكم
عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل وقد قلتم في يوسف وانا له لحافظون فالله
خير حافظا فاتوكل عليه وافوض امري اليه وهو ارحم الراحمين فارجو
ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا
قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمله والحال كقوله لله دره فارسا وقرئ
خير حافظ وهو خير الحافظين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم
وقرئ ردت اليهم بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها في بيع وقيل
قالوا يا ابانا ما نبغي ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا
وباع ورد علينا متاعنا او لا نطلب وراء ذلك احسانا او لا نبغي في القول
ولا نزيد فيما حكينا لك من احسانه وقرئ ما تبغي على الخطاب اي اي شيء
تطلب وراء هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا هذه بضاعتنا ردت
الينا استيناف موضح لقوله ما نبغي ونمير اهلنا معطوف على محذوف اي
ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا
عن المخاوف في ذهابنا وايابنا ونزداد كيل بعير وسق بعير باستصحاب
اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية اما اذا كانت نافية احتمل ذلك و
احتمل ان يكون الجمل معطوفة على ما نبغي اي لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا
ونحفظ اخانا ذلك كيل يسير اي مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا

ان يضايقنا بالرجوع الى الملك او بزداد واليه مايكال لاخيهم و
يجوز ان يكون الاشارة الى كيل بعير اى ذلك شى قليل لا يضايقنا فيه الملك
ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شى يسير لا يخاطر
لمثله بالولد قال لن ارسله معكم اذ رايت منكم مارايت حتى تؤتون موثقا
من الله تعطونى ما اتوثق به من عند الله اى عهدا موكدا بذكر الله لتاتيننى به
جواب للقسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتاتيننى به الا ان يحاط بكم
الا ان تغلبوا فلا تطيقوا وذلك او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء
مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتاتيننى به على كل حال الا حال الا
حاطة بكم او من اعم العلل على ان قوله لتاتيننى به فى تا ويل النفى لا تمتنعون
من الاتيان به الا للاحاطة بكم كقولك اقسمت بالله الا فعلت اى ما اطلب
الا فعلك فلما اتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول من طلب الموثق
واتيانه وكيل رقيب مطلع وقال يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا
من ابواب متفرقة لانهم كانوا ذوى جمال وابهة مشتهرين فى مصر
بالقرب والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا
ولعله لم يوصهم بذلك فى الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ او كان
الداعى اليها خوفه على بنيامين وللنفس اثار منها العين والذى يدل عليه قوله
عليه الصلوة والسلام فى عوذته اللهم انى اعوذ بكلمات الله التامة من كل
هامة ومن كل عين لامة وما اغنى عنكم من الله من شى مما قضى عليكم بما اشرت به اليكم
فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم الا لله يصيبكم لا محالة ان قضى عليكم سوء

ولا ينفعكم ذلك عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين
الحرفين فى عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كان
الواو للعطف والفاء لافادة التسبيب فان فعل الانبياء سبب لان
يقتدى بهم ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اى من ابواب متفرقة
فى البلد ما كان يغنى عنهم راى يعقوب واتباعهم له من الله من شى مما قضاه
عليهم كما قال يعقوب فسرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصواع فى رحله
وتضاعفت المصيبة على يعقوب الا حاجة فى نفس يعقوب استثناء
منقطع اى ولكن حاجة فى نفسه يعنى شفقته عليهم واحترازه من ان يعانوا
قضاها اظهرها ووصى بها وانه لذو علم لما علمناه بالوحى ونصب الحجج
ولذلك قال وما اغنى عنكم من الله من شى ولم يغتر بتدبيره ولكن
اكثر الناس لا يعلمون سر القدر وانه لا يغنى عنه الحذر ولما دخلوا على
يوسف اوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين على الطعام او فى المنزل روى
انهم اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقى بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخى
يوسف حيا لجلس معى فاجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين
منكم بيتا وهذا لا ثانى له فيكون معى فبات عنده وقال له اتحب ان اكون
اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب
ولا راحيل قال انى انا اخوك فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البوس بما كانوا يعملون
فى حقنا فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية المشربة فى رحل اخيه قيل كانت مشربة
جعلت صاعا يكال بها وقيل كانت تسقى الدواب بها ويكال فيها وكانت من

فضة وقيل من فضة وقرئ وجعل على حذف جواب فلما تقديره
امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد ايتها العير انكم لسارقون
لعله لم يقله بامر يوسف او كان تعبية السقاية والنداء عليها برضا بنيامين
وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه او انكم لسارقون والعير
القافلة وهو اسم الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تتردد فقيل
لاصحابها كقوله عليه السلم يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير واصلها
فعل كسقف فعل به ما فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل
قافلة قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون اي شيء ضاع عنكم والفقد غيبة
الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من افقدته
اذا وجدته فقيدا وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين
وصواغ من الصياغة قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير من
الطعام جعلا له وانا به زعيم كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة
وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل
من الباء مختص باسم الله تعالى لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا
سارقين استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم لما عرفوا منهم في كرتي
مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة التي
جعلت في رحالهم وكعم الدواب كيلا تتناول زرعا او طعاما لاحد
قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق او السرق او الصواع على حذف المضاف
ان كنتم كاذبين في ادعاء البراءة قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه

اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب
وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او خبر من والفاء لتضمنها معنى
الشرط او جواب لها على انها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على اقامة
الظاهر فيها مقام الظاهر كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك
نجزي الظالمين بالسرقة فبدا باوعيتهم فبدا المؤذن وقيل يوسف
لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها
اي السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه وقرئ بضم
الواو وبقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف بان علمناه اياه و
اوحينا به اليه ما كان لياخذ اخاه في دين الملك ملك مصر لان دينه الضرب
وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد الا ان يشاء الله
ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون
منقطعا اي لكن اخذه بمشيئة الله واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم
كما رفعنا درجته وفوق كل ذي علم عليم ارفع درجة منه واحتج به من
زعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب
ان المراد كل ذي علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه
الذي له العلم البالغ لغة ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء
عليم وهو مخصوص قالوا ان يسرق بنيامين فقد سرق اخ له من قبل
يعنون يوسف قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابرهيم عليه السلم و
كانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت

المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة
عليه فصارت احق به فى حكمهم وقيل كان لابى امه صنم فسرقه وكسره
والقاه فى الجيف وقيل كان فى البيت عناق او دجاجة فاعطى السائل فاسرها
يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم اكنها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة او
المقالة او نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير وتفسيرها
قوله قال انتم شر مكانا فانه بدل من اسرها والمعنى قال فى نفسه انتم شر مكانا
اى منزلة فى السرقة لسرقتكم اخاكم او فى سوء الصنيع مما كنتم عليه وتانيثها
باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان
والله اعلم بما تصفون وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها
العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فى السن او القدر ذكروا له حاله استعطافا له
عليه فخذ احدنا مكانه بدله فان اباه ثكلان على اخيه الهالك مستانس به
انا نريك من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من المتعودين الاحسان فلا
تغير عادتك قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده فان اخذ غيره
ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه انا اذا لظالمون فى مذهبكم وان مراده
ان الله اذن ان نأخذ من وجدنا الصاع فى رحله لمصلحته ورضاه عليه فلو
اخذت غيره كنت ظالما فلما استيئسوا منه يئسوا من يوسف واجابته اياهم
وزيادة السين والتاء للمبالغة خلصوا انفردوا واعتزلوا نجيا متناجين وانما
وحد لانه مصدر او بزنته كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندى واندية
قال كبيرهم فى السن وهو روبيل او فى الراى وهو شمعون وقيل يهودا الم تعلموا

ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا
منه لانه باذن منه وتاكيد من جهته ومن قبل ومن قبل هذا ما فرطتم فى يوسف
قصرتم فى شانه وما مزيدة ويجوز ان تكون مصدرية فى موضع النصب
بالعطف على مفعول تعلموا ولا باس بالفصل بين العاطف والمعطوف
بالظرف لان قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص
ان تكون موصولة اى ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه فى حقه من الخيانة ومحله
ما تقدم فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لى ابى فى الرجوع
او يحكم الله لى او يقضى لى بالخروج منها او بخلاص اخى منهم او بالمقاتلة
معهم لتخليصه روى انهم كلموا العزيز فى اطلاقه فقال روبيل ايها الملك و
الله لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور جسده
فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب
اذا غضب احدهم فمسه الاخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان فى
هذا البلد لبزرا من بزر يعقوب وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق
ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على ما شاهدنا من ظاهر الامر وقرئ
سُرّق اى نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا بان راينا ان الصواع
استخرج من وعائه وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين فلا ندرى انه سرق
او سُرّق ودس الصاع فى رحله او وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك
الموثق انه سيسرق او انك تصاب به كما اصبت بيوسف واسئل القرية التى كنا
فيها يعنون مصر او قرية بقربها لحقهم المنادى فيها والمعنى ارسل الى اهلها

واسئلهم عن القصة والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير التي توجهنا فيهم
وكنا معهم وانا لصادقون تاكيد في محل القسم قال بل سولت اى فلما رجعوا
الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت اى زينت وسهلت
لكم انفسكم امرا اردتموه فقدرتموه والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ
بسرقته فصبر جميل اى فامرى صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله ان
يأتيني بهم جميعا بيوسف وبنيامين واخيهما الذى توقف بمصر انه هو
العليم بحالي وحالهم الحكيم في تدبيرها وتولى عنهم فاعرض عنهم كراهة لما صادف
منهم وقال يا اسفى على يوسف اى يا اسفا تعالى فهذا اوانك والاسف اشد
الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تاسف على يوسف دون
اخويه والحادث رزؤهما لان رزءه كان قاعدة المصيبات وكان غضا آخذا
بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحيوتهما دون حيوته وفي الحديث لم تعط امة من
الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد صلى الله عليه وسلم
الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصاب لم يسترجع وقال يا اسفى وابيضت
عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن كان العبرة محقت سوادها وقيل ضعف
بصره وقيل عمي وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التاسف والبكاء عند
التفجع ولعل امثال ذلك لا تدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه
عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابرهيم عليه
السلم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك
يا ابرهيم لمحزونون فهو كظيم مملو من الغيظ على اولاده ممسك في قلبه لا يظهره

فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا
شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين من كظم الغيظ اذا اجترعه
واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف
اي لا تفتؤ ولا تزال تذكره تفجعا عليه فحذف كما في قوله فقلت
يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا راسي لديك واوصالي لانه لا يلتبس
بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي لا الاثبات
حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذى اذابه هم او
مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر
كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب او تكون من الهالكين من الميتين
قال انما اشكو بثي وحزني همي الذى لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر
الى الله لا الى احد منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتي واعلم من الله من صنعه و
رحمته وانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجي اليه ما لا تعلمون او من الله بنوع
من الالهام ما لا تعلمون من حيوة يوسف انه لا يموت حتى يخر له اخوته سجدا
يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا
عن حالهما والتحسس طلب الاحساس ولا تيأسوا من روح الله لا تقنطوا
من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اى من رحمته التي يحيى بها العباد
انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون بالله وصفاته فان العارف
لا يقنط من رحمته في شيء من الاحوال فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز
بعد ما رجعوا الى مصر رجعة ثانية مسنا واهلنا الضر شدة الجوع وجئنا

ببضاعة مزجاة ردية او قليلة ترد وتدفع عنها من ازجيته اذا دفعته
ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل
الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل فاوف لنا الكيل
فاتم لنا الكيل وتصدق علينا برد اخينا او بالمسامحة وقبول المزجاة او
بالزيادة على ما يساويها واختلف في ان حرمة الصدقة تعم الانبياء او
تختص بنبينا عليه وعليهم الصلوة والسلم ان الله يجزي المتصدقين
احسن الجزاء والتصدق التفضل ومنه قوله عليه السلم في القصر هذه
صدقة تصدق الله عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغي به
ثواب من الله قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اي هل علمتم قبحه
فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع
ان يكلمهم الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته
وانما قال ذلك نصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما راى من
عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب في
تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه
فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم فعل الجهال او لانهم كانوا
صبيانا طياشين قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك
حقق بان واللام عليه وقرأ ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه بروائه
وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج فراوا
علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها

قال

قال انا يوسف وهذا اخي من ابي وامي ذكره تعريفا لنفسه به وتفخيما
لشانه وادخالا له في قوله قد من الله علينا اي بالسلامة والكرامة انه من يتق
اي يتق الله ويصبر على البليات او على الطاعات وعن المعاصي فان الله
لا يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن
من جمع بين التقوى والصبر قالوا تالله لقد اثرك الله علينا اختارك علينا
بحسن الصورة وكمال السيرة وان كنا لخاطئين والحال ان شاننا انا كنا
مذنبين بما فعلنا معك قال لا تثريب عليكم لا تانيب عليكم تفعيل من
الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش للازالة كالتجليد فاستعير
للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه اليوم متعلق بالتثريب
او بالمقدر للجار الواقع خبرا للا والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو مظنته
فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم حين
اعترفوا بها وهو ارحم الراحمين فانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل
على التائب ومن كرم يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك
تدعونا بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك
فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون
سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم و
عظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم
عليه السلم اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه وقيل القميص
المتوارث الذي كان في التعويذ فالقوه على وجه ابي يات بصيرا يرجع

رغبة صح

مطلقا

كانوا

وقالوا صح

صح

بصيرا اى ذا بصر واتونى انتم وابى باهلكم اجمعين بنسائكم وذراريكم
ومواليكم ولما فصلت العير من مصر وخرجت من عمرانها قال ابوهم لمن حضره
انى لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين اقبل به
اليه يهودا من ثمانين فرسخا لولا ان تفندون تنسبونى الى الفند وهو نقصان
عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتى
وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتمونى او لقلت انه قريب قالوا اى الحاضرون
تالله انك لفى ضلالك القديم لفى ذهابك عن الصواب قدما بالافراط فى محبة
يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه فلما ان جاء البشير يهودا روى انه قال
كما احزنته بحمل قميصه الملطخ اليه فافرحه بحمل هذا اليه القاه على وجهه
طرح البشير القميص على وجه يعقوب او يعقوب نفسه فارتد بصيرا عاد
بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم انى اعلم من الله ما لا تعلمون من
حيوة يوسف وانزال الفرج وقيل انى اعلم كلام مبتدأ والمقول لا تياسوا
من روح الله او انى لاجد ريح يوسف قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا
انا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسئل له المغفرة
قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم اخره الى السحر او الى
صلوة الليل او الى ليلة الجمعة تحريا للوقت الاجابة او الى ان يستحل
لهم من يوسف او يعلم انه عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده
ما روى انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا
خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبرئيل وقال ان الله تعالى قد اجاب دعوتك

فى ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم
وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم فلما دخلوا على يوسف روى انه
وجه اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف و
الملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين
رجلا وامراة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعا
وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى اوى اليه ابويه ضم اليه اباه و
خالته واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب فى قوله و
اله اباءك ابرهيم واسمعيل او لان يعقوب تزوجها بعد امه والرابة تدعى اما
وقال ادخلوا مصر ان شاء الله امنين من القحط واصناف المكاره والمشية
متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول كان فى موضع خارج البلد
حين استقبلهم ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا تحية وتكرمة له فان
السجود كان عندهم يجرى مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا
وقيل الضمير لله والواو لابويه واخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان
قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما وقال يا ابت هذا تاويل رؤياى من قبل رايتها
ايام الصبى قد جعلها ربى حقا صدقا وقد احسن بى اذ اخرجنى من السجن ولم
يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا
اصحاب المواشى واهل البدو من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى
افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها على الجرى ان
ربى لطيف لما يشاء لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وتنفذ فيه مشيئته

واسحق

نخسها

ويتسهل دونها انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل
كل شيء في وقت وعلى وجه يقتضي الحكمة روي ان يوسف طاف بابيه
عليهما السلم في خزائنه فلما ادخله خزينة القرطاس قال يا بني ما اغفلك
عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني
جبريل قال او ما تسئله قال انت ابسط مني اليه فسأله قال جبريل الله
امرني بذلك لقولك واخاف ان ياكله الذيب قال فهلا خفتني رب قد
اتيتني من الملك بعض الملك وهو ملك مصر وعلمتني من تاويل الاحاديث
الكتب او الرويا ومن ايضا للتبعيض لانه لم يوت كل التاويل فاطر السموات
والارض مبدعهما وانتصابه على انه صفة المنادي او منادى براسه
انت وليي ناصري او متولي امري في الدنيا والاخرة او الذي يتولاني
بالنعمة فيهما توفني مسلما اقبضني والحقني بالصالحين من ابائي او بعامة
الصالحين في الرتبة والكرامة روي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة
ثم توفي واوصى ان يدفن بالشام الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثم عاد
عاش بعده ثلثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت
فتوفاه الله تعالى طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال
فراوا ان يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء
ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى الى مدفن ابائه وكان عمره عليه
السلم مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشا وهو جد
يوشع بن نون ورحمة امراة ايوب عليه السلم ذلك اشارة الى ما ذكر من نبا يوسف

والخطاب

شيء مه

قاموس: ق اليه توقا وتووقا وتياقة وتوقانا اشتاق

ثمة مه

والناس في هذا شرع ويحرك اي سواء قاموس

والخطاب فيه للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدا من انباء الغيب
نوحيه اليك خبران له وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون
كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبا غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر
اخوة يوسف حين عزموا على ان يجعلوه في غيابة الجب وهم يمكرون
به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك انك
ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق استغناء
بذكره في غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل
هذا وما اكثر الناس ولو حرصت على ايمانهم وبالغت في اظهار الايات عليهم
بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسئلهم عليه على الانباء او
القران من اجر جعل كما تفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين
عامة وكاين من اية وكم من اية والمعنى وكاي عدد شئت من الدلائل الدالة على وجود
الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده في السموات والارض يمرون
عليها على الايات ويشاهدونها وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون
بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدا خبره يمرون فيكون لها الضمير في
عليها وبالنصب على ويطوون الارض يمشون عليها اي يترددون
فيها فيرون اثارهم الهالكة وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته
الا وهم مشركون بعبادة غيره او باتخاذ الاحبار اربابا او نسبة التبني اليه
او القول بالنور والظلمة او النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الاية
في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افامنوا ان تاتيهم غاشية

من عذاب الله عقوبة تغشاهم وتشملهم او تأتيهم الساعة بغتة فجأة من
غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي
يعني الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله ادعوا
الى الله وقيل هو حال من الياء على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء انا تأكيد
للمستتر في ادعوا على بصيرة لانه حال منه او مبتدأ خبره على بصيرة ومن اتبعني
عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين وانزهه تنزيها من الشركاء وما ارسلنا
من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفي استنباء
النساء يوحى اليهم كما اوحي اليك ويميزوا بذلك عن غيرهم وقرأ حفص
نوحي في كل القرآن ووافقه حمزة والكسائي في سورة الانبياء من اهل
القرى لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك او
من المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الآخرة
ولدار الحال او الساعة او الحيوة الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي
افلا تعقلون يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم
ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون
حتى اذا استيأس الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اي لا يغررهم تمادي
ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او
عن ايمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع وظنوا
انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم

بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم اي وظن المرسل اليهم ان الرسل قد
كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم والثاني للرسل
اي وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط
الامر عليهم وما روي عن ابن عباس رض ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما
وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس في القلب
على طريق الوسوسة او ان المراد به المبالغة في التراخي والامهال
على سبيل التمثيل وقرأ غير الكوفيين بالتشديد اي وظن الرسل
ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف و
بناء الفاعل اي وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى
عنهم ولم يروا له اثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي والمؤمنين
وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستاهلون ان يشاء نجاتهم
لا يشاركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ
الماضي المبني للمفعول وقرئ فنجا ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين اذا نزل
بهم وفيه بيان المشيئين لقد كان في قصصهم في قصص الانبياء واممهم
او في قصة يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبرأة
عن شوائب الالف والركون الى الحس ما كان حديثا يفترى ما كان القرآن
حديثا مفترى ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية وتفصيل
كل شيء يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وله سند من القرآن بوسط
او غير وسط وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم

حيث نقل من غيابة الجب الى غاية الجبر ومن الحصير الى السرير فصارت عاقبة الصبر سلامة وكرامة وعاقبة الكبر والحسد ... وندامة ٥ مدارك

يوسنون يصدقونه وعن صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما الاموله ويقول الذين كفروا الاية

سورة الرعد مدنية وقيل مكية وايها خمس واربعون بسم الله الرحمن الرحيم

المر قيل معناه انا الله اعلم وارى تلك ايات الكتاب يعني بالكتاب وتلك اشارة الى اياتها اى تلك الايات ايات السورة الكاملة او القران والذى انزل اليك من ربك هو القران كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص او احدى الصفتين على الاخرى او الرفع بالابتداء خبره الحق والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس مما نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم بالنظر والتامل فيه الله الذى رفع السموات مبتدا وخبر محذوف ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر بغير عمد اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل ترونها صفة للعمد او استيناف للاستشهاد برويتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية لها في حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون لمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الايات ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة على حد من

قوله ويقول الذين كفروا الاية تم

السورة صح

حقاصه

السرعة ينفع في حدوث الكائنات وبقائها كل يجرى لاجل مسمى لمدة معينة يتم فيها ادواره او لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت يدبر الامر امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك يفصل الايات ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء وهو الذى مد الارض بسطها طولا وعرضا ليثبت عليها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت من رسا الشيء اذا ثبت جمع راسية والتاء للتانيث على انها صفة اجبل او للمبالغة وانما اضافها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها ومن كل الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين اى وجعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير يغشى الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعد ما كان مضيئا وقرا حمزة والكسائي وابو بكر يغشي بالتشديد ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيها فان تكونها وتخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيا اسبابها وفي الارض قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم يكن

كذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض لها
بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامّة متشاركة
في النسب والاوضاع وجنات من اعناب وزرع ونخيل وبساتين فيها
انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله وقرأ ابن
كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرعٌ ونخيلٌ بالرفع عطفا على و
جنات صنوان نخلات اصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة
الاصول وقرأ حفص بالضم وهو لغة تميم كقنوان في جمع قنو يسقى بماء
واحد ونفضّل بعضها على بعض في الاكل في الثمر قدرا وشكلا ورائحة وطعما
وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول و
الاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب
يسقى بالتذكير على تأويل ما ذكر وحمزة والكسائي يفضّل بالياء ليطابق
قوله يدبر الامر ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالتفكر
وان تعجب يا محمد من انكارهم البعث فعجب قولهم حقيق بان يتعجب منه فان
من قدر على انشاء ما قصّ عليك كانت الاعادة ايسر شيء عليه والايات
المعدودة كما هي دالة على وجود المبدأ فهي دالة على امكان الاعادة من حيث
انها تدل على كمال علمه وقدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته ائذا كنا
ترابا ائنا لفي خلق جديد بدل من قولهم او مفعول له والعامل في اذا محذوف
دل عليه ائنا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم لانهم كفروا بقدرته على البعث
واولئك الاغلال في اعناقهم مقيدون بالضلال لا يرجى خلاصهم او يغلّون

يوم القيمة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط
الفصل لتخصيص الخلود بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة
قبل العافية وذلك انهم استعجلوا بما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء وقد
خلت من قبلهم المثلات عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا
بها ولم يجوّزوا حلول مثلها عليهم والمثُلة بفتح الثاء وضمها كالصَّدَقة
والصَّدُقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص و
أمثلت الرجل من صاحبه اذا اقصصته منه وقرئ المثْلات بالتخفيف
والمثُلات باتباع الفاء العين والمثْلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثَلات
على انها جمع مثْلة كركْبة وركبات وان ربك لذو مغفرة للناس
على ظلمهم مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة
والتقييد به دليل جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع
ذلك خصّ الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر او اوّل المغفرة بالستر
والامهال وان ربك لشديد العقاب للكفار او لمن شاء وعن النبي صلى
الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنّأ احدا العيش ولولا وعيده و
عقابه لاتّكل كل واحد ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه لعدم اعتدادهم
بالايات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اوتي موسى وعيسى انما انت منذر
مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به نبوتك
من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات
من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب او

قادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل من
الآيات ثم اردف ما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره
تنبيها على انه تعالى قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم
للعناد دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه
عليهم بالكفر فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى اي حملها او ما تحمله انه على اي حال
هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة وما تغيض الارحام وما تزداد وما
تنقصه وما تزداد في الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين
عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند ابي حنيفة روي ان الضحاك
ولد لسنتين وهرم بن حيان لاربع سنين واعلى عدده لا حد له وقيل نهاية
ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة وقال الشافعي اخبرني شيخ باليمن
ان امرأته ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض
وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا
تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ما ان تكون مصدرية واسنادهما الى
الارحام على المجاز فانهما لله او لما فيها وكل شيء عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه
ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث
بوقت وحال معينين وهيأ له اسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك وقرأ
ابن كثير هادٍ ووالٍ وواقٍ وما عند الله باقٍ بالتنوين على الاصل فاذا وقف
وقف بالياء في هذه الاربعة الاحرف حيث وقعت لا غير والباقون يصلون
بالتنوين ويقفون بغير ياء عالم الغيب الغائب عن الحس والشهادة الحاضر له

الكبير العظيم الشان المتعال المستعلي عن كل شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت
المخلوقين وتعالى عنه سواء منكم من اسر القول في نفسه ومن جهر به لغيره و
من هو مستخف بالليل طالب للخفاء في مختبأ بالليل وسارب بارز بالنهار
يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف على
ان من في معنى الاثنين كقوله شعر نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قال سواء
منكم مستخف بالليل وسارب بالنهار والآية متصلة بما قبلها مقررة لكمال
علمه وشموله له لمن اسر او جهر واستخفى او سرب معقبات ملائكة
تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقب مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كأن
بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها او اعتقب
فادغمت التاء في القاف والهاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات
وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من احدى القافين من
بين يديه ومن خلفه من جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله
من بأسه متى اذنب بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه من المضار
او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل
من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول
السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله ان الله لا يغير ما بقوم من العافية
والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة واذا اراد
الله بقوم سوءا فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم
من دونه من وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على خلاف مراد

الله تعالى هو الذي يريكم البرق خوفا من اذاه وطمعا في الغيث وانتصابهما
على العلة بتقدير المضاف اى ارادة خوف وطمع او التاويل بالاخافة والاطماع
او الحال من البرق او المخاطبين على اضمار ذوى او اطلاق المصدر بمعنى
المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه
من ينفعه كالزراع وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء الثقال وهو
جمع ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع ويسبح الرعد
ويسبح سامعوه بحمده ملتبسين به فيضجون بسبحان الله والحمد لله او
يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله
ونزول رحمته وعن ابن عباس رضه سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الرعد
فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والملائكة
من خيفته من خوف الله واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب
بها من يشاء فيهلكه وهم يجادلون في الله حيث يكذبون رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة
الناس ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو
اما لعطف الجملة على الجملة او للحال لما روى ان عامر بن الطفيل
واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين
لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له
الرسول صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد
صاعقة فقتله ورمى عامرا بغدة فمات في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة

البعير

البعير وموت في بيت سلولية فنزلت وهو شديد المحال المماحلة والمكايدة
لاعدائه من محل بفلان اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف
استعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى
القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ
بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى شديد
الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه
احد له دعوة الحق الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد او يدعى الى عبادته
دون غيره او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجابه ويؤيده ما بعده والحق
على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة
او على تاويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة
الحق والمراد بالجملتين ان كانت الاية في عامر واربد ان اهلاكهما من
حيث لم يشعرا به محال من الله واجابة لدعوة رسوله او دلالة على انه على
الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله عليه
وسلم بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم
عليهم او بيان ضلالهم وفساد رايهم والذين يدعون اى والاصنام
الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع او والمشركون الذين يدعون الاصنام
فحذف المفعول لدلالة من دونه عليه لا يستجيبون لهم بشيء من الطلبات
الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه يطلب
منه ان يبلغه وما هو ببالغه لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته ولا

يعبر ما جبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعايهم
لها بمن اراد ان يغرف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرى تدعون
بالتاء وباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع وخسار
وباطل ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم يحتمل
ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملايكة والمومنون من الثقلين
طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرها حال الشدة والضرورة
وظلالهم بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده فيهم شاوا
او كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب
طوعا وكرها بالحال او العلة وقوله بالغدو والآصال ظرف ليسجد والمراد
بهما الدوام او حال من الظلال وتخصيص الوقتين لان الامتداد و
التقلص اظهر فيهما والغدو جمع غداة كقنى وقناة والآصال جمع
اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويويده انه
قرى والايصال وهو الدخول في الاصيل قل من رب السموات والارض
خالقهما ومتولي امرهما قل الله اجب عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه و
لانه البين الذي لا يمكن المراء فيه او لقنهم الجواب به قل افاتخذتم من دونه
ثم الزمهم بذلك ان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل اولياء لا يملكون
لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا
فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على
ضلالهم وفساد رايهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم قل هل

يستوي الاعمى والبصير المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد
العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على احوالكم
ام هل تستوي الظلمات والنور الشرك والتوحيد وقرا حمزة والكسائي
وابو بكر بالياء ام جعلوا لله شركاء بل جعلوا والهمزة للانكار وقوله
خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار فتشابه الخلق عليهم خلق الله
وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم
الخلق فيقولوا هولاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها
ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق قل الله خالق
كل شيء لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم
استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله وهو الواحد اي المتوحد بالالوهية
القهار الغالب على كل شيء انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء او من
السماء نفسها فان المبادي منها فسالت اودية انهار جمع واد وهو الموضع
الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري وتنكيرها
لان المطر ياتي على تناوب بين البقاع بقدرها بمقدارها الذي علم الله
انه نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا رفعه
والزبد وضر الغليان رابيا عاليا ومما يوقدون عليه في النار يعم الفلزات
كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه
ابتغاء حلية طلب حلي او متاع كالاواني وآلات الحرب والحرث والمقصود
من ذلك بيان منافعها زبد مثله اي ومما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء

وهو خبثه ومن للابتداء او التبعيض وقرأ حمزة والكسائي وحفص
بالياء على ان الضمير للناس واضماره للعلم به كذلك يضرب الله الحق و
الباطل مثل الحق والباطل فانه مثل الحق في افادته وثباته بالماء الذي
ينزل من السماء فيسيل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به
انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه في منافعه ويسلك
بعضه في عروق الارض الى العيون والقنى والآبار وبالفلز الذي ينتفع
به في صوغ الحلي واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة
والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله فاما الزبد
فيذهب جفاء يجفى به اي يرمي به السيل والفلز المذاب وانتصابه على
الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع الناس كالماء وخلاصة الفلز
فيمكث في الارض ينتفع به اهلها كذلك يضرب الله الامثال لايضاح المشتبهات
للذين استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى والذين
لم يستجيبوا له وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على انه جعل ضرب المثل
لشأن الفريقين ضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهي
المثوبة او الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو ان لهم ما في الارض جميعا
ومثله معه لافتدوا به وهو على الاول كلام مبتدأ لبيان مآل غير المستجيبين
اولئك لهم سوء الحساب وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه
لا يغفر منه شيء ومأواهم مرجعهم جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم
محذوف افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو اعمى عمي القلب

لا يستبصر فيستجيب والهمزة للانكار ان تقع شبهة في تشابههما
بعد ما ضرب من المثل انما يتذكر اولوا الالباب ذوو العقول المبرأة عن مشايعة
الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله ما عقدوه على انفسهم
من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما عاهد الله عليهم في كتبه
ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد
وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الرحم
وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء ويندرج في ذلك مراعاة
جميع حقوق الناس ويخشون ربهم وعيده عموما ويخافون سوء الحساب
خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا على ما تكرهه
النفس ومخالفة الهوى ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لا لجزاء او سمعة
ونحوهما واقاموا الصلوة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم بعضه الذي
وجب عليهم انفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن عرف به ويدرؤن
بالحسنة السيئة ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان او
يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا
وما ينبغي ان يكون مآل اهلها وهي الجنة والجملة خبر الموصولات ان
رفعت بالابتداء وان جعلت صفات لاولي الالباب فاستيناف بذكر
ما استوجبوا تلك الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدأ
خبره يدخلونها والعدن الاقامة اي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان
الجنة ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على المرفوع في يدخلون

وانما ساغ للفصل بالضمير الاخر او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح
من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشانهم وهو دليل على
ان الدرجة تعلو بالشفاعة او ان الموصوفين بتلك الصفات يقرن
بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في
انسهم والتقييد بالصلاح دلالة على ان مجرد الانساب لا ينفع والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف
قائلين سلام عليكم بشارة بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف
اى هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبر فاصل والباء للسببية او البدلية
فنعم عقبى الدار وقرى فنعم بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها
الى الفاء وبغيره والذين ينقضون عهد الله يعنى مقابلى الاولين من بعد ميثاقه
من بعد ما اوثقوه به من الاقرار والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
ويفسدون في الارض بالظلم وتهييج الفتن اولئك لهم اللعنة ولهم
سوء الدار عذاب جهنم او سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار الله يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه وفرحوا اى اهل مكة بالحيوة الدنيا
بما بسط لهم في الدنيا وما الحيوة الدنيا في الاخرة في جنب الاخرة الا متاع الا
متعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعى والمعنى انهم اشروا بما نالوا من الدنيا
ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الاخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر
قليل النفع سريع الزوال ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه قل ان
الله يضل من يشاء باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات ويهدى اليه من اناب اقبل

الى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجرى مجرى التعجب من قولهم كانه
قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم
فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل اية ويهدى اليه من اناب بما
جئت به بل بادنى منه من الايات الذين امنوا بدل من من او خبر مبتدا
محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسا به واعتمادا عليه ورجاء منه
او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر دلائله الدالة على وجوده
ووحدانيته او بكلامه يعنى القران الذى هو اقوى المعجزات الا بذكر الله
تطمئن القلوب تسكن اليه الذين امنوا وعملوا الصالحات مبتدا خبره
طوبى لهم وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب
كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرى وحسن ماب بما بسط
لهم في الدنيا بالنصب كذلك مثل ذلك يعنى ارسال الرسل قبلك ارسلناك في
امة قد خلت من قبلها امم تقدمتها امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها
لتتلو عليهم الذى اوحينا اليك لتقرا عليهم الكتاب الذى اوحيناه اليك
وهم يكفرون بالرحمن وحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذى احاطت
بهم نعمته ووسعت كل شى رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما انعم عليهم
بارسالك اليهم وانزال القران الذى هو مناط المنافع الدينية والدنيوية
عليهم وقيل نزلت في مشركى مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن فقالوا وما
الرحمن قل هو ربى اى الرحمن خالقى ومتولى امرى لا اله الا هو لا مستحق
للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتى عليكم واليه متاب مرجعى ومرجعكم

ولو ان قرآنا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شان القرآن او المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم اي ولو ان كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها او قطعت به الارض تصدعت من خشية الله عند قراءته او شققت فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى فتقرؤه او فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن لانه الغاية في الاعجاز والنهاية في التذكير والانذار او لما آمنوا به كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقراءتك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطايع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام او ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب متقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على كل شيء وهو اضراب عما تضمنه لو من معنى النفي اي بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات الا ان ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لا يلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله افلم ييأس الذين آمنوا عن ايمانهم مع ما راوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم لما روي ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم قرؤوا افلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم بان المأيوس عنه لا يكون ولذلك علقه بقوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فان معناه نفي هدى بعض الناس لعدم

تعلق المشية باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين آمنوا من ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا او بآمنوا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم او تحل قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها وقيل الآية في كفار مكة فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله عليه الصلوة والسلام فانه صلى الله عليه وسلم كان لا يزال يبعث السرايا فيغيرون حواليهم ويختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحل خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم فانه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية حتى ياتي وعد الله الموت او القيمة او فتح مكة ان الله لا يخلف الميعاد لامتناع الكذب في كلامه ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان في دعة وامن ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم افمن هو قائم على كل نفس رقيب عليه بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك وجعلوا لله شركاء استيناف او عطف على كسبت ان جعل ما مصدرية او لم يوحدوه وجعلوا عطف عليه ويكون الظاهر فيه موضع الضمير للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم تنبيها على ان هؤلاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون

به العبادة ويستاهلون الشركة ام تنبئونه بل اتنبئونه وقرئ اتنبئونه
بالتخفيف بما لا يعلم في الارض بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم الله
او بصفات لهم يستحقونها لاجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شئ ام بظاهر
من القول ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى
كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادي
على نفسه بالاعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا باطلا
ثم خالوه حقا او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل سبيل الحق و
قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح اي وصدوا الناس
عن الايمان وقرئ بالكسر وصدّ بالتنوين ومن يضلل الله يخذله فما له من
هاد يوفقه للهدى لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وساير ما يصيبهم
من المصايب ولعذاب الاخرة اشق لشدته ودوامه وما لهم من الله من عذابه
او من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي
هي مثلها في الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا
عليكم مثل الجنة وقيل خبره تجري من تحتها الانهار على طريقة قولك صفة زيد
اسمر او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار او
على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة
اكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها اي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا
بالشمس تلك اي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى امرهم
وعقبى الكافرين النار لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط

للكافرين

للكافرين والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعني
المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه رض ومن آمن من النصارى
وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلثون
بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب
يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب
بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما من ينكر بعضه وهو
ما يخالف شرايعهم او ما يوافق ما حرفوه منها قل انما امرت ان اعبد الله ولا
اشرك به جواب للمنكرين اي قل لهم اني امرت فيما انزل الي بان اعبد الله و
احده وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف
شرايعكم فليس ببدع مخالفة الشرايع والكتب الالهية في جزئيات الاحكام
وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اليه ادعوا لا الى غيره واليه
مآب واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين
الانبياء فاما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالاعصار والامم فلا
معنى لانكاركم المخالفة فيه وكذلك ومثل هذا الانزال المشتمل على اصول
الديانات المجمع عليها انزلناه حكما يحكم في القضايا والوقايع بما تقتضيه
الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على
الحال ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلوة الى
قبلتهم بعد ما حولت عنها بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من
ولي ولا واق ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج

للمؤمنين على الثبات في دينهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك بشرا مثلك و
جعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما هي لك وما كان لرسول وما
صح له ولم يكن في وسعه ان ياتي باية يقترح عليه وحكم يلتمس منه الا
باذن الله فانه المليء بذلك لكل اجل كتاب لكل وقت وامد حكم يكتب على العباد
على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه
ويثبت ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات
مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا
او يثبت ما راه وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت اخرين وقيل
يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي و
يثبت بالتشديد وعنده ام الكتاب اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من
كائن الا وهو مكتوب فيه وان ما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك
وكيف ما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم او توفيناك قبله فانما
عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب للمجازاة لا عليك فلا تحتفل باعراضهم
ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلائعه اولم يروا انا نأتي الارض
ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها والله يحكم لا معقب
لحكمه لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالابطال ومنه قيل لصاحب
الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال
وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي النصب
على الحال اي يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما قليل في الاخرة

بعد ما اخذهم بالقتل والاجلاء في الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم
والمؤمنين منهم فلله المكر جميعا اذ لا يؤبه بمكر دون مكره فانه القادر على
ما هو المقصود منه دون غيره يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءه وسيعلم
الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين حيثما ياتيهم العذاب المعد لهم وهم في
غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله بهم واللام تدل على ان المراد بالعقبى
العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار كما عرفت وقرا ابن كثير ونافع
وابو عمرو الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر
اي اهله وسيعلم من اعلمه اذا اخبره ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل
المراد بهم رؤساء اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه اظهر من الادلة
على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب علم
القران وما الف عليه من النظم المعجز او علم التوراة وهو ابن سلام واضرابه
او علم اللوح المحفوظ وهو الله اي وكفى بالذي يستحق العبادة وبالذي
لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب منا ويؤيده قراءة
من قرا ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول يرتفع بالظرف فانه
معتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدا والظرف خبره وهو متعين
للثانية ومن عنده علم على الحرف والبناء للمفعول وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة الرعد اعطي من الاجر حسنات بوزن
كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من
الموفين بعهد الله تعالى سورة ابرهيم عليه السلام مكية وهي احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب اى هو كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك اياهم الى ما تضمنه من الظلمات من انواع الضلال الى النور الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذى هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او استيناف على انه جواب لمن يسال عنه واضافة الصراط الى الله اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه ولا يخيب سابله الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض على قراءة نافع وابن عامر مبتدا وخبر او الله خبر محذوف والذى صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق وويل للكافرين من عذاب شديد وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج من الظلمات الى النور والويل نقيض الوال وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة يختارونها عليها فان المختار للشى يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان وقرى ويصدون من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان فى صده مندوحة عن تكلف التعدية ويبغونها عوجا ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه وعلى انه مبتدا خبره اولئك فى ضلال بعيد

اى ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد فى الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة او للامر الذى به الضلال فوصف به لملابسته وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الا بلغة قومه الذى هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبى صلى الله عليه وسلم بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز ولكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد فى تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما فى اتعاب القرائح وكد الانفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرى بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير فى قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم وانه تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل او كل نبى بلغة المنزل عليهم وذلك يرده قوله ليبين لهم فانه ضمير القوم والتورية والانجيل ونحوهما لم ينزل لتبيين للعرب فيضل الله من يشاء فيخذله عن الايمان ويهدى من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا يغلب على مشيئته الحكيم الذى لا يضل ولا يهدى الا لحكمة ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعنى اليد والعصا وساير معجزاته ان اخرج قومك من الظلمات الى النور بمعنى اى اخرج لان فى الارسال معنى القول او بان اخرج فان صيغ الافعال سواء فى الدلالة على المصدر فيصح ان يوصل بها ان الناصبة

وذكرهم بايام الله بوقايعه التي وقعت على الامم الدارجة وايام العرب
حروبها وقيل بنعمايه وبلايه ان في ذلك لايات لكل صبار شكور يصبر على
بلايه ويشكر لنعمايه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم
من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل
مومن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المومن
واذ قال موسى اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون اى اذكروا نعمته
وقت انجايه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة
وذلك اذا اريدت بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا
من نعمة الله بدل الاشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم
ويستحيون نساءكم احوال من ال فرعون او من ضمير المخاطبين والمراد
بالعذاب هاهنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف مفسر بالتذبيح و
القتل ثم ومعطوف عليه التذبيح وهو اما جنس العذاب او استعبادهم
بالاستعمال بالاعمال الشاقة وفي ذلكم من حيث انهم من اقدارهم وامهالهم
فيه بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان يكون الاشارة الى الانجاء
والمراد بالبلاء النعمة واذ تاذن ربكم ايضا من كلام موسى عليه السلم وتاذن
بمعنى اذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف و
المبالغة لين شكرتم يا بني اسراييل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان
والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولين كفرتم ان عذابي لشديد فلعلي
اعذبكم على الكفر عذابا شديدا ومن اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض

بالوعيد والجملة مفعول قول مقدر او مفعول تاذن على انه جرى
مجرى قال لانه ضرب منه وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض
جميعا من الثقلين فان الله لغني عن شكركم حميد مستحق للحمد في
ذاته محمود يحمده الملايكة وينطق بنعمته ذرات المخلوقات فما ضررتم
بالكفر الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب
الشديد الم ياتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى
وكلام مبتدا من الله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة وقعت اعتراضا
والذين من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم
لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود كذب النسابون
جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم فعضوها غيظا مما جاءت
به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا
منه او استهزاء عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم
باطباق الافواه او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا
كفرنا تنبيها على ان لا جواب لهم سواه او ردوها في افواه الانبياء يمنعونهم
من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي
اي ردوا ايادي الانبياء التي هي مواعظهم وما اوحي اليهم من الحكم والشرايع
في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت
منه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه
من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة او ذي ريبة وهي

قلق النفس وان لا تطمئن الى الشيء قالت رسلهم أفي الله شك أدخلت
همزة الانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك اي انما
يدعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه
واشاروا الى ذلك بقوله فاطر السموات والارض وهو صفة او بدل وشك
مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم او يدعوكم الى
المغفرة كقولك دعوته لينصرني على اقامة المفعول له مقامه من ذنوبكم بعض
ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جيء
بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين
ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الايمان
وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي
ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت
سماه الله وجعله آخر اعماركم قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم
تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل
تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا بهذه الدعوى فأتونا بسلطان مبين
يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية او على صحة ادعائكم النبوة كأنهم
لم يعتبروا ما جاؤوا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية اخرى تعنتا ولجاجا
قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده
سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله
ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات

على بعض بمشيئته تعالى وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله اي
ليس الاتيان بالآيات الينا ولا تستبد به استطاعتنا حتى نأتي بما اقترحتموه
وانما هو امر يتعلق بمشيئة الله تعالى فيخص كل نبي بنوع من الآيات وعلى
الله فليتوكل المؤمنون فليتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم
عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا
اوليا الا ترى قوله وما لنا الا نتوكل على الله اي اي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه وقد
هدانا سبلنا التي بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرأ ابو عمرو بالتخفيف
ههنا وفي العنكبوت ولنصبرن على ما آذيتمونا جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم
وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون فليثبت
المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم وقال الذين
كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا عن ان يكون احد
الامرين اما اخراجهم للرسل او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم
لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن آمن معه
فغلبوا الجماعة على الواحد فاوحى اليهم ربهم اي الى الرسل لنهلكن الظالمين
على اضمار القول واجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ولنسكننكم الارض من
بعدهم اي ارضهم وديارهم كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى
كقولك اقسم زيد ليخرجن ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين و
اسكان المؤمنين لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد

للحكومة يوم القيمة او قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل المقام مقحم
وخاف وعيد اي وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود للكفار واستفتحوا
سألوا من الله الفتح على اعدائهم او القضاء بينهم وبين اعاديهم من
الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على
فاوحى والضمير للانبياء وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سألوا
ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن و
خاب كل جبار عنيد اي ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل عات متكبر
على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة
او من القبيلين كان اوقع من ورائه جهنم اي بين يديه فانه مرصد بها واقف
على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الاخرة وقيل من وراء حيوته وحقيقته
ما توارى عنك ويسقى من ماء عطف على تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها
ما يلقى ويسقى صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه
يتكلف جرعه وهو صفة لماء او حال من الضمير في يسقى ولا يكاد يسيغه
ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ
جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس ويأتيه الموت من كل مكان اي اسبابه
من الشدائد فيحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى
من اصول شعره وابهام رجليه وما هو بميت فيستريح ومن ورائه ومن بين يديه
عذاب غليظ اي يستقبل في كل وقت عذابا اشد مما هو عليه وقيل هو الخلود
في النار وقيل حبس الانفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة

محذوف

في اهل

في اهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنيهم التي ارسل الله
عليهم بدعوة رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم ووعد لهم
ان يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار مثل الذين كفروا
بربهم مبتدأ خبره محذوف اي فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في
الغرابة او قوله اعمالهم كرماد وهي على الاول جملة مستأنفة لبيان
مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح وحملته
واسرعت الذهاب به وقرأ نافع الرياح في يوم عاصف العصف اشتداد
الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه
صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب
ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها لبنائها على غير اساس من معرفة الله
والتوجه بها اليه واعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصف لا
يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شيء لحبوطه فلا يرون
له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم
انهم محسنون هو الضلال البعيد فانه الغاية في البعد عن طريق الحق
الم تر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وقيل لكل واحد من
الكفرة على التلوين ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة والوجه
الذي يحق ان تخلق عليه وقرأ حمزة والكسائي ان الله خالق السموات ان
يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم ورتب ذلك
على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم

طيرته

وما توقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبايع قدر ان
يبدلهم بخلق اخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما ذلك على الله بعزيز
بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور
ومن هذا شانه كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من
عقابه يوم الجزاء وبرزوا لله جميعا اى يبرزون من قبورهم يوم القيمة
لامر الله ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش
ويظنون انها تخفى على الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عنده وانما
ذكره بلفظ الماضى لتحقق وقوعه فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف
يريد به ضعاف الراى وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة
فيميلها الى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم
انا كنا لكم تبعا فى تكذيب الرسل والاعراض عن نصايحهم وهو جمع تابع
كغايب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف فهل انتم
مغنون عنا دافعون عنا من عذاب الله من شئ من الاولى للبيان واقعة موقع
الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اى بعض الشئ الذى
هو عذاب الله ويجوز ان يكونا للتبعيض اى بعض شئ هو بعض عذاب الله
ويجوز ان يكونا والاعراب ما سبق ويحتمل ان يكون الاولى مفعولا والثانية
مصدرا اى فهل انتم بعض العذاب بعض الاغناء قالوا اى الذين استكبروا
جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله للايمان و
وفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اى اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا

او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما
عرضناكم له لكن سد دوننا طريق الخلاص سواء علينا اجزعنا ام صبرنا
مستو بنا علينا الجزع والصبر ما لنا من محيص منجاء ومهرب من العذاب
من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت
ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين و
يؤيده ما روى انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسماية عام فلا
ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا
وقال الشيطان لما قضى الامر احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل
النار النار خطيبا فى الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق وعدا
من حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد
الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم
جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه وما كان لى عليكم من سلطان تسلط
فالجئكم الى الكفر والمعاصى الا ان دعوتكم الا دعائى اياكم اليها بتسويلى وهو
ليس من جنس السلطان فاستجبتم لى اسرعتم اجابتى فلا تلومونى بوسوستى
فان من صرح العداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم حيث اطعتمونى
اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على
استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفى لصحتها ان يكون
لقدرة العبد مدخل ما فى فعله وهو الكسب الذى يقوله اصحابنا ما انا
بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخى بمغيثى وقرا حمزة بكسر الياء على

لاصل في التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع
ياءين وثلاث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها
الف فالحري ان لا تكسر وقبلها ياء او على لغة من يزيد ياء الاضافة
اجراء لها مجرى الهاء والكاف في ضربته واعطيتكها وحذف اليآء
اكتفاء بالكسرة انی كفرت بما اشركتمون من قبل ما اما مصدرية ومن متعلق
باشركتموني اي كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا
بمعنى تبرأت منهم واستنكرته كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم
او موصولة بمعنى من نحو ما في قوله سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة
بكفرت اي كفرت بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياي فيما
دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت
امره بالسجود لآدم عليه السلم واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى
مفعول ثان وان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله
تعالى وفي حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا
انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم باذن الله وامره والمدخلون هم
الملائكة وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربه متعلق بقوله
تحيتهم فيها سلام اي تحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر كيف ضرب
الله مثلا كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة جعل كلمة طيبة
كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان يكون كلمة بدلا

من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدا محذوف اي هي كشجرة وان تكون
اولى مفعولي ضرب اجراء له مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على
الابتداء اصلها ثابت في الارض ضارب بعروقها فيها وفرعها واعلاها
في السماء ويجوز ان يريد وفروعها اي وافنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس
لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها وعلى الاول على
اصله ولذلك قيل الاول اقوى ولعل الثاني ابلغ تؤتي اكلها تعطي
ثمرها كل حين اقته الله لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه
ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير
فانه تصوير للمعاني وادناء لها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة كمثل
شجرة خبيثة اجتثت استؤصلت واخذت جثته بالكلية من فوق الارض
لان عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار واختلف في الكلمة
والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام
والقرآن والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله والدعاء الى الكفر
وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما اعرب
عن حق او دعاء الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك
وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروي ذلك مرفوعا وبشجرة في الجنة
والخبيثة بالحنظل والكشوث ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك يثبت
الله الذين امنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم
في الحيوة الدنيا فلا يزلون اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس و

وتمعون والذی فتنهم اصحاب الاخدود وفی الاخرة ولا یتلعثمون
اذا سئلوا عن معتقدهم فی الموقف ولا یدهشهم اهوال القیمة وروی
انه علیه الصلوة والسلام ذکر قبض روح المؤمن فقال ثم یعاد روحه
فی جسده فیاتیه فیجلسانه فی قبره فیقولان له من ربک وما دینک ومن
نبیک فیقول ربی الله ودینی الاسلام ونبیی محمد فینادی مناد من
السماء ان صدق عبدی فذلک قوله یثبت الله الذین بالقول الثابت و
یضل الله الظالمین الذین ظلموا انفسهم بالاقتصار علی التقلید فلا یهتدون
الی الحق ولا یثبتون فی مواقف الفتن ویفعل الله ما یشاء من تثبیت بعض و
اضلال اخرین من غیر اعتراض علیه الم تر الی الذین بدلوا نعمت الله کفرا ای شکر
نعمة کفرا بان وضعوه مکانه او بدلوا نفس النعمة کفرا فانهم لما کفروها سلبت
منهم فصاروا تارکین لها محصلین الکفر بدلها کاهل مکة خلقهم الله واسکنهم
حرمه وجعلهم قوام بیته ووسع علیهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد
صلی الله علیه وسلم فکفروا ذلک فقحطوا سبع سنین واسروا وقتلوا
یوم بدر وصاروا اذلة فبقوا مسلوبی النعمة موصوفین بالکفر وعن عمر
وعلی رضی الله عنهما هم الافجران من قریش بنو المغیرة وبنو امیة فاما بنو
المغیرة فکفیتموهم یوم بدر واما بنو امیة فمتعوا حتی حین واحلوا قومهم
الذین شایعوهم فی الکفر دار البوار دار الهلاک بحملهم علی الکفر جهنم عطف
بیان لها یصلونها حال منها او من القوم ای داخلین فیها مقاسین لحرها او
بفعل مقدر ناصبا لجهنم وبئس القرار ای وبئس المقر جهنم وجعلوا لله اندادا لیضلوا

عن سبیله الذی هو التوحید وقرأ ابن کثیر وابو عمرو ورویس عن یعقوب
بفتح الیاء ولیس الضلال والاضلال غرضهم فی اتخاذ الانداد لکن لما
کان نتیجته جعل کالغرض قل تمتعوا بشهواتکم او بعبادة الاوثان فانها
من قبیل الشهوات التی یتمتع بها وفی التهدید بصیغة الامر ایذان بان
المهدد علیه کالمطلوب لافضائه الی المهدد به وان الامرین کائنان لا
محالة ولذلک علله بقوله فان مصیرکم الی النار وان المخاطب لانهماکه فیه
کالمأمور به من آمر مطاع قل لعبادی الذین آمنوا خصهم بالاضافة تنویها لهم
وتنبیها علی انهم المقیمون لحقوق العبودیة ومفعول قل محذوف یدل
علیه جوابه ای قل لعبادی الذین آمنوا اقیموا الصلوة وانفقوا یقیموا
الصلوة وینفقوا مما رزقناهم فیکون ایذانا بانهم لفرط مطاوعتهم
الرسول بحیث لا ینفک فعلهم عن امره وانه کالسبب الموجب له ویجوز
ان یقدرا بلام الامر لیصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلک هاهنا ولم
یحسن فی قوله شعر محمد تفد نفسک کل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة
قل علیه وقیل هما جوابا اقیموا وانفقوا مقامین مقامهما وهو ضعیف لانه
لا بد من مخالفة ما بین الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا یجاب بلفظ
الغیبة اذا کان الفاعل واحدا سرا وعلانیة منتصبان علی المصدر ای انفاقا
سر وعلانیة او علی الحال ای ذوی سر وعلانیة او علی الظرف ای وقتی
سر وعلانیة والاحب اعلان الواجب واخفاء المتطوع به من قبل
ان یاتی یوم لا بیع فیه ولا خلال ولا مخالة فیشفع لک خلیل او من قبل ان

فیبتاع المقصر ما یتدارک به تقصیره او یفدی به نفسه

يأتي يوم لا انتفاع فيه بمتابعة ولا مخالة وانما ينتفع به بالانفاق لوجه الله
وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام الله الذي
خلق السموات والارض مبتدأ وخبر وانزل من السماء ماء فاخرج به من
الثمرات رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج
ومن الثمرات بيان له حال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر
فينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج في معنى رزق وسخر لكم
الفلك لتجري في البحر بامره بمشيئته الى حيث توجهتم وسخر لكم الانهار فجعلها
معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها و
وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان في سيرهما وانارتهما واصلاح
ما يصلحان من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم
ومعاشكم وآتاكم من كل ما سألتموه اي بعض جميع ما سألتموه يعني من كل شيء
سألتموه شيئا فان الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله تعالى ولعل
المراد بما سألتموه ما كان حقيقا بان يسأل لاحتياج الناس اليه سئل
او لم يسأل وما يحتمل ان تكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون
المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين اي وآتاكم من كل شيء ما
احتجتم اليه وسألتموه بلسان الحال ويجوز ان تكون ما نافية في موقع
الحال اي وآتاكم من كل شيء غير سائليه وان تعدوا لا تحصوها لا تحصروها
ولا تطيقوا عد انواعها فضلا عن افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان
المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال

شكرها

شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان كفار شديد الكفران وقيل
ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واذ قال ابراهيم
رب اجعل هذا البلد بلدة مكة آمنا ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله
اجعل هذا بلدا آمنا ان المسؤول عنه في الاول ازالة الخوف عنه وتصييره
آمنا وفي الثاني جعله من البلاد الآمنة واجنبني وبني بعدني واياهم
ان نعبد الاصنام واجعلنا منه في جانب وقرئ واجنبني وهما على لغة
نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة
الانبياء بتوفيق الله وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده
وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل لم يعبدوا الصنم
محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون
البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلته رب انهن اضللن كثيرا من
الناس فلذلك سألت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن و
اسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله وغرتهم الحيوة الدنيا
فمن تبعني على ديني فانه مني اي بعضي لا ينفك عني في الدارين ومن عصاني
فانك غفور رحيم تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة
وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعد فرق
بينه وبين غيره ربنا اني اسكنت من ذريتي اي بعض ذريتي فحذف
المفعول وهم اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم
بواد غير ذي زرع يعني وادي مكة فانها حجرية لا تنبت عند بيتك المحرم

حرمت التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممتنعا يهابه الجبابرة
او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا اي اعتق
منه ولو دعا بهذا الدعاء اول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان
او ما سيؤل اليه روي ان هاجر كانت لسارة فوهبتها من ابرهيم
عليه السلم فولدت منه اسمعيل فغارت عليها فناشدته ان يخرجهما
من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم راوا
ثم طيورا فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه فراوهما وعندهما
عين فقالوا اشركينا في مائك نشركك في الباننا ففعلت ربنا ليقيموا
الصلوة اللام لام كي وهي متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي
البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلوة عند بيتك المحرم و
تكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم
ثم والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء لهم
باقامة الصلوة كانه طلب منهم الاقامة وسال من الله ان يوفقهم لها
فاجعل افئدة من الناس اي افئدة من افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس
والروم ولحجت اليهود والنصارى او للابتداء كقولك القلب مني سقيم
اي افئدة ناس وقرئ آفدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب افئدة كآدر
في ادور وان يكون اسم الفاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة يعجلون
بين بين ويجوز ان يكون من اوله تهوى اليهم تسرع اليهم شوقا ووداد
وقرئ تهوى على البناء للمفعول من هوى اليه غيره بطرح الهمزة للتخفيف

ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس

وان كان الوجه فيه اخراجها وتهوى من هوي يهوى اذا احب و
تعديته بالى لتضمين معنى النزوع وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا
لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله دعوته فجعله حرما
امنا يجبى اليه ثمرات كل شئ حتى يوجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية
والخريفية في يوم واحد ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم
علننا والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا
حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك
واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من
التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة في التضرع واللجاء
الى الله وما يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء لانه العالم بعلم ذاتي
يستوي نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي
وانا كبير آيس عن الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما
فيها من الاية اسمعيل واسحق روي انه ولد له اسمعيل لتسع وتسعين سنة و
اسحق لمائة وثنتي عشرة سنة ان ربي لسميع الدعاء اي لمجيبه من قولك سمع
الملك كلامي اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف
الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله على المجاز وفيه اشعار
بانه دعا ربه تعالى وسال منه الولد فاجابه ووهب له سؤله حين ما وقع
الياس منه ليكون من اجل النعم واجلاها رب اجعلني مقيم الصلوة معدلا
لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه

متن
على الكبر اي وانا كبير

باعلام الله واستقراء عادته في الامم الماضية انه يكون في ذريته كفار ربنا
وتقبل دعاء واستجب دعائي او تقبل عبادتي ربنا اغفر لي ولوالدي وقرئ
لابوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما آدم وحوا وللمؤمنين
يوم يقوم الحساب يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب
على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف او اسند اليه قيامهم مجازا ولا
تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والمراد به تثبيته على ما هو عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى
عليه خافية والوعد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلته
جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم
انما يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن ابي عمرو بالنون ليوم تشخص فيه الابصار
اي تشخص ابصارهم فلا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى
الداعي او مقبلين بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو
الاقبال على الشيء مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم بل بقيت عيونهم
شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم
هواء خلاء اي خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق
وللجبان قلبه هواء اي لا رأي فيه ولا قوة قال زهير شعر من الظلمان جؤجؤه
هواء وقيل خالية من الخير خاوية عن الحق وانذر الناس يا محمد يوم ياتيهم
العذاب يعني يوم القيمة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان
لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب

عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر اجالنا وابقنا
مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب
للامر ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين
اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال على ارادة القول وما لكم جواب
القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم
باقون في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا او دل
عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون
الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله
واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وسكنتم في مساكن الذين
ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وثمود واصل سكن ان يعدى بفي كقر
وغني واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء فيجري مجراه كقوله سكنت الدار
وتبين لكم كيف فعلنا بهم بما تشاهدون في منازلهم من اثار ما نزل بهم وما تواتر
عندكم من اخبارهم وضربنا لكم الامثال من احوالهم اي بينا لكم انكم مثلهم
في الكفر واستحقاق العذاب او صفات ما فعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة
كالامثال المضروبة وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق
وتقرير الباطل وعند الله مكرهم مكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او
عنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له وان كان مكرهم في العظم
والشدة لتزول منه الجبال مسوى لازالة الجبال وقيل ان نافية واللام
موكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر النبي ونحوه

وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا
وتمكنا من ايات الله وشرايعه وقرأ الكسائي لتزول بالفتح والرفع على
انها المخففة واللام هي الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب
على لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده
رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف
رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا كقوله
ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا كيف يخلف رسله ان الله
عزيز غالب لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل
الارض غير الارض بدل من يوم ياتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكر او لا
يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده و
السموات عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون
في الذات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا
غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها
وعليه قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات والاية تحتملهما وعن علي رضي الله
عنه يبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس
يحشر على ارض بيضاء لم يخط عليها احد خطيئة وعن ابن عباس هي تلك
الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة رضي الله عنه انه
عليه الصلوة والسلام قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم
العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون

الناس ح

الحاصل

الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله
الارض جهنم والسموات الجنة على ما اشعر به قوله تعالى كلا ان كتاب
الابرار لفي عليين وقوله ان كتاب الفجار لفي سجين وبرزوا من اجداثهم
لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان
الامر في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر
اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد غيره ولا مستجار وترى
المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم
في العقايد والاعمال كقوله واذا النفوس زوجت او قرنوا مع الشياطين
او مع ما اكتسبوا من العقايد الزايغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم
الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمواخذتهم على ما اقترفته
ايديهم وارجلهم في الاصفاد متعلق بمقرنين او حال من ضميره والصفد
القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل شعر وزيد الخيل قد لاقى صفادا
يعض بساعد وبعظم ساق واصله الشد سرابيلهم قمصانهم من قطران وجاء
قطران وقطران لغتين فيه وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ فيهنأ به
الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن يشتعل فيه النار بسرعة
يطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقميص ليجتمع عليهم
لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار في جلودهم
على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان
يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيات الوحشية

الي ح

تعض ح

فيجلب اليها انواعا من الغموم والالام وعن يعقوب قطرٍ آنٍ والقطر النحاس
او الصفر المذاب والآني المتناهي حره والجملة حال ثانية او حال من الضمير
في مقرنين وتغشى وجوههم النار اي وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى
الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها كما
تطلع على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوة بالجهالات ونظيره
قوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقوله يوم يسحبون
في النار على وجوههم ليجزي الله كل نفس اي يفعل بهم ذلك ليجزي
كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين
يعاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان
علق اللام بيبرزوا ان الله سريع الحساب لانه لا يشغله حساب عن حساب
هذا اشارة الى القران او السورة او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه
من قوله ولا تحسبن الله الآية بلاغ للناس كفاية لهم في الموعظة ولينذروا
به عطف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فتكون
اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به
انزل او تلي وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما
هو اله واحد بالنظر والتامل فيما فيه من الايات الدالة عليه او المنبهة
على ما يدل عليه وليذكر اولوا الالباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا
بما يحظيهم واعلم انه سبحانه ذكر لهذا البلاغ ثلث فوايد هي الغاية و
الحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التي منتهى

كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع بلباس
التقوى جعلنا الله من الفائزين بهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة ابرهيم صلى الله عليه وسلم اعطي من الاجر عشر حسنات
بعدد من عبد الاصنام سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية وعدد من لم يعبد

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين الاشارة الى آيات السورة والكتاب
هو السورة وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم اي آيات الجامع لكونه كتابا
كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغي بيانا غريبا ربما يود الذين كفروا لو
كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر او حلول الموت
او يوم القيمة وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربتما بالفتح والتخفيف
وفيه ثمان لغات ضم الراء وفتحها مع التشديد والتخفيف وبتاء التانيث
ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل
الماضي لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي في تحققه اجرى
مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل
العقال ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة
فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم
اهوال القيمة فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات تمنوا ذلك والغيبة
في حكاية ودادتهم كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن ذرهم دعهم
ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار

واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون سوء صنيعهم
اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول من ارعوائهم وايذانه بانهم من
اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته وفيه الزام للحجة
وتحذير عن ايثار التنعم وما يؤدي اليه طول الامل وما اهلكنا من قرية
الا ولها كتاب معلوم اجل مقدر كتب في اللوح والمستثنى جملة واقعة صفة
لقرية والاصل ان لا يدخلها الواو كقوله الا لها منذرون لكن لما شابهت
صورتها صورة الحال ادخلت عليها تاكيدا للصوقها بالموصوف
ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون اى وما يستأخرون عنه وتذكير
ضمير امة فيه للحمل على المعنى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر نادوا
به النبي صلى الله عليه وسلم على التهكم الا ترى الى ما نادوه له وهو قوله
انك لمجنون ونظيره ذلك قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم
لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حتى تدعي ان الله نزل اليك
الذكر اي القران لو ما تاتينا ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشيء
لوجود غيره والتحضيض بالملائكة ليصدقك ويعضدوك على الدعوة
كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبنا كما
كانت الامم المكذبة قبل ان كنت من الصادقين في دعواك ما ننزل الملائكة
بالياء مسندا الى ضمير اسم الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون وابو بكر
بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى ما تتنزل الا
بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحق اى بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته

عليك

ولا حكمة في ان تاتيكم بصورة تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا
في معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان
وقيل الحق الوحي او العذاب وما كانوا اذا منظرين اذن جواب لهم وجزاء للشرط
مقدر اى ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم
واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه وقرره بقوله وانا له لحافظون من
التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر بحيث
لا يخفى تغيير نظمه على اهل الدين تطرق الخلل اليه في الدوام بضمان الحفظ
له كما نفي ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير في له للنبي عليه الصلوة
والسلام ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين في فرقهم جمع شيعة وهي
الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع
وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم
رسلا فيما بينهم وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون كما يفعل هؤلاء
وهو تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وما للحال لا تدخل الا مضارعا
بمعناه او ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية كذلك نسلكه
ندخله في قلوب المجرمين والسلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في
المخيط والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل على انه تعالى
يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الاخر في قوله لا يؤمنون
به له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر
في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا

او نفي صح

هم

الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضماير توافقها في المرجع
اليه ولا يتعين ان يكون الجملة حالا من الضمير لجواز ان تكون حالا من المجرمين
ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه **وقد خلت سنة الاولين**
اى سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم او باهلاك من كذب
الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة **ولو فتحنا عليهم** على هؤلاء المقترحين **بابا**
من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون ويرون عجايبها طول نهارهم
مستوضحين لما يرون او يصعد الملائكة وهم يشاهدونهم **لقالوا** من غلوهم
في العناد وتشككهم في الحق **انما سكرت ابصارنا** سدت من الابصار بالسحر
من السكر يدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت من السكر ويدل
عليه قراءة من قرأ سكرت **بل نحن قوم مسحورون** قد سحرنا محمد بذلك
كما قالوه عند ظهور غيره من الايات وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة
على البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر
ولقد جعلنا في السماء بروجا مختلفة الهيات والخواص على ما دل عليه الرصد
والتجربة مع بساطة السماء **وزيناها** بالاشكال والهيات البهية **للناظرين**
المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها **وحفظناها**
من كل شيطان رجيم فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف
في امرها ويطلع على احوالها **الا من استرق السمع** بدل من كل شيطان واستراق
السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم
من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها و

عن ابن عباس رض انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى
منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد عليهما الصلوة والسلم منعوا كلها
بالشهب ولا يقدح فيها تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب
اخر وقيل الاستثناء منقطع اى ولكن من استرق السمع **فاتبعه** فتبعه
ولحقه **شهاب مبين** ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة و
قد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق **والارض مددناها**
بسطناها **والقينا فيها رواسي** جبالا ثوابت **فانبتنا فيها** في الارض او
في الجبال **من كل شيء موزون** مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته او
مستحسن متناسب من قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر او له
وزن في ابواب النعمة والمنفعة **وجعلنا لكم فيها معايش** تعيشون بها
من المطاعم والملابس وقرئ معايش بالهمزة بالتشبيه بشمايل **ومن لستم**
له برازقين عطف على معايش او محل لكم يريد العيال والخدم والمماليك
وساير ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم واياهم
وفذلكة الاية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين
مختلفة الاجزاء في الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة
خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته وتناهي
حكمته والتفرد في الالوهية والامتنان على العباد بما انعم عليهم في ذلك
ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك وقال **وان من شيء الا عندنا خزائنه**
اى وما من شيء الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد

منه ضربت الخزائن مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشيا المخزونة
التى لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد وما ننزله من بقاع القدرة الا
بقدر معلوم حده الحكمة وتعلقت به المشية فان تخصيص بعضها بالايجاد فى
بعض الاوقات على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم وارسلنا
الرياح لواقح حوامل شبه الريح التى جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل
كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوائح
بمعنى المطيحات فى قوله ومختبط مما تطيح الطوائح وقرئ وارسلنا الريح
على تاويل الجنس فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا
وما انتم له بخازنين قادرين متمكنين من اخراجه نفى عنه ما اثبته لنفسه او
حافظين فى الغدران والعيون والابار وذلك ايضا يدل على تدبير الحكيم
المدبر كما تدل حركة الهواء فى بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع
به الناس فان طبيعة الماء تقتضى الغور فوقوفه دون حده لا بد له من سبب
مخصص وانا لنحن نحيى بايجاد الحيوة فى بعض الاجسام القابلة لها ونميت
بازالتها وقد اول الحيوة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على
الحصر ونحن الوارثون الباقون اذا مات الخلايق كلها ولقد علمنا المستقدمين
منكم ولقد علمنا المستاخرين من استقدم ولادة وموتا ومن استاخر او من
خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم فى الاسلام والجهاد
وسبق الى الطاعة او تاخر لا يخفى علينا شئ من احوالكم وهو بيان لكمال علمه
بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب

مثلا

الجهات

رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت
وقيل ان امراة حسناء تصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم
بعض القوم لئلا ينظر اليها وتاخر بعض ليبصرها فنزلت وان ربك هو
يحشرهم لا محالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولى
لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ان ما سبق
من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفصيل الاشياء يدل على صحة الحكم
كما صرح به بقوله انه حكيم باهر الحكمة متقن فى افعاله عليم وسع علمه كل شئ
ولقد خلقنا الانسان من صلصال طين يابس يصلصل اى يصوت اذا نقر
وقيل هو من صلصال اذا انتن تضعيف صل من حما طين تغير واسود من
طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال اى كائن من حما مسنون مصور
من سنة الوجه او مصبوب ليبس او مصور كالجواهر المذابة تصب فى
القوالب من السن وهو الصب كانه افرغ الحما فصور منها تمثال انسان
فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ
فيه من روحه او منتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فان ما يسيل
بينهما يكون منتنا ويسمى سنينا والجان ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد
به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من شخص
واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل
يفسره خلقناه من قبل من قبل خلق الانسان من نار السموم من نار الحر الشديد
النافذ فى المسام ولا يمتنع خلق الحيوة فى الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها فى

الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المولفة التي الغالب كقوله خلقكم من تراب
ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق
الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر
وهو قبول المواد للجمع والاحياء وإذ قال ربك واذكر وقت قوله للملائكة
إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فإذا سويته عدلت خلقته وهيأته
لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي حتى جرى آثاره في تجاويف اعضائه
فحيي واصل النفخ اجراء الريح في تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتعلق اولا
بالبخار اللطيف المنبعث من القلب ويفيض عليه القوة الحيوانية فيسري
حاملا لها في تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا
واضافة الروح الى نفسه لما مر في النساء فقعوا له فاسقطوا له ساجدين
امر من وقع يقع فسجد الملائكة كلهم أجمعون اكد بتاكيدين للمبالغة في التعميم
ومنع التخصيص وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا
مجتمعين دفعة واحدة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثاني حالا
لا تاكيدا إلا إبليس ان جعل منقطعا اتصل به قوله أبى أن يكون مع الساجدين
اي ولكن ابليس ابى وان جعل متصلا كان استئنافا على انه جواب سائل قال
هلا سجد قال يا إبليس ما لك ألا تكون اي غرض لك في ان لا تكون مع الساجدين
لآدم صلى الله عليه وسلم قال لم أكن لأسجد اللام لتاكيد النفي اي لا يصح مني وينافي
حالي ان اسجد لبشر جسماني كثيف وانا ملك روحاني خلقته من صلصال من حمإ
مسنون وهو اخس العناصر وخلقتني من النار وهي اشرفها استنقص آدم

باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف قال فاخرج
منها من السماء او الجنة او من زمرة الملائكة فإنك رجيم مطرود من الخير و
الكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وعيد يتضمن
الجواب عن شبهته وإن عليك اللعنة هذا الطرد والابعاد إلى يوم الدين فإنه
منتهى امد اللعن لانه يناسب ايام التكليف ثم زمان الجزاء وما في قوله
فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين بمعنى آخر ينسى عنده هذه
وقيل انما حد اللعن لانه ابعد غاية يضربها الناس او لانه يعذب فيها بما ينسى
اللعن معه فيصير كالزائل قال رب فأنظرني فأخرني والفاء متعلقة بمحذوف
دل عليه فاخرج منها فانك رجيم إلى يوم يبعثون اراد ان يجد فسحة في الاغواء
ونجاة عن الموت اذ لا موت وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثاني قال
فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم فيه اجلك عند الله او انقراض
الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايام
الثلاثة يوم القيمة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه
اولا بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف
والياس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من ذلك
ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث الخلائق في تضاعيفه وهذه
المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على منصب ابليس لان خطاب الله له
على سبيل الاهانة والاذلال قال رب بما أغويتني الباء للقسم وما مصدرية
وجوابه لأزينن لهم في الأرض والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم المعا

بعد صح
المسمى صح
الاعتبارات صح

في الدنيا التي هي دار الغرور لقوله اخلد الى الارض وفي انعقاد القسم
بافعال الله خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة
الى الغي او التسبيب له بامره اياه بالسجود لادم عليه السلم او بالاضلال
عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله له وهو سبب لزيادة غيه
وتسليط له على اغواء بني آدم بان الله تعالى علم منه وممن يتبعه انهم يموتون
على الكفر ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن
خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوي الالباب
ولاغوينهم اجمعين ولاحملنهم اجمعين على الغواية **الا عبادك منهم المخلصين**
اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرا ابن كثير
وابن عامر وابو عمرو بالكسر في كل القران اي الذين اخلصوا نفوسهم لله **قال**
هذا صراط علي حق ان اراعيه **مستقيم** لا انحراف عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء
وهو تخلص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق علي يؤدي الى
الوصول الي من غير اعوجاج وضلال وقرئ عليٌّ من علو الشرف **ان عبادي**
ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين تصديق لابليس فيما استثناه
وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب
الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص
من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما كان لي عليكم
من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا
وعلى الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي لافضائه الى

تناقض الاستثناءين **وان جهنم لموعدهم اجمعين** لموعد الغاوين او المتبعين
اجمعين تاكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير
مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل **لها سبعة ابواب**
يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة
وهي جهنم ثم لظى ثم السعير ثم السقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد
لانحصار مجامع المهلكات في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية
والغضبية او لان اهلها سبع فرق **لكل باب منهم** من الاتباع **جزء مقسوم** افرز له
فاعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى والخامس
للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرا ابو بكر جزؤ بالتثقيل
وقرئ جزّ على حذف الهمزة والقاء حركته على الزاي ثم الوقف عليه بالتشديد
ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او من المستكن في الظرف لا
في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها **ان المتقين** من اتباعه في
الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة **في جنات وعيون** لكل واحد جنة وعين
او لكل عدة منهما كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما
جنتان وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن
الآية **ادخلوها** على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض
فلا يكسر التنوين **بسلام** سالمين او مسلما عليكم **آمنين** من الآفة والزوال **ونزعنا**
في الدنيا بما الف بينهم قلوبهم في الجنة بتطييب نفوسهم **ما في صدورهم من**
غل من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان و

حالية والذين منهم او من الحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب اخوانا
حال من ضمير في جنات او فاعل ادخلوها او الضمير في امنين او الضمير المضاف
اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله على سرر متقابلين ويجوز ان يكونا
صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين
حالا من المستقر في على سرر لا يمسهم فيها نصب استيناف او حال بعد حال او حال
من الضمير في متقابلين وما هم منها بمخرجين فان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي
اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة ما سبق من الوعد
والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي
الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة
دون التعذيب ترجيح الوعد وتأكيده وفي عطف ونبئهم عن ضيف ابراهيم
على ~~اني انا الغفور الرحيم~~ نبئ عبادي تحقيق لهما يعتبرون به اذ دخلوا عليه
فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمنا سلاما قال انا منكم وجلون خائفون
وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل والوجل
اضطراب النفس لتوقع ما يكره قالوا لا توجل وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله
ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استيناف في معنى التعليل للنهي عن
الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرأ حمزة نبشرك من البشر بغلام هو
اسحق لقوله فبشرناه باسحق عليم اذا بلغ قال ابشرتموني على ان مسني الكبر
تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه او انكار لان يبشر به في مثل هذه الحال
وكذلك قوله فبم تبشرون اي فباي اعجوبة تبشرون او فباي شيء تبشرون

فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء وقرأ ابن كثير
بكسر النون مشددة في كل القرآن على ادغام نون الجمع في نون الوقاية ونافع
بكسرها مخففة على حذف نون الجمع ~~في نون الوقاية ونافع بكسرها~~ استثقالا
لاجتماع المثلين ودلالة باتقاء نون الوقاية على الياء قالوا بشرناك بالحق
بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو قول
الله وامره فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر على
ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب
ابرهيم عليه السلم باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط
من رحمة ربه الا الضالون المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة
الله وكمال علمه وقدرته كما قال لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
وقرأ ابو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح
قال فما خطبكم ايها المرسلون اي فما شانكم الذي ارسلتم لاجله سوى البشارة
ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج
الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم عليهما السلم او لانهم
بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدؤا
بها قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعني قوم لوط الا آل لوط ان كان استثناء
من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير
في مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين
به وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين

وبحي آل لوط ويدل عليه قوله انا لمنجوهم اجمعين اي مما يعذب به
القوم وهو استيناف اذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى
خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان قوله الا امرأته استثناء من آل لوط
او من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا قدرنا
انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ ابو بكر قدرنا بالتخفيف
وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز
ان يكون اجري مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضا قول واصله جعل
الشيء على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم
من القرب والاختصاص به فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون
تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة ان تطرقوني بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه
يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفي لك من
عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه واتيناك بالحق
باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك به فاسر باهلك فاذهب
بهم في الليل وقرأ الحجازيان بوصل الالف من السرى وهما بمعنى وقرئ
فسر من السير بقطع من الليل في طائفة من الليل وقيل في اخره قال شعر
افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم واتبع ادبارهم
وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم
احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم
او ولا ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات

ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله
بالمضي اليه وهو الشام او مصر فعدى وامضوا الى حيث وتؤمرون
الى ضميره المحذوف على الاتساع وقضينا اليه اي واوحينا اليه مقضيا
ولذلك عدي بالى ذلك الامر مبهم تفسيره ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله
النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ بالكسر
على الاستيناف والمعنى انهم يستاصلون عن اخرهم حتى لا يبقى منهم
احد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع
وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء وجاء اهل
المدينة سدوم يستبشرون باضياف لوط طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي
فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسى الى ضيفه فقد اسى اليه واتقوا
الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا تذلون بسبب من الخزي وهو
الهوان او ولا تخجلون فيهم من الخزاية وهي الحياء قالوا اولم ننهك عن
العالمين عن ان تجير منهم احدا او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل
احد وكان لوط عليه السلم يمنعهم عنه بقدر وسعه عن ضيافة الناس
وانزالهم قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم
وفيه وجوه ذكرت في الاعراف ان كنتم فاعلين قضاء الوطر او ما اقول لكم
لعمرك قسم بحيوة المخاطب وهو النبي عليه الصلوة والسلم وقيل لوط قالت
الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة في العمر يختص به القسم
لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على السنتهم انهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم

وشدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم والصواب
الذي يشار به اليهم يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش
والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل
عليه السلم مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها عالي
المدينة او عالي قراهم سافلها وصارت منقلبة بهم وامطرنا عليهم حجارة من
سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب من السجل وقد سبق مزيد بيان لهذه
القصة في سورة هود عليه السلم ان في ذلك لايات للمتوسمين المتفكرين
المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشي بسمته وانها وان
المدينة او القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ان في ذلك
لاية للمؤمنين بالله ورسله وان كان اصحاب الايكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا
يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة
المتكاثفة فانتقمنا منهم بالاهلاك وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة
ومدين فانه كان مبعوثا اليهما وكان ذكر احدهما منبها على الآخر لبامام مبين
لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به اللوح ومطمر البناء والطريق لانها
مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحا ومن كذب
واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالحا ومن معه
من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونها واتيناهم اياتنا فكانوا
عنها معرضين يعني ايات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقيها وشربها
ودرها او ما نصب لهم من الادلة وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام

ونقب

ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم
او حسبانهم ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم
ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد وما
خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار
الفساد ودوام الشرور فلذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة
فسادهم من الارض وان الساعة لآتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك
فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم
وقيل هو منسوخ باية السيف ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم
وبيده امرك وامرهم العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم
بينكم او هو الذي خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفي
مصحف عثمان وابي رضي الله عنهما هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير
والخلاق يختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا سبع ايات وهي الفاتحة وقيل
سبع سور وهي الطوال وسابعتها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة
ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم
السبع وقيل سبع صحايف وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع والمثاني
من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قراءته او الفاظه او قصصه و
مواعظه ومثنى عليه بالبلاغة والاعجاز ومثني على الله بما هو اهله من صفاته
العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن او كتب الله كلها
فيكون من للتبعيض والقرآن العظيم ان اريد بالسبع الايات او السور

فهو من عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع
فهو من عطف احد الوصفين على الآخر لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح
راغب الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة
الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وفي حديث
ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القران فراى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي
فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروى انه عليه الصلوة والسلم وافى
باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنظير فيها انواع البز والطيب
والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا
بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع ايات وهي خير
من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا وقيل انهم المتمتعون
به واخفض جناحك للمؤمنين وتواضع لهم وارفق بهم وقل اني انا النذير
المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا كما انزلنا
على المقتسمين مثل العذاب الذي انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير
اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم
لينفروا الناس عن الايمان بالرسول فاهلكهم الله يوم بدر او الرهط الذين
اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام وقيل هو صفة مصدر
محذوف لقوله ولقد اتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون هم الذين
جعلوا القران عضين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتورية والانجيل
وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين

واهل

واهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القران ما يقرؤنه
فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله
لا تمدن الى آخره اعتراضا ممدا لها الذين جعلوا القران عضين اجزاء جمع
عضة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل اسحارا من
عضهته اذا بهته وفي الحديث لعن الله العاضهة والمستعضهة وانما
جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين
او مبتدا خبره فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم او النسبة
الى السحر فنجازيهم عليه وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي فاصدع
بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق به بين الحق و
الباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي
بما تؤمر به من الشرايع واعرض عن المشركين فلا تلتفت الى ما يقولون انا كفيناك
المستهزئين بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن
المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والاسود بن عبد يغوث و
الاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء
به فقال جبريل لرسول الله عليهما الصلوة والسلم امرت ان اكفيهم
فاومأ الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما
لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومأ الى اخمص العاص
فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى
انف حارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد

فی اصل شجرة فجعل ینطح راسه ویضرب وجهه بالشوك حتی مات والی عینی
الاسود بن المطلب فعمی الذین یجعلون مع الله الها اخر فسوف یعلمون
عاقبة امرهم فی الدارین ولقد نعلم انك یضیق صدرك بما یقولون من الشرك
والطعن فی القران والاستهزاء بك فسبح بحمد ربك فافزع الی الله فیما نابك
بالتسبیح والتحمید یکفك ویکشف الغم عنك او فنزهه عما یقولون حامدا
له علی ان هداك للحق وکن من الساجدین من المصلین وعنه علیه الصلوة و
السلام انه کان اذا حزبه امر فزع الی الصلوة واعبد ربك حتی یاتیك الیقین ای
الموت فانه متیقن لحاقه کل حی مخلوق والمعنی فاعبده ما دمت حیا ولا تخل
بالعبادة لحظة عن رسول الله صلی الله علیه وسلم من قرا سورة الحجر کان
له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرین والانصار والمستهزئین بمحمد علیه
سورة النحل مکیة غیر ثلث ایات فی الصلوة والسلام اخرها وهی مایة وثمان وعشرون آیة
بسم الله الرحمن الرحیم اتی امر الله فلا تستعجلوه کانوا یستعجلون
ما اوعدهم الرسول من قیام الساعة او اهلاك الله ایاهم کما فعل یوم بدر استهزاء
وتکذیبا ویقولون ان صح ما یقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت
والمعنی ان الامر الموعود به بمنزلة الاتی المتحقق من حیث انه واجب الوقوع
فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خیر لکم فیه ولا خلاص لکم عنه سبحانه وتعالی عما
یشرکون تبرا وجل عن ان یکون له شریك فیدفع ما اراد بهم وقرا حمزة والکسائی
بالتاء علی وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالیاء علی تلوین الخطاب او
علی ان الخطاب للمؤمنین او لهم ولغیرهم لما روی انه لما نزلت اتی امر الله فوثب

النبی صلی الله علیه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه
ینزل الملائکة بالروح بالوحی او بالقران فانه یحیی به القلوب المیتة بالجهل
او یقوم فی الدین مقام الروح فی الجسد وذکره عقیب ذلك اشارة الی
الطریق الذی به علم الرسول ما تحقق موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم
اختصاصه بالعلم به وقرا ابن کثیر وابو عمرو ینزل من انزل وعن یعقوب
مثله وعنه تنزل بمعنی تتنزل وقرا ابو بکر تنزل علی المضارع المبنی للمفعول
من التنزیل من امره بامره او من اجله علی من یشاء من عباده ان یتخذه رسولا ان انذروا بان
انذروا ای اعلموا من نذرت بکذا اذا علمته انه لا اله الا انا فاتقون ان الشان
لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الکفر والمعاصی بانه لا اله الا انا وقوله
فاتقون رجوع الی مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنی
الوحی الدال علی القول او مصدریة فی موضع الجر بدلا من الروح او النصب
بنزع الخافض او مخففة من الثقیلة والایة تدل علی ان نزول الوحی بواسطة
الملائکة وان حاصله التنبیه علی التوحید الذی هو منتهی کمال القوة العلمیة
والامر بالتقوی الذی هو اقصی کمالات القوة العملیة وان النبوة عطائیة
والایات التی بعدها دلیل وحدانیته من حیث انها تدل علی انه تعالی هو الموجد
لاصول العالم وفروعه علی وفق الحکمة والمصلحة ولو کان له شریك لقدر علی
ذلك فیلزم التمانع خلق السموات والارض بالحق اوجدهما علی مقدار وشکل
واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحکمته تعالی عما یشرکون منهما
او مما یفتقر فی وجوده الیهما او مما لا یقدر علی خلقهما وفیه دلیل علی انه تعالی لیس

من قبيل الاجرام خلق الانسان من نطفة جمادا لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ
الوضع والشكل فاذا هو خصيم منطيق مجادل مبين للحجة او خصيم مكافح
لخالقه قايل من يحيى العظام وهي رميم روي ان ابي بن خلف اتى النبي
صلى الله عليه وسلم بعظم رميم وقال يا محمد اترى الله يحيى هذا بعد ما قد رم
فنزلت والانعام الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم فيها
او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له
دفء ما يدفا به فيقي البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها
بالمنافع ليتناول عوضها ومنها تاكلون اي تاكلون ما يوكل منها كاللحوم و
الشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الاي او لان الاكل منها
هو المعتاد والمعتمد عليها في المعاش واما الاكل من ساير الحيوان الماكولة فعلى
سبيل التداوي او التفكه ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها
الى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة الى المرعى فان الافنية
تتزين بها في الوقتين ويجل اهلها في اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان
الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملاء البطون حافلة الضروع ثم تاوي الى الحظاير
حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصف له بمعنى تريحون
فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه ان لم تكن فضلا
ان تحملوها على ظهوركم اليه الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح
وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور
بمعنى النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب ان ربكم لرؤف رحيم حيث رحمكم

بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام
لتركبوها وزينة اي لتركبوها ولتتزينوا بها وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها
وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من
خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى تحتمل علة
لتركبوها او مصدرا في موقع الحال من احد الضميرين اي متزينين او متزينا بها
واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد
منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الاية مكية وعامة المفسرين
والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات
التي يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا او غير ضروري اجمل غيرها ويجوز ان
يكون اخبارا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به وان يراد به ما خلق في الجنة
والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل
الى الحق او اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل يصل
اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي
يقصده السالك لا يميل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها
القصد وقال ومنها جاير حايد عن القصد او عن الله وتغيير الاسلوب لانه
ليس بحق على الله ان يبين طرق الضلالة او لان المقصود بيان سبيله و
تقسيم السبيل الى القصد والجاير انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جاير اي عن
القصد ولو شاء لهديكم اجمعين اي ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد
السبيل هداية مستلزمة للاهتداء هو الذي انزل من السماء من السحاب او من جانب

والخيل منن
زينةً ج
بها ج خلا ج ان يكون ج
وقاصدٌ م

السماء ماء لكم منه شراب ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا باس به لان مياه العيون والابار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه في الارض ومنه شجر ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وقيل كل ما ينبت على الارض شجر قال نعلفها اللحم اذا عز الشجر والخيل في اطعامها اللحم ضرر فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات ينبت لكم به الزرع وقرا ابو بكر بالنون على التفخيم والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وبعض كلها اذ لم ينبت في الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن هنا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلثة وترتيبها ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان من تامل ان الحبة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجر وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم ينمو ويخرج منه الاوراق والازهار والاكمام ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطباع على اتحاد المواد ونسبة الطبايع السفلية والتاثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الاية به لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بان هيأها لمنافعكم مسخرات بامره حال من الجميع اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره

او لحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل او مصدر جمع لاختلاف النوع وقرا حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا ان في ذلك لايات لقوم يعقلون جمع الاية وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوي العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات وما ذرا لكم في الارض اي وسخر لكم ما خلق لكم من حيوان ونبات مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ان في ذلك لاية لقوم يذكرون ان اختلافها في الطباع والهيات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم وهو الذي سخر البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص لتاكلوا منه لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وتمسك به مالك والثوري رحمهما الله على ان من حلف لا ياكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا ترى ان الله سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابة بركوبه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان اي يلبسها نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جواري

فيه تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جري الفلك **و**
لتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة **ولعلكم تشكرون** تعرفون نعمه
فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى في باب الانعام من حيث
انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش **والقى في الارض رواسي**
جبالا رواسي **ان تميد بكم** كراهة ان تميل بكم وتضطرب وذلك لان الارض
قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة حقيقية بسيطة الطبع وكان من حقها
ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او ان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما
خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو
المركز فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض
جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت
بالجبال **وانهارا** وجعل فيها انهارا لان القى فيه معناه **وسبلا لعلكم تهتدون**
لمقاصدكم او الى معرفة الله تعالى **وعلامات** معالم يستدل بها السابلة من جبل وسهل
وريح ونحوها **وبالنجم هم يهتدون** ~~لمقاصدكم او الى معرفة الله تعالى وعلامات~~
معالم يستدل بالليل في البراري والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة
وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات نعش و
الجدي وقيل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيري الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء
في مساريهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام
الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك
والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم **افمن يخلق كمن لا يخلق** انكار بعد اقامة الدلائل

للتجارة غ

خصوصا ع

المتكاثرة

المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته
ان يساوي ويستحق مشاركة ما لا يقدر على خلق شيء من ذلك بل على
ايجاد شيء منها وكان حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها
على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها بها والمراد
بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولوا العلم منهم او الاصنام و
اجراؤها مجرى اولي العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة
بينه وبين من يخلق او للمبالغة وكانه قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق
من اولي العلم فكيف بمن لا علم عنده **افلا تذكرون** فتعرفوا فساد ذلك فانه
لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده بادنى تذكر والتفات **وان تعدوا**
نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها
اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها
على ان وراء ما عدد نعما لا تنحصر وان حق عبادته غير مقدور **ان الله لغفور**
حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها **رحيم** لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم
بالعقوبة على كفرانها **والله يعلم ما تسرون وما تعلنون** من عقائدكم واعمالكم و
هو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم **والذين يدعون من دون الله** اي و
الالهة الذين تعبدونهم من دونه وقرأ ابو بكر يدعون بالياء وقرأ حفص ثلاثتها
بالياء **لا يخلقون شيئا** لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين انها لا تخلق
لينتج انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافي الالوهية فقال
وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ينبغي ان

يكون واجب الوجود اموات غير احياء هم اموات لا يعتريهم الحيوة او اموات
حالا او مالا غير احياء بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغي ان يكون
لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون ولا يعلمون وقت بعثهم او
بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغي ان يكون
عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع
التكليف الهكم اله واحد تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج فالذين لا يؤمنون بالاخرة
قلوبهم منكرة وهم مستكبرون بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق
وذلك عدم ايمانهم بالاخرة فان المؤمن بها يكون طالبا للدلائل متاملا فينتفع
به والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا
للاسلاف وركونا الى المالوف فانه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع الرسول
وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب
عليه ثبوت الاخرين لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو
في موضع الرفع بجرم لانه مصدر او فعل انه لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين
استكبروا عن توحيده او اتباع رسوله واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القائل بعضهم
على التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين اي ما تدعون
نزوله او المنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم او على الفرض اي
على التقدير انه منزل فهو اساطير لا تحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون
ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم
كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم

لهم

وبعض

وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب بغير علم حال
من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفايدتها الدلالة على ان جهلهم
لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل الا ساء ما
يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم اي سووا منصوبات
ليمكروا بها رسل الله فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها امره من جهة العمد التي
بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم
واتيهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل
التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة الاف
ذراع ليترصد امر السماء فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا
ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم او يعذبهم كقولك بالنار لقوله ربنا انك من تدخل
النار فقد اخزيته ويقول اين شركايي اضاف الى نفسه استهزاء او حكاية
لاضافتهم زيادة في توبيخهم الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين في شانهم
وقرا نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله قال
الذين اوتوا العلم اي الانبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم
ويتكبرون عليهم او الملايكة ان الخزي اليوم والسوء الذلة والعذاب على
الكافرين وفايدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته
لان يكون لطفا لمن سمعه الذين تتوفيهم الملايكة وقرا حمزة بالياء وقرئ
بادغام التاء في التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلاثة ظالمي انفسهم
بان عرضوها للعذاب المخلد فالقوا السلم فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت

ما كنا نعمل من سوء قائلين ما كنا نعمل من سوء كفر او عدوان ويجوز ان يكون
تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام بلى اى فيجيبهم
الملائكة بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى
اخر الاية استيناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيمة وعلى هذا اول من لم يجوز
الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن في زعمنا واعتقادنا عاملين سوء
واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله او اولو العلم فادخلوا ابواب جهنم كل
صنف بابها المعد له وقيل للذين اتقوا يعني المؤمنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اى
انزل خيرا وفي نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب واطبقوه على السؤال
معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام
الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد المقتسمين
قالوا له ما قالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك
للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافاتها في الدنيا ولدار الاخرة خير اى
ولثوابهم في الاخرة منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده
حكاية لقوله بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا ولنعم دار المتقين دار
الاخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون
المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن من انواع
المشتهيات وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده الا في
الجنة كذلك يجزي الله المتقين مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول الذين
تتوفيهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي

انفسهم

انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم
لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم
بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون حين يبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم
وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ هل ينظرون ما ينتظر
الكفار المار ذكرهم امر ربك القيمة او العذاب المستاصل كذلك مثل ذلك
الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما اصابوا وما ظلمهم
الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه فاصابهم
سيئات ما عملوا اى جزاء سيئة اعمالهم على حذف المضاف وتسمية الجزاء
باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن واحاط بهم جزاؤه والحيوة لا يستعمل
الا في الشر وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا
ولا حرمنا من دونه من شيء انما قالوا ذلك استهزاء او منعا للبعثة والتكليف
متمسكين بان ما شاء الله يجب وما لم يشا يمتنع فما الفائدة فيهما او انكار القبح
ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة
لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا
قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب عن الشبهتين كذلك فعل الذين من
قبلهم فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله فهل على الرسل الا البلاغ المبين
الا الابلاغ الموضح للحق وهو انه لا يؤثر في هدى من شاء الله هداه ولكنه
يؤدي اليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدرها
ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية في الامم سببا لهدى من اراد

اهتداء وزيادة الضلال لمن اراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج
السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا
ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت بعبادة الله واجتناب الطاغوت فمنهم
من هدى الله وفقهم للايمان بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة اذ
لم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد شبهة الثانية لما فيه من
الدلالة على ان تحقق الضلال وثباته بفعل الله وارادته من حيث انهم قسيم
من هدى الله وقد صرح به في الاية الاخرى فسيروا في الارض يا معشر قريش
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ان
تحرص يا محمد على هداهم فان الله لا يهدي من يضل من يريد ضلاله وهو المعنى لمن
حقت عليه الضلالة وقرا غير الكوفيين لا يهدى على البناء للمفعول وهو
ابلغ وما لهم من ناصرين من ينصرهم بدفع العذاب عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم
لا يبعث الله من يموت عطف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا
التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده ولقد
رد الله عليهم ابلغ رد فقال بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل
عليه بلى فان يبعث موعد من الله عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده او
لان البعث مقتضى حكمته حقا صفة اخرى للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون
انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها
واما لقصور نظرهم بالمالوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامر
فقال ليبين لهم اي يبعثهم ليبين لهم الذي يختلفون فيه وهو الحق وليعلم

الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعي
للبعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو التمييز بين الحق والباطل والمحق
والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن
فيكون وهو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله بمحض قدرته ومشيئته
لا توقف له على سبق المواد والمدد والا لزم التسلسل وكما امكن له تكوين
الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده و
نصب ابن عامر والكسائي فيكون عطفا على نقول او جوابا للامر والذين هاجروا
في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
المهاجرون رضي الله عنهم ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى
المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه
وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل
وقوله في الله في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة مباءة حسنة
وهي المدينة او تبوئة حسنة ولاجر الاخرة اكبر مما تعجل لهم في الدنيا
وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال
له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ذخر لك في
الاخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء
المهاجرين خير الدارين لوافقوهم او للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزاد
اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على الشدائد كاذى الكفرة ومفارقة
الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين

الى الله تعالى مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم
رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اى جرت السنة الالهية بان
لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحى اليه على السنة الملائكة والحكمة فى ذلك
قد ذكرت فى سورة الانعام فان شككتم فيه فسئلوا اهل الذكر اهل الكتاب او
علماء الاخبار ليعلموكم ان كنتم تعلمون وفى الاية دليل على انه تعالى لم يرسل امرأة
ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة
او الى الانبياء وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال ورد
بما روى انه عليه السلم راى جبرئيل على صورته التى هو عليها مرتين وعلى
وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر اى المعجزات الى
العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر ارسلناهم بالبينات والزبر اى المعجزات
الى العلماء فيما لا يعلم والكتب كانه جواب قائل بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما
ارسلنا داخلا فى الاستثناء مع رجالا اى وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك
ما ضربت الا زيدا بالسوط او صفة لهم اى رجالا بالبينات او بنوحى على
المفعول به او الحال من القائم مقام فاعله على ان قوله فسئلوا اعتراض او بلا
تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام وانزلنا اليك الذكر اى القرآن وانما سمى
ذكرا لانه موعظة وتنبيه لتبين للناس ما نزل اليهم فى الذكر بتوسط انزاله
اليك مما امروا به ونهوا عنه او مما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود
او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل ولعلهم يتفكرون
وارادة ان يتاملوا فيه فيتنبهوا للحقائق افامن الذين مكروا السيئات وهم الذين

احتالوا

احتالوا لهلاك الانبياء او الذين مكروا رسول الله وراموا صد اصحابه عن
الايمان ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او يأتيهم العذاب
من حيث لا يشعرون بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط او يأخذهم فى
تقلبهم اى متقلبين فى مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين او يأخذهم على
تخوف على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم
متخوفون او على ان ينقصهم شيئا بعد شىء فى انفسهم واموالهم حتى يهلكوا
من تخوفته اذا تنقصته روى ان عمر رضى الله عنه قال على المنبر ما تقولون
فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص
فقال فهل تعرف العرب ذلك فى اشعارهم قال نعم قال شاعرنا ابو كبير
يصف ناقته شعر تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن
فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قال وما ديواننا قال شعر الجاهلية فيه
تفسير كتابكم ومعانى كلامكم فان ربكم لرءوف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة
اولم يروا الى ما خلق الله من شىء استفهام انكار اى قد راوا امثال هذه الصنائع
فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما
موصولة مبهمة بيانها يتفيؤا ظلاله اى اولم ينظروا الى المخلوقات التى لها
ظلال متفيئة عن اليمين والشمائل عن ايمانها وشمائلها اى عن جانبى كل واحد
منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل
لاعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير فى ظلاله وجمعه فى قوله سجدا
لله وهم داخرون وهما حالان من الضمير فى ظلاله والمراد من السجود الا

يع

سواء كان بالطبع والاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل
وسجد البعير اذا طاطا راسه ليركب او سجدا حال من الظلال وهم داخرون
حال من الضمير والمعنى ترجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف
مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدر
لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد و
الاجرام في انفسها ايضا داخرة اي صاغرة منقادة لافعال الله فيها وجمع
داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل او لان الدخور من اوصاف
العقلاء والمراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان
الكواكب تظهر منه آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربي
المقابل له فان الاظلال في اول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع
الغربي من الارض وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقي
من الارض ولله يسجد ما في السموات وما في الارض اي ينقاد انقيادا يعم
الانقياد لارادته وتاثيره طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده
الى عامة اهل السموات والارض وقوله من دابة بيان لهما لان الدبيب هو
الحركة الجسمانية سواء كانت في ارض او سماء والملائكة عطف على المبين به
عطف جبريل على الملائكة للتعظيم او عطف المجردات على الجسمانيات
وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح مجردة او بيان لما في الارض والملائكة
تكرير لما في السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما او المراد بها ملائكتها من
الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله

حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون
عن عبادته يخافون ربهم من فوقهم يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم
او يخافونه وهم فوقهم بالقهر كقوله وهو القاهر فوق عباده والجملة حال
من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف لم يستكبر
عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان
الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا الهين
اثنين ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه او
ايماء بان الاثنينية تنافي الالهية كما ذكر الواحد في قوله انما هو اله واحد
للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية او للتنبيه على
ان الوحدة من لوازم الالهية فاياي فارهبون نقل من الغيبة الى التكلم
مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود كانه قال فانا ذلك الاله الواحد
فاياي فارهبون لا غير وله ما في السموات والارض خلقا وملكا وله الدين
اي الطاعة واصبا لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب
منه وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء
اي وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون
ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال وما بكم من نعمة فمن الله واي شيء اتصل بكم
من نعمة فهو من الله وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار
دون الحصول فان استقرار النعمة بهم سبب للاخبار بانها من الله لا لحصولها
منه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع

الصوت في الدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم
يشركون وهم كفاركم ليكفروا بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان
خاصا بالمشركين كان من للبيان كانه قال فاذا فريق وهم انتم ويجوز ان
يكون للتبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما نجيهم الى البر فمنهم مقتصد
بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة وانكار
كونها من الله تعالى فتمتعوا امر تهديد فسوف تعلمون اغلظ وعيده وقرئ
فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان يكون اللام
لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب ويجعلون لما لا يعلمون اى لآلهتهم
التي لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير لها او التي لا يعلمونها فيعتقدون
فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذوف او
لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به نصيبا مما رزقناهم
من الزروع والانعام تالله لتسألن عما كنتم تفترون من انها آلهة حقيقة
بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة و
كنانة يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له من قولهم وتعجيب منه
ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب
بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان افضى الى
ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشيء واحد لكنه بعيد تجويزه في المعطوف
واذا بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار كله مسودا
من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير

وهو كظيم مملوء غيظا من المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم من سوء
المبشر به عرفا ايمسكه محدثا نفسه متفكرا في ان يتركه على هون ذلة
ام يدسه في التراب ام يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتانيث
فيهما الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد المنادية بالموت في
اشتهاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووادهن خشية الاملاق
ولله المثل الاعلى وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة
عن صفات المخلوقين وهو العزيز الحكيم المنفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ
الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض وانما اضمرها
من غير ذكر لدلالة الناس والدابة عليها من دابة قط بشؤم ظلمهم وعن ابن
عباس رضي الله عنهما كان الجعل يهلك في جحره بذنب آدم او من دابة ظالمة
وقيل لو هلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى
لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا
يستقدمون بل هلكوا او عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة
الظلم اليهم ان يكون كلهم ظالمين حتى الانبياء عليهم السلام لجواز ان يضاف
اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم ويجعلون لله ما يكرهون اي ما يكرهونه
لانفسهم من البنات والشركاء في الرياسة والاستخفاف بالرسل واراذل
الاموال وتصف السنتهم الكذب مع ذلك وهو ان لهم الحسنى اي عند الله
كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب
صفة للالسنة لا جرم ان لهم النار رد لكلامهم واثبات لضده وانهم مفرطون

يقدمون الى النار من افرطته في طلب الماء وبكسر الراء من التفريط في الطاعات
تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فاصروا على قبايحها
وكفروا بالمرسلين فهو وليهم اليوم اى في الدنيا وعبر باليوم عن زمانها او فهو
وليهم حين كان يزين لهم او يوم القيمة على انه حكاية حال ماضية او اتية ويجوز
ان يكون الضمير لقريش اى زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم
وهو ولى هولاء اليوم يغريهم ويغويهم وان يقدر مضاف اى فهو ولى
امثالهم والولى القرين او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه
ولهم عذاب اليم في القيمة وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم للناس الذى
اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال وهدى
ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين
والله انزل من السماء ماء فاحيى به الارض بعد موتها انبت فيها انواع النبات بعد
يبسها ان في ذلك لاية لقوم يسمعون سماع تدبر وانصاف وان لكم في الانعام
لعبرة دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم نسقيكم مما في بطونه استيناف لبيان
العبرة وانما ذكر الضمير ووحده ههنا للفظ وانثه في سورة المؤمنين فان
الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على افعال
كاخلاق واكياس ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن
لبعضها دون جميعها او لواحده او له على المعنى فان المراد به الجنس
وقرا نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح من بين فرث ودم
لبنا فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التى في الفرث

وهو

وهو الاشياء الماكولة المنهضمة بعض الانهضام في الكرش وعن ابن عباس
رضى الله عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان
اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان اوسطه يكون مادة اللبن
واعلاه مادة الدم الذى يغذى البدن لانهما لا يتكونان في الكرش بل
الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث
ثم تمسكها ريثما تهضمها هضما ثانيا فتحدث اخلاطا اربعة معها مائية
فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها
الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقى على الاعضاء بحسبها فيجرى
الى كل حقه على ما يليق به بتقدير الحكيم العليم ثم ان كان الحيوان انثى زاد
اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرودة والرطوبة على مزاجها فيندفع
الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه
الضروع فيبيض بمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر
صنع الله في احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب
المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار
بكمال حكمته وتناهى رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما
في بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم
المحل الذى يبتدا منه الاسقاء وهى متعلقة بنسقيكم او حال اى كاينا
من بينهما من لبنا قدمت عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة
خالصا صافيا لا يستصحبه لون الدم ولا رايحة الفرث او مصفى عما يصحبه

من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم
وقرى سيغا بالتشديد والتخفيف ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بمحذوف
اى ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اى من عصيرهما وقوله تتخذون منه
سكرا استئناف لبيان الاسقاء او بتتخذون ومنه تكرير للظرف تاكيدا او
خبر لمحذوف صفته تتخذون اى ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون
منه وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف الذى هو العصير
او لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمى به الخمر ورزقا حسنا كالتمر والزبيب
والدبس والخل والاية وان كانت سابقة على تحريم الخمر مشعر اعراض الكلام سكرا الى
تغلب باعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق ما يحصل من اثمانه
ان في ذلك لاية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالنظر والتامل في الايات و
اوحى ربك الى النحل الهمها وقذف في قلوبها وقرى الى النحل بفتحتين ان اتخذى
بان اتخذى ويجوز ان يكون مفسرة لان في الايحاء معنى القول وتانيث الضمير
على المعنى فان النحل مذكر من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ذكر بحرف
التبعيض لانها لا تبنى في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم او سقف ولا
في كل مكان منها وانما سمى ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان
لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التى لا يقوى عليها حذاق المهندسين
بالالات والانظار الدقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرى بيوتا بكسر
الباء للياء وقرا ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء ثم كلى من كل الثمرات من كل
ثمرة تشتهيها مرها وحلوها فاسلكى ما اكلت سبل ربك في مسالكه التى يحيل

فيها بقدرته النور عسلا من اجوافك او فاسلكى الطرق التى الهمك
في عمل العسل او فاسلكى راجعة في بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك
ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل اى مذللة ذللها الله و
سهلها لك او من الضمير في اسلكى اى وانت ذلك منقادة لما امرت به يخرج
من بطونها عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم
والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم شراب يعنى العسل لانه مما يشرب
واحتج به من زعم ان النحل ياكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل في باطنها
عسلا ثم تلقى ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية
حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها في بيوتها ادخارا فاذا
اجتمع في بيوتها شىء كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه مختلف الوانه
ابيض واصفر واحمر واسود بسبب اختلاف سن النحل او الفصل فيه شفاء
للناس اما بنفسه في الامراض البلغمية او مع غيره كما في ساير الامراض اذ قل
ما يكون معجون الا والعسل جزءه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض و
يجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ان اخى يشتكى بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع
فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله
وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرا وكانما نشط من عقال وقيل الضمير
للقران او لما بين الله من احوال النحل ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون فان من تدبر
اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم

لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال
ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا
فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن
التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف
فيه وينفق منه كيف يشاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع
تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الاصنام التي هي
اعجز المخلوقات وبين الله الغني القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر
المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز من الحر فانه ايضا عبد الله
وبسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والماذون وجعله قسيما للمالك المتصرف
يدل على ان المملوك لا يملك والاظهر ان من نكرة موصوفة ليطابق عبدا وجمع
الضمير في يستوون لانه للجنس فان المعنى هل يستوي الاحرار والعبيد
الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولي النعم كلها بل اكثرهم
لا يعلمون فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها وضرب الله مثلا رجلين
احدهما ابكم ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على شيء من الصنائع والتدابير
لنقصان عقله وهو كل على مولاه عيال وثقل على من يلي امره اينما يوجهه حيثما يرسله
مولاه في امر وقرئ يوجه على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله اينما
اوجه الق سعدا وتوجه بلفظ الماضي لا يأت بخير بنجح وكفاية مهم هل يستوي
هو ومن يأمر بالعدل ومن هو منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على
العدل الشامل لمجامع الفضائل وهو على صراط مستقيم وهو في نفسه على طريق

مستقيم لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعي وانما قابل تلك الصفات
بهذين الوصفين لانهما كمال مقابلهما وهذا تمثيل ثان ضربه الله مثلا لنفسه
وللاصنام لابطال المشاركة بينه وبينها او للمؤمن والكافر ولله غيب
السموات والارض يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد
بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيمة فان علمه غائب
عن اهل السموات والارض وما امر الساعة وما امر قيام الساعة في سرعته
وسهولته الا كلمح البصر الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اقرب
او كان امرها اقرب منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن
التي يبتدا فيه فانه تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن
واو للتخيير بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله
كالشي الذي يقولون فيه كلمح البصر او هو اقرب مبالغة في استقرابه ان الله
على كل شي قدير فيقدر على ان يحيي الخلائق دفعة كما قدر ان احياهم متدرجا
ثم دل على قدرته فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم وقرأ الكسائي بكسر الهمزة
على انه لغة او اتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في اهراق
لا تعلمون شيئا جهالا مستصحبين جهل الجمادية وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة اداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها
ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرر الاحساس حتى
يحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل العلوم الكسبية بالنظر
فيها لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما انعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه الم يروا

الى الطير قرأه ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على انه خطاب العامة
مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية له
في جو السماء في الهواء المتباعد من الارض ما يمسكهن فيه الا الله فان ثقل
جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها ان
في ذلك لايات تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران و
خلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها في الهواء على خلاف طبعها
لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون بها والله جعل لكم من بيوتكم سكنا موضعا
تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى
مفعول وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا هي القباب المتخذة من الادم ويجوز ان
يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من حيث انها نابتة
على جلودها يصدق عليها انها من جلودها تستخفونها تجدونها خفيفة
عليكم حملها ونقلها يوم ظعنكم وقت ترحالكم ووضعها او ضربها ويوم اقامتكم
وقت الحضر او النزول وقرأ الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح وهو
لغة ومن اصوافها واوبارها واشعارها الصوف للضائنة والوبر للابل و
الشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها اثاثا ما يلبس ويفرش
ومتاعا ما يتجر به الى حين الى مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة
او الى حين مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم والله جعل لكم مما خلق من الشجر و
الجبل والابنية وغيرها ظلالا تتقون بها حر الشمس وجعل لكم من الجبال
اكنانا مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن وجعل

لكم سرابيل ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر
اكتفاء باحد الضدين او لان وقاية الحر كانت اهم عندهم وسرابيل تقيكم
باسكم يعني الدروع والجواشن والسربال يعم كل ما يلبس كذلك كاتمام هذه
النعم التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمه فتؤمنون
به او تنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون
من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا
منك فانما عليك البلاغ المبين فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت
وهذا من اقامة السبب مقام المسبب يعرفون نعمة الله اي يعرف المشركون نعمة
التي عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله ثم ينكرونها
بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة الهتنا او بسبب كذا او باعراضهم
عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد عليه الصلوة والسلم عرفوها بالمعجزات
ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون
الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل او
التفريط في النظر او لم يقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام
مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون ويوم نبعث من كل امة شهيدا
وهو نبيها عليه السلام يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين
كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق
بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلي على ما يمنون به من شهادة
الانبياء عليهم السلم ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون من العتبى وهي

الرضا وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذا
قوله واذا راى الذين ظلموا العذاب عذاب جهنم فلا يخفف عنهم اى العذاب ولا هم
ينظرون يمهلون واذا راى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التى دعوها شركاء
او الشياطين الذين شاركوهم فى الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين
كنا ندعوا من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين
فى ذلك او التماس ان يشطر عذابهم فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اى اجابوهم
بالتكذيب فى انهم شركاء الله او انهم عبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواءهم
كقوله كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله الاصنام به حينئذ او فى انهم
حملوهم على الكفر والزموهم اياه كقوله وما كان لى عليكم من سلطان الا
ان دعوتكم فاستجبتم لى والقوا والقى الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام
لحكمه بعد الاستكبار فى الدنيا وضل عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون
من ان الهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا
لصدهم فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين
بصدهم ويوم نبعث فى كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعنى نبيهم فان نبى كل
امة بعث منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا عليك
الكتاب استيناف او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شىء من امور الدين على
التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس وهدى ورحمة للجميع و
حرمان المحروم من تفريطه وبشرى للمسلمين خاصة ان الله يامر بالعدل بالتوسط

بالتوسط فى الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك
والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء
الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين
البخل والتبذير والاحسان احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع
بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال عليه الصلوة والسلام الاحسان ان تعبد
الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذى القربى واعطاء الاقارب
ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن
الافراط فى متابعة القوة الشهوية كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها
والمنكر ما ينكر على متعاطيه فى اثارة القوة الغضبية والبغى والاستعلاء والاستيلاء
على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التى هى مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد
من الانسان شر الا وهو مندرج فى هذه الاقسام صادر بتوسط احدى هذه
القوى الثلث ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه هى اجمع اية فى القران للخير
والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون رض ولو لم يكن فى القران
غير هذه الاية لصدق عليه انه تبيان لكل شىء وهدى ورحمة للعالمين ولعل
ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر و
النهى والميز بين الخير والشر لعلكم تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله يعنى
البيعة لرسول الله عليه الصلوة والسلام على الاسلام كقوله ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلايم قوله اذا عاهدتم و
قيل النذر وقيل الايمان بالله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة او مطلق الايمان

بعد توكيدها بعد توثيقها بذكر الله ومنه أكد بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم
كفيلا شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه ان
الله يعلم ما تفعلون فى نقض الايمان والعهود ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها
ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت اى نقضت غزلها
من بعد ابرام واحكام انكاثا طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من
غزلها او المفعول الثانى لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض
بمن هذا شانه وقيل هى ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت تفعل
ذلك تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير فى ولا تكونوا او فى الجار الواقع
موقع الخبر اى لا تكونوا متشبهين بامرأة هذا شانها متخذى ايمانكم مفسدة
ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشىء ولم يكن منه ان تكون امة هى اربى
من امة بان تكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا
بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذتهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا ا
راوا شوكة فى اعادى حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم به
الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر اى يختبركم بكونهم لينظر اتتمسكون
بحبل الوفاء وبيعة رسوله ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين
وضعفهم وقيل الضمير للربا وقيل للامر بالوفاء وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه
تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلكم امة
واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدى من يشاء
بالتوفيق ولتسألن عما كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا

بينكم تصريح بالنهى عنه بعد التضمين تاكيدا ومبالغة فى قبح المنهى فتزل قدم
اى عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليه والمراد اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة
على ان زلل قدم واحدة عظيم باقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب فى الدنيا
بما صددتم عن سبيل الله بصدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان
من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم فى الاخرة ولا
تشتروا بعهد الله ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا عرضا
يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعاف المسلمين ويشترطون لهم
على الارتداد انما عند الله من النصر والتغنيم فى الدنيا والثواب فى الاخرة
هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم
من اعراض الدنيا ينفد ينقضى وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد
وهو تعليل الحكم السابق ودليل على ان نعيم اهل الجنة باق ولنجزين الذين
صبروا اجرهم على الفاقة واذى الكفار او على مشاق التكاليف باحسن
ما كانوا يعملون بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء
احسن من اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او انثى بينه للنوعين دفعا للتخصيص
وهو مؤمن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة فى استحقاق الثواب وانما المتوقع
عليها تخفيف العذاب فلنحيينه حيوة طيبة فى الدنيا يعيش عيشا
طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا يطيب عيشه بالقناعة
والرضا بالقسمة وتوقع الاجر العظيم فى الاخرة بخلاف الكافر فانه ان كان
معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنأ

تعيشه وقيل في الاخرة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة
فاذا قرات القران اذا اردت قراءته كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاستعذ بالله
من الشيطان الرجيم فسل الله ان يعيذك من وساوسه كيلا يوسوسك
في القراءة والجمهور على انه للاستحباب وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ
في كل ركعة لان الحكم المرتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح
والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن
مسعود رض قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالله
السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
هكذا اقرانيه جبرئيل عن العلم عن اللوح عن اوليا الله المؤمنين به و
المتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما
يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد
الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له سلطانا انما سلطانه على الذين يتولونه
يحبونه ويطيعونه والذين هم به بالله او بسبب الشيطان مشركون واذا بدلنا
اية مكان اية بالنسخ فجعلنا الاية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما
والله اعلم بما ينزل من المصالح فلعل ما يكون مصلحة الان فيثبته مكانه وقرا
ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف قالوا اي الكفرة انما انت مفتر متقول
على الله تامر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل
اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز
ان يكون حالا بل اكثرهم لا يعلمون حكمة الاحكام ولا يميزون الخطاء من الصواب

قل نزله روح القدس يعني جبرئيل واضافة الروح الى القدس وهو الطهر
كقولهم حاتم الجود وقرا ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي ينزل وتنزيله
تنبيه على ان انزاله مدرجا على حسب المصالح مما يقتضي التبديل من ربك
بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين امنوا على الايمان بانه كلامه فانهم اذا سمعوا
الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقايدهم
واطمانت قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان
على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد
ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر
يعني جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف
بمكة ويقران التورية والانجيل وكان الرسول يمر عليهما ويسمع ما يقرانه وقيل
عايشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان
الفارسي لسان الذي يلحدون اليه اعجمي لغة الرجل الذي يميلون قولهم
عن الاستقامة اليه ماخوذ من لحد القبر وقرا حمزة والكسائي يلحدون بفتح
الياء لسان اعجمي غير بين وهذا وهذا القران لسان عربي مبين ذو بيان و
فصاحة والجملتان مستانفتان لابطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين احدهما
ان ما يسمعه منه كلام اعجمي لا يفهمه هو ولا انتم والقران عربي تفهمونه بادنى
تامل فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما هب انه يعلم منه المعنى باستماع
كلامه ولكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك اعجمي وهذا عربي والقران كما
هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التي

فى القران لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فايق فى تلك العلوم مدة متطاولة
فكيف يعلم جميع ذلك من غلام سوقى سمع منه بعض اوقات مرودة
عليه كلمات اعجمية لعلها لم يعرفا معناها وطعنهم فى القران بامثال
ذلك هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون بايات الله
لا يصدقون انها من عند الله لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة وطريق
الجنة ولهم عذاب اليم فى الاخرة هددهم على كفرهم بالقران بعدما اماط شبهتهم
وردطعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون
بايات الله لانهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه واولئك اشارة الى الذين
كفروا او الى قريش هم الكاذبون اى الكاذبون على الحقيقة او الكاملون فى
الكذب لان تكذيب ايات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب
او الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروة او الكاذبون فى قولهم
انما انت مفتر انما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون
وما بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبون او مبتدا خبره محذوف
دل عليه قوله فعليهم غضب ويجوز ان ينتصب بالذم وان يكون من
شرطية محذوفة الجواب الا من اكره على الافتراء او كلمة الكفر استثناء متصل
لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان لم تتغير
عقيدته وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من شرح بالكفر
صدرا اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم اذ لا
اعظم من جرمه روى ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسر وسمية على الارتداد

فربطوا سمية بين بعيرين ووجىء بحربة فى قبلها وقالوا انك اسلمت من
اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين فى الاسلام واعطاهم
عمار بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال
كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه
فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فجعل رسول الله يمسح
عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم
بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يجتنب عنه اعزازا للدين كما
فعلوه لما روى ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول فى محمد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما تقول فى فقال انت ايضا
فخلاه وقال للاخر ما تقول فى محمد قال رسول الله قال فما تقول فى قال
انا اصم فاعاد عليه ثلثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثانى فقد صدع بالحق
فهنيئا له ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الى الوعيد بانهم استحبوا
الحيوة الدنيا على الاخرة بسبب انهم اثروها عليها وان الله لا يهدى القوم
الكافرين اى الكافرين فى علمه الى ما يوجب ثبات الايمان ولا يعصمهم
عن الزيغ اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فابت عن
ادراك الحق والتامل فيه واولئك هم الغافلون الكاملون فى الغفلة اذ
اغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب لا جرم انهم فى الاخرة هم الخاسرون
اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد ثم ان ربك

للذين هاجروا من بعد ما فتنوا اي عذبوا كعمار بالولاية والنصر وثم لتباعد حال
هؤلاء عن حال اولئك وقرا ابن عامر فتنوا بالفتح اي بعد ما عذبوا المؤمنين
كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتدا ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا وصبروا على
الجهاد وما اصابهم المشاق ان ربك من بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر
لغفور لما فعلوا قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة ما صنعوا بعد يوم تاتي كل نفس منصوب
برحيم او باذكر تجادل عن نفسها تحارب عن ذاتها وتسعى في خلاصها لا يهمها
شان غيرها فيقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم
لا يظلمون لا ينقصون اجورهم وضرب الله مثلا قرية اي جعلها مثلا لكل
قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم نقمته او لمكة كانت آمنة
مطمئنة لا يزعج اهلها خوف ياتيها رزقها اقواتها رغدا واسعا من كل مكان
من نواحيها فكفرت بانعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع
وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس فاذاقها الله لباس الجوع والخوف استعار
الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف
واوقع الاذاقة اليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير شعر غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا
عطفت لضحكته رقاب المال فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض
صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذي هو وصف المعروف
وقد ينظر الى المستعار كقوله شعر ينازعني ردائي عبد عمرو رويدا يا اخا
عمرو بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر استعار
الرداء لسيفه ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار بما كانوا يصنعون بصنيعهم

ولقد جاءهم رسول منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والضمير لاهل مكة
عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون
اي حال التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم من الجدب الشديد او وقعة
بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما انعم
عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي
حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة واشكروا نعمة
الله ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة
الآلهة عبادته انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله
فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لما امرهم بتناول ما احل
لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم
والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال و
هذا حرام كما قالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الآية وسياق يقتضي
الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضم اليها
دليل كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال
وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب
لما تصفه السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام او مفعول لا تقولوا والكذب
منتصب بتصف وما مصدرية اي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف
السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا لمجرد قول تنطق به السنتكم من غير
دليل ووصف الالسنة بالكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب كان

حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك
عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر
وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب او كذاب بالرفع صفة
للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا على الله الكذب
تعليل يتضمن الغرض ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان
المفترى يفترى لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله متاع
قليل اى ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب ولهم
عذاب اليم فى الآخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك اى فى سورة
الانعام فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر من قبل متعلق بقصصنا
او بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا
به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم فى التحريم وانه كما يكون
للمضرة يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة بسببها او
ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر فى العواقب لغلبة
الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله وغيره ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان
ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على الانابة ان ابرهيم
كان امة لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الا مفرقة فى اشخاص كثيرة
كقوله شعر وليس لله بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد وهو رئيس الموحدين
وقدوة المحققين الذى جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج
الدامغة ولذلك عقب ذكره بزيف مذاهب المشركين من الشرك والطعن

فى النبوة وتحريم ما احله ولانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا
وقيل هى فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى
به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون بسيرته كقوله انى
جاعلك للناس اماما قانتا لله مطيعا له قائما باوامره حنيفا مائلا عن الباطل
ولم يك من المشركين كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابرهيم
شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف
بالكثيرة اجتباه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم فى الدعوة الى الله تعالى و
آتيناه فى الدنيا حسنة بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه و
يثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا فى السعة والطاعة وانه فى
الآخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة كما سأله بقوله والحقنى بالصالحين
ثم اوحينا اليك يا محمد وثم اما للتعظيم والتنبيه على ان اجل ما اوتى ابرهيم
اتباع الرسول ملته عليهما الصلوة والسلم او لتراخى ايامه ان اتبع ملة ابرهيم
فى التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلائل مرة بعد اخرى والمجادلة
مع كل احد على حسب فهمه وما كان من المشركين بل كان قدوة المحققين انما
جعل السبت تعظيم للسبت والتخلى فيه للعبادة على الذين اختلفوا فيه اى
على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عليه السلم ان يتفرغوا فالزمهم الله السبت
وشدد الامر عليهم وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا
فيه احلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم هنا لتهديد
المشركين كذا القرية التى كفرت بانعم الله وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا

فيه يختلفون بالمجازاة على الاختلاف او مجازاة كل فريق بما يستحقه
ادع من بعثت اليهم الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة
وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة الخطابات المقنعة
والعبر النافعة فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية
لدعوة عوامهم وجادلهم وجادل معانديهم بالتي هي احسن بالطريقة التي
هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات
الاشهر فان ذلك انفع في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم ان ربك هو اعلم
بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي انما عليك البلاغ والدعوة
واما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا اليك بل الله اعلم
بالضالين والمهتدين وهو المجازي لهم وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم
به لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من يتابعه بالمخالفة ورعاية
العدل مع من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن
رفض العادات وترك الشهوات والقدح في دين الاسلاف والحكم عليهم
بالكفر والضلال وقيل انه صلى الله عليه وسلم لما راى حمزة وقد مثل به
فقال والله لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر
عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجاني وليس له ان يجاوز
وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الآكد بقوله
ولئن صبرتم لهو اي للصبر خير للصابرين من الانتقام للمنتقمين ثم صرح الامر
به لرسوله لانه اولى به لزيادة علمه بالله ووثوقه عليه فقال واصبر وما صبرك

الا بالله الا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين او على
المؤمنين وما فعل بهم ولا تك في ضيق مما يمكرون في ضيق صدر من مكرهم
وقرأ ابن كثير في ضيق وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون
الضيق تخفيف ضيق ان الله مع الذين اتقوا المعاصي والذين هم محسنون
في اعمالهم بالولاية والفضل او مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين
هم محسنون بالشفقة على خلقه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم
تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات فاحسن الوصية سورة
بني اسرائيل مكية وقيل الا قوله وان كادوا ليفتنونك الى آخر ثمان آيات
وهي مائة وعشر آيات بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى
بعبده ليلا سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما له
فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال شعر قد قلت لما جاءني فخره سبحان
من علقمة الفاجر وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه
عن العجز عما ذكر بعده واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف
وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل
اي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد من المسجد الحرام بعينه لما روي انه عليه الصلاة
والسلام قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان
اذ اتاني جبريل بالبراق او من الحرم وسماه المسجد الحرام لان كله مسجد
او لانه محيط به ليطابق المبدأ والمنتهى لما روي انه كان نائما في بيت ام هاني

رضي الله عنها بعد صلوة العشاء فاسري به ورجع الى المسجد فاخبر به قريشا
فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان
كان قال صدق قالوا انصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك
فسمي الصديق واستنعته طائفة سافروا الى بيت المقدس فجلي له فطفق
ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا
فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس
يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر
ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف
في انه كان في المنام او في اليقظة بروحه او بجسده والاكثر على انه اسري
بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى
ولذلك تعجب قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة
ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيف
وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية
وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض وان الله تعالى
قادر على الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي
او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات الى المسجد الاقصى بيت المقدس لانه
لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط
الوحي ومتعبد الانبياء من لدن موسى عليه السلم ومحفوف بالانهار والاشجار
لنريه من آياتنا كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس



وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم
لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقوال محمد
البصير بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى
لبني اسرائيل الا تتخذوا على ان لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل وقرأ ابو عمرو
بالياء على ان لا يتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم غيري ذرية
من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ لا تتخذوا بالتاء او
على انه احد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا كقوله ولا يأمركم
ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او
بدل من واو يتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله عليهم في انجاء
آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة انه ان نوحا عليه السلم كان عبدا
شكورا يحمد الله على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة
شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه السلم و
قضينا الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا في الكتاب في
التورية لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف او قضينا على اجراء القضاء المبتوت
مجرى القسم مرتين افسادتين اوليهما مخالفة احكام التورية وقتل
شعياء وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلم
ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله او لتظلمن الناس فاذا جاء
وعد اوليهما وعد عقاب اوليهما بعثنا عليكم عبادا لنا بخت نصر عامل
لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزري وقيل سنحاريب من اهل

يسوى اولى باس شديد ذى قوة وبطش في الارض شديد فجاسوا
ترددوا لطلبكم وقرى بالحاء وهما اخوان خلال الديار وسطها للقتل
والغاره فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التوريه وخربوا
المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية
وعدم المنع وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم لابد ان يفعل ثم رددنا
لكم الكرة اى الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليهم وذلك بان القى الله
في قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف
شفقة عليهم فرد اسراءهم الى الشام وملك دانيال عليه السلم عليهم
واستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر او بان سلط داود عليه
السلم على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا
مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون
للذهاب الى العدو وان احسنتم احسنتم لانفسكم لان ثوابه لها وان
اسأتم فلها فان وبالها عليها وانما ذكرها باللام ازدواجا فاذا جاء وعد الا
وعد عقوبة المرة الاخرة ليسوءوا وجوهكم اى بعثناهم ليسوءوا وجوهكم
ليجعلوها بادية اثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرا
ابن عامر وحمزة ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد او البعث او لله
ويعضده قراءة الكسائي بالنون وقرى لنسوءن بالنون والياء والنون
المخففة والمثقلة ولنسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه
جواب اذا واللام في قوله وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف وهو بعثناهم

كما دخلوه اول مرة وليتبروا ليهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه
او مدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى
فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوايف اسمه جودرز وقيل خردوس
قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيها دما يغلى فسألهم
عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقونى فقتل عليه
الوفا منهم فلم يهدا الدم ثم قال ان لم تصدقونى ما تركت منكم احدا
فقالوا انه دم يحيى عليه السلم فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال
يا يحيى قد علم ربى وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدا باذن
الله قبل ان لا ابقى احدا منهم فهدا عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الاخرة
وان عدتم نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب
محمد صلى الله عليه وسلم وقصد قتله فعاد الله بتسليطه عليهم
فقتل قريظة واجلى بنى النضير وضرب الجزية على الباقين هذا في
الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون على الخروج منها
ابد الاباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير ان هذا القران يهدى
للتى هى اقوم للحالة او الطريقة التى هى اقوم الحالات او الطرق ويبشر
المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وقرا حمزة و
الكسائى ويبشر بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون بالاخرة اعتدنا
لهم عذابا اليما عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين
ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم وعلى او على يبشر باضمار يخبر

ويدع الانسان بالشر ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله
وماله او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه بالخير مثل دعاءه
بالخير وكان الانسان عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته و
قيل المراد ادم فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط
روي انه عليه السلم دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته لانينه
فارخت اكتافه فهرب فدعا عليه بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم انما انا بشر
فمن دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد
بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن
الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فاجيب له فضرب عنقه يوم بدر صبرا وجعلنا الليل والنهار ايتين
تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان غيره فمحونا
اية الليل اي الاية التي هي الليل بالاشراق والاضافة فيها للتبيين كاضافة
العدد الى المعدود وجعلنا اية النهار مبصرة مضيئة او مبصرة للناس
من ابصر فبصر او مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله
جبناء وقيل الايتان القمر والشمس وتقدير الكلام وجعلنا نيري
الليل والنهار ايتين او جعلنا الليل والنهار ذوي ايتين ومحونا اية الليل
التي هي القمر جعلناها مظلمة في نفسها مطموسة النور او نقص نورها
شيئا فشيئا الى المحاق وجعلنا اية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلناها
ذات شعاع يبصر الاشياء بضوئها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في

بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا بها الى استبانة اعمالكم ولتعلموا
في امر الدين والدنيا عدد السنين والحساب وجنس الحساب وكل شيء
تفتقرون اليه في امر الدين والدنيا فصلناه تفصيلا بيناه بيانا
غير ملتبس وكل انسان الزمناه طائره عمله وما قدر له كانه طير اليه من
عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر
وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد في
عنقه لزوم الطوق في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا هي صحيفة عمله
او نفسه المنتقشة باثار اعماله فان الاعمال الاختيارية تحدث في
النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه بانه مفعول
او حال من مفعول محذوف هو ضمير الطائر وقرأ يعقوب ويخرج من خرج
ويخرج وقرئ يخرج اي الله عز وجل يلقاه منشورا لكشف الغطاء
وهما صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ
ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته بكذا اقرأ كتابك على ارادة
القول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي كفى نفسك والباء مزيدة و
حسيبا تمييز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم
وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي
فوضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره على ان الحساب
والشهادة مما يتولاه الرجال او على تاويل النفس بالشخص من اهتدى
فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي

ضلاله سواه ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزرها وزر نفس
اخرى بل انما تحمل وزرها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يبين الحجج ويمهد
الشرايع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع واذا اردنا ان
نهلك قرية واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاد قضائنا السابق او
دنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة امرنا
مترفيها متنعميها بالطاعة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثناه اليهم
ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد
في العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله
ففسقوا فيها كقولك امرته فقرأ فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على ان الامر
مجاز من الحمل عليه او التسبيب له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى
بهم الى الفسوق ويحتمل ان يكون له مفعول منوي كقولهم امرته فعصاني
وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشيء وامرته فامر اذا كثرته وفي الحديث خير
المال سكة مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من
معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب امّرنا ورواية آمرنا عن ابي عمرو و
يحتمل ان يكون منقولا من امر بالضم امارة اي جعلناهم امراء وتخصيص
المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور فحق
عليها القول يعني كلمة العذاب السابق بحلوله او بظهور معاصيهم او
بانهماكهم في المعاصي فدمرناها تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب
ديارها وكم اهلكنا وكثيرا اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له من بعد نوح

كعاد

كعاد وثمود وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك بواطنها و
ظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من كان يريد العاجلة
مقصورا عليها همه عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل له
بالمشية والارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم
ان الامر بالمشية والهم فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ يشاء
والضمير فيه لله حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد الله
ذلك وقيل الاية في المنافقين كانوا يراؤون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم
الا مساهمتهم في الغنايم ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا مطرودا
من رحمة الله ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان
بما امر والانتهاء عما نهى لا التقرب بما يخترعون بارائهم وفائدة اللام اعتبار
النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة
فاولئك الجامعون للشرايط الثلثة كان سعيهم مشكورا من الله اي مقبولا عنده
مثابا عليه فان شكر الله هو الثواب على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين و
التنوين بدل من المضاف اليه نمد بالعطاء مرة بعد اخرى آنفه مددا لسالفه هؤلاء
وهؤلاء بدل من كلا من عطاء ربك من معطاه متعلق بنمد وما كان عطاء ربك
محظورا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا انظر كيف فضلنا
بعضهم على بعض في وانتصاب كيف بفضلنا على الحال وللآخرة اكبر درجات واكبر
تفضيلا اي التفاوت في الاخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها و
النار ودركاتها لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد

اشد او لكل احد فتقعد فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او فتعجز
من قولك قعد عن الشيء اذا عجز عنه مذموما مخذولا جامعا على نفسك اللوم
من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا
منصورا وقضى ربك وامر امرا مقطوعا الا تعبدوا بان لا تعبدوا الا اياه لان غاية
التعظيم لا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي الآخرة
ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا ناهية وبالوالدين احسانا بان تحسنوا او واحسنوا
بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان يتعلق
الباء بالاحسان لان صلته لا تتقدم عليه اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما
اما ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا ولذلك صح لحوق النون المؤكدة للفعل
واحدهما فاعل يبلغن ويدل على قراءة حمزة والكسائي من الف يبلغان الراجع
الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون
تاكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا في كنفك وكفالتك فلا تقل لهما اف فلا تضجر
مما يستقذر منهما وتستثقل من مؤنتهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل
اسم الفعل الذي هو اتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في
قراءة نافع وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف
وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمذ منونا وبالضم للاتباع والنهي عن ذلك
يدل على المنع من سائر انواع الايذاء قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان
لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم
حذيفة من قتل ابيه وهو في صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان

بهما ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات
وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما جميلا لا شراسة فيه واخفض لهما جناح
الذل تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله شعر
وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها للشمال يدا او للقر
زماما وامره بخفضهما مبالغة او اراد جناحه كقوله واخفض جناحك للمؤمنين
واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض
لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهما الانقياد والنعت منه ذلول
من الرحمة من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما
وقل رب ارحمهما وادع الله ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك
الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما كما ربياني صغيرا رحمة مثل
رحمتهما علي وتربيتهما وارشادهما لي في صغري وفاء بوعدك للراحمين
روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني
الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان
ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما ربكم اعلم
بما في نفوسكم من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد
على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح فانه
كان للاوابين للتوابين غفورا ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير
وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على
ابويه جناية اوليا لوروده على وآت ذا القربى حقه من صلة الرحم وحسن

المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة رضي الله عنه حقهم اذا كانوا محارم فقراء
ان ينفق عليهم وقيل المراد بذي القربى اقارب الرسول عليه وعليهم الصلوة
والسلم والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف المال فيما لا ينبغي و
انفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال لسعد وهو يتوضأ ما هذا السرف قال افي الوضوء سرف قال نعم
وان كنت على نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة
فان التضيع والاتلاف والصرف في المعاصي روي انهم كانوا ينحرون
الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم الله عن
ذلك وامرهم بالانفاق في القربات وكان الشيطان لربه كفورا مبالغا في
الكفر فما ينبغي ان يطاع واما تعرضن عنهم وان اعرضت عن ذوي القربى و
المسكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا
ينفعهم على سبيل الكناية ابتغاء رحمة من ربك ترجوها لانتظار رزق
من الله ترجوه ان يأتيك فتعطيه او منتظرين له وقيل معناه لفقد رزق
من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه
ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله فقل لهم قولا ميسورا اي فقل
لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم و
الميسور من يسر الامر مثل سعد ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم
بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله رزقنا الله واياكم ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف

المبذر نهي عنهما امرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم فتقعد ملوما فتصير
ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وهو التبذير محسورا نادما او منقطعا
بك لا شيء عندك من حسرة السفر اذا ابلغ منه وعن جابر رضي الله عنه بينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا
فقال من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت قل له ان امي تستكسيك
الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن
بلال وانتظر الصلوة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله ان ربك يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة فليس
ما يرهقك من الاضاقة الا لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم
وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يريد ان البسط والقبض
من امر الله العالم بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا او انه
تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل القبض
ولا تبسطوا كل البسط وان يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية
املاق مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو وأدهم بناتهم مخافة الفقر
فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم واياهم ان قتلهم كان
خطأ كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطأ الاثم
يقال خطئ خطأ كاثم اثما وقرأ ابن عامر خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد
الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وابن كثير خطاء بالمد و
الكسر وهو اما لغة او مصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء تخاطأ في

قوله شعر تخاطاه القناص حتى وجدته وخرطومه في منقع الماء راسب وهو مبني
عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطأ بفتح الهمزة مفتوحها ومكسورها ولا تقربوا
الزنا بالعزم والاتيان بالمقدمات فضلا ان تباشروه انه كان فاحشة فعلة ظاهرة
القبح زائدته وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع المؤدي
الى قطع الانساب وهيج الفتن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق الا باحد
ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا ومن قتل مظلوما
غير مستوجب القتل فقد جعلنا لوليه الذي يلي امره بعد وفاته وهو الوارث
سلطانا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه او بالقصاص على القاتل
فان قوله مظلوما يدل على ان القاتل عهد عدوان فان الخطاء لا يسمى ظلما
فلا يسرف اي القاتل في القتل بان يقتل من لا يحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود
بالهلاك او الولي بالمثلة وقتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة ابي فلا تسرفوا
وقرأ حمزة والكسائي فلا تسرف على خطاب احدهما انه كان منصورا علة النهي
على الاستيناف والضمير اما للمقتول فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص
بقتله وفي الآخرة بالثواب واما للولي فان الله نصره حيث اوجب القصاص
له وامر الولاة بمعونته واما للذي يقتله الولي اسرافا بايجاب القصاص او
التعزير والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن الا بالطريقة
التي هي احسن حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثناء
واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله من تكاليفه او ما عاهدتموه وغيره ان العهد
كان مسئولا مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفي به او مسئولا عنه فيسأل

الناكث

الناكث ويعاتب عليه او يسئل العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال
للموؤدة باي ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد
كان مسئولا واوفوا الكيل اذا كلتم ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم
بالميزان السوي وهو رومي عرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لان
العجمي اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف
والتنكير ونحوها صار عربيا وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف
ذلك خير واحسن تأويلا واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ولا تقف ولا
تتبع وقرئ ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة ما ليس لك به علم
ما لم يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن و
جوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان
قطعا او ظنا واستعماله لهذا المعنى شائع وقيل انه مخصوص بالعقائد و
قيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه الصلوة والسلام من قفا
مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وقول الكميت
شعر ولا ارمي البرئ بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا ان السمع و
البصر والفؤاد كل اولئك اي كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت
مسئولة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا وان اولاء وان غلب في
العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله
شعر والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسئولا في ثلثها ضمير كل اي كان
كل واحد منها مسئولا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير

اى عنه لمصدر لا تقف او لصاحب السمع والبصر وقيل مسئولا مسند الى
عنه كقوله غير المغضوب عليهم والمعنى يسال صاحبه عنه وهو خطأ
لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مواخذ بعزمه
على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح
ولا تمش فى الارض مرحا اى ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار
الحكم ابلغ وان كان المصدر اكد منه صريح النعت انك لن تخرق الارض لن تجعل
فيها خرقا بشدة وطاتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال
وتعليل للنهى بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس فى
التذلل كل ذلك اشارة الى الخصال الخمسة والعشرين المذكورة من قوله
ولا تجعل مع الله الها اخر وعن ابن عباس رضى الله عنهما انها المكتوبة
فى الواح موسى عليه السلم كان سيئه يعنى المنهى عنه فان المذكورات مامورات
ومناهى وقرا الحجازيان والبصريان سيئة على انها خبر كان والاسم
ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهى عنه خاصة وعلى هذا قوله عند ربك
مكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ
به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن فى كان او فى الظرف
على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضى لا ما يقابل المراد لقيام
القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى ذلك اشارة الى الاحكام
المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة التى هى معرفة الحق لذاته والخير للعمل
به ولا تجعل مع الله الها اخر كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فان

من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه راس
الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ما هو عائدة الشرك فى الدنيا وثانيا ما هو
نتيجته فى العقبى فقال فتلقى فى جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا
من رحمة الله افاصفيكم ربكم بالبنين خطاب لمن قالوا بنات الله والهمزة للانكار
والمعنى افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة اناثا
لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم انكم لتقولون قولا عظيما
باضافة الاولاد اليه وهى خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل
انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم
من اشرف خلق الله ادونهم ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير
فى هذا القران فى مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القران ابطال اضافة البنات
اليه على تقدير ولقد صرفنا القول فى هذا المعنى او اوقعنا التصريف
فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذكروا ليتذكروا وقرا حمزة والكسائى ليذكروا
من الذكر والذى هو بمعنى التذكر وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمانينة
اليه قل لو كان معه الهة كما تقولون ايها المشركون وقرا ابن كثير وحفص بالياء
فيه وفيما بعده على ان الكلام مع الرسول ووافقهما نافع وابن عامر وابو عمرو
وابو بكر ويعقوب فى الثانية على ان الاولى مما امر به الرسول ان يخاطب
به المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالتهم اذا لابتغوا الى ذى العرش
سبيلا جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك
سبيلا بالمعازة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه والطاعة

لعلمهم بتفرده وعجزهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
سبحانه تنزه تنزيها وتعالى عما يقولون علوا تعاليا كبيرا متباعدا غاية البعد
عما يقولون فانه في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته
واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح له السموات
السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ينزهه عما هو من
لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل بامكانها وحدوثها
على الصانع القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون
لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي يفهم به تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح
على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى ما يتصور منه وعليهما عند
من جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر يسبح
بالياء انه كان حليما حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفورا
لمن تاب منكم واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة
حجابا مستورا يحجبهم عن فهم ما تقرأه عليهم مستورا ذا ستر كقوله وعدا مأتيا
وقولهم سيل مفعم او مستورا عن الحس او بحجاب اخر لا يفهمون ولا يفهمون
انهم لا يفهمون نفى عنهم ان يفهموا ما انزل عليهم من الايات بعد ما نفى
عنهم التفقه للدلالات المصنوعة في الانفس والافاق تقريرا وبيانا
لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح به بقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة تكنها
وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله ان يفقهوه كراهة ويجوز ان يكون مفعولا
لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اى منعناهم ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا

يمنعهم عن استماعه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه
ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ واذا ذكرت ربك في القرآن وحده
غير مشفوع به الهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله واحدا وحده ولوا
على ادبارهم نفورا هربا من استماع التوحيد ونفرة او تولية ويجوز ان يكون
جمع نافر كقاعد وقعود نحن اعلم بما يستمعون به بسببه ولاجله من الهزؤ بك
وبالقرآن اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى اى نحن اعلم
بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم
ذوو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجي اذ يقول
الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا مقدر باذكر او بدل من اذ هم نجوى
على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقوله هذا و
المسحور الذي سحر به فزال عقله وقيل الذي سحر وهو الرئة اى الا رجلا
يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر
والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون
سبيلا الى طعن موجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع
او الى الرشاد وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا وحطاما ائنا لمبعوثون خلقا
جديدا على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من
المباعدة والمنافاة والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد
ان لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدر او حال قل جوابا لهم كونوا حجارة او حديدا
او خلقا مما يكبر في صدوركم اى مما يكبر عندكم عن قبول الحياة لكونه ابعد شيء

منها فانه قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف
اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحيوة قبل والشيء اقبل
لما عهد فيه مما لم يعهد فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة وكنتم
ترابا وما هو ابعد منه من الحيوة فسينغضون اليك رؤسهم فسيحركونها
نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا فان كل ما هو
ات قريب وانتصابه على الخبر او الظرف اي ان يكون في زمان قريب وان يكون
اسم عسى او خبره والاسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون اي يوم يبعثكم فتنبعثون
استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء بحمده
حال منهم اي حامدين لله على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن
رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد الحامدين
عليه وتظنون ان لبثتم الا قليلا وتستقصرون مدة لبثكم في القبور كالذي
مر على قرية او مدة حيوتكم لما ترون من الهول وقل لعبادي يعني المؤمنين يقولوا
التي هي احسن الكلمة التي هي احسن ولا تخاشنوا المشركين ان الشيطان ينزغ
بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم يفضي الى العناد وازدياد الفساد
ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم
او ان يشأ يعذبكم تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه
الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر مع ان
ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك

امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك
بالاحتمال منهم روي ان المشركين افرطوا في ايذائهم فشكوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل شتم عمر رضي الله عنه رجل فهم به فامره الله
بالعفو وربك اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم فيختار منهم لنبوته
وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابي طالب نبيا
وان يكون العراة الجوع اصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل
النفسانية والتبري عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع
حتى داود عليه السلام فان شرفه بما اوحي اليه من الكتاب لا بما اوتي من
الملك قيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله
واتينا داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وامته
خير الامم المدلول عليه في الزبور من ان الارض يرثها عبادي الصالحون
وتنكيره هاهنا وتعريفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه في الاصل فعول
للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم فهو
كالعباس والفضل او لان المراد واتينا داود بعض الزبور او بعضا من
الزبور فيه ذكر الرسول قل ادعوا الذين زعمتم انها الهة من دونه كالملائكة و
المسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم كالمرض والفقر
والقحط ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم اولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة هؤلاء الالهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة
ايهم اقرب بدل من واو يبتغون اي يبتغي من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة

فكيف بغير الاقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه كساير العباد فكيف
يزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد
حتى الرسل والملائكة وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت و
الاستيصال او معذبوها عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية كان ذلك
فى الكتاب اى فى اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالايات
اى وما صرفنا عن ارسال الايات التى اقترحها قريش الا ان كذب بها الاولون
الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم فى الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت
لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجبوا الاستيصال على ما مضت به
سنتنا وقد قضينا ان لا نستاصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن
ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الايات المقترحة فقال واتينا ثمود الناقة
بسؤالهم مبصرة بينة ذات ابصار او بصاير اى جاعلتهم ذوى بصاير وقرى
بالفتح فظلموا بها فكفروا بها او ظلموا انفسهم بسبب عقرها وما نرسل
بالايات بالايات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب المستاصل فان لم
يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات وايات القران الا تخويفا بعذاب
الاخرة فان امر من بعثت اليهم موخر الى يوم القيمة والباء مزيدة او فى موضع الحال
والمفعول محذوف واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس
فهم فى قبضة قدرته او احاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدو
فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضى لتحقق وقوعه وما
جعلنا الرؤيا التى اريناك ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان فى المنام

ومن قال انه كان فى اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية او عام الحديبية حين راى انه
دخل مكة وفيه نظر اذ الاية مكية الا ان يقال راها بمكة وحكاها ح ولعله راى
وقعة بدر لقوله اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولما روى انه عليه السلام
قال لكانى انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت
قريش واستسخروا منه وقيل راى قوما من بنى امية يرقون منبره وينزون عليه
نزو القردة فقال هو حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد
بقوله الا فتنة للناس ما حدث فى ايامهم والشجرة الملعونة فى القران عطف
على الرؤيا وهى شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم
ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا ان من قدر ان
يحمى وبر السمندر من ان تاكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع
الحديد المحماة الحمر التى تبتلعها قدر ان يخلق فى النار شجرة لا تحرقها و
لعنها فى القران لعن طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة او وصفها
بانه فى اصل الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة او بانها مكروهة موذية من
قولهم طعام ملعون لما كان او قد اولت بالشيطان وابى جهل والحكم
ابن ابى العاص وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اى والشجرة
الملعونة فى القران كذلك ونخوفهم بانواع التخويف فما يزيدهم الا طغيانا
كبيرا الا عتوا متجاوز الحد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس
قال ءاسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان
يكون حالا من الراجع الى الموصول اى خلقته وهو طين او منه اى اسجد له واصله

لين وفيه على الوجوه ايماء بعلة الانكار قال ارايتك هذا الذى كرمت على الكاف
لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا مفعول اول والذى صفته والمفعول
الثانى محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرنى عن هذا الذى كرمته على
بامرى بالسجود له لم كرمته على لئن اخرتن الى يوم القيمة كلام مبتداء واللام
موطية للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته الا قليلا اى لاستاصلنهم بالاغواء
الا قليلا لا اقدر ان اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها
اكلا ماخوذ من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له استنباطا من قول الملئكة
اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير او تفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة
وغضب قال اذهب امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت
له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب
على الغايب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات جزاء موفورا
مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه وانتصاب جزاء على المصدر باضمار
فعله او بما فى جزاؤكم بمعنى تجازون او حال موطية لقوله موفورا واستفزز
واستخف من استطعت منهم ان تستفزه والفز الخفيف بصوتك بدعايك
الى الفساد واجلب عليهم وصح عليهم من الجلبة وهى الصياح بخيلك ورجلك
باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله عليه الصلوة والسلم
يا خيل الله اركبى والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان
يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من
اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استاصلهم وقرا حفص رجلك بالكسر وغيره

بالضم وهما لغتان كندس وندس ومعناه وجمعك الرجل وقرى ورجالك
ورجالك وشاركهم فى الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف
فيها على ما لا ينبغى والاولاد بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم
والاشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل على الاديان الزايغة و
الحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة
والاتكال على كرامة الاباء وتاخير التوبة لطول الامل وما يعدهم الشيطان الا
غرورا اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطاء بما يوهم انه صواب
ان عبادى يعنى المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد فى قوله الا عبادك منهم
المخلصين تخصيصهم ليس لك عليهم سلطان اى على اغوايهم قدرة وكفى بربك
وكيلا يتوكلون به فى الاستعاذة منك على الحقيقة ربكم الذى يزجى هو الذى
يجرى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله الربح وانواع الامتعة التى لا تكون
عندكم انه كان بكم رحيما حيث هيا لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما تعسر من اسبابه
واذا مسكم الضر فى البحر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب عن خواطركم كل
من تدعونه فى حوادثكم الا اياه وحده فانكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون
لكشفه الا اياه او ضل كل من تعبدونه عن اعانتكم الا الله فلما نجيكم من الغرق
الى البر اعرضتم عن التوحيد وقيل اتسعتم فى كفران النعمة كقول ذى الرمة
شعر عطاء فتى تمكن فى المعالى فاعرض فى المكارم واستطالا وكان الانسان
كفورا كالتعليل للاعراض افامنتم الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف
على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من

قدر ان يهلككم في البحر ان يغرقكم في البر بالخسف وغيره ان يخسف بكم
جانب البر ان يقلبه الله وانتم عليه او يقلبه بسببكم فبكم حال او صلة وقرأ
ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفي الاربعة التي بعده وفي ذكر الجانب
تنبيه على انهم لما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات
في قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه من اسباب الهلاك او يرسل عليكم
حاصبا ريحا تحصب اي ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من
ذلك فانه لا راد لفعله ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر تارة اخرى بخلق دواع
تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشيء الا قصفته
اي كسرته فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح بما كفرتم
من اشراككم او كفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا
بانتصار او صرف ولقد كرمنا بني ادم بحسن الصورة والمزاج الاعدل و
اعتدال القامة والتميز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدي
الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في الارض والتمكن من الصناعات
وانسياق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى ما يعود عليهم
بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ما ذكره ابن
عباس رضي الله عنهما وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان
فانه يرفعه اليه بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته
حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الارض
ولم يغرقهم الماء ورزقناهم من الطيبات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم

وفضلنا

وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلاء او بالشرف
والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل
افراده والمسئلة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف يوم
ندعو نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو
ويدعى ويدعو على قلب الالف واوا على لغة من يقول افعو وعلى ان الواو
علامة الجمع كما في قوله واسروا النجوى الذين ظلموا او ضميره وكل بدل
منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع
وهو قد يقدر كما في يدعى كل اناس بامامهم بمن ائتموا به من نبي او مقدم
في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا
صاحب كتاب كذا اي ينقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال و
قيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام
كخف وخفاف والحكمة في ذلك اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف
الحسن والحسين رضي الله عنهما وان لا يفتضح اولاد الزنا فمن اوتي من
المدعوين كتابه بيمينه اي كتاب عمله فاولئك يقرءون كتابهم ابتهاجا وتبجحا
بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من اجورهم ادنى شيء وجمع
اسم الاشارة والضمير لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب
باليمين يدل على ان من اوتي كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم من
الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة لذلك ولم يذكرهم مع ان قوله
ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى ايضا مشعر بذلك فان الاعمى

لا يقراء الكتاب والمعنى ومن كان في هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان
في الآخرة اعمى لا يرى طريق النجاة واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد
وفقدان الآلة والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاستعمال
من فاقد الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من عمى بقلبه كالاجهل والابله ولذلك
لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن وكانت الفه
في حكم المتوسط في اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة في الطرف لفظا
وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء في التثنية وقد اما
لهما حمزة والكسائي وابو بكر وان كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف قالوا
لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها الا نعشر ولا نحشر ولا
نجبي في صلوتنا وكل ربوا لنا فهو لنا وكل ربوا علينا فهو موضوع عنا
وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب
لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام
الحجر حتى تلم بالهتنا وتمسها بيدك وان هي المخففة واللام هي الفارقة و
المعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك في الفتنة بالاستنزال عن
عن الذي اوحينا اليك من الاحكام لتفتري علينا غيره ما اوحينا اليك واذا
لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك وليا لهم بريا
من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت تركن اليهم شيئا
قليلا لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم
لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون

فضلا من ان تركن اليه وهو صريح في انه عليه الصلوة والسلام ما هم باجابتهم
مع قوة الداعي عليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه اى لو قاربت
لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة
ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطاء الخطير اخطر
وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا
ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة موصوفه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها
وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الآخرة
وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع العذاب عنك
وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم من الارض
ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك ولو خرجت لا يبقون بعد
خروجك الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد
هجرته بسنة وقيل الآية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي بالمدينة
فقالوا الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع
ذلك في قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير
بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذن على انه معطوف على جملة قوله وان كادوا
ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذا لا يعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على
ما قبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك وهو
لغة فيه قال عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا
سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر اي سن الله سنة

هو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله واضافتها
الى الرسل لانها من اجلهم ويدل عليه **ولا تجد لسنتنا تحويلا** اى تغييرا **اقم**
الصلوة لدلوك الشمس لزوالها ويدل قوله عليه الصلوة والسلم اتانى
جبرئيل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بى الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب
للانتقال ومنه الدلك فان الدالك لا تستقر يده وكذا كل ما تركب من
الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من
الدلك لان الناظر اليها يدلك عينه ليدفع شعاعها واللام للتاقيت
مثلها فى لثلث خلون **الى غسق الليل** الى ظلمته وهو وقت صلوة العشاء **وقرآن**
الفجر وصلوة الصبح سميت قرآنا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل
به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة
فيها نعم لو فسر بالقراءة فى صلوة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها
نصا وفى غيرها قياسا **ان قرآن الفجر كان مشهودا** تشهده ملائكة الليل وملائكة
النهار وشواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذى هو اخو الموت
بالانتباه او كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير والآية
جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوات الليل وحدها
ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس
الى غسق الليل لمبداء الوقت ومنتهاه واستدل على ان الوقت يمتد الى غروب
الشفق **ومن الليل فتهجد به** وبعض الليل فاترك الهجود للصلوة والضمير
للقرآن **نافلة لك** فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة او فضيلة لك

عسى

عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه و
هو مطلق فى كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى
ابو هريرة رضى الله عنه انه عليه الصلوة والسلم قال هو المقام الذى اشفع
فيه لامتى ولاشعاره بان الناس يحمدونه لقيامه وما ذاك الا مقام
الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله اى فيقيمك مقاما او
بتضمين يبعثك معناه او الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام **وقل رب ادخلنى**
اى فى القبر **مدخل صدق** ادخالا مرضيا **واخرجنى** اى منه عند البعث **مخرج**
صدق اخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة
وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله
الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فى كل ما يلابسه من مكان
او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلنى فادخل
دخولا واخرجنى فاخرج خروجا **واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا** حجة
تنصرنى على من خالفنى او ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله
فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم فى الارض
وقل جاء الحق الاسلام **وزهق الباطل** وذهب وهلك الشرك من زهق روحه
اذا خرج **ان الباطل كان زهوقا** مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود رضى الله
عنه انه عليه الصلوة والسلم دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستون
صنما فجعل ينكت بمخصرة فى عين واحد واحد منها فيقول جاء الحق و
زهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة

وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من القرآن ما هو
شفاء ورحمة للمؤمنين ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم
كالدواء الشافي للمرضى ومن للبيان فانه كله كذلك وقيل انه للتبعيض و
المعنى ان منه ما يشفي من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصري ينزل
بالتخفيف ولا يزيد الظالمين الا خسارا لتكذيبهم وكفرهم به واذا
انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله ونأى بجانبه لوى عطفه
وبعد بنفسه عنه كانه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية عن
الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر وناء على القلب او
على انه بمعنى نهض واذا مسه الشر من مرض او فقر كان يؤسا شديد اليأس
من روح الله تعالى قل كل يعمل على شاكلته قل كل احد يعمل على طريقته التي
تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج
بدنه فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اسد طريقا او بين منهجا وقد فسرت
الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسألونك عن الروح الذي يحيى به
بدن الانسان ويدبره قل الروح من امر ربي من الابداعيات الكائنة بكن
من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده او وجد بامره وحدث بتكوينه
على ان السؤال عن قدمه وحدوثه وقيل مما استأثره الله بعلمه لما روي
ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين
وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض
وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التوراة

وقيل الروح جبرئيل وقيل خلق عظيم من الملك وقيل القرآن ومن امر ربي
معناه من وحيي وما اوتيتم من العلم الا قليلا تستفيدونه بتوسط حواسكم
فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات المستفادة
من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما ولعل اكثر الاشياء
لا يدركه الحس ولا شيء من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح
مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على
هذا الجواب كما اقتصر موسى في جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته
روي انه عليه الصلوة والسلام لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا
الكتاب فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض
من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الحق
والخير ما تسعه القوة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو
بالاضافة الى معلومات الله التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين و
بالاضافة اليه كثير ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك اللام الاولى
موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان
شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن المصاحف والصدور ثم لا تجد لك به
علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا الا رحمة من ربك
فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى
ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد

المنه في تنزيله ان فضله كان عليك كبيرا كالرسالة وانزال الكتاب عليه وابقا
في حفظه قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران في البلاغة
وحسن النظم وكمال المعنى لا ياتون بمثله وفيهم العرب العرباء وارباب البيان
واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا
هي لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير شعر وان اتاه خليل
يوم مسالة • يقول لا غايب مالي ولا حرم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا
ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه
عن كونه معجزة ولانهم كانوا وسايط في اتيانه ويجوز ان يكون الاية تقريرا
لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ولقد صرفنا كررنا بوجوه مختلفة زيادة
في التقرير والبيان للناس في هذا القران من كل معنى كالمثل في غرابته
ووقوعه موقعا في الانفس فابى اكثر الناس الا كفورا الا جحودا وانما جاز
ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متاول بالنفي وقالوا لن نؤمن لك حتى
تفجر لنا من الارض ينبوعا تعنتا واقتراحا بعد ما لزمتهم الحجة ببيان اعجاز
القران وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرا الكوفيون ويعقوب تفجر
بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من
نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر او تكون لك جنة من نخيل وعنب
فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او يكون لك بستان يشتمل على ذلك او تسقط
السماء كما زعمت علينا كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه
ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسايي ويعقوب في جميع القران الا في الروم

وابن عامر

وابن عامر الا في هذه السورة ونافع وابو بكر في غيرهما وحفص في ما عدا
الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدرة وسدر او فعل بمعنى مفعول
كالطحن او تاتي بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما تدعيه اي شاهدا
على صحته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله
وحال من الملائكة محذوفة لدلالتها عليه كما حذف الخبر في قوله شعر
واني وقيار بها لغريب او جماعة فيكون حالا من الملائكة او يكون لك بيت
من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة او ترقى في السماء في معارجها
ولن نؤمن لرقيك وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وكان فيه تصديقك
وكان فيه تصديقك قل سبحان ربي تعجبا من اقتراحهم او تنزيها لله من ان
ياتي او يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة هل كنت الا بشرا كساير الناس
رسولا كساير الرسل وكانوا لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على
ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الايات اليهم ولا ان يتحكموا على الله حتى
يتخيروها على هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر في ايات
اخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا
وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي وما منعهم الايمان بعد نزول
الوحي وظهور الحق الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا الا قولهم هذا والمعنى
انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد والقران الا انكارهم ان يرسل
الله بشرا قل جوابا لشبهتهم لو كان في الارض ملائكة يمشون كما يمشي
بنو ادم مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا لتمكنهم

من الاجتماع به والتلقي منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك و
التلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا
يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا و
الاول اوفق قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني رسول اليكم
باظهار المعجزة على وفق دعواي او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم
وشهيدا نصب على الحال او التمييز انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم
احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول
وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء
من دونه يهدونه ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم يسحبون عليها او
يمشون بها روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون
على وجوههم تسحبون عليها او تمشون عميا وبكما وصما لا يبصرون ما يقر
اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم
في دنياهم لم يتبصروا بالايات والعبر وتصاموا عن استماع الحق و
ابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف
الى النار موفي القوى والحواس ماويهم جهنم كلما خبت سكن لهيبها بان
اكلت جلودهم ولحومهم زدناهم سعيرا توقدا بان نبدل جلودهم
ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد
الافناء جزاهم الله بان لا يزالون على الاعادة والافناء واليه اشار
بقوله ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا

قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم

لم يستبصروا

ءان

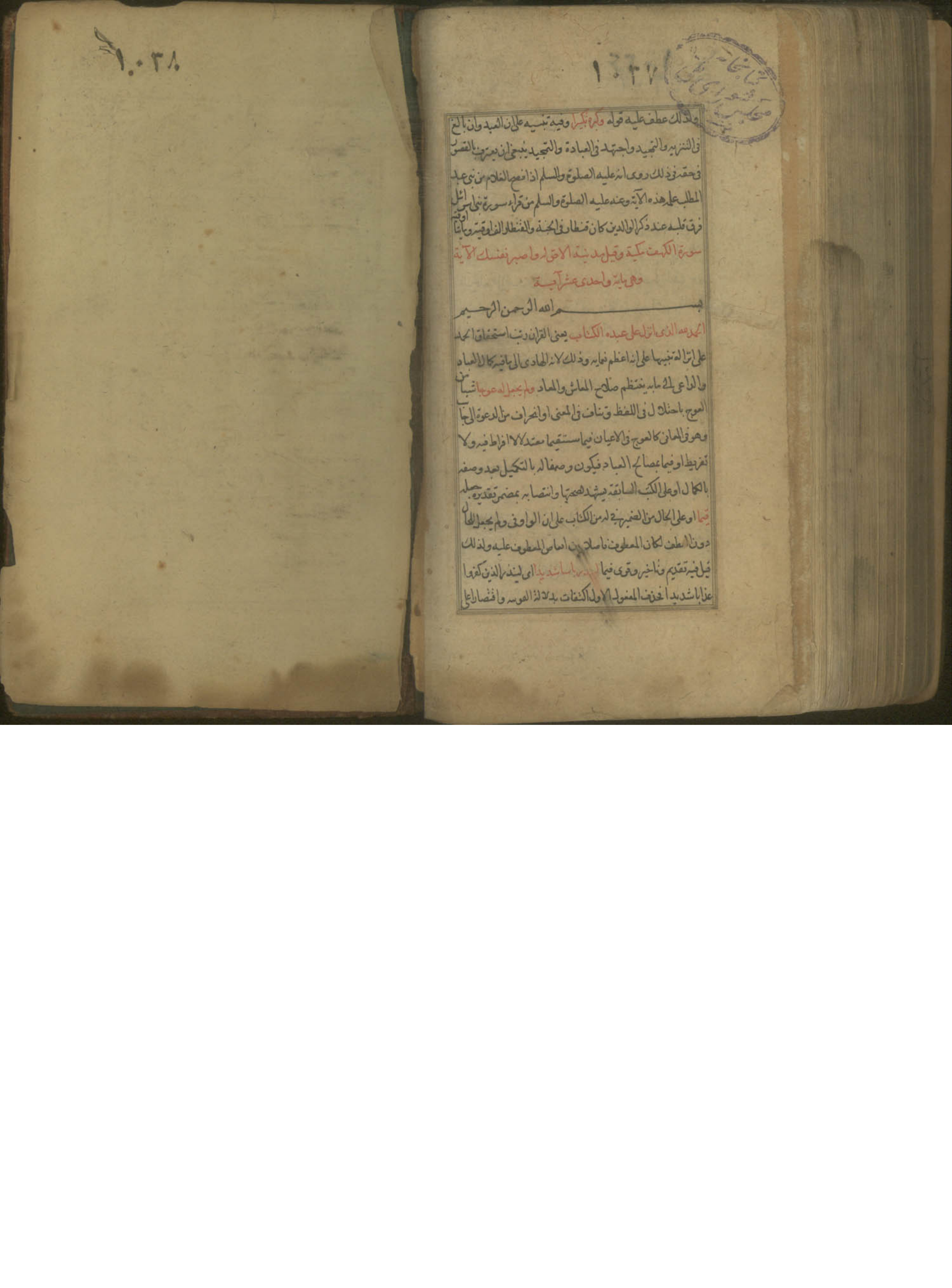
ائنا لمبعوثون خلقا جديدا لان الاشارة الى ما تقدم من عذابهم
اولم يروا الم يعلموا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان
يخلق مثلهم فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه
من الابداء وجعل لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت او القيمة فابى الظالمون
مع وضوح الحق الا كفورا الا جحودا قل لو تملكون خزاين رحمة خزاين رزقه
وساير نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار
لطمتني وفايدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة
على الاختصاص اذا لامسكتم خشية الانفاق لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق
اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو اثر غيره بشي فانما يوثره بعوض
يفوقه فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله وكرمه هذا وان البخلاء اغلب
فيهم وكان الانسان قتورا بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج
اليه وملاحظة الغرض فيما يبذل ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات
هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر
وانفلاق البحر ونتق الطور على بني اسرائيل وقيل الطوفان والسنون
ونقص من الثمرات مكان الثلثة الاخيرة وعن صفوان رضي الله عنه ان
يهوديا سال النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال لا تشركوا بالله ولا تسرقوا
ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا
الربوا ولا تمشوا ببري الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا
تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا يوم السبت فقبل اليهودي

بيته ورجله فعلى هذا المراد بالاحكام العامة للملل الثابتة فى كل الشرايع
سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها فى الاخرة من السعادة
والشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لا تعتدوا كلام مستانف
زايد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام فسئل بنى اسرائيل اذ جاءهم
فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك او سلهم عن حال دينهم ويؤيده
قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال على لفظ الماضى بغير همز
وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا او سال على هذه القراءة او فسال
يا محمد بنى اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم او عن الايات
ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى نفسك او تعلم انه تعالى لو اتى بما اقترحوا
لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة
يوجب قوة اليقين وطمانينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا باتينا او باضمار
يخبروك على انه جواب او باضمار اذكر على الاستيناف فقال له فرعون
انى لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت يا فرعون
وقرا الكسائى بالضم على اخباره عن نفسه ما انزل هؤلاء يعنى الايات الا رب
السموات والارض بصاير بينات تبصرك صدقى ولكنك تعاند وانتصابه
على الحال وانى لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر
من قولهم ما ثبرك عن هذا اى ما صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان
ما بين الظنين فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى يحوم حول اليقين
من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام

الفارقة فاراد فرعون ان يستفزهم ان يستخف موسى وقومه وينفيهم
من الارض ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستيصال فاغرقناه
ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا
من بعده من بعد فرعون واغراقه لبنى اسرائيل اسكنوا الارض التى اراد ان
يستفزكم منها فاذا جاء وعد الاخرة الكرة او الحيوة او الساعة او الدار الاخرة
يعنى قيام القيمة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز
سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبايل شتى وبالحق انزلناه
وبالحق نزل اى وما انزلنا القران الا ملتبسا بالحق المقتضى لانزاله وما
نزل الا ملتبسا بالحق الذى اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السماء الا
محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط
الشياطين ولعله اراد نفى اعتراء البطلان له اول الامر واخره وما
ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصى من العقاب فلا عليك
الا التبشير والانذار وقرانا فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه
الحق من الباطل فحذف الجار كما فى قوله شعر ويوما شهدناه وقرئ بالتشديد
لكثرة نجومه فانه نزل فى تضاعيف عشرين سنة لتقراه على الناس على مكث
على مهل وتؤدة فانه ايسر للحفظ واعون فى الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة
فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل امنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم
بالقران لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصانا وقوله ان الذين
اوتوا العلم من قبله تعليل له اى ان لم تؤمنوا فقد امن به من هو خير منكم وهم

العلماء الذين قرؤا الكتب السالفة وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة
وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل او رأوا نعتك وصفة ما انزل اليك
في تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل
تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم اذا
يتلى عليهم القرآن يخرون للاذقان سجدا يسقطون على وجوههم تعظيما
لامر الله تعالى او شكرا لانجاز وعده في تلك الكتب ببعثة محمد عليه
الصلوة والسلم على فترة من الرسل وانزال القرآن عليه ويقولون سبحان
ربنا عن خلف الموعد ان كان وعد ربنا لمفعولا انه كان وعده كائنا لا محالة
ويخرون للاذقان يبكون كرره لاختلاف الحال والسبب فان الاول
للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القرآن حال
كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه
الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به ويزيدهم سماع القرآن خشوعا
لما يزيدهم علما ويقينا بالله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت حين سمع
المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن يا رحيم فقالوا
انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر
الرحمن وقد اكثره الله تعالى في التورية فالمراد على الاول هو التسوية بين
اللفظين بانهما مطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما
والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود والثاني انهما سيان في حسن
الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو جواب لقوله اياما تدعوا فله الاسماء

الحسنى والدعاء في الآية بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف
اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه
وما صلة لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية له لا
للاسم وكان اصل الكلام اياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى
للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات
الجلال والاكرام ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلوتك حتى تسمع المشركين فان
ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها حتى لا تسمع من خلفك من
المؤمنين وابتغ بين ذلك سبيلا بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان
الاقتصاد في جميع الامور محبوب روي ان ابا بكر رضي الله عنه كان يخفت و
يقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رضي الله عنه كان يجهر ويقول اطرد
الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر
بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات
نهارا وبالجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك
في الالوهية ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه من اجل مذلة به ليدفعها
بموالاته نفى عنه ان يكون له به ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له ما
يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا او اضطرارا وما يعاونه ويقويه
ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه كامل الذات
المنفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه



ولذلك عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ
في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور
في حقه في ذلك روى انه عليه الصلوة والسلم اذا افصح الغلام من بني عبد
المطلب علمه هذه الآية وعنه عليه الصلوة والسلم من قرا سورة بني اسرائيل
فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

سورة الكهف مكية وقيل مدنية الا قوله واصبر نفسك الآية
وهي مائة واحدى عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني القرآن رتب استحقاق الحمد
على انزاله تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد
والداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا من
العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى او انحراف من الدعوة الى جناب
وهو في المعاني كالعوج في الاعيان قيما مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا
تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه
بالكمال او على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله
قيما او على الحال من الضمير في له من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل للحال
دون العطف لكان المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك
قيل فيه تقديم وتاخير وقرئ قيما لينذر باسا شديدا اي لينذر الذين كفروا
عذابا شديدا فحذف المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على

